

نهاية الأثر

في

فتو الأئمة

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

أجزاء السجدة والعشرون

تحقيق

على محمد الجاوي

معين التاريخ
لأهل التاريخ



المطبعة العصرية العامة للكتاب

١٩٧٦

جمهورية مصر العربية

وزارة الثقافة

المكتبة العربية

يسرها

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

بإشراف

الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

وكلت إلى الإدارة العامة للثقافة تحقيق الجزء التاسع عشر من كتاب نهاية الأرب للتويرى (وهو الجزء الحادى والعشرون من تقسيم المؤلف) ، فرجعت إلى نسخته المصورتين بدار الكتب ، وهما برقم ٥٤٩ ، ورقم ٥٥٤ معارف عامة ، ورمزت إلى الأولى بالحرف ك وإلى الثانية بالحرف د ، وقد اعتمدت على النسخة الثانية لأنها أكثر تحقيقا ، وجعلت الثانية مساعدة فى التحقيق .

وكان لابد فى تحقيق نصوص هذا الكتاب مما يأتى :

١ - الإشارة فى الهوامش إلى العبارات التى اختلفت فيها النسختان مما يجعل المتن فى صورة كاملة واضحة للقارئ .

٢ - الرجوع إلى المصدر الأول للكتاب ، وهو الكامل لابن الأثير .

٣ - الرجوع إلى المصادر الأولى للتاريخ الإسلامى ، ومن أهمها تاريخ الطبرى ، وفتوح البلدان للبلاذرى .

٤ - الرجوع إلى المعجمات اللغوية ، وكتب البلدان ، ومن أهم مارجعنا إليه فيها : معجم ما استعجم للبكرى ، مراصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع لابن عبد الحق البغدادى ، معجم البلدان لياقوت .

٥ - الرجوع - فى تحقيق الأعلام - إلى كتب الأعلام الموثوق بها ، وقد رجعت فى ذلك إلى : المشتبه للذهبي . وتبصير المنتبه بتحريр المشتبه ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ، وتاج العروس ، والإكمال لابن ماكولا ، وغيرها .

وأرجو أن يكون الكتاب يذلك قد نال حظه من العناية ، فصار أقرب ما يكون إلى أصل المؤلف .

على محمد البجاوى

٢٠ ثم التمس الى س ٥
 ٢١ ثم التمس الى س ٥
 ٢٢ ثم التمس الى س ٥
 ٢٣ ثم التمس الى س ٥
 ٢٤ ثم التمس الى س ٥
 ٢٥ ثم التمس الى س ٥
 ٢٦ ثم التمس الى س ٥
 ٢٧ ثم التمس الى س ٥
 ٢٨ ثم التمس الى س ٥
 ٢٩ ثم التمس الى س ٥
 ٣٠ ثم التمس الى س ٥
 ٣١ ثم التمس الى س ٥
 ٣٢ ثم التمس الى س ٥
 ٣٣ ثم التمس الى س ٥
 ٣٤ ثم التمس الى س ٥
 ٣٥ ثم التمس الى س ٥
 ٣٦ ثم التمس الى س ٥
 ٣٧ ثم التمس الى س ٥
 ٣٨ ثم التمس الى س ٥
 ٣٩ ثم التمس الى س ٥
 ٤٠ ثم التمس الى س ٥
 ٤١ ثم التمس الى س ٥
 ٤٢ ثم التمس الى س ٥
 ٤٣ ثم التمس الى س ٥
 ٤٤ ثم التمس الى س ٥
 ٤٥ ثم التمس الى س ٥
 ٤٦ ثم التمس الى س ٥
 ٤٧ ثم التمس الى س ٥
 ٤٨ ثم التمس الى س ٥
 ٤٩ ثم التمس الى س ٥
 ٥٠ ثم التمس الى س ٥
 ٥١ ثم التمس الى س ٥
 ٥٢ ثم التمس الى س ٥
 ٥٣ ثم التمس الى س ٥
 ٥٤ ثم التمس الى س ٥
 ٥٥ ثم التمس الى س ٥
 ٥٦ ثم التمس الى س ٥
 ٥٧ ثم التمس الى س ٥
 ٥٨ ثم التمس الى س ٥
 ٥٩ ثم التمس الى س ٥
 ٦٠ ثم التمس الى س ٥
 ٦١ ثم التمس الى س ٥
 ٦٢ ثم التمس الى س ٥
 ٦٣ ثم التمس الى س ٥
 ٦٤ ثم التمس الى س ٥
 ٦٥ ثم التمس الى س ٥
 ٦٦ ثم التمس الى س ٥
 ٦٧ ثم التمس الى س ٥
 ٦٨ ثم التمس الى س ٥
 ٦٩ ثم التمس الى س ٥
 ٧٠ ثم التمس الى س ٥
 ٧١ ثم التمس الى س ٥
 ٧٢ ثم التمس الى س ٥
 ٧٣ ثم التمس الى س ٥
 ٧٤ ثم التمس الى س ٥
 ٧٥ ثم التمس الى س ٥
 ٧٦ ثم التمس الى س ٥
 ٧٧ ثم التمس الى س ٥
 ٧٨ ثم التمس الى س ٥
 ٧٩ ثم التمس الى س ٥
 ٨٠ ثم التمس الى س ٥
 ٨١ ثم التمس الى س ٥
 ٨٢ ثم التمس الى س ٥
 ٨٣ ثم التمس الى س ٥
 ٨٤ ثم التمس الى س ٥
 ٨٥ ثم التمس الى س ٥
 ٨٦ ثم التمس الى س ٥
 ٨٧ ثم التمس الى س ٥
 ٨٨ ثم التمس الى س ٥
 ٨٩ ثم التمس الى س ٥
 ٩٠ ثم التمس الى س ٥
 ٩١ ثم التمس الى س ٥
 ٩٢ ثم التمس الى س ٥
 ٩٣ ثم التمس الى س ٥
 ٩٤ ثم التمس الى س ٥
 ٩٥ ثم التمس الى س ٥
 ٩٦ ثم التمس الى س ٥
 ٩٧ ثم التمس الى س ٥
 ٩٨ ثم التمس الى س ٥
 ٩٩ ثم التمس الى س ٥
 ١٠٠ ثم التمس الى س ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[وبه توفيقى] (١)

ذكر أخبار المختار

ابن أبي عبيد بن مسعود الثقفي

كان المختار بن أبي عبيد من بايع مسلم بن عقيل لما بعثه الحسين بن علي رضي الله عنهما إلى الكوفة وأنزله في داره ، ودعا إليه . فلما ظهر ابن عقيل كان المختار في قرية تدعى لثفا (٢) : فأتاه الخبر بظهوره ، فأقبل في مواله إلى باب الفيل بعد المغرب ، وقد أجلس عبيد الله بن زياد عمرو بن حريث بالمسجد ومعه راية ، فبعث إلى المختار وأمنه ، فجاء إليه .

فلما كان من الغد ذكر عمارة بن عتبة (٣) أمره لعبيد الله ، فأحضره ، وقال له : أنت المقيبل في الجموع لتنصر ابن عقيل ! قال : لم أفعل ، ولكنني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو ، فشهد له عمرو بذلك ، فضرب ابن زياد وجه المختار بقضيب فشتر (٤) عينه وقال : لولا شهادته (٥) قتلتك . وحبسسه إلى أن قتل الحسين .

(١) في د وحدها .

(٢) في ك : لثفا . والمثبت في د ، والطبري ، وفي معجم البلدان لياقوت : لثف - ضبطه الحازمي بفتح أوله وسكون ثانيه . وقال عرام : لثف ماء أبار كثيرة عذبة ، ليس عليها مزارع ولا تفل بأعلى قوران : واد من السوارقية على فرسخ . وعبارة الطبري : في قرية له بخط نية . وخط نية : ناحية من نواحي بابل العراق .

(٣) في د : عمارة بن الوليد بن عتبة ، والمثبت في ك ، والطبري ، والاستيعاب : صفحة ١١٤٤

(٤) شتره : غته وجرحه (القاموس) . (٥) في ك : لولا شهادة عمرو .

فبعث المختارُ إلى عَبْدِ اللَّهِ بنِ عمر بن الخطاب يسأله أن يُشَفِّعَ [له] (١) فيه، وكان زوج أخته صفية بنت أبي عبيد، فكتب ابنُ عمر إلى يزيد بن معاوية يشفع فيه، فأمر يزيدُ ابنُ زيادٍ بإطلاقه، فأطلقه وأمره ألا يُقيم غيرَ ثلاث.

فخرج المختارُ إلى الحجاز، واجتمع بعبد الله بن الزبير وأخبره خبرَ العراق، وقال له: ابسط يدك أبايكم، وأعطينا ما يُرضينا، وثبَّ على الحجاز، فإنَّ أهلَه معك، وكان ابنُ الزبير يدعُو لنفسه سرًّا، فكم أمره عن المختار ففارقه إلى الطائف، وغاب عنه سنة ثم سأل عنه ابنُ الزبير، فقبل له: إنه بالطائف، وإنه يزعم أنه صاحب الغُصْب ومُبيدُ (٢) الجبارين، فقال ابنُ الزبير: قاتله الله، لقد اتبعت (٣) كذابا متكهنًا، إن يهلك الله الجبارين يكن المختار أولَهم.

فبينما هو في حديثه إذ دخل المختار، فطاف وصلى ركعتين، وجلس وأتاه معارفُه يحدِّثونه، ولم يأت ابنُ الزبير، فوضع ابنُ الزبير عليه عباس بن سهل بن (٤) سَعْد، فأتاه، وسأله عن حاله، ثم قال له: مثلك يغيبُ عن الذى قد اجتمع عليه الأشرافُ من قُرَيش والأنصار وثقيف ؟ ولم (٥) تبق قبيلة إلا وقد أتاه زعيمها، فبايع هذا الرجل.

(١) من د، والطبرى.

(٢) في الطبرى: ومير. وفي ك: ومسير.

(٣) في د، والطبرى: اتبع.

(٤) في ك: عباس بن سهل بن مسعر. والمثبت في الطبرى أيضا.

(٥) في الطبرى: لم يبق.

فقال : إني أتيتُه في العام الماضي فكنتم عنى خَبْرَه ، فلما استغنى
عنى أجبتُ أن أريَه أنى مستغنى عنه ، فقال له العباس : ألقه
[الليلة] (١) وأنا معك ، فأجابه إلى ذلك ، وحضر عند ابنِ الزبير بعد
الغَتمَة ، فقال له المختار : أبايعك على ألا تُقضى الأمورُ دُونى ، وعلى
أن أكونَ أوَّلَ دَاخلٍ عليك ، وإذا ظهرت استعنت بى على أفضل
عَمَلِك .

فقال ابنُ الزبير : أبايعك على كتابِ الله وسنةِ رسوله . فقال :
وشرَّ (٢) غلمانى تبايعه على ذلك ، والله لا أبايعك أبداً إلا على ذلك ، فبايعه
وأقام عنده ، وشهد معه قتالَ الحصين (٣) ، وكان أشدَّ الناس
على أهل الشام ، فلما مات يزيد وأطاع (٤) أهلُ العراق عبدَ الله
ابن الزبير ، أقام المختار عنده خمسة أشهر ، فلما رآه لا يستعمله
جعل يسألُ مَنْ يقدم من الكوفة عن حال الناس ، فأخبره هانىء بن
أبى حبة الوداعى (٥) باتفاق (٦) أهل الكوفة على طاعة ابن الزبير
لإطائفة من الناس ، لو كان لهم من يجمعهم على رأيهم أكل بهم
الأرض إلى يوم ما .

فقال المختار ، أنا أبو إسحاق [أنا والله لهم] (٧) ، أنا أجمعهم على

(١) من د ، والطبرى .

(٢) فى الطبرى : وشر غلمانى أنت مبايعه على كتاب الله وسنة رسوله .

(٣) هو الحصين بن نمير السكونى .

(٤) فى ك : واطلع . والمثبت فى د .

(٥) فى اللباب : الوداعى - بفتح الواو والذال ، وفى آخره العين المهملة .

(٦) فى د : باتفاق .

(٧) من د ، والطبرى .

الحق ، وأتقى ^(١) بهم ركبان الباطل ، وأقتل بهم كل جبار عبيد .
ثم ركب دابته ^(٢) وسار نحو الكوفة فوصل إليها .

واختلفت الشيعة إليه ، وبلغه خبر سليمان بن صرد وأنه على
عزم المسير ، فقام فى الشيعة فحمد الله ، ثم قال : إن المهدي
وابن الرضا ، يعنى محمد ابن الحنفية ، بعثنى إليكم أميناً ووزيراً ^(٣)
ومنتخباً وأميراً ، وأمرنى بقتال الملحدين ، والطلب بدم أهل بيته .

فبايعه إسماعيل بن كثير وأخوه ، وعبيدة بن عمرو ، وكانوا أول
من أجابه ، وبعث إلى الشيعة وقد اجتمعوا عند ابن صرد ، وقال لهم
نحو ذلك ، وقال : إن سليمان ليس له تجربة بالحرب ولا بالأمور ،
إنما يريد أن يخرجكم فيقتلكم ويقتل نفسه ، وأنا أعمل على مثال
مثل لى ، وأمر بيّن لى ، فيه عز ولينكم ، وقتل عدوكم ، وشفاء
صدوركم ، فاسمعوا قولى ، وأطيعوا أمرى ، ثم أبشروا .

فما زال بهذا ونحوه حتى استمال طائفة من الشيعة ، فكانوا
يختلفون إليه ويعظمونه ، وأكثر الشيعة مع ابن صرد ، وهو أثقل
خلق الله على المختار .

فلما خرج سليمان بن صرد على ما قدمناه قال عمر بن ^(٤) سعد ،
وشبث ^(٥) بن ربيعة ، ويزيد بن الحارث بن رويم لعبد الله بن يزيد
وإبراهيم بن محمد بن طلحة : إن المختار أشد عليكم من سليمان ،

(١) فى د : والنق . (٢) فى د : راحلته .

(٣) فى ك : أميناً ووزيراً .

(٤) فى ك : عمرو بن سعيد .

(٥) بالتحريك (المشتبه ، والقاموس) .

إن سليمان إنما خرج يريد قتال عدوكم ، والمختار يريد أن يحب عليكم في مضركم ، فاتوه ، وأخذوه بغتة ، وحملوه إلى السجن ، فكان يقول في السجن : أما ورب البحار ، والنخيل والأشجار ، والمهامه ، والقرقر ، والملائكة الأبرار ، والمصطفين الأخيار ، لأقتلن كل جبار ، بكل لذن خطار ، ومُهَنْدٍ بشار ، وجموع^(١) الأنصار ، وليسوا بميل أعمار ، ولا يعزل^(٢) أسرار ، حتى إذا أقمت عمود الدين ، ورأيت شغب صدع المسلمين ، وشفيت غليل صدور المؤمنين ، وأدركت بشار النبيين ، لم يكبر على زوال الدنيا ، ولم أخفل بالموت إذا أتى .

وقيل في خروج المختار إلى الكوفة غير مانقذم ، وهو أنه قال لعبد الله بن الزبير وهو عنده : إني لأعلم قوما لو أن لهم رجلا له علم بما يأتي ويذر لاستخرج لك منهم جندا يقاتل بهم أهل الشام . قال : من هؤلاء ؟ قال : شيعة علي [رضى الله عنه]^(٣) بالكوفة ، قال : فكن أنت ذلك الرجل ، فبعته إلى الكوفة ، فنزل ناحية منها بينكي على الحسين ويذكر مصابه حتى ألفه الناس وأحبوه ، فنقلوه إلى وسط الكوفة ، وأناه منهم بشرك كثير . [والله أعلم]^(٣) .

(١) في ك : بجموع ، وفي الطبري : في جموع .

(٢) في ك : بغزل . والأغزل : الرجل المسترخى الخلق (القاموس) . والمثبت

في د ، والطبري . والميل : جمع أميل : الكمل الذي لا يحسن القروسية والركوب (اللسان) .

(٣) ساقط في د .

ذكر وثوب المختار بالكوفة

كان وثوب المختار بالكوفة فى رابع عشر شهر ربيع الأول سنة [٥٦٦] ست وستين ، وكان سبب ذلك أنه لما قتل سليمان بن صرد قديم من بقى من أصحابه إلى الكوفة ، وكان المختار محبوبا كما ذكرنا ، فكذب إليهم من السجن يثنى عليهم ، ويمنّهم الظفر ، ويعرفهم أن محمد بن على بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية أمره بطلب النار ، فقرأ كتابه رفاعه بن شداد والمثنى بن مخزبة العبدى ، وسعد بن حليفه بن اليمان ، ويزيد بن أنس ، وأحمر بن سميط (١) ، وعبد الله بن شداد الجهلى ، وعبد الله بن كامل .

فلما قرءوا كتابه بعثوا إليه ابن كامل يقولون : إننا بحيث يسرك ، فإن شئت أن نأتيك ونخرجك (٢) من الحبس فعلنا ، فقال : إني أخرج فى أيامى هذه . وكان المختار قد أرسل إلى عبد الله ابن عمر يقول : إني حُبِسْتُ مظلوما ، وطلب [منه] (٣) أن يشفع فيه إلى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة .

فكتب ابن عمر إليهما فى أمره ، فشفعاه فيه ، وأخرجاه من السجن ، وحلفاه أنه لا يبغيهما غائلة ، ولا يخرج عليهما مادام لهما سلطان ، فإن فعل فعليه ألف بدنة ينحرها عند الكعبة ، وماليكه أحرار .

(١) قد : سيط . والمثبت فى ك ، والطبرى .

(٢) فى الطبرى : حتى نخرجك .

(٣) ساقط فى ك .

فلما خرج نزل بداره ، وقال لمن يثق به : قاتلهم الله ، ما أحققهم حين يرون أنى أنى لهم ، أما حلفى بالله فإننى إذا حلفت على يمين فرأيت خيرا منها أكفر عن يمينى ، وخروجى عليهم خير من كفى عنهم ، وأما هذئ البدن ، وعشق الممالك ، فهو أهون على من بصفة ، ودبت أنى تم لى أمرى ولا أملك بعده مملوكا أبدا .

ثم اختلفت إليه الشيعة ، واتفقوا على الرضا به ، ولم يزل أصحابه يكثررون وأمره يقوى ، حتى عزل عبد الله بن الزبير عبد الله ابن يزيد وإبراهيم بن محمد ، واستعمل عبد الله بن مطيع على عملهما بالكوفة .

وقدم ابن مطيع الكوفة لخمس بغيرين من شهر رمضان سنة [٦٥ هـ] خمس وستين . ولما قدم صعد المنبر ، فخطب الناس وقال : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين بعثنى على مضركم وتغوركم ، وأمرنى ببجاية فيكم وألا أحمل فضلة عنكم ^(١) إلا برضا منكم ، وأن أتبع فيكم وصية عمر بن الخطاب التى أوصى بها عند وفاته ، وسيرة عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، فاتقوا الله وأستقيموا ، ولا تختلفوا على ، وتخلوا على أيدي سفهائكم ، فإن لم تفعلوا فلوما أنفسكم . فقام إليه السائب بن مالك الأشعرى ^(٢) ، فقال : أما حمل فينا برضانا فإننا نشهد ألا ^(٣) نرضى أن تحمل عنا فضلة وألا تقسم إلا فينا ، وألا يسار فينا إلا بسيرة على بن أبى طالب التى سار بها فى بلادنا

(١) فى ك ، والطبرى : فضل فيكم عنكم .

(٢) فى د : الأشعر . والمثبت فى ك ، والطبرى .

(٣) فى الكامل : أنا لا نرضى .

حتى هلك ، ولا حاجة لنا فى سيرة عثمان بن عفان فى فيثنا ولا فى أنفسنا ، ولا فى سيرة عمر فى فيثنا ، وإن كانت أهون السيرتين علينا ، وقد كان يفعل بالناس خيرا .

فقال يزيد بن أنس : صدق السائب وبر ، فقال ابن مطيع : نسير فيكم بكل سيرة أحببتم ، ثم نزل .

وجاء إياس بن مضارب إلى ابن مطيع فقال له : إن السائب ابن مالك من رموس أصحاب المختار ، قابعت إلى المختار ، فإذا جاءك فأحبسه حتى يستقيم أمر الناس ، فإن أمره قد استجمع له ، وكأنه قد وثب بالعصر .

فبعث ابن مطيع إلى المختار زائدة بن قدامة وحسين بن على البرمسي^(١) ، فقالا له : أجب الأمير ، فعزم على الذهاب ، فقرأ زائدة^(٢) : ﴿ وَإِذْ بَنَكُرُوكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ... ﴾ الآية . فألقى المختار ثيابه وقال : ألقوا على قطيعة فإني^(٣) وعيكت ، إننى لأجد برزدا شديدا ، ارجعا إلى الأمير فأعلماه حالى ، فعادا إليه فأعلماه فتركه .

ووجه المختار إلى أصحابه ، فجمعهم حوله فى الدور ، وأراد أن يشب فى المحرم ، فجاء رجل من أصحابه من شبام^(٤) ، وشبام : حى

(١) البرمسي : بضم الباء وسكون الراء : وضم السين المهملة (اللباب) .

(٢) سورة الأنفال ، آية ٣٠

(٣) فى ك : فقد .

(٤) شبام — ككتاب ، وفى الكامل (٣-٣٧٢) : بكسر الشين المعجمة والباء

المرحلة .

من همدان ، وكان شريفاً ، وأسمه عبد الرحمن بن شُريج ، فلقى
 سعيد بن مُنقِذ الثوري ، وسفر^(١) بن أبي سَفر الحنفي ، والأسود
 ابن جَرَاد الكِندي ، وقُدّامة بن مالك الجُشمي^(٢) : فقال لهم :
 إن المختار يريد أن يخرج بنا ، ولا نَدْرِي أرسله^(٣) ابنُ الحنفيّة
 أم لا ؟ فانهضوا بنا إلى محمد ابنِ الحنفيّة نُخبره بما قدم به علينا
 المختار ، فإن رخص لنا في أتباعه أتبعناه ، وإن نهانا عنه اجتنبناه ،
 فوالله ما ينبغي أن يكونَ شيء من الدنيا آثراً^(٤) عندنا من مَلامَةِ ديننا ،
 فاستصوبوا رأيَه ، وخرجوا إلى ابن الحنفيّة ، فلما قدموا عليه سأَلهم
 عن حالِ الناس ، فأخبروه وأعلموه^(٥) حالَ المختار ، فقال :
 والله لو دِدْتُ أن الله انتصر لنا مِن عدونا بمن شاء من خلقه ، فعادوا .
 وكان مسيرُهم قد شقَّ على المختار ، وخاف أن يعودوا بما يَحْذُل الشيعة
 عنه ، فلما قدموا الكوفة دخلوا عليه ، فقال : ما وراءكم ؟ فقد قُتِنتُم
 وأرتبِئتُم ، فقالوا : قد أُرِيتنا بنَصْرِكَ ، فقال : اللهُ أكبر ،
 اللهُ أكبر ، اجمعوا الشيعة ، فجميع مَنْ كان قريباً مِنه ، فقال لهم :
 إن نَفراً أَحَبُّوا أن يَعْلَمُوا مِصْداقَ ما جِئْتُ بِهِ ، فرحلوا إلى إمام الهدى^(٦) ،
 فسأَلوه عما قَدِمْتُ بِهِ عليكم ، فنبأهم أَنِّي وزيرُه وظهيرُه ورسولُه ،

(١) سفر - بكسر السين المهملة (الكامل : ٣-٣٧٢) .

(٢) في ك : الخشمي . والمثبت في د ، والكامل ، والطبري .

(٣) في الطبري : أرسله إلينا ...

(٤) في ك : أمر . والمثبت في د .

(٥) في ك : فأعلموه .

(٦) في الكامل : إلى الإمام المهدي . والمثبت في ك ، د ، والطبري .

وأمركم بطاعتي وأتباعى فيما دعوتكم إليه من قتال المخليين^(١) ، والطلب
لبدعاء أهل بيت نبيكم .

فقام عبد الرحمن بن شريح وأخبرهم بحالهم ومسيرهم ، وأن
ابن الحنفية أمرهم بمظاهرتة^(٢) وموازرتة ، وقال لهم : لبيغ الشاهد
منكم الغائب ، وأستعدوا وتأهبوا ، وقام جماعة من أصحابه فقالوا
نحواً من كلامه .

فاجتمعت له الشيعة ، وكان من جملتهم [الشعبي]^(٣)
وأبوه شراحيل ، فلما تهيأ أبوه^(٤) للخروج قال له بعض أصحابه :
إن أشرف الكوفة مجيعون على قتالك مع ابن مطيع ، فإن أجابنا
إبراهيم بن الأشتر رجونا القوة على عدونا ، فإنه فتى رئيس^(٥)
وابن رجل شريف ، وله عشيرة ذات عز وعدد . فقال المختار :
فألقوه وادعوه ، فخرجوا إليه ومعهم الشعبي ، فأعلموه حالهم ،
وسألوه مساعدتهم ، فقال : على أن تولوني الأمر ، فقالوا : أنت
لذلك^(٦) أهل ، ولكن ليس إلى ذلك سبيل ، هذا المختار قد جاءنا
من قبل المهدي ، وهو المأمور بالقتال ، وقد أمرنا بطاعته ، فلم يُجيبهم
إبراهيم ، فأنصرفوا عنه .

وأتموا المختار ، فسكت ثلاثاً ، ثم سار إلى إبراهيم في بضعة

(١) في د : الخليين . والثبت في ك ، والطبرى .

(٢) في ك : بمظاهرتة - تحريف .

(٣) ساقط في ك .

(٤) في د : أمره .

(٥) في الطبرى : رئيس .

(٦) في ك : أنت لذلك .

عشر من أصحابه ، والشعبي وأبوه فيهم ، قدخلوا عليه ، فالتقى إليهم
 الوَسائد ، فجلسوا عليها ، وجلس المختارُ معه على فراشه ، فقال
 المختار له : هذا كتابُ المهديِّ إليك ، يسألك أن تنصرنا وتوازرنا ،
 فقرأه ، فإذا هو : « من محمد المهديِّ إلى إبراهيم بن مالك الأشتر ،
 سلامٌ عليك ، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ،
 فإني [قد] ^(١) بعثتُ إليكم وزيري وأميني الذي ارتضيتُه لنفسِي ،
 وأمرته بقتالِ عدوِّي ، والطلبِ بدماء أهل بيتي ، فأنهض بنفسك
 وعشيرتك ومن أطاعك ، فإنك إن نصرتني وأجبتُ دعوتي كانت
 لك بذلك عندي فضيلة ، ولك أعنة الخيل ، وكل جيش غازٍ ،
 وكل مضر ومنبرٍ وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلادِ
 الشام . »

فلما فرغ من قراءته تأخر عن صدر الفراش ، وأجلس المختار
 عليه ، وبأيعه . وصار يختلِفُ إلى المختار كلَّ عشية يدبرون أمورهم .
 واجتمع رأيهم على الخروج ليلة الخميس لأربع عشرة ليلة من
 شهر ربيع الأول ، فلما كان تلك الليلة ، صلى إبراهيم بن الأشتر
 بأصحابه المغرب ، ثم خرج يُريدُ المختارَ ، وعليه وعلى أصحابه
 السلاح ، وكان إبَّاس بن مَضارب قد جاء إلى عبد الله بن مطيع وهو
 على شرطته ، فقال : إن المختار خارجٌ عليك إحدَى هاتين اللَّيْلَتَيْنِ ،
 وقد بعثتُ بأبنِي إلى الكُنااسة ^(٢) ، فلو بعثت في كلِّ جَبانة ^(٣) عظيمة

(١) في د .

(٢) الكنااسة : محلة بالكوفة عندها أوقع يوسف بن عمر الثقفي يزيد بن علي
 ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (ياقوت) .

(٣) الجبابة : المفرة والصحراء ، وجمعه الجبابين . (القاموس) .

بالكوفة رجلاً من أصحابك فى جماعة من أهل الطاعة لَهَابَ المختارُ وأصحابُه الخروجَ عليك ، فبعث ابنُ مُطِيعٍ إلى كلِّ جَبَانَةٍ مَنْ يَحْفَظُهَا من أهل الطاعة ، وأمر على كل طائفة أميراً ، وأوصى كلاً منهم ألا يؤتى من قبَلِه ، وقال : إذا سمعت صوتَ القومِ فوجّه نحوهم ، وكان خروجُهم إلى الجَبَابِينَ يوم الاثنين .

وخرج إبراهيم بن الأَشْثَرِ ليلةَ الثلاثاء يريد المختار ، وقد بلغه أَنَّ الجَبَابِينَ قد مُلِثَتْ رجالاً : وَأَنَّ إِيَّاسَ بنَ مُضَارِبٍ فى الشرطة قد أحاط بالسوق والقصر ، فأخذ معه من أصحابِه نَحْوَ مائَةِ دَارِعٍ ، وقد لَبِسُوا عليهم الأَقْبِيَّةَ ، فقال له [أصحابِه] (١) : تجنب الطريقَ ، فقال : والله لأَمُرَنَّ وَسَطَ السوقِ بِجَنْبِ القَصْرِ ، ولَأُزْعِجَنَّ عدونا ، ولَأُرِيَنَّهُمْ هَوَانَهُمْ علينا ، فسار على باب الفيل ، فلقبهم إِيَّاسُ فى الشرطِ مَظْهَرِينَ السَّلاحِ ، فقال : من أنتم ؟ فقال (٢) : أنا إبراهيمُ بنُ الأَشْثَرِ . فقال إِيَّاسُ : ما هذا الجَمْعُ الَّذى معك ؟ وإلى أين تُريد ؟ ولستُ بتاركِكَ حتى آتَى بك الأمير ، فقال إبراهيمُ : خلُّ سبيلنا ، قال : لا أفعل ، وكان مع إِيَّاسَ رجلٌ من هَمْدَانَ يقال له أَبُو قَطَنٍ ، وكان يُكْرِمُهُ ، وكان صَدِيقاً لِابْنِ الأَشْثَرِ ، فقال له ابنُ الأَشْثَرِ : اذْنُ منى يا أبا قَطَنَ ، فدنا منه وهو يَظُنُّ أَنَّ إبراهيمَ يستشفِيعُ به عند إِيَّاسَ ، فَلَمَّا دَنَا منه أَخَذَ رُمْحاً كان معه فقطعَ به إِيَّاساً فى ثَغْرِهِ (٣) ، فصرعه ، وأمر رجلاً من أصحابِه فقطعَ رَأْسَهُ .

(١) من د .

(٢) فى د : قال .

(٣) فى الكامل : فى ثَغْرَةِ نَحْرِهِ .

وتفرق أصحابُ إِيَّاسَ ، ورجعوا إلى ابنِ مطيع ، فبعث مكانه أبنه راشد بن إِيَّاسَ على الشرط ، وأقبل إبراهيم إلى المختار وقال له :
 إِنَّا تَعَدُّنَا لِلخُرُوجِ الْقَابِلَةِ ، وَقَدُوعِ أَمْرٍ ، لَا بَدَّ مِنَ الْخُرُوجِ اللَّيْلَةِ ،
 وَأَخْبِرَهُ الْخَبِيرُ ، فَفَرَحَ الْمُخْتَارُ بِقَتْلِ إِيَّاسَ وَقَالَ : هَذَا أَوَّلُ الْفَتْحِ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ثم قال لسعيد بن مُنْقِذٍ : قم فَأَشْعِلِ النَّيِّرَانَ وَارْفَعْنَاهَا ، وَبِزْ أَنْتَ
 يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَدَّادٍ قَنَادٍ : يَا مَنْصُورَ ، أَمِيتْ ، وَأَنْتَ يَا سَفِيَّانَ بْنَ لَيْلٍ ،
 وَأَنْتَ يَا قُدَّامَةَ بْنَ مَالِكٍ : نَادِ بِالْثَّارَاتِ الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ لَيْسَ سَلَاخُهُ .
 وَكَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَبَيْنَ الَّذِينَ نَدَّبَهُمْ ابْنُ مُطِيعٍ لِحِفْظِ
 الْجَبَايِيسِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَكَانَ الظُّفَرُ لِأَصْحَابِ الْمُخْتَارِ ، وَخَرَجَ
 الْمُخْتَارُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ فِي ظَهْرِ دَيْرٍ هِنْدٍ فِي السَّبْحَةِ (١) ،
 وَأَنْضَمَّ إِلَيْهِ مِمَّنْ تَابَعَهُ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَثَمَانِمِائَةٍ مِنْ أَتْنَى عَشَرَ أَلْفًا ،
 وَاجْتَمَعُوا لَهُ قَبْلَ الْفَجْرِ ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ فَرَّغَ مِنْ تَعْبِثِهِ ، وَصَلَّى
 بِأَصْحَابِهِ بِغُلَسٍ .

وَقَدْ جَمَعَ ابْنُ مُطِيعٍ أَهْلَ الطَّاعَةِ إِلَيْهِ ، فَبِعَثَ شَبِثَ بْنَ رَبِيعٍ
 فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَرَاشِدَ بْنَ إِيَّاسَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ الشَّرْطِ ، لِقِتَالِ
 الْمُخْتَارِ وَمَنْ مَعَهُ ، وَأَرَادَهُمْ بِالْعَسَاكِرِ ، وَاقْتَتَلُوا ، فَكَانَ الظُّفَرُ لِأَصْحَابِ
 الْمُخْتَارِ ، وَكَانَ الَّذِي صَلَّى الْحَرْبَ وَدَبَّرَ الْأَمْرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْثَرِ .
 فَلَمَّا رَأَى ابْنُ مُطِيعٍ أَمْرَ الْمُخْتَارِ وَأَصْحَابِهِ قَدْ قَوَّيَ خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِمْ ،
 فَوَقَفَ بِالْكُنَّاسَةِ وَاسْتَخْلَفَ شَبِثَ بْنَ رَبِيعٍ عَلَى الْقَصْرِ ، فَبِرَزَ إِبْرَاهِيمُ
 ابْنَ الْأَشْثَرِ إِلَى ابْنِ مُطِيعٍ فِي أَصْحَابِهِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ ابْنُ مُطِيعٍ

(١) دِير هِنْدَ : بِالْحَيْرَةِ . وَالسَّبْحَةُ : أَرْضٌ قَاتِ تَرْوَمَلُحَ (الْبَكْرِى) .

أَن أَهْرَمَ أَصْحَابُهُ ، يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى أَفْوَاهِ السُّكَّكِ ، وَأَبْنُ
 'الْأَشْثَرِ فِي آثَارِهِمْ ، حَتَّى بَلَغَ الْمَسْجِدَ ، وَحَصَرَ أَبْنُ مُطِيعٍ وَمَنْ مَعَهُ
 مِنْ أَشْرَافِ الْكُوفَةِ فِي الْقَصْرِ ثَلَاثًا ، فَقَالَ شَبَّثَ لَأَبْنِ مُطِيعٍ : انْظُرْ
 لِنَفْسِكَ وَلِإِمْنٍ مَعَكَ ، فَقَالَ : أَشِيرُوا عَلَيَّ ، فَقَالَ شَبَّثَ : الرَّأْيُ
 أَنَّ تَأْخُذَ لِنَفْسِكَ وَلَنَا أَمَانًا ، وَتَخْرُجَ وَلَا تَهْلِكَ نَفْسُكَ وَمَنْ مَعَكَ ،
 فَقَالَ أَبْنُ مُطِيعٍ : إِنِّي لِأَكْرَهُ أَنْ أَخْذَ مِنْهُ أَمَانًا ، وَالْأُمُورُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 مُسْتَقِيمَةٌ بِالْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ ، قَالَ : فَتَخْرُجَ وَلَا تُشْعِرُ بِكَ أَحَدًا ،
 فَتَنْزِلَ بِالْكُوفَةِ عِنْدَ مَنْ تَثِيقُ إِلَيْهِ حَتَّى تَلْحَقَ بِصَاحِبِكَ . فَأَقَامَ حَتَّى
 أَمْسَى ، وَخَرَجَ وَأَتَى دَارَ أَبِي مُوسَى ، وَتَرَكَ ^(١) الْقَصْرَ ، فَفَتَحَ
 أَصْحَابُهُ الْبَابَ ، وَقَالُوا : يَا أَبْنُ الْأَشْثَرِ ، آمِنُونَ نَحْنُ ؟ فَقَالَ : أَنْتُمْ
 آمِنُونَ ، فَخَرَجُوا ، فَبَايَعُوا الْمُخْتَارَ . وَدَخَلَ [الْمُخْتَارُ] ^(٢) الْقَصْرَ
 قِبَاتٍ بِهِ ، وَأَصْبَحَ أَشْرَافُ النَّاسِ فِي الْمَسْجِدِ وَعَلَى بَابِ الْقَصْرِ ، وَخَرَجَ
 الْمُخْتَارُ فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ وَخَطَبَ النَّاسَ ، ثُمَّ نَزَلَ .

وَدَخَلَ أَشْرَافُ الْكُوفَةِ فَبَايَعُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالطَّلَبِ بِدِمَاءِ ^(٣) أَهْلِ الْبَيْتِ وَجِهَادِ الْمُحَلِّينَ ^(٤) وَالِدْفَقِ
 عَنِ الضُّعَفَاءِ ، وَقَتَالِ مَنْ قَاتَلَنَا ، وَسَلَمِ مَنْ سَأَلَنَا .

وَكَانَ مِنْ بَايَعِهِ الْمَنْزُرُ بْنُ حَسَانَ الضُّبَيْى وَأَبْنَهُ حَسَانَ ،
 فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ أَسْتَقْبِلَهُمَا سَعِيدُ بْنُ مُنْقِذِ الثَّوْرِيِّ فِي جَمَاعَةٍ

(١) فِي د : وَنَزَلَ .

(٢) مِنَ الْكَامِلِ .

(٣) فِي ١ : بِدَمِ .

(٤) فِي د : الْمُحَلِّينَ — بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ .

من الشيعة ، فقالوا : هذان والله رعوس الجبارين ، فقتلوهما ،
ونهاهم سعيد عن قتلهما إلا بأمر المختار ، فلم ينتهوا .

فلما سمع المختار ذلك كرهه ، وأقبل يُمنى الناس ويود (١)
الأشراف : ويُحسن السيرة ، فبلغه أن ابن مُطيع في دار أبي موسى ،
فسكت ، فلما أمسى بعث إليه بمائة ألف درهم ، وقال : تجهز بهذه ،
فقد علمت مكانك ، وأنت لم يمنعك من الخروج إلا عدم النفقة .



ووجد المختار في بيت المال [بالكوفة] (٢) تسعة آلاف ألف وخمسمائة
ألف ، فأعطى لكل رجل خمسمائة درهم ، وأعطى لستة آلاف من
أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر (٣) ، لكل منهم مائتي درهم ،
وأستقبل الناس بخير . وأستعمل على شرطته عبد الله بن كامل
الشاذلي ، وعلى حرسه كيسان .

[والله أعلم بالصواب] (٤) .

(١) في ك : ويرد - وفي الطبري (٧ - ٢٩٠) : ويستجر مودتهم ومودة
الأشراف ، وفي الكامل (٣ - ٣٦٣) : ويستجر مودة الأشراف .

(٢) من الطبري .

(٣) في ١ : أتوه بعد إحاطة . والمثبت في د .

(٤) من ك .

ذكر عمال المختار بن أبى عبيد

كانت أول راية عقدها المختار لعبد الله بن الحارث أخى الأشر
على إزمينية ، وبعث محمد بن عُمير بن عطاردة على أذربيجان ،
وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ، وبعث إسحاق
ابن مسعود على المدائن ، وأرض جُوخى ^(١) ، وبعث قدامة بن أبى عيسى
ابن ربيعة النُصرى حليف ثقيف على يَهْقُبَاذ ^(٢) الأعلى ، وبعث
محمد بن كعب بن قرظة على يَهْقُبَاذ ^(٢) الأوسط ، وبعث سعد
ابن جُلَيْفَة بن اليان على حُلوان ، وأمره بقتال الأكراد ، وإقامة الطرق .
وكان أبى الزبير قد استعمل على الموصل محمد بن الأشعث بن قيس .
فلما بعث المختار عبد الرحمن إليها ، سار محمد عنها إلى تكريت ^(٣) ؛
ينتظر ما يكون من الناس ، ثم سار إلى المختار فبايعه ، فلما فرغ
من ذلك أقبل يجلس للناس ويقضى بينهم ، ثم قال : إن لى فيما أحاول
شغلا عن القضاء ، ثم أقام شريحا يقضى بين الناس ، فمارض :
فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم مرض ، فجعل
مكانه عبد الله بن مالك الطائى .

(١) جُوخى : نهر عليه كورة واسعة فى سواد بغداد (ياقوت) .

(٢) بالكسر ثم السكون وضم القاف وباء موحدة وألف . وقال معجمة :
اسم ثلاث كور من أعمال مى القرات (المراصد) .

(٣) تكريب - بفتح التاء ، وللعامة تكسرها : ولد مشهور بين بغداد والموصل .
وهى إلى بغداد أقرب . (المراصد ، وياقوت) .

ذكر قتل المختار قتلة الحسين

وخروج أهل الكوفة على المختار وقتالهم إياه ووقعة السبيع^(١)

كان سبب ذلك أن مروان بن الحكم لما أستتب له الأمر بعث عبيد الله بن زياد إلى العراق ، وقد ذكرنا ما كان من أمره مع التوابين^(٢) . ثم توفي مروان بن الحكم وولى ابنه عبد الملك ، فأقر أبن زياد على ولايته ، وأمره بالجد ، فأقبل إلى الموصل ، فكتب عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار إليه يخبره بدخول ابن زياد أرض الموصل ، وأنه قد تنحى له عنها إلى تكريت ، فندب المختار يزيد بن أنس الأسدي ، فانتخب ثلاثة آلاف ، وسار بهم نحو الموصل ، وكتب المختار إلى عبد الرحمن : أن خل بين يزيد وبين البلاد ، فسار يزيد حتى بلغ أرض الموصل ، فنزل بنات تل^(٣) ، وبلغ خبره ابن زياد ، فقال : لأبعثن إلى كل ألف ألفين ، فأرسل ربيعة بن المخارق الغنوي في ثلاثة آلاف ، وعبد الله بن جُملة^(٤) الخنعمي في ثلاثة آلاف ، فسار ربيعة قبل عبد الله بيوم ، فنزل بيزيد بن أنس بنات تل^(٣) فخرج ، وقد أشتد به المرض ، وعباً أصحابه ،

(١) السبيع : بفتح أوله وكسر ثانية ثم ياء وعين مهمله : بالكوفة (المراصد) :

(٢) في الطبري (٦-٣٨) : ما كان من أمره وأمر التوابين من الشيعة بعين

الوردة .

(٣) في ك : فترل يابل . وفي د : يابل . وفي الكامل : ياقلي . والمثلث

في الطبري ، ومعجم ما استعجم .

(٤) هذا في د ، والكامل ، وفي الطبري بالحاء المهمله .

وقال : إن هلك فأميركم ورقاء بن عازب الأسدى ، فإن هلك فأميركم عبد الله بن ضمرة العذرى ، فإن هلك فأميركم سمر الحنفى . ثم نزل فوضع على سرير ، وقال : قاتلوا عن أميركم إن شئتم أو فربوا عنه .

وأقتتل القوم ، فانهزم أصحاب ابن زياد ، وقتل ربيعة بن المخارق ، قتله عبد الله بن ورقاء ، فسار المنهزمون ساعة ، ولقيهم عبد الله ابن جُملة فردهم معه ، فباتوا ليلتهم بينات تلى يتحارسون ، فلما أصبحوا خرجوا إلى القتال فأقتتلوا قتالاً شديداً ، وذلك فى يوم الأضحى سنة ست وستين ، فانهزم أهل الشام ، ونزل ابن جُملة فى جماعة ، فقاتل حتى قتل ، وحوى أهل الكوفة عسكرهم ، وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً ، وأسروا ثلاثمائة ، فأمر يزيدُ بقتلهم ، وهوبأخر رمى ، فقتلوا ، ثم مات آخر النهار ، فقال ورقاء بن عازب لأصحابه : إنه بلغنى أن عبيد الله بن زياد قد أقبل إليكم فى ثمانين ألفاً ، وأشار عليهم بالرجوع إلى المختار ، فصوبوا رأيه ، ورجعوا ، فبلغ ذلك أهل الكوفة ، فأرجفوا بالمختار ، وقالوا : إن يزيد قتل ولم يمُت ، فندب إبراهيم بن الأشتر فى سبعة آلاف ، وقال له : سر فإذا لقيت جيش يزيد فأنت الأمير عليهم ، فأرددهم معك حتى تلقى ابن زياد فناجزه .

فسار إبراهيم لذلك ، فأجتمع أشراف الكوفة على شُبَيْث بن ريمى وقالوا : والله ، إن المختار تأمر بغير رضا منا ، وقد أذنى موالينا (١) ، فحملهم على الدواب ، وأعطاهم قِيْثَنَا .

(١) فى الكامل : وقد أذرى بمواليه ، والمثبت فى ك ، د ، والطبرى .

فقال : دَعُونِي حَتَّى أَلْقَاهُ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَكَلِمَهُ ، فَلَمْ يَدْعُ شَيْئًا أَنْكَرَهُ إِلَّا ذَكَرَهُ لَهُ ، وَالْمَخْتَارُ يَقُولُ فِي كُلِّ خُصْلَةٍ : أَنَا أَرْضِيهِمْ فِي هَذِهِ وَآتَى كُلَّ مَا أَحْبَبَهُ ، فَلَمَّا ذَكَرَ لَهُ ^(١) الْمَوَالِي وَمَشَارِكَتَهُمْ فِي الْقِيَاءِ قَالَ : إِنَّ أَنَا تَرَكْتُ لَكُمْ مَوَالِيَكُمْ وَجَعَلْتُ فِيْكُمْ لَكُمْ ، أَتَقَاتِلُونَ مَعِيَ بَنِي أُمَيَّةَ وَابْنَ الزَّبِيرِ وَتَعْطُونِي عَلَى الْوَفَاءِ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ وَمَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ . فَقَالَ شَبِثٌ : حَتَّى أَخْرَجَ إِلَى أَصْحَابِي فَأَذْكَرَ ذَلِكَ لَهُمْ .

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَعُدْ إِلَى الْمَخْتَارِ ، وَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى قِتَالِهِ ، فَاجْتَمَعَ شَبِثٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدٍ ^(٢) بَنِي قَيْسٍ ، وَشُمَيْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ ، وَدَخَلُوا عَلَى كَعْبِ بْنِ أَبِي ^(٣) كَعْبِ التَّخَنُعْمِيِّ ، فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَيْهِ ، فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ ، وَدَخَلُوا عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفِ الْأَزْدِيِّ ، فَدَعَوْهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنْ أَطَعْتُمُونِي لَمْ تَخْرُجُوا ، فَقَالُوا : لِمَ ؟ قَالَ : إِنِّي أَخَافُ ^(٤) أَنْ تَتَفَرَّقُوا وَتَخْتَلِفُوا وَمَعَ الرَّجُلِ شُجْعَانُكُمْ وَفُرْسَانُكُمْ مِثْلُ فُلَانٍ وَفُلَانٍ ، ثُمَّ مَعَهُ عَبِيدُكُمْ وَمَوَالِيكُمْ ، وَكَلِمَةُ هَؤُلَاءِ وَاحِدَةٌ ، وَمَوَالِيكُمْ أَشَدُّ حَنْقًا عَلَيْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ، فَهَمْ يَقَاتِلُونَكُمْ بِشَجَاعَةِ الْعَرَبِ وَعِدَاوَةِ الْعَجَمِ ، وَإِنْ أَنْتَظَرْتَهُ قَلِيلًا كَفَيْتُمُوهُ بَغِيرَكُمْ ، وَلَا تَجْعَلُوا بِأَسْكُمْ بَيْنَكُمْ ،

(١) فِي ك : لَهُمْ .

(٢) فِي ك : سَعْدٌ . وَالثَّبِيتُ فِي الطَّبْرِيِّ ، وَالْكَامِلِ .

(٣) فِي ك : كَعْبُ بْنُ أَبِي بْنِ كَعْبٍ . وَالثَّبِيتُ فِي د ، وَالْكَامِلِ ، وَالتَّبْرِيِّ .

(٤) فِي د : لِأَخَافُ .

فقالوا : ننشذك الله ألا تخالفنا وتفسد علينا رأينا ، وما أجمعنا عليه . فقال : إنما أنا رجلٌ منكم ، فإذا شئتم فأخرجوا ، فوثبوا بالمختار بعد مسير أبى الأشتر ، وخرج كل رئيس بجبانة ، فأرسل المختار إلى أبى الأشتر يأمره بـسرعة العود إليه ، وبعث إليهم وهو يلاطفهم ويقول : إني صانعٌ ما أحببتم ، وهو يريد بذلك مداونتهم حتى يقدم إبراهيم أبى الأشتر ، فوصل الرسول إليه وهو بساباط (١) ، فرجع لوقته ، وسار حتى أتى الكوفة ومعه أهل القوة من أصحابه ، واجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع ، فلما حضرت الصلاة كره كل رأس من أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه ، فقال أبى مخنف : هذا أول الاختلاف ، فسلموا الرضى منكم سيد القراء رفاعه بن شداد البجلي : فلم يزل يصلئ بهم حتى كانت الواقعة .

ثم نزل المختار فعبأ أصحابه وأمر أبى الأشتر فصار إلى مضر وعليهم ثبت بن ربيع ، ومحمد بن عمير ، وهم بالكُناسة ، وسار المختار نحو أهل اليمن بجبانة السبيع ، فاقنتلوا أشد قتال ، ثم كانت القلبية للمختار وأصحابه ، وانهمز أهل اليمن وأخذ من دور الوديعين (٢) خمسمائة أسير ، فأتى بهم إلى المختار ، فعرضهم ، فقتل منهم من شهد مقتل الحسين ، فكانوا مائتين وثمانية وأربعين . ونادى منادى المختار : من أغلق بابيه فهو آمين إلا من شرك في دِماء آل محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان عمر (٣) بن الحجاج الزبيدي

(١) ساباط : بلدة بما وراء النهر (المراصد) .

(٢) وادعة : بطن من همدان .

(٣) فى الطبرى : عمرو ، والمثبت فى ك ، د .

ممن شهد قتل الحسين ، فركب راحلته وأخذ طريقَ
الواقصة (١) ، فعدم (٢) فقيل : أدركه أصحابُ المختار ، وقد
سقط من شدة العطش ، فنبحوه .

وبعث المختار غلاما له يدعى زربيا (٣) في طلب شمر
أبن ذى الجوشن ، فأدركه فقتله شمر ، وسار حتى نزل قرية
يقال لها الكلتانية (٤) ، فأخذ منها عِلْجًا ، فضربه ، وقال : انض
بكاتبى هذا إلى مُصعب بن الزبير ، فمضى العِلْجُ حتى دخل قرية
فيها أبو عمرو صاحبُ المختار ، فلقى ذلك العِلْجُ عِلْجًا آخر من تلك
القرية ، فشكا إليه مالقى من شمر ، فبينما هو يكلمه إذمر رجلٌ من
من أصحاب أبي عمرو اسمه عبد الرحمن بن أبي الكنود (٥) ، فرأى
الكتاب ، وعُثوانه لمصعب من شمر ، فسألوا العِلْجَ عنه ، فأخبرهم
بمكانه ، فإذا هو منهم على مسيرة ثلاثة فراسخ ، فساروا إليه
وأدركوه ، فهرب أصحابه ، وأعجله القوم عن بُسِّ سلاحه ، فقام
وقد أتزر ببرد ، وكان أبرص ، فظهر بياضُ برصه ، فطاعنهم بالرُمح
ثم ألقاه ، وأخذ السيف فقاتل به حتى قُتل ، والذي قتله عبدُ الرحمن (٥)
ابنُ أبي الكنود ، وألقى جيفته للكلاب .

(١) في الطبرى : فأخذ من طريق شراف وواقصة ، وشراف وواقصة : من أعمال
المدية (البكرى) .

(٢) في الطبرى : فلم ير حتى الساعة ، وفي الكامل : فلم ير له خبر حتى الساعة .

(٣) في الكامل : زرب . والمثبت في الطبرى أيضا .

(٤) الكلتانية — بالفتح ثم السكون ، والتاء مثناة من فوقها وبعد الألف نون
مكسورة وياء مشددة : قرية بين السوس والصيمرة ، وبها قتل شمر بن ذى الجوشن
(ياقوت) . وفي ك ، د : الكليانية — بالياء — تصحيف .

(٥) في الطبرى : عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود .

قال : وأقبل المختار إلى القصر من جبانة السبيع ومعه سُراقه
ابنُ مرداس البارقي أسيرًا ، فناداه سُراقه (١) :

امنن على اليوم ياخير معاد
وخير من لبي وحيى وسجد

فأمر به إلى السجن ، ثم أحضره من الغد ، فأقبل وهو يقول (١) :

ألا أبلغ أبنا إسحاق أننا
نزونا نزوةً كانت علينا
خرجنا نرى الضعفاء شينا
وكان خروجنا بطراً وحيناً (٢)
لَقِينَا مِنْهُمْ ضَرْباً طَلْحَفًا (٣)
وطغنا صائبا حتى أنشئنا
نصرت على عدوك كل يسوم
بكل كتيبة تنعى (٤) حُسينا
كنصر محمد في يوم بدر
ويوم الشعب إذ وافي (٥) حُسينا
فأسيج إذ ملكت فلو ملكنا
لجرتنا في الحكومة واعتدينا
تقبل (٦) توبة منى فإني
سأشكر إذ جعلت النقد ديننا

فلما أنهى إلى المختار قال : أصلح الله الأمير ، أخلص بالله الذى
لا إله إلا هو لقد رأيت الملائكة تقاتل معك على الخيول البلق بين
السماء والأرض ؛ فقال له المختار : اصعد على المنبر فأعلم الناس ،
فصعد ، فأخبرهم بذلك ، ثم نزل فخلاه فقال له : إني قد علمتُ

(١) والطبرى : ٦-٥٤ .

(٢) في الكامل : يتجر - تحريف .

(٣) الحين : الهلاك .

(٤) طلحفا : شد يدا وجيعا .

(٥) في ك : تبنى .

(٦) في الطبرى ، والكامل : لاقى .

(٧) في د : فأقبل .

أنك لم تر شيئا ، وإنما أردت ما قد عرفت^(١) ، فأذهب [عني]^(٢) حيث شئت ، لا تفسد على أصحابي .

فخرج إلى البصرة ، فنزل عند مُصعب وقال^(٣) :

ألا أبلغ أبا إسحاق أني رأيت الخيل^(٤) بِلُقْ أمضمتات

كفرت بوحيكم وجعلت نذرا على قتالكم حتى المات

أرى عيني ما لم تبصراه كلاتا عالم بالترهات^(٥)

وقتل يومئذ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ، وأدعى قتله يسر بن أبي سفر ، وأبو الزبير الشبامي ، وشبام بن همدان ، وأنجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلامن قومه ، وكانت الوقعة لست ليال بقين من ذى الحجة سنة ست وستين .

وخرج أشراف الناصر فليحقوا بالبصرة ، وتجرد المختار لقتل قتلة الحسين ، وقال : ما من ديننا أن نترك قتلة الحسين أحياء ، بش ناصر آل محمد أنا إذا [في الدنيا ، أنا إذا]^(٦) الكذاب كما سموني ، وإني أستعين بالله تعالى عليهم ، فسموهم لي ثم تتبعوهم حتى تقتلوهم ، فإني لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم ، فدل على عبد الله بن أسيد الجهني ، ومالك بن النسيير^(٧)

(١) في الطبري ، والكمال : ما قد عرفت ألا أتلك .

(٢) من الطبري : والكمال .

(٣) الطبري : ٥٤-٦ .

(٤) في الطبري ، والكمال : رأيت البقي دهم .

(٥) الترهات : الأباطيل .

(٦) ساقط في ك .

(٧) في الكامل : بشير :

البدى ، وحمل بن مالك للحاربي ، فبعث المختار إليهم ، فأحضرهم من القادسية ، فلما رآهم قال : يا أعداء الله ورسوله ، أين الحسين ابن علي ؟ أدوا إلى الحسين . قتلهم ابن من أمرتم بالصلاة عليهم . فقالوا : رحمك الله ، بعثنا كارهين ، فأمّنت علينا واستبقينا ، فقال : هلاً منتم على ابن بنت نبيكم واستبقيتموه وسقيتموه ؟ فأمر بمالك ابن النسيير البدى ففقطع يديه ورجليه وتركه يضطرب حتى مات ، وقتل الآخرين ، وأحضر زياد بن مالك الضبعى ، وعمران بن خالد المنزى^(١) ، وعبد الرحمن بن أبي غشكارة البجلي ، وعبد الله بن قيس الخولاني ، فلما رآهم قال : يا قتلة الصالحين ، وقتلة سيد شباب أهل الجنة^(٢) ، قد أقاد الله منكم اليوم ، لقد جاءكم الورس ، بيوم نَحَس ، وكانوا نهَبُوا من الورس الذي كان مع الحسين رضي الله عنه ، ثم أمر بهم فقتلوا .

وقتل عبد الله وعبد الرحمن ابني صلحت^(٣) ، وعبد الله بن وهيب^(٤) الهمداني ، وأحضر عثمان بن خالد بن أسيد^(٥) الدُهْماني الجُفَيّ ، وأبا أسياء بشر بن سوّط^(٦) القابضي ، وكانا قد اشتراكا في قتل عبد الرحمن بن عقيّل وفي سلبه ، فغضب أعناقهما وأحرقا بالنار . وأرسل إلى خول بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين

(١) في الكامل : القشيري ، وفي ك : العنبري . والمثبت في د .

(٢) في الطبري : صلح ، والمثبت في ك ، د ، وفي الكامل : صلح .

(٣) في الطبري : وهب . والمثبت في ك ، د .

(٤) في الطبري : أسير ، والمثبت في ك ، د ، والكامل .

(٥) في د : سيط - بالسين ، وفي الكامل : بشر بن شيط - بالشين -

القابضي . والمثبت في الطبري أيضا (٦-٢٩) .

فَاتَّخَبْنَا فِي مَخْرَجِهِ ، فَدْخَلَ أَصْحَابُ الْمُخْتَارِ يَطْلُبُونَهُ ، فَخَرَجَتْ أَمْرَأَتُهُ ، وَهِيَ الْعِيُوفُ بِنْتُ مَالِكٍ ، وَكَانَتْ تُعَادِيهِ مِنْذُ جَاءَهَا (١) بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَتْ : مَا تَرِيدُونَ ؟ فَقَالُوا لَهَا : أَيْنَ زَوْجُكَ ؟ قَالَتْ : لَا أَدْرِي ، وَأَشَارَتْ بِيَدِهَا إِلَى الْمَخْرَجِ ، فَدْخَلُوا ، فَوَجَدُوهُ وَعَلَى رَأْسِهِ قَوْصَرَةٌ (٢) ، فَأَخْرَجُوهُ وَقَتَلُوهُ إِلَى جَانِبِ أَهْلِهِ ، وَحَرَقُوهُ بِالنَّارِ .

وَقُتِلَ عُمَرُ (٣) بَنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى قَتْلَهُ أَبُو عَمْرٍة ، وَأَحْضَرَ رَأْسَهُ عِنْدَ الْمُخْتَارِ ، وَعِنْدَهُ أَبْنَاهُ حَفْصُ بْنُ عُمَرَ ، فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ : أَنْعَرِفْ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَلَا خَيْرَ فِي الْعِيشِ بَعْدَهُ ، فَأَمَرَهُ فَقُتِلَ ، وَقَالَ : هَذَا بِحُسَيْنٍ ، وَهَذَا بِعَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ ، وَلَا سِوَاهُ (٤) ، وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُ بِهِ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ قَرِيشٍ مَا وَقَوْا أُنْمَلَكَةً مِنْ أَنْأَمَلِهِ .

وَأَرْسَلَ الْمُخْتَارُ إِلَى حَكِيمِ بْنِ طُقَيْلِ الطَّائِي - وَكَانَ أَصَابَ سَلْبَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَرَمَى الْحُسَيْنَ بِسَهْمٍ ، وَكَانَ يَقُولُ : تَعَلَّقْ سَهْمِي بِسِرْبَالِهِ وَمَا ضَرَّهُ ، فَأَتَاهُ أَصْحَابُ الْمُخْتَارِ فَأَخَذُوهُ ، وَذَهَبَ أَهْلُهُ فَتَشَفَّعُوا بِعَلِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ، فَكَلَّمَهُمْ عَدِيٌّ فِيهِ ، فَقَالُوا : ذَلِكَ إِلَى الْمُخْتَارِ ، فَمَضَى عَدِيٌّ إِلَى الْمُخْتَارِ يَشْفَعُ فِيهِ ، وَكَانَ قَدْ شَفَّعَهُ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ أَصَابَهُمْ يَوْمَ جَبَّانَةِ السَّبِيحِ ، فَقَالَتْ السَّيِّعَةُ : إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَشْفَعَهُ فِيهِ ، فَقَتَلُوهُ رَمْيًا بِالسَّهْمِ كَمَا رَمَى الْحُسَيْنِ حَتَّى صَارَ كَالْقُنْفُذِ ،

(١) فِي ك : جَاءَ .

(٢) الْقَوْصَرَةُ : وَعَاءٌ لِلتَّمْرِ (الْقَامُوسُ) .

(٣) وَالْعَقْدُ : ٤٠٥-٤٠٤ .

(٤) يَرِيدُ : لَا يَسْتَوِيَانِ .

ودخل عَدِيُّ بن حاتم على المختار ، فأجلسه معه ، فشَفَع فيه ، وقال : إنه مكذوب عليه ، قال : إِذَا ندَّعَ لك ، فدخل أَبْنُ كامل فأخبر المختار بقتله .

وبعث المختارُ إلى مُرَّةَ بن مُنْقِذ ، وهو قاتِلُ على بن الحسين ، وكان شجاعاً ، فأحاطوا بداره ، فخرج إليهم على فرسه وبيده رمحه ، فطاعنهم ، ففُضِرَ على يده ، فهرب فنجاً ، ولحق بمُصْعَب بن الزبير ، وشَلَّت يده بعد ذلك .

وبعث المختارُ إلى زيد بن رُقَاد الجَنْبِي (١) ، وهو قاتِلُ عبد الله ابن مُسلم بن عقيل ، فخرج إليهم بالسيف ، فقال أَبْنُ كامل : لا تطعنوه [برمح] (٢) ، ولا تضربوه بسيف ، ولكن أرموه بالنبل والحجارة ، ففعلوا ذلك به ، فسقط ، فأحرقوه حياً .

وطلب المختارُ سِنَانَ بن أَنَسِ الذى كان يدعى قَتْلَ الحُسَيْنِ ، فهرب إلى البصرة ، فهدم داره .

وطلب عبد الله بن عُقْبَةَ الغَنَوَى فوجده قد هرب إلى الجزيرة ، فهدم داره .

وطلب رجلاً من خَتَمِ اسمِه عبد الله بن عُرْوَةَ (٣) فهرب ولحق بمصعب ، فهدم داره .

وطلب عمرو بن صُبَيْحِ الصَّدائى ، وكان يقول : لقد طعنت

(١) فى ك : الحسين ، والمثبت فى د ، والطبرى ، والكمال .

(٢) من الطبرى .

(٣) فى ك : عزرة ، والمثبت فى د ، والكمال ، والطبرى .

فيهم وجرحته وما قتلتُ ، فأُحضر إلى المختار ، فأمر به فطعن بالرماح حتى مات .

وأرسل إلى محمد بن الأشعث وهو في قرية له إلى جنب القادسية ، فهرب إلى مُصعب فهدم المختار داره ، وبني بَلَبْنا وطِينْها دار حُجْر ابن عدي الكندي ، وكان زياد قد هلمها .

وكان الذي هيج المختار على قتل قتلة الحسين أن يزيد بن شراحيل الأنصاري أتى محمد ابن الحنفية فسلم عليه ، وجرى الحديث إلى أن تذاكروا أمر المختار ، فقال ابن الحنفية : إنه يزعم أنه لنا شيعة ، وقتل الحسين عنده على الكراسي يخدمونه (١) ، فلما عاد يزيد أخبر المختار بذلك ، فقتل عمر بن سعد ، وبعث برأسه ورأس ابنه إلى ابن الحنفية ، وكذب إليه يُعلمه أنه قتل من قدر عليه ، وأنه في طلب الباقيين ممن حضر قتل الحسين ، [رضي الله عنه] (٢) .

(١) في ك : يخدمونه .

(٢) ساقط في د .

ذكر بيعة المثني العبدى للمختار بالبصرة

وإخراجه منها ولحاقه بالمختار بالكوفة

وفى سنة ست وستين دعا المثنى بن مُخَرَّبَةَ (١) العبدى بالبصرة إلى بيعة المختار ، وكان قد بايع المختار بعد مقتل سليمان بن صُرد ، فسبَّره المختار إلى البصرة يَدْعُو بها إليه ، ففعل ، فأجابته رجال من قومه وغيرهم .

ثم أتى مدينة الرُّزْق (٢) فَعَسَكَرَ عندها ، فوجَّه إليهم (٣) الحارثُ ابنُ أبى ربيعة المعروف بالقُبَاع (٤) ، وهو أميرُ البصرة ، عبادُ بنُ حصين ، وهو على شرطته ، وقيس بن الهيثم فى الشرط والمقاتلة ، فخرجوا إلى السَّبْحَةِ ، ولزم الناسُ بيوتهم ، فلم يخرج أحد ، وأقبل عبادُ فيمن معه فتواقف هو والمثنى وأنشبوا (٥) القتال ، فأنهزم المثنى ، وأتى قومه عبد القيس ، وكف عنه عباد ، فأرسل القُبَاعُ عسكراً إلى عبد القيس ليأتوه بالمثنى ومن معه ، فلما رأى زيادُ بن عمرو العتكى ذلك أقبل إلى القُبَاع فقال : لثردن خيلك عن إخواننا أو لنقاتلنهم ، فأرسل القُبَاعُ الأحنف بن قيس ، وعمر بن عبد الرحمن المخزومى ليُصلحاه بين الناس ، فأصلح الأحنف الأمر على أن يخرج المثنى وأصحابه عنهم ، فأجابوه إلى ذلك وأخرجوهم عنهم ، فصار المثنى إلى الكوفة فى نَفَرٍ يسيرٍ من أصحابه .

(١) بضم الميم وفتح الخاء وتشديد الراء وكسرها ، ثم باء مفتوحة (الكامل : ٣٧٢-٣) .

(٢) الرزق - بكسر الزاء وسكون الزاى . كانت إحدى مسالح العجم بالبصرة قبل أن يحتلها المسلمون (المراصد) .

(٣) فى ك : إليه .

(٤) فى القاموس : كغراب : لقب الحارث بن عبيد الله وإلى البصرة .

(٥) فى ك : ونشب .

ذكر مخادعة المختار ومكره بعبء الله بن الزبير

وظهور ذلك له

قال : لما أخرج المختارُ ابنَ مُطِيع عامل ابن الزبير من الكوفة سار إلى البصرة وكره أن يأتي ابنَ الزبير مهزوما ، فلما استجمع للمختار أمر الكوفة ، أخذ يخادعُ ابنَ الزبير ، فكسب إليه : « قد عرفتُ مناصحتي إياك ، وجهدي على أهل عداوتك ، وما كنتُ أعطيتهُ إن أنا فعلتُ ذلك ، فلما وفيتُ لك [وقضيتُ الذي كان لك عليَّ تحسنتُ بي و] ^(١) لم تَفِ بما عاهدتني عليه ، فإن تردُّ مراجعتي ومناصحتي ، فعلتُ ، والسلام .

وإنما قصد المختار بذلك أن يكفَّ ابنَ الزبير عنه ليتم أمره ، ولم تعلم الشيعة بذلك ، فأراد ابن الزبير أن يعلم حقيقة ذلك ، فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فولاه الكوفة ، وقال : إن المختارَ سامعٌ مطيع ، فتجهزْ عمرُ وسار نحو الكوفة ، وأتى الخبر المختار ، فدعا زائدة بن قدامة وأعطاه سبعين ألف درهم وقال له : هذه ضِعْفُ ما أنفقَ عمرُ في طريقه إلينا ، وأمره أن يأخذَ معه خمسمائة فارس ، ويسير حتى يلقاه بالطريق فيعطيه النفقة ويأمره بالعود ، فإن فعل وإلا فيريه الخيل ، فأخذ زائدة المال والخيل وسار حتى لقي عمر ، فأعطاه المال ، وأمره بالانصراف ، فقال : إن أمير المؤمنين قد ولا في الكوفة ، ولا بد من إتيانها ، فدعا

زائدة الخيل ، وكان قد أكرمها (١) ؛ فلما رآها عمر قد أقبلت أخذ المال وسار نحو البصرة .

ثم إن عبد الملك بن مروان بعث عبد الملك بن الحارث بن الحكم ابن أبي العاص إلى وادى القرى ، وكان المختار قد وادع ابن الزبير ليكف عنه ويتفرغ لأهل الشام ، فكتب المختار لابن الزبير : بلغنى أن ابن مروان قد بعث إليك جيشاً ، فإن أحببت أمددتك بمدد . فكتب إليه ابن الزبير : « إن كنت على طاعنى فبايع لى الناس قبلك ، وعجل بإتفاذ الجيش ومُرهم فليسيروا إلى من بوادى القرى من جند ابن مروان فليقاتلهم ، والسلام » .

فدعا المختار شرحبيل بن ورثس الهمداني : فسيّره فى ثلاثة آلاف أكثرهم من الموالى ، وليس فيهم إلا سبعمائة من العرب ، وقال له : سر حتى تدخل المدينة ، فإذا دخلتها فاكتب إلى بذلك حتى يأتىك أمرى ، وهو يريد إذا دخل الجيش المدينة أن يبعث عليهم أميراً لمحاصرة ابن الزبير بمكة ، وخشى ابن الزبير أن المختار إنما يكيده ، فبعث من مكة [إلى المدينة] (٢) عباس بن سهل بن سعد فى ألفين ، وأمره أن يستنفر العرب ، وقال له : إن رأيت القوم فى طاعنى ولأفكائهم حتى تهلكهم . فأقبل عباس حتى لقي ابن ورثس بالرقم (٣) وقد عبأ أصحابه ، وأتى عباس وقد تقطع أصحابه : فرأى ابن ورثس على الماء فى تعبته فدنوا وسلم عليهم ، ثم قال لابن ورثس : أستم فى طاعة ابن الزبير ؟ قال : بلى . قال : فيسر بنا إلى عدوه

(١) فى ك : كرمها .

(٢) زيادة من الطبرى .

(٣) فى ك : بالرضم ، والثبت فى د ، والطبرى ، والكامل .

الَّذِي بَوَادِي (١) الْقَرْيَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَمِرْتُ أَنْ آتِيَ الْمَدِينَةَ وَأَكْسِبَ إِلَى صَاحِبِي ، فَيَأْمُرُنِي بِأَمْرِهِ ، فَقَالَ عَبَّاسٌ : رَأَيْكَ أَفْضَلَ ، وَفَطِنٌ لَمَّا يَرِيدُ ، وَقَالَ : أَمَّا أَنَا فَسَائِرٌ إِلَى وَادِي الْقَرْيَ ، وَنَزَلَ عَبَّاسٌ أَيْضًا ، وَبَعَثَ إِلَى ابْنِ وَرْسٍ بِجَزَائِرِ (٢) وَغَنَمٍ ، وَكَانُوا قَدِمَاتُوا جَوْعًا ، فَذَبَحُوا وَاشْتَقَلُّوا بِهَا ، وَاخْتَلَطُوا عَلَى الْمَاءِ ، وَجَمَعَ عَبَّاسٌ مِنْ شَجْعَانِ أَصْحَابِهِ نَحْوَ أَلْفِ رَجُلٍ ، وَأَقْبَلَ إِلَى فُسْطَاطِ ابْنِ وَرْسٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ نَادَى فِي أَصْحَابِهِ ، فَلَمْ يَجْتَمِعْ إِلَيْهِ مِائَةُ رَجُلٍ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ عَبَّاسٌ ، فَأَقْتَتَلُوا يَسِيرًا ، فَقَتَلَ ابْنُ وَرْسٍ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْحِفَافِ ، وَرَفَعَ عَبَّاسٌ رَايَةَ أَمَانَ ، فَأَتَتْهَا إِلَّا نَحْوَ ثَلَاثِمِائَةٍ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ جَنْبِرٍ الْهَمْدَانِي ، وَعَبَّاسٌ (٣) بْنُ جَعْفَةَ الْجَدَلِي ، فَظَفِرَ عَبَّاسٌ بِنِ سَهْلٍ مِنْهُمْ بِنَحْوِ مِائَتَيْنِ فَقَتَلَهُمْ ، وَأَقْلَتِ الْبَاقُونَ فَرَجَعُوا وَمَاتَ أَكْثَرُهُمْ فِي الطَّرِيقِ . وَكَتَبَ الْمُخْتَارُ إِلَى ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ : « إِنِّي أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ جَيْشًا لِيُذِلُّوا لَكَ الْأَعْدَاءَ ، وَيُحْرِزُوا لَكَ الْبِلَادَ ، فَلَمَّا قَارَبُوا طَبِيبَةً (٤) فَعَلَ بِهِمْ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ أَبْعَثَ إِلَى الْمَدِينَةِ جَيْشًا كَثِيفًا وَتَبْعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ قِبَلِكَ رُجُلًا (٥) فَأَفْعَلْ » .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ ، وَعَرَفْتُ تَعْظِيمَكَ لِحَقِّي ، وَمَا تَوَثَّرَهُ مِنْ سُرُورِي ؛ وَإِنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيَّ مَا أَطِيعُ اللَّهَ فِيهِ ، فَأَطَاعَ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَإِنِّي لَوْ أَرَدْتُ الْقِتَالَ لَوَجَدْتُ النَّاسَ إِلَى سَرَاعَا ، وَالْأَعْوَانُ لِي كَثِيرَةً ، وَلَكِنِّي أَعْتَزَلُهُمْ وَأَصْبِرُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ [لِي] (٦) » وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

(١) وادي القرى : واد من أعمال المدينة كثير القرى (المراصد) .

(٢) جمع جزور . (٣) في الطبري : عياش . والمثبت في الكامل أيضا .

(٤) مدينة الرسول . يقال لها طيبة وطابة .

(٥) في الطبري : رسلا ، (٦) من الطبري .

ذكر امتناع محمد ابن الحنفية

من مبايعة عبد الله بن الزبير وما كان من أمره
وإرسال المختار الجيش إلى مكة وخبر ابن الحنفية

قال : ثم إن عبد الله بن الزبير دعا محمد ابن الحنفية ومن معه
من أهل بيته ، وسبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة منهم
أبو الطفيل عامر^(١) بن وائلة له صُحبة ، ليبايعوه فأمتنعوا وقالوا :
لا نبايع حتى تجتمع الأمة ، فأكثر الوقعة في ابن الحنفية وذمه ،
فأغلظ له عبدُ الله بن هاشم الكِنْدِي ، وقال^(٢) : لئن لم بضرك
إلا تركنا بيعتك لا بضرك شيء ، فلم يراجع ابن الزبير ، فلما استولى^(٣) المختار
على الكوفة وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية ، ألح ابن الزبير عليه
وعلى أصحابه في البيعة حتى حبسهم بزمزم ، وتوعدهم ، بالقتل
والإحراق إن لم يبايعوا ، وضرب لهم في ذلك أجلا .

فكتب ابن الحنفية إلى المختار يعرفه الحال ، ويطلب منه النجدة .

فقرأ المختار كتابه على أهل الكوفة ، وقال : هذا مهديكم وصريح أهل
بيت نبيكم قد تركوا^(٤) محظورا عليهم كما يُحظر على الغنم
ينتظرون القتل والتحريق في الليل والنهار ، لست أبا إسحاق إن لم

(١) في د : عمرو - مخزف .

(٢) في ك : قال .

(٣) في ك : استولى .

(٤) في ك : تولوا محصورا . وفي الكامل : قد تركوه ومن معه محصورا .

أَنْصُرُهُمْ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، وَإِنْ لَمْ أُسْرَبِ الْخَيْلَ فِي لُفْرِ الْخَيْلِ ، كَالسَّيْلِ
يَتَلَوُّهُ السَّيْلُ ، حَتَّى يَحُلَّ بِأَبْنِ الْكَاهِلَةِ الْوَيْلُ ، يَرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ .
فَبَكَى النَّاسُ وَقَالُوا : سَرَّخْنَا إِلَيْهِ وَعَجَلُ ، فَوَجَّهَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيَّ
فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْقُوَّةِ ، وَوَجَّهَ ظَبْيَانِ بْنَ عُمَارَةَ أَخَا بَنِي تَمِيمٍ فِي
أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَبِعَثَ مَعَهُ أَرْبَعِمِائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ لِأَبْنِ الْحَنْفِيَّةِ ، وَوَجَّهَ
أَبَا الْمُعْتَمِرِ فِي مِائَةٍ ، وَهَانِيَّ بْنَ قَيْسٍ فِي مِائَةٍ ، وَعُمَيْرَ بْنَ طَارِقٍ فِي أَرْبَعِينَ ،
وَيُونُسَ بْنَ عِمْرَانَ فِي أَرْبَعِينَ ، فَوَصَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيَّ إِلَى ذَاتِ (١)
عَرَفٍ ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى أَتَاهُ عُمَيْرُ وَيُونُسُ فِي ثَمَانِينَ ، فَبَلَغُوا مِائَةً وَخَمْسِينَ
رَاكِبًا ، فَسَارُوا حَتَّى دَخَلُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَهُمْ يَنَادُونَ : يَا لِنَارَاتِ
الْحُسَيْنِ ، حَتَّى أَتَتْهُمَا إِلَى زَمْرَمَ ، وَقَدْ أَعَدَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحَطَبَ لِيَحْرِقَهُمْ ،
وَكَانَ قَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ يَوْمَانِ ، فَكَسَرُوا الْبَابَ وَدَخَلُوا عَلَى ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ ،
فَقَالُوا : خَلُّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّ اللَّهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَسْتَحِلُّ
الْقِتَالَ فِي الْحَرَمِ . فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : وَاعْجَبًا لِهَذِهِ الْخَشْيَةِ يَنْعُونَ
حُسَيْنًا كَأَنِّي أَنَا قَتَلْتُهُ ، وَاللَّهِ لَوْ قَدَرْتُ عَلَى قَتْلِهِ لَقَتَلْتُهُمْ ، وَإِنَّمَا
سَمَّاهُ ابْنَ الزُّبَيْرِ الْخَشْيَةِ لِأَنَّهُمْ دَخَلُوا مَكَّةَ وَبِأَيْدِيهِمُ الْخَشْبَ كِرَاهَةً
لِإِشْهَارِ (٢) السِّیُوفِ فِي الْحَرَمِ ، وَقَالَ : أَتَحْسِبُونَ أَنِّي أَخْلَى سَبِيلَهُمْ (٣) ،
دُونَ أَنْ نَبَايَعَ وَيَبَايَعُوا (٤) .

فَقَالَ الْجَدَلِيُّ : رَبُّ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ لَتَغْلِبَنَّ سَبِيلُنَا أَوْ لَنُجَالِدَنَّكَ
بِأَسْيَافِنَا جَلَادًا يَرْتَابُ مِنْهُ الْمُبْطَلُونَ ، فَكَفَّهِمْ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ وَحَذَّرَهُمْ
الْفِتْنَةَ .

(١) ذَاتُ عَرَفٍ : مَهَلُ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَهُوَ الْحُدُودُ بَيْنَ تِهَامَةٍ وَنَجْدٍ (الْمُرَاصِدُ) .

(٢) فِي كَ : إِشْهَارُ .

(٣) فِي الطَّبَرِيِّ : سَبِيلُهُ .

(٤) فِي كَ : وَيَبَايَعُونَ .

ثم قَدِمَ باقي الجُندِ ومعهم المال ، فدخلوا المسجد الحرام فكبروا ، وقالوا ، بالثارات الحسين ، فخافهم ابن الزبير ، وخرج ابن الحنفية ومعه أربعة آلاف رجل إلى شعب على ، فعزوا واشتعلوا ، فقسم فيهم المال ، فلما قُتِل المختار ضعفوا واحتاجوا ، ثم استوسقت (١) البلاد لابن الزبير بعد قتل المختار ، فبعث إلى ابن الحنفية أن أدخل في بيتي ، ولأننا بذلتك .

وبلغ الخبر عبد الملك بن مروان ، فكتب إلى ابن الحنفية : إنه إن قدم عليه أجسأ إليه ، وإنه ينزل بأي الشام أحب حتى يستقيم أمر الناس الأمة . فذكر الوقعة لابن الحنفية ودمه .

وأخرج ابن الحنفية ومن معه إلى الشام ، فلما وصل إلى مدين بلغه غدر عبد الملك بعمر بن سعيد ، فندم على إتيانه إلى الشام ، ونزل أيلة (٢) ، ونحدث الناس بفضل ابن الحنفية ، وكثرة عبادته ، وفذهبه ، فندم عبد الملك على إذنه له في القдом إلى بلده ، فكتب إليه : وإنه لا يكون في سلفاني من لا يبايعني ، ونزعدهم بالقتل والإفحام تخلص إلى مكة ، ونزل شعب أبي طالب ، فارتسل إليه ابن الزبير يأمره بالرحيل عنه ، فصار إلى الطائف والتحق به عبد الله بن عباس ، ومات ابن عباس بالطائف ، فصلى عليه ابن الحنفية ، وكبر عليه أربعة ، وأقام بالطائف حتى قدم الخجاج ليحضر ابن الزبير ، فعاد إلى الشعب ، فطلبه الخجاج ليبايع (٣) عبد الملك ، فامتنع حتى عرج جميع الناس ، ثم بايع بعد قتل ابن الزبير ، وهذا ما كان من أمره ، فلنعد إلى أخبار المختار ، [والله أعلم] (٢)

(١) استوسقت: اجتمعت (اللسان) .

(٢) أيلة : مدينة على ساحل البحر مما يلي الشام . قيل : هي آخر الحجاز وأول الشام (المراصد) . وقى البكري : مدينة على شاطئ البحر في منتصف ما بين مصر ومكة (٤) في ك : تولوا محصورا . وفي (٥) : شاطئ من كذا ومن معه محصورا .

وقيل : ان عُمير بن حُباب ابن من هُزم ، وانما كان ذ .
ذكر مسير ابراهيم بن الأشتر اولا تعليقا

فلما هُزموا قال لجبرئيل عبيد الله بن زياد وقيل ابن زياد : تحت اي
 منار وفي عاصنة [٦٦هـ] ردت الشمس فالتفت اليه من راحة الحجة ،
 سار ابراهيم بن الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد ، وذلك بعد فراغه
 من وقعة السبيح بيومين ، وأخرج المختار معه فرسان أصحابه ووجوههم
 وأهل البصائر منهم ، وشيعة وأوصاء ، وأخرج معه التسليخة أصحاب
 الكرسي بكرسيهم ، وهم يذعنون الله له بالنصر ، ويسندون خبر الكرسي
 ان شيئا من الله تعالى . رحمه الله . قال : ما جئت منكم من
 شيء قال له : ولما انتهى ابراهيم بن إبراهيم بن أبي أصحاب الكرسي يوم عكوف عليه ،
 [وقدس] (١) رفعوا أيديهم إلى السماء يذعنون الله له ، فقال ابراهيم :
 اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، هذه سنة بني إسرائيل ،
 وسار ابراهيم مجداً ليلقى ابن زياد قبل ان يدخل أرض العراق ،
 وكان ابن زياد قد سار في عسكر عظيم وملك الموصل كما ذكرنا ،
 فلما انتهى ابراهيم إلى نهر الخازر (٢) من أرض الموصل نزل بقرية
 باربيش (٣) ، وأقبل عبيد الله بن زياد حتى نزل قريباً منهم على شاطئ
 خازر (٤) ، وأرسل عُمير بن الحُباب (٥) السلمي إلى ابن الأشتر أن التقى ؛

(١) ليس في د .

(٢) الخازر = بعد الألف زاي مكسورة ثم واء . وقيل : بفتح الزاي :

نهر بين اربل والموصل (المراصد) .

(٣) في الكامل ص : باربيش .

(٤) في الكامل : حباب .

وكانت قَيْسُ كُلُّهَا مضطغنة على بنى مروانَ بسبب وقعة مَرْج (١) رَاهِط ، وجند عبد الملك يومئذ كَلَب ، واجتمع عُمَيْرُ وابْنُ الْأَشْتَرِ فَأَخْبَرَهُ عُمَيْرُ أَنَّهُ على مَيْسِرَةِ ابْنِ زِيَاد ، وواعده أَنَّهُ يَنْهَزِمُ بالناس ، وأشار عليه بِمُتَاجَزَةِ القومِ ، وعاد عُمَيْرُ إِلَى أصحابِهِ ، وَعَبَّأَ ابْنُ الْأَشْتَرِ أصحابَهُ ، وصَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْفَجْرِ بَقْلَسَ ، ثُمَّ صَفَّهُمْ وسارَ بِهِمْ رُويْدًا حتى أَشْرَفَ على تَلٍّ عَظِيمٍ مُشْرِفٍ على القومِ ، فإذا هم لم يَتَحَرَّكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَتَقَدَّمَ ابْنُ الْأَشْتَرِ وهو يَحْرُسُ أصحابَهُ على الْقِتَالِ ، وَيَذْكُرُهُمْ بِمَقْتَلِ (٢) الْحُسَيْنِ وَسَيِّئِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فلما تَدَانَى الصَّفَّانِ حَمَلَ الْحُصَيْنِ بنَ غَيْرِ بِمَيْمَنَةِ أَهْلِ الشَّامِ على مَيْسِرَةِ ابْنِ الْأَشْتَرِ ، وعليها عَلِيُّ بنُ مَالِكِ الْجُشَمِيِّ ، فقتلَ أَبَنَ مَالِكٍ ، فَأَخَذَ الرَايَةَ ابْنَهُ قُرَّةَ بنَ عَلِيٍّ وَقَاتَلَ بِهَا فقتلَ فِي رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْبَاسِ ، وَاَنْهَزَمَتِ مَيْسِرَةُ إِبْرَاهِيمَ ، فَأَخَذَ الرَايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ وِرْقَاءَ بنُ جُنَادَةَ السَّلُولِيُّ ، وَرَدَّ الْمُنْهَزِمِينَ ، وَقَاتَلُوا ، وَحَمَلَتْ مَيْمَنَةُ إِبْرَاهِيمَ وعليها سَفِيَّانُ بنُ يَزِيدَ الْأَزْدِيُّ على مَيْسِرَةِ ابْنِ زِيَاد ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ عُمَيْرَ بنَ الْحُبَابِ يَنْهَزِمُ لَهُمْ كَمَا زَعَمَ ، فَقَاتَلَهُمْ أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَأَنْفَيْتْ نَفْسُهُ الْهَزِيمَةَ ، فَلَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمَ ذَلِكَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : اقْصِدُوا أَهْلَ (٣) السَّوَادِ الْأَعْظَمَ ، فَوَاللَّهِ لئنْ هَزَمْنَاهُ لَنَجْعَلَنَّ مِنْ تَرَوْنِ يَمَنَةً وَيَسْرَةً ، فَتَقَدَّمَ أَصْحَابُهُ وَقَاتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَصَدَقَهُمْ إِبْرَاهِيمُ الْقِتَالَ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ ابْنِ زِيَادَ . وَبَعْدَ أَنْ قُتِلَ مِنَ الْقَرِيقَيْنِ قَتْلَى كَثِيرَةٌ .

(١) مَرْج رَاهِط : بِنَوَاحِي دِمَشْقَ ، قَدْ أَوْقَعَ فِيهِ مَرْوَانُ بنَ الْحَكَمِ بِالْفَضْحَاكِ
ابْنِ قَيْسِ الْفَهْرِيِّ (الْبَكْرِيُّ) .

(٢) فِي كَ : بِقَتْلِ .

(٣) فِي الْكَامِلِ : هَذَا .

وقيل : إن عُيَيْرَ بنَ الحُبَابِ أولُ من أنهزم ، وإنما كان قتاله
أولا تعذيرا .

فلما أنهزموا قال إبراهيم بن الأُشتر^(١) : إني قتلْتُ رجُلًا تحت رايةٍ
منفردةٍ على شطِّ نهر خَازِرٍ ، فَالْتَمِسُوهُ فَإِنِّي سَمِيتُ مِنْهُ رَاحَةَ الْمِسْكِ ،
شَرَقْتُ يَدَاهُ وَغَرَبْتُ رِجْلَاهُ ، فَالْتَمِسُوهُ ، فَإِذَا هُوَ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ،
فَأَخَذَ رَأْسَهُ وَحَرَقَ جَنَّتَهُ .

وأقام إبراهيم بالموصل ، وأنفذ رأس عُبيد الله إلى المختار ، ورؤوس
القواد ، وكانت هذه الواقعة في سنة [٨٦٧] سبع وستين .

وروى الترمذى رحمه الله^(٢) قال : لما جاءت الرؤوس إلى المختار
ألقيت في القصر فجاءت حية دقيقة فتخللت الرؤوس حتى دخلت
فم عبيد الله وخرجت من منخره ودخلت في منخره وخرجت من فمه ،
فعلت ذلك مرارا^(٣) .

(١) العقد : ٤-٤٠٤ .

(٢) في ك : رضي الله عنه .

(٣) في ك : مرات :

ذكر ولاية مصعب بن الزبير البصرة

ومسيره إلى الكوفة وقتاله المختار وقتل المختار بن أبى عبيد

كانت ولايته البصرة وعزل الحارث بن أبى ربيعة الملقب بالقباع عنها فى أول سنة (٥٦٧هـ) سبع وستين ، قال : فقلّمتها مُصْعَب ، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال (١) : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . ﴿ طَسَمَ . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ، وأشار بيده نحو الشام ، ﴿ وَنَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ . وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، وأشار نحو الحجاز ، ﴿ وَنُرِى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ ، وأشار نحو الشام ، وقال : يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، بلغنى أنكم تلقبون أميركم ، وقد لقبت (٢) نفسى الجزار .

قال : ولما هرب أشراف الكوفة من المختار يوم وقعة السبيح ، أتى جماعة منهم إلى مصعب ، فكان منهم شَبَبْتُ بن رُبَيْعَى ، أتاها على بغلة قد قطع ذنبها وطُرفُ أذنيها ، وشقَّ قباءه وهو ينادى :

(١) سورة الفصص ، الآيات من ١-٤ .

(٢) فى الطبرى : وقد سميت نفس الجزار .

وَأَعَوَّاهُ ! وَأَتَاهُ أَشْرَافُ الْكُوفَةِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَسَلَّوْهُ الْمَسِيرَ إِلَى الْمُخْتَارِ وَنَصَرْتَهُمْ ، وَقَدَّمَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، وَأَسْتَحْثَّهُ عَلَى الْمَسِيرِ فَأَدَّاهُ وَأَكْرَمَهُ ، وَكَتَبَ إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى فَارَسَ يَسْتَدْعِيهِ لِيَشْهَدَ مَعَهُمْ قِتَالَ الْمُخْتَارِ ، فَقَدِمَ فِي جُمُوعٍ كَثِيرَةٍ وَأَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ ، فَبَرَزَ مُضْعَبٌ بِالْجِيُوشِ ، وَأَرْسَلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ مِخْنَفٍ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُخْرِجَ إِلَيْهِ مَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ ، وَيَثْبِطَ النَّاسَ عَنِ الْمُخْتَارِ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى بَيْعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ سِرًّا ، فَسَارَ وَدَخَلَ الْكُوفَةَ مُسْتَتْرِعًا ، وَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ ، وَسَارَ مُصْعَبٌ وَقَدَّمَ أَمَامَهُ عِبَادُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْحَبِطِيُّ^(١) التَّمِيمِيُّ ، وَجَعَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ عَلَى مِيمَنَتِهِ ، وَالْمُهَلَّبُ عَلَى مَيْمَنَتِهِ ، وَمَالِكُ بْنُ مِسْعَمٍ عَلَى بَكْرِ ، وَمَالِكُ بْنُ الْمُنْذَرِ عَلَى عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَالْأَحْنَفُ بْنُ فَيْسٍ عَلَى تَيْمٍ ، وَزِيَادُ بْنُ عَمْرٍو الْعَتَكِيُّ عَلَى الْأَزْدِ ، وَقَيْسُ بْنُ الْهَيْثَمِ عَلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ ، وَبَلَغَ الْخَبِيرُ الْمُخْتَارَ فَقَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَتَدْبَهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَ أَحْمَرَ بْنِ شُعَيْطٍ ، وَدَعَا رُمُوسَ الْأَرْبَاعِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ أَبِي الْأَشْثَرِ فَبِعَثَهُمْ مَعَ أَبِي شُعَيْطٍ ، فَسَارَ وَعَلَى مَقَدَّمَتِهِ أَبُو كَامِلُ الشَّاكِرِيُّ ، فَوَصَلُوا إِلَى الْمَذَارِ^(٢) ، وَأَقْبَلَ مُصْعَبٌ فَعَسَكَرَ بِالْقُرْبِ مِنْهُ ، وَعَبَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جُنْدَهُ ، فَتَقَدَّمَ عِبَادُ بْنُ الْحُصَيْنِ إِلَى أَحْمَرَ وَأَصْحَابِهِ ، وَقَالَ : إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَإِلَى بَيْعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ الْآخَرُونَ : إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَإِلَى بَيْعَةِ الْمُخْتَارِ ، وَأَنْ نَجْعَلَ هَذَا الْأَمْرَ شُورَى فِي آلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) فِي الْكَامِلِ : الْحَطْمِيُّ . وَالثَّبِثُ فِي الطَّبَرِيِّ ، وَاللَّيَابِ .

(٢) الْمَذَارُ - بِالْفَتْحِ وَآخِرُهُ رَاءٌ : بَلَدَةٌ بَيْنَ وَاسِطٍ وَبِصْرَةَ (الْمُرَاصِدُ)

فرجع عباد وأخبر مصعبا ، فقال : ارجع فأحمل عليهم ، فرجع وحمل على ابن شميطة وأصحابه ، وحمل المهلب على ابن كامل حملة بعد أخرى ، فهزمهم ، وثبت ابن كامل ساعة في رجال من همدان ، ثم أنصرف ، وحمل الناس جميعا على ابن شميطة ، فقاتل حتى قتل ، وانهزم أصحابه ، وبعت مصعب عبادا على الخيل ، وقال له : أيما أسير أخذته فأضرب عنقه ، وسرح محمد بن الأشعث في خيل عظيمة من أهل الكوفة ، وقال : دونكم ثأركم فكانوا [حيث انهزموا]^(١) أشد على المنهزمين من أهل البصرة ، فلم يدركوا منهزما إلا قتلوه ، فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفة من أصحاب الخيل .

ثم أقبل مصعب حتى قطع من تلقاء واسط ، [القصب]^(١) ، ولم تكن [واسط]^(١) بُنيث بعد ، فأخذ في كشكر ، ثم حمل الرجال أثقالهم والضعفاء في السفن ، فأخذوا في نهر خرشاذ^(٢) ، ثم خرجوا إلى نهر قوشان ، ثم خرجوا إلى نهر القرات ، وأتى المختار خبر الهزيمة والقتلى^(٣) ، فقال : ما من الموت بد ، وما من ميتة أموتها أحب إلى من أن أموت ميتل مorte ابن شميطة .

ولا بلغه أن مصعبا قد أقبل إليه في البر والبحر سار حتى نزل السيلجين^(٤) ، ونظر إلى مجتمع الأنهار ، نهر الخيرية^(٥) ، ونهر

(١) من الطبرى .

(٢) في الكامل : جرشاد . والمثبت في الطبرى أيضا .

(٣) في ك : والقتل .

(٤) بفتح أوله وإسكان ثانيه وفتح اللام ، وكسر الحاء المهملة : موضع

بالخيرة .

(٥) في الطبرى : نهر الخيرة .

السَّيْلَجِينِ ، ونهر القادسيَّة ، ونهر يُوسف ، فسكَّر الفرات (١) ،
 فذهب ماؤها في هذه الأنهار ، وبقيت سُفن أهل البصرة في الطين ،
 فخرجوا من السفن إلى ذلك السَّكْر (٢) فأصلحوه ، وقصدوا
 الكوفة ، وسار المختارُ فنزل حرَّوراء (٣) ، وحال بينهم وبين الكوفة
 بعد أن حصَّن القَصْرَ والمسجد ، وأقبل مصعبٌ وجعل على ميمنته
 المهلب ، وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله ، وعلى الخيل عباد بن الحُصَيْن ،
 وجعل المختار على ميمنته سُليم بن يزيد الكندي ، وعلى ميسرته
 سعيد بن مُنقذ الهمداني ، وعلى الخيل عمر (٤) بن عبد الله النهدي ،
 وعلى الرجال مالك بن عبد الله (٥) النهدي ، وأقبل محمد بن الأشعث
 فيمن كان قد هَرَبَ من أهل الكوفة ، فنزل بين مصعب والمختار ،
 فلما رأى المختار ذلك بعث إلى كلِّ خَنَسٍ من أهل البصرة رجلاً
 من أصحابه ، وتَدانَى الناس ، فحمل سعيد بن منقذ على بكر وعبد
 القيس وهم في مَيْمَنَةِ مصعب ، فأقتلوا قتلاً شديداً ، وبعث المختار
 إلى عبد الله بن جَعْفَر بن هُبيرة المخزومي : فحمل على من بإزائه وهم
 أهلُ العالية ، فكشفهم [فأنهوا إلى مصعب فجثا مصعب على ركبتيه
 ونزل الناس عنده فقاتلوا ساعة وتحاجزوا ثم حمل المهلب على من
 بإزائه فكشفهم] (٦) واشتدَّ القتال ، فقتل ابنُ الأشعث وذلك عند

(١) سكر الفرات : سده .

(٢) السكر - بالفتح : سد النهر . وبالكسر : امم منه ، وما سد به النهر .

(القاموس) .

(٣) حروراء - بفتحين وسكون الواو ، وراء أخرى ، وألف ممدودة : قرية .

بظاهر الكوفة . وقيل : موضع على ميلين منها (ياقوت : والمراد) .

(٤) في الكامل : عمرو . والثبت في الطبري أيضا .

(٥) في الطبري : مالك بن عمرو النهدي . والثبت في الكامل أيضا .

(٦) ساقط في ك .

النساء ، وقاتل المختار على فم سكة شبيث عامة ليثته ، وقاتل معه رجال من أهل اليأس ، وقاتلت معه همدان أشد قتال ، ثم تفرق الناس عن المختار ، فقال له من معه : أيها الأمير ، اذهب إلى القصر ، فجاء حتى دخله ، فقال له بعض أصحابه : ألم تكن وعدتنا الظفر ، وأنا سنهزمهم ؟ فقال : أما قرأت في كتاب الله ^(١) : ﴿ يَنْحَرِ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتْ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ .

قال : فلما أصبح مصعب أقبل يسير فيمن معه نحو السبخة ، فمر بالمهلب ، فقال المهلب ، يالله فتحاً ما أفتناه لو لم يقتل محمد بن الأشعث ، فقال : صدقت ، ثم قال [مصعب] ^(٢) للمهلب : إن عبید الله بن علي بن أبي طالب قد قتل ، فاسترجع المهلب . فقال مصعب : إنما قتله من يزعم أن شيعة لأبيه ، ثم نزل مصعب السبخة فقطع عن المختار ومن معه الماء والبيرة ، وقاتل المختار ومن معه قتالاً ضيقاً ، واجترأ الناس عليهم ، فكانوا إذا خرجوا رماهم الناس من فوق البيوت ، وصبوا عليهم الماء القذر ، وكان أكثر معاشهم من النساء تأتى المرأة متخفية ومعها القليل من الطعام والشراب ، ففطن مصعب لذلك ، فمنع النساء ، فاشتد على المختار وأصحابه العطش ، فكانوا يشربون ماء البشر بالعدل ، ثم أمر مصعب أصحابه فاقتربوا من القصر ، واشتد الحصار ، فقال المختار لأصحابه : ويلكم ، إن الحصار لا يزيدكم إلا ضحفاً ، فانزلوا بنا نقاتل حتى نقتل كراماً إن نحن قتلنا ، والله ما أنا بأتس إن صلتهم أن ينصروكم الله ، فصعقوا ولم يفعلوا ، فقال لهم :

(١) سورة الرعد ، آية ٣٩ .

(٢) زيادة من الطبرى .

أما أنا فوالله لا أُعطى بيدي ولا أُحكمهم في نفسي ، ثم تطيب وتحنط
 وخرج من القصر في تسعة عشر رجلاً منهم السائب بن مالك الأشعري ،
 فتقدم المختارُ فقاتل حتى قُتل ، قتلَهُ رجلان أخوان من بني حنيفة ،
 وهما طرفة وطراف ابنا عبد الله بن دجاجة ، فلما كان الغد من مقتله ،
 دعا بجير بن عبد الله المُسلي^(١) من معه بالقصر إلى مادعاهم المختار ،
 فأبوا عليه ، وأمكنوا أصحاب مصعب من أنفسهم ، ونزلوا على حكمه ،
 فأخرجوا مكثفين ، فاستعطفوه ، فأراد أن يُطلقهم ، فقام عبدُ الرحمن
 ابن محمد بن الأشعث فقال : أتخلي سبيلهم ؟ اخترنا أو اخترهم .
 وقال محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الهمداني مثله ، وقال أشرافُ
 الكوفة مثلهما ، فأمر بقتلهم ، فقالوا : يا أبنَ الزُبَيْر ، لا تقتلنا
 وأجعلنا على مقدمتك إلى أهل الشام غداً ، فما بكم عنا غداً غني^(٢) ،
 فإن قتلنا لم نقتل حتى نضعفهم لكم ، وإن ظفرنا بهم كان ذلك لكم ،
 فأبى عليهم وقتلهم برأى أهل الكوفة ، وأمر مصعب بكف المختار
 ففُطِعتُ وسُمرت إلى جانب المسجد فبقيت حتى قدم الحجاج فأمر
 بنزعها .

وكتب مصعب إلى إبراهيم بن الأشتر يدعوه إلى طاعته ، ويقول :
 إن أطلعني فلك الشام وأعنة الخيل وما غلبت عليه من أرض المغرب^(٣)
 ما دام لآلِ الزُبَيْر سلطان .

وكتب عبدُ الملك بن مروان إلى ابنِ الأشتر أيضاً يدعوه إلى طاعته
 ويقول : إن أنت أجبتني فلك العراق .

(١) في الكامل : المسكى . والثبت في الطبرى أيضاً .

(٢) في د : غناء . (٣) والطبرى : ١١١-٦ .

فاستشار إبراهيم أصحابه في ذلك ، فاختلفوا ، فقال : لو لم أكن أصبت ابن زياد وغيره من أشراف الشام لأجبت عبد الملك ، مع أني لا أختار على [أهل] ^(١) مضرى وعشيري غيرهم ، فدخل في طاعة مُضْعَب ، وبلغ مصعبا إقباله [إليه] ^(٢) ، فبعث المهلب على عمله بالموصل والجزيرة وإرمينية وأذربيجان .

قال : ثم دعا مُضْعَب بن الزبير أم ثابت بنت سمره بن جندب امرأة المختار ، وعمره بنت النعمان بن بشير الأنصاري امرأته الأخرى ، وسألها عنه ، فقالت أم ثابت : أقول فيه بقولك أنت فيه ، فأطلقها ، وقالت عمرة : رحمة الله عليه ، كان عبدا صالحا .

فكتب إلى أخيه عبد الله : إنها تزعم أنه نبي ، فأمره بقتلها ، فقتلت لبلابن الحيرة والكوفة ، فقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي ^(٣) :
 إن من أعجب العجائب ^(٤) عندي قتل بيضاء حرة عطيول ^(٥)
 قتلت هكذا على غير جرم ^(٦) إن لله درها من قتيـل
 كتيب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات ^(٧) جرؤ الذبول

وقيل : إن المختار إنما أظهر الخلاف على ابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة ، وإن مُضْعَبَا لما سار إليه فبلغه مسيره أرسل إليه

(١) سافط في ك .

(٢) الطبري : ١١٢-٦ ، والكمال : ٣-٣٨٦ ، والعقد الفريد : ٤-٤٠٧ .

(٣) في العقد : من أعظم المصائب .

(٤) في العقد : عطيل . والبيت في اللسان أيضا .

(٥) في العقد : قتلت هكذا على غير ذنب .

(٦) في العقد : وعلى الغايات ...

أحمر بن شُمَيْط ، وأمره أن يُواقِعَه بالمَدَار ، وقال : إن الفتح بالمَدَار^(١) ، لأنَّه بلغه أن رجلاً من ثَقِيف يُفَتِّحُ عليه بالمَدَار فتحٌ عظيم ، فظن أن « د » وإنما كان الحِجَّاج^(٢) في قتال عبد الرحمن ابن الأشعث ، وأمر مصعبُ عبادا الحَبِطِيَّ بالسَّير إلى جَمْعِ المختار ، فتقدَّم وتقدَّم معه عبيد الله بن عليّ بن أبي طالب ، وبقي مصعبُ على نهر البُضْرَيْن ، [على شط القرات]^(٣) ، وخرج المختار في عشرين ألفاً ، وزحف مصعبُ ومَنْ معه فواقوه مع اللَّيْل ، فقال المختار لأصحابه : لا يبرحنَّ أحدُ منكم حتَّى يسمَعَ منادياً ينادى : يا محمد ، فإذا سمعتموه فأحبلوا ، فلما طلع القمر أمر منادياً فنادى : يا محمد ، فحملوا على أصحابِ مُصْعَبٍ فهزموهم وأدخلوهم عسكرهم ، فلم يَرَالُوا يقاتلونهم حتَّى أصبحوا ، وأصبح المختارُ وليس عنده أحد ، وقد أوغَل أصحابُه في أصحابِ مُصْعَبٍ ، فأنصرف المختارُ منهزماً حتَّى دخل قَصْرَ الكوفة ، وجاء أصحابُه حين أصبحوا ، فوقفوا مَلِيّاً ، فلم يَرُوا المختارَ ، فقالوا : قد قُتِل ، فهرب منهم مَنْ أطاق الهَرَبَ ، فأخفقوا بدُور الكوفة ، وتوجّه منهم نحو القَصْرِ ثمانية آلاف ، فوجدوا المختار في القصر ، فدخلوا معه وكانوا قد قتلوا تلك اللَّيْلَةَ من أصحابِ مصعب خَلْقاً كثيراً ، منهم محمد بن الأشعث .

وأقبل مصعبُ فأحاط بالقَصْر ، وحاصره أربعة أشهر يخرجُ المختار كلَّ يوم فيقاتلهم في سوقِ الكوفة ، فلمَّا قُتِل المختار بعَثَ

(١) المذار : أرض بقرب الكوفة (البكرى) .

(٢) في الطبرى : إنما كان ذلك للحجاج بن يوسف .

(٣) زيادة من الطبرى .

من فى القصر يطلبون الأمان ، فأبى مصعب ، فنزلوا على حكمه ، فقتل من القرب سبعمائة أو نحو ذلك ، وسائرهم من العجم ، فكان عدة القتلى سبعة آلاف رجل ، وقيل : سبعة آلاف ، وذلك فى سنة [٥٦٧] سبع وستين ، وكان عمر المختار يوم قتل سبعا وستين سنة ، وكان تارة يدعو لمحمد ابن الحنفية ، وتارة لعبد الله بن الزبير . وحكى عبد الملك بن عبدون فى كتابه المترجم (كمامة الزهر وصدقة الدر) ، أن المختار ادعى النبوة وقال : إنه يأتبه الوحي من السماء ، وأظهر ذلك فى آخر أمره ، وكان له كرمى يستنصر به .

ذكر خبر كرمى المختار الذى كان يستنصر به

ويزعم أنه فى كتاب بنى إسرائيل

قال الطُّفَيْلُ بن جَعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ : أضقت^(١) إضافة شديدة ، فخرجت يوماً فإذا جأراً لى زِيَّات وعنده كرمى قد ركيه الوسخ ، فقلت فى نفسى : لو قلت للمختار فى هذا شيئا ، فأخذته من الزِّيَّات وغسلته ، فخرج عود نضار قد شرب الدهن وهو أبيض^(٢) ، فقلت للمختار : إني كنتُ أكنمك شيئا ، وقد بدا لى أن أذكره لك ، إن أبى جَعْدَةَ^(٣) كان يجلس عندنا على كرمى ، ويرى أن فيه أثراً من^(٤) علم . قال : سبحان الله ، أخرته لى هذا الوقت ! ابعت به لى ، فأحضرته وقد غشيتته ، فأمر لى بآئنى عشر ألفا ، ثم أمر فنودى : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فقال : إنه لم يكن فى الأمم الخالية أمر إلا وهو

(١) فى الطبرى (٧-٨٢) : أعدمت مرة من الورق .

(٢) فى الطبرى : بيض ، وفى الكامل : بيض .

(٣) فى الطبرى : كان جملة بن هيرة . (٤) فى الكامل : أثرا من على .

كائن في هذه الأمة مثله ، وإنه كان لبني إسرائيل التابوت ، وإن هذا
 فينا مثله ، فكشفوا عنه وقامت السبائية^(١) فكبروا ، ثم لم
 يلبث أن أرسل المختار الجيش لقتال ابن زياد ، وخرج بالكرمي
 على بغل وقد غُشي ، فكان من هزيمة أهل الشام وقتل أشرافهم ما ذكرناه ،
 فزادهم ذلك فتنة حتى تعاطوا الكفر .

قال الطفيل : فندمتُ على ما صنعتُ ، فتكلم الناس في ذلك ،
 فغيبه المختار .

وقيل : إن المختار قال لآل جعدة بن هبيرة - وكانت أم جعدة هي
 أم هاني بنت أبي طالب أخت علي رضي الله عنه لأبويه - اتنوني
 بكرمي علي ، فقالوا : والله ما هو عندنا ، فقال : لا تكونوا حنفي ،
 اذهبوا فاتنوني به ، فظنوا أنهم لا يأتونه بكرمي إلا قال : هذا هو ،
 فاتنوه بكرمي ، فأخذوه وخرجت شبام وشاكر وفودا ، يعني أصحاب
 المختار ، وقد جعلوا عليه الحرير^(٢) ، وكان أول من سدنه موسى
 ابن أبي موسى الأشعري ، فعتب الناس عليه ، فتركه فسدنه حوثب
 البرسجي حتى هلك المختار .

وقال أعشى همدان فيه^(٣) :

شهدت عليكم أنكم سبئية ولاني بكم ياشرطة الشرك عارف
 فأقسم ما كثرسيكم بسكبئية وإن كان قد لقت عليه ألفائف
 وأن ليس كالتابوت فينا وإن سعت شبام حوالينه ونهد وخارف

(١) السبائية : ينسبون إلى عبد الله بن سبأ ، وهم من غلاة الشيعة .

(٢) في الطبري : وقد عصبوه بالحرير . وفي الكامل : وقد جعلوا عليه الحرير .

(٣) والطبري : ٦-٨٣ ، والكامل : ٣ - ٣٧٨ .

ولمَّنى أمروءٌ أحببتُ آلَ محمدٍ وتابعتُ وخيًّا ضُمنَّته المصاحفُ
ويابعتُ^(١) عبدَ الله لما تتابعتُ عليه قريشُ شُطَّها والخطارُ
وقال المتوكل اللبثي^(٢) :

أبلغُ أبًا إسحاقَ إن جئتُه أنى بكرسيكم كافِرُ
تنزوا شِبامَ حَوْلِ أعواده ويخيلُ^(٣) الوحيَ له شاكِرُ
محمرَّةٌ أعينُهم حَوْلَهُ كأنَّهم الحامضُ^(٤) الحازِرُ
انتهت أخبارُ المختارِ بنِ أبى عُبَيْدة ، فلنذكر أخبارَ نَجْدَةِ الحنفى ،
[والله ولىّ التوفيق]^(٥) .

ذِكْرُ أَخْبَارِ نَجْدَةِ بَنِ عَامِرِ الْحَنْفَى

حين وثب باليمامة وما كان من أمره

كان نَجْدَةُ بَنُ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِيَّارِ بْنِ مَفْرَجِ الْحَنْفَى
مع نافع بن الأزرق ، ففارقه وسار إلى اليمامة ، وكان أبو طالوت^(١)
وهو من بنى بكر بن وائل ، وأبو فُدَيْكٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ ثَوْرِ بْنِ قَيْسِ
ابن ثعلبة ، وعطيّة بن الأسود اليشكري قد وثبوا بها مع أبى طالوت ،
فلما قدما نَجْدَةَ دعا أبى طالوت إلى نفسه ، فأجابه بعد امتناع ،
ومضى أبو طالوت إلى الخَضَارمِ^(٧) ، فنهبا ، وكانت لبني حنيفة ،

(١) في الطبرى : وتابعت عبد الله .

(٢) والطبرى : ٦-٨٤ .

(٣) في الطبرى ، والكامل : وتحمل .

(٤) في الطبرى : الحمض الحادر .

(٥) ليس في د .

(٦) في الكامل : ودعا أبو طالوت إلى نفسه . وفي د : أبو طالب - تحريف .

(٧) في ياقوت : والخضارم : واد باليمامة .

فأخذها منهم معاوية بن أبي سفيان ، فجعل قبيها من الرقيق ماعدتهم
 وعدة أبنائهم ونسأهم أربعة آلاف ، فغنم ذلك وقسمه بين أصحابه ،
 وذلك في سنة [٥٦٥هـ] خمس وستين ، ثم إن عيثراً خرجت من البحرين -
 وقيل من البصرة - تحمل مالا وغيره يراد بها عبدُ الله بن الزبير ،
 فأعرضها نجدة ، فأخذها وساقها حتى أتى بها أبا طلوت بالخضارم ،
 فقسمها بين أصحابه ، وقال : افتسموا هذا المال - وردوا هذه العبيد ،
 واجعلوهم يعملون بالأرض^(١) لكم ، فإن ذلك أنفع ، فأقتسموا
 المال ، وقالوا : نجدة خير لنا من أبي طلوت ، فخلعوا أبا طلوت ،
 وباعه وأنجدة ، ثم بايعه أبو طلوت ، وذلك في سنة [٥٦٦هـ] ست وستين .
 ولما تمت بيعته بينهم صار في جمع إلى بني كعب بن ربيعة
 ابن عامر بن صعصعة ، فلقبهم بذي المجاز^(٢) فهزمهم وقتل فيهم
 قتلاً ذريعاً ، ثم كثرت جموعه حتى بلغت ثلاثة آلاف ، فسار إلى
 البحرين في سنة [٦٧ هـ] سبع وستين ، فقالت الأزْد : نجدة
 أحب إلينا من ولاتنا لأنه ينكر الجور ، وولاتنا تجور ، فعزمو
 على مسالته ، واجتمعت عبد القيس ومن بالبحرين^(٣) غير الأزْد
 على محاربتة ، فالتقوا بالقطيْف^(٤) ، فانهزمت عبد القيس ، وقتل
 منهم جنع كثير ، وسبى نجدة من قدر عليه من أهل القَطيْف ،
 وأقام بالبحرين^(٥) .

(١) في ك : الأرض .

(٢) ذو المجاز : موضع سوف عرقه ، كانت به تقوم في الجاهلية ثمانية أيام .

(٣) في ك : ومن البحرين .

(٤) القَطيْف - بالقنح ثم الكسر : مدينة بالبحرين ، وهي لعبد القيس (المرصد) .

(٥) في الكامل (٣-٣٥٢) : وأقام نجدة بالقطيْف ووجه ابنه في جمع إلى المهزمين من عبد القيس فقاتلوه ، وأرسل نجدة سرية إلى الخط ، وأقام نجدة بالبحرين .

فلَمَّا قدم مصعب إلى البصرة في سنة [٥٦٩ هـ] تسع وستين
بعث إليه عبد الله بن عمير الليثي الأعور في أربعة عشر ألفاً ، وقيل :
في عشرين ألفاً ، فجعل يقول : اثبت نَجْدَةَ فَإِنَّا لَا نَفِرُ ، فقدم
ونَجْدَةُ بالقَطِيف ، فَأَتَى نَجْدَةَ إِلَى ابْنِ عُمَيْرٍ وهو غافل فقاتل طويلاً ،
ثم أفترقوا ، وأصبح ابنُ عُمَيْرٍ فهاهه ما رأى في عسكره من القتل
والجرحى ، فحمل عليهم نَجْدَةَ ، فلم يشبتوا ، وأهزموا ، وغنم نَجْدَةُ
ما في عسكرهم .

وبعث نَجْدَةَ بعد هزيمة ابن عمير جيشاً إلى عُمان ، واستعمل عليهم
عطية بن الأسود الحنفى ، وقد غلب عليها عبّاد بن عبد الله وابناه
سعيد وسليمان ، فقاتلوه ، فقتل عبّاد وأستولى عطية عليها ، فأقام
بها أشهراً ، ثم خرج عنها ، وأستخلف رجلاً يُكنى أبا القاسم ، فقتله
سعيد وسليمان أبنا عبّاد ، فعاد إلى عُمان فلم يقدر عليها ، فركب
في البحر وأتى كِرْمَانَ^(١) ، وضرب بها دراهم سماها العَطَوِيَّة ،
فأرسل إليه المهلب جيشاً ، فهرب إلى سجستان ، ثم أتى السند ،
فقتلته خيلُ المهلب بِقَنْدَابِيلِ^(٢) .

وبعث نَجْدَةَ إلى البوادي من يأخذ صدقة أهلها ، ثم سار نَجْدَةُ
إلى صنعاء في خف^(٣) من الجيش ، فبايعه^(٤) أهلها ، وبعث أباناً فديك
إلى حضرموت فجبى صدقات أهلها ، وحج نَجْدَةَ سنة (٥٦٨)

(١) يفتح الكاف وكسرهما كما في ياقوت .

(٢) قندابيل - بالفتح ثم السكون والذال المهملة وبعد الألف باء موحدة
مكسورة ثم ياء بنقلتين من تحت ولام : مدينة بالسند قسبة لولاية (المراد) .

(٣) الخف - بالكسرة : الجماعة القليلة (القاموس) .

(٤) في ك : فصالحه .

ثمان وستين ، وقيل في سنة تسع ، وهو في ثمانمائة وستين رجلاً ،
وقيل في ألفين وستمائة رجل ، فصالح ابن الزبير على أن يُصلى كل واحد
بأصحابه ، ويقف بهم ، ويكف بعضهم عن بعض ، فلما صدّر
نَجْدَة عن الحج سار إلى المدينة ، فتأهب أهلها لقتاله ، وتقلّد عبد الله
ابن عمر سيفاً ، فلما أخبر نَجْدَة أن ابن عمر لبس السلاح رجع
إلى الطائف ، فلما قُرب منها أتاه عاصم بن عُرْوَة بن مسعود الثقفي ،
فبايعه على قومه ، فرجع نَجْدَة إلى البحرين ، فقطع الميرة عن أهل
الحرّمين ، فكتب إليه ابن عباس : إنّ ثَمَامَة بن أثال لما أسلم قطع
الميرة عن أهل مكة وهم كفّار ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه
وسلّم : إنّ أهل مكة أهل الله ، فلا تمنعهم الميرة ، فخلّاهم^(١) لهم ،
وإنّك قطعْتَ الميرة عنا ونحن مسلمون ، فخلّاهم^(١) لهم نَجْدَة ،
لم تزل عمّال نَجْدَة على النواحي حتى اختلف عليه أصحابه ، على
ما تذكره . [والله أعلم]^(٢) .

(١) في الكامل : فجعلها لهم .

(٢) ساقط من د .

ذكر الخلاف على نجدة وقتله وتولية أبى فديك

قال : ثم إن أصحاب نجدة اختلفوا عليه لأسباب نعيموها منه ، فخالف عليه عطية بن الأسود ، وسبب ذلك أن نجدة بعث سرية برًا وبحرا ، فأعطى سرية البر أكثر من سرية البحر ، فنازعه عطية حتى أغضبه ، فشتمه نجدة ، فغضب عطية وفارقه ، وألب الناس عليه ، فخالفوه وأنحازوا عنه ، ووكّوا أمرهم أبا فديك عبد الله بن ثور ، من بنى قيس بن ثعلبة ، فاستخفى نجدة ، وقيل لأبى فديك : إن لم تقتله تفرق الناس عنك ، فألح فى طلبه حتى ظفّر به أصحابه ، فقتلوه ، فلما قتل نجدة سخط قتله جماعة من أصحاب أبى فديك ، ففارقوه وثار به مسلم بن جبير فضربه اثنتى (١) عشرة ضربة بسكين ، فقتل مسلم ، وحُمل أبو فديك إلى منزله .

هذا ما كان من أمر الخوارج الذين خرجوا على عبد الله بن الزبير فى أيام خلافته ، فلنذكر خلاف ذلك مما وقع فى أيامه بالأعمال الداخلة فى ولايته .

ذكر الحوادث التي وقعت في أيام عبد الله بن الزبير

خلاف ما ذكرناه في الأعمال الداخلة في ولايته على حكم السنين

سنة اربع وستين

قد ذكرنا بعض حوادث هذه السنة في أخبار يزيد ، فلنذكر من حوادثها خلاف ذلك :

فيها حج عبدُ الله بن الزبير بالناس ، وكان عامله على المدينة أخوه عبدة بن الزبير ، وعلى الكوفة عبدُ الله بن يزيد الخطمي^(١) ، وعلى قضائها سعيد بن نمران ، وأبى شريح أن يقضى في الفتنة وعلى البصرة عمر بن عبدة بن معمر التيمي ، وعلى قضائها هشام بن هبيرة ، وعلى خراسان عبد الله بن خازم .

سنة خمس وستين

في هذه السنة عزل عبدُ الله بن الزبير أخاه عبدة عن المدينة ، وأستعمل أخاه مصعباً ، وسبب ذلك أن عبدة خطب الناس فقال : قد ترون ما صنع الله بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة^(٢) درهم ، فسمى : مقوم الناقة ، فبلغ ذلك أخاه ، فعذله ، وأستعمل مصعباً ،

(١) الخطمي : بفتح الخاء وسكون الطاء المهملة ، وفي آخره ميم (الباب) .

(٢) في الكامل : قيمتها خمسة دراهم .

ذكر بناء ابن الزبير الكعبة

كان عَبْدُ اللَّهِ بن الزبير لما أحرقت الكعبة - حين غَزَاهُ أَهْلُ الشام في أيام يزيد بن معاوية ، قد تركها ليشنع بذلك على أَهْل الشام . وقد اختلفَ في سبب حَرَقِ الكعبة ، فقيل : إن ابن الزبير لما حاصره أَهْلُ الشام سمع أصواتًا في اللَّيْل فوق الجبل (١) ، فخاف أن يكون أَهْلُ الشام قد وصلوا إليه ، وكانت الليلة ظُلُماء ذات ريح صعبة ورعد وبرق ، فرفع نَارًا على رَأْسِ رُمَحٍ لينظرَ إلى الناس ، فأطارتها الرِّيح ، فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها ، وجهد الناس في إطفائها فلم يَقْدِرُوا ، فأصبحت الكعبة تنهافت (٢) ، وماتت امرأة من قريش ، فخرج الناس كُلُّهم مع جنازتها خوفًا من أن ينزل عليهم العذاب ، وأصبح ابن الزبير ساجدًا يذعو ويقول : اللهم إني لم أعتيد ما جرى ، فلا تهلك عبادك بذنبي ، وهذه ناصيتي بين يديك . فلما تعالى النهارُ آمِنَ وتراجعَ الناس . حكاه أبو الفرج الأصفهاني بسند (٣) رفعه إلى أبي بكر الهُلَلي ، وقيل في حرقها غير ذلك .

فلما مات يزيد وأستقرَّ الأمر لابن الزبير ، شرع في بنائها ، فأمر بهدمها حتى ألحقت بالأرض ، وكانت حيطانها قد مالت من حجارة المنجنيق ، وجعل الحجرَ الأسوةَ عنده ، وكان الناس يطوفون مِنْ وراء

(١) في ك : الخيل .

(٢) تناسط .

(٣) الأغاني : ٣-٢٧٧ .

الأساس ، وضرب عليها الستور^(١) ، وأدخل فيها الحجر ، واحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله عنها : لولا حديثان^(٢) [عهد^(٣) قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم عليه [الصلاة والسلام]^(٤) ، وأزيد فيها من الحجر ، فحضر ابن الزبير [رضى الله عنهما]^(٥) ، فوجد أساسا أمثال الجمال^(٥) فحزكوا منها صخرة فبرقت بارقة ، فقال : أقرؤها على أساسها ، وبناها ، وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر . وقيل : كانت عمارتها في سنة [٦٤ هـ] أربع وستين . [والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب]^(٦) .

ذكر الحرب بين عبد الله بن خازم

وبين بنى تميم بخراسان

في هذه السنة كانت الحرب والفتنة بين عبد الله بن خازم السلمى وبين بنى تميم بخراسان ، وسبب ذلك أن من كان من بنى تميم بخراسان أعانوا ابن خازم على من بها من ربيعة كما تقدم ، فلما صفت له خراسان جفا بنى تميم ، وكان قد جعل ابنه محمداً على هراة ، وجعل على شرطته بكير بن مساج^(٧) ، وضم إليه شماس بن دثار العطاردى

(١) في الكامل : السور .

(٢) حديثان الشيء - بالكسر : أوله .

(٣) من د . (٤) من ك .

(٥) في ك : الجبال . والمثبت في الكامل أيضا ، وفي الطبرى : فوجدوا قلاعاً

مثال الإبل .

(٦) ساقط من د .

(٧) الضبط في د : والقاموس . وفي الطبرى ، والكامل : وشاح .

وكانت أم محمد تميمية ، فلما جفاهم ابنُ خازم ^(١) أتوا أبته محمداً بهراً ، فكتب إلى أبيه وإلى بكير وشماس ، يأمرهم بمنعهم عن هراة ، فأما شماس فصار مع بنى تميم ، وأما بكير فإنه منعهم ، فأقاموا ببلاد هراة ، فأرسل بكير إلى شماس : إني أعطيك ثلاثين ألفاً ، وأعطى كل رجل من تميم ألفاً ، على أن ينصرفوا ، فأبوا وأقاموا يترصدون محمداً بن عبد الله حتى خرج إلى الصيد ، فأخلوه وشدوه وثاقاً ، ثم قتلوه ، وولّوا عليهم الحريش ^(٢) بن هلال ، فكانت الحربُ بينه وبين ابن خازم ، وطالت بينهما ، فخرج الحريش ، فنادى ابن خازم ، وقال : لقد طالت الحربُ بيننا ، فعلامٌ يُقتل قومي وقومك ، ابرز إلى فأينما قتل صاحبه صارت الأرض له ، فقال ابن خازم : لقد أنصفتُ ، فبرز إليه ، فالتقيا وتصارولا طويلاً ، ففعل ابن خازم ، فضربه الحريش على رأسه فألقى فرّوه رأسه على وجهه ، وأنقطع ركباً الحريش ، ولزم ابن خازم عنق فرسه ، ورجع إلى أصحابه ، ثم غاداهم القتال ، فمكثوا أياماً بعد الضربة ، ثم ملّ الفريقان ، فتنفروا ، فافترقت تميم ثلاث فرق : فرقة إلى نيسابور مع بحير ^(٣) ابن ورقاء ، وفرقة إلى ناحية أخرى ، وفرقة فيها الحريش ^(٤) إلى مرو الروذ ، فاتبعه ابن خازم إلى قرية تسمى الملحمة ^(٥) ، والحريش

(١) في الكامل : فلما جفا ابن خازم بنى تميم .

(٢) الحريش - بالحاء والراء المهملتين والشين المعجمة (الكامل ٣-٣٥٦) .

(٣) في الكامل (٣-٣٦٥) : بحير - بفتح الباء الموحدة والحاء المهملة المكسورة .

وفي ك : بحير .

(٤) في ك : الحريش - بالحاء - تحريف .

(٥) في ك : الملحمة . والمثبت في د .

في اثني عشر رجلاً ، وقد تفرق عنه أصحابه وهم في خربة ، فلما انتهى إليه قال له الحريش : ما تريد مني وقد خلّيتك والبلاد ، قال : إنك تعود إليها ، قال : لا أعود ، فصالحه على أن يخرج عن خراسان ولا يعود إلى قتاله ، فأعطاه ابن خازم أربعين ألفاً ، وفتح له الحريش باب القصر ، فدخله ابن خازم وضمن له وفاء دينه .

وفي هذه السنة [سنة ٦٥] وقع طاعون الجارف^(١) بالبصرة ، وعليها عبيد الله بن عبد الله بن معمر ، فهلك خلق كثير ، وماتت أم عبيد الله فلم يجدوا لها من يحملها ، حتى استأجروا من تولّى حملها .

وحج بالناس عبد الله بن الزبير ، وكان على المدينة مضعب ابن الزبير ، وعلى الكوفة عبد الله بن مطيع ، وعلى البصرة الحارث ابن أبي ربيعة المخزومي ، وعلى خراسان عبد الله بن خازم .

وفيها توفي عبد الله بن عمرو بن العاص بمصر ، وكان قد عمى . وقيل : كانت وفاته في سنة [٦٨ هـ] ثمان وستين ، وقيل سنة تسع ، [والله أعلم]^(٢) .

(١) في ك : الجارف .

(٢) من د .

سنة ست وستين

ذكر الفتنة بخراسان

في هذه السنة حاصر عبد الله بن خازم من كان بخراسان من بني تميم بسبب قتلهم
أبيه محمداً ، وذلك أنه لما تفرقت بنو تميم بخراسان على ما تقدم ،
أتى قصر قزنباً^(١) عدة منهم ما بين السبعين إلى الثمانين ، فولوا أمرهم
عثمان بن بشر [بن]^(٢) المَحْتَفَز المازنى^(٣) ، ومعه شعبة بن ظهير
النَهْشَلِي ، ووَرْد بن الفَلَق العنبري ، وزهير بن ذؤيب العلوي ،
وجيهان بن مَشْجَعَة الضبي ، والججاج بن ناشب العلوي ، وربة
ابن الحر في فرسان بني تميم وشجعانهم ، فحاصروهم ابن خازم ، فكانوا
يخرجون إليه فيقاتلونه ، ثم يرجعون إلى القصر ، فخرج ابن خازم
يوماً في ستة آلاف ، وخرج أهل القصر إليه ، فقال لهم بشر :
ارجعوا فلن تطيقوه ، فحلف زهير بن ذؤيب بالطلاق إنه لا يرجع
حتى ينقض^(٤) صفوفهم ، فاستبطن نَهراً قد يبس ، فلم يشعر به
أصحاب ابن خازم حتى حمل عليهم ، فحطم^(٥) أولهم على آخرهم ،
واستدار وكرّ راجعاً ، وأتبعوه يصيحون به ، ولم يجسر أحد ينزل
إليه حتى رجع إلى موضعه ، فحمل عليهم ، فأفروا له حتى رجع ،

(١) قصر قزنباً - يفتح القاف والراء وسكون النون وباء موحدة : موضع
بخراسان . وقيل : بمر ، وفي الطبري (٦-٧٧) : قزنا . وفي المراسد : قزنا - يفتح
أوله وسكون ثانيه ، وناث مثناة من فوق ونون مفتوحة - مقصور : قصر بمر الروذ .

(٢) من الطبري .

(٣) في الطبري : المزني .

(٤) في الكامل : يتعرض .

(٥) في الكامل : فحط .

فقال ابنُ خازم لأصحابه : إذا طاعنتم زهيراً فأجعلوا في رماحكم
 كلاليب ، ثم علقوها في سِلاحه ، فخرج إليهم يوماً فطاعنهم ،
 فأعلقوا فيه أربعة رماح بالكلاليب ، فالتفت إليهم ليحمل عليهم ،
 فاضطربت أيديهم ، وخطلوا رماحهم ، فعاد يجر أربعة أرماع حتى
 دخل القصر ، فأرسل ابن خازم إلى زهير ، فضمين^(١) له مائة ألف
 وميسان^(٢) طعمة ليتأصحه ، فلم يُعِبه ، فلما طال الحصار عليهم
 أرسلوا إلى ابنِ خازم أن يمكّنهم من الخروج ليتفرقوا ، فأبى إلا على
 حكمه ، فأجابوه إلى ذلك ، فقال زهير : ثكلتكم أمهاتكم ، والله
 ليقتلنكم عن آخركم ، فإن طِبْتُم بالموت نفْساً فموتوا كراماً ، اخرجوا
 بنا جميعاً ، فيما أن تموتوا كراماً ، وإما أن ينجو بعضكم وبهلك
 بعضكم ، وأيم الله لئن شدّدتم عليهم شدّة صادقة ليفرجن لكم ،
 فإن شئتم كنتُ أمامكم ، وإن شئتم كنتُ خلفكم ، فأبوا
 عليه ، فقال سأريكم ، ثم خرج هو ورقبة بن الحُر و غلام
 تركي وأبن ظهير ، فحملوا على القوم حملة منكراً فأفرجوا لهم ،
 فمضوا . فأما زهير فرجع إلى مَنْ بالقصر ونجا أصحابه ،
 فقال زهير لمنْ بالقصر : قد رأيتم ، أطيعوني ، فقالوا : إنا نضعف
 عن هذا ونطمع في الحياة ، فقال : والله لا أكون أعجزكم عند الموت ،
 فنزلوا على حكم ابن خازم ، فأرسل إليهم فقيدهم ، وحملوا إليه
 رجلاً رجلاً ، فأراد أن يَمُنَّ عليهم ، فأبى عليه ابنه موسى ، وقال له :
 إن عفوت عنهم قتلتُ نفسى ، فقتلهم إلا ثلاثة ، أحدهم الحجاج

(١) في الكامل : يضمن .

(٢) ميسان - بالفتح ثم السكون وسين مهملة ، وبعد الألف نون : كورة

واسعة كثيرة القرى والتخل بين البصرة وواسط قصبها ميسان (المراصد) .

ابن ناشب ، شفع فيه بعض مَنْ معه فأطلقه ، والآخر جيهان ابن مشجعة الضبّي ، وكان قد منع القوم من قتل محمد عبد الله ، ورمى نفسه عليه ، فأبوا ، فتركه لذلك ، والآخر رجل من بني سعد من نعيم ، وهو الذي ردّ الناس عن ابن خازم يوم لحقوه ، وقال : انصرفوا عن فارس مُضر .

قال : ولما أرادوا حملَ زهير بن ذؤيب وهو مقيّد أبيّ ، واعتمد على رُمحه ، فوثب الخندق ، ثم أقبل إلى ابن خازم يحجّل في قيوده ، فقال له ابنُ خازم : كيف شكرُك إن أطلقنك وأطعمتك مَيْسان ؟ قال : لو لم تصنع بي إلاّ حقن دمي لشكرتك ، فلم يمكنه أبنه موسى من إطلاقه ، فقال له أبوه : ويحك ، تقتل مثل زهير ، مَنْ لقتال عدو المسلمين ، مَنْ ^(١) لنساء العرب ؟ فقال : والله لو شركت في دم أخى لقتلتك ، فأمر بقتله ، فقال زهير : [إن] ^(٢) لي حاجة ، لا تقتلني وتخلط دمي بدماء هؤلاء اللّثام ، فقد نهيتهم عما صنعوا ، وأمرتهم أن يموتوا كراماً ويخرجوا عليكم مُضِلّين ، وأيم الله لو فعلوا لدعروا ^(٣) بنيك هذا . وشغلوه بنفسه عن طلب ثأر أخيه ، فأمر به ابن خازم فقتل ناحية .

وحجّ بالناس في هذه السنة عبدُ الله بن الزبير .

(١) في الكامل : من لحمى نساء العرب .

(٢) ساقطة في ك .

(٣) في الكامل : لأدعروا بنيك .

سنة سبع وستين

في هذه السنة استعمل عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً على البصرة ،
 [فقتل المختار كما تقدم ، ثم عزّله عن العراق ، واستعمل ابنه
 حمزة بن عبد الله . وكان حمزة جواداً مخلطاً ، يوجد أحياناً حتى لا يدع
 شيئاً يملكه ، ويمنع أحياناً ما لا يمنع مثله ، وظهر منه بالبصرة خفة
 وضعف ، فكتب الأحنف إلى أبيه ، وسأله أن يعزّله عنهم ، ويعيد
 مصعباً ، فعزّله ، فاحتمل مالاً كثيراً من مال البصرة ، فعرض له مالك
 ابن مسعود ، فقال : لاندعك تخرج بأعطياتنا ؛ فضمن له عبيد الله
 ابن عبيد الله العطاء ، فكف عنه ، وشخص حمزة بالمال إلى المدينة ،
 فأودعه رجالاً ، فجلدوه ، إلا رجلاً واحداً ، فوفى له ، فبلغ ذلك أباه ،
 فقال : أبعد الله ، أردت أن أباهي به بنى مرزبان فنكص .

وقيل : إن مصعباً أقام بالكوفة سنة بعد قتل المختار معزولاً
 عن البصرة ، ثم وفد إلى أخيه فردّه إلى البصرة ، وقيل : بل أنصرف
 مصعب إلى البصرة بعد قتل المختار ، واستعمل على الكوفة الحارث بن أبي
 ربيعة ، وكانها في عمله ، فعزّله أخوه ، واستعمل ابنه حمزة ، ثم عزل حمزة
 بكتاب الأحنف وأهل البصرة ، وردّ مصعباً ، وذلك في سنة [٥٦٨]
 ثمان وستين .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكان العمال
 من تقدم ذكرهم ، وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود ،
 وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة .

سنة (٦٨ هـ) ثمان وستين

ذكر حصار الرى وفتحها

وفى هذه السنة أمر مُضْعَبُ بْنُ الزُبَيْرِ عَتَابَ بْنَ وَرْقَاءَ الرِّيَاحِيِّ عامِلَهُ عَلَى أَصْفَهَانَ بِالمسير إِلَى الرِّىِّ وَقِتَالِ أَهْلِهَا ، لِمَسَاعِدَتِهِمُ الْخَوَارِجَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْحَارِثِ ، كَمَا تَقَدَّمَ ، وَأَمْتَنَاعِهِمْ فِي مَدِينَتِهِمْ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ عَتَابٌ ، وَقَاتَلَهُمْ ، وَعَلَيْهِمُ الْفَرُخَانُ فَفَتْحَهَا عَنُوةً ، وَغَنِمَ مَا فِيهَا وَافْتَتَحَ سَائِرَ قُلَاعِهَا وَتَوَاحِيهَا . [وَاللَّهُ أَعْلَمُ] (١)

ذكر أخبار عبيد الله بن الحر ومقتله

وفى هذه السنة قَتَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُرِّ الْجُعْفَى ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ قَوْمِهِ صَلَاحًا وَفَضْلًا وَاجْتِهَادًا ، وَلَمَّا قَتَلَ عُثْمَانَ حَضَرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَشَهِدَ مَعَهُ صِغْفَيْنِ وَأَقَامَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ ، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ بِالكُوفَةِ ، فَلَمَّا طَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنْهَا زَوَّجَهَا أَخُوَهَا رَجُلًا ، يُقَالُ لَهُ عِكْرَمَةُ بْنُ الْخَنْبُصِ (٢) ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُبَيْدُ اللَّهِ ، فَأَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ فَخَاصَمَهُ عِكْرَمَةُ إِلَى عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَقَالَ لَهُ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ظَاهَرْتُ عَلَيْنَا عَدُوَّنَا وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ . فَقَالَ لَهُ : أَيْمَنَعْنِي ذَلِكَ مِنْ عَذْلِكَ ؟ قَالَ : لَا . فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ فَرَدَّ عَلَيْهِ أَمْرَاتَهُ وَكَانَتْ حُبْلَى ، فَوَضَعَهَا عِنْدَ مَنْ يَثِيقُ إِلَيْهِ حَتَّى وَضَعَتْ فَأَلْحَقَ الْوَلَدَ بِعِكْرَمَةَ ، وَدَفَعَ الْمَرْأَةَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ : وَعَادَ إِلَى الشَّامِ فَأَقَامَ بِهِ حَتَّى قَتَلَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَرَجَعَ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَلَمَّا كَانَ

(١) ساقط في د .

(٢) هذا في ك : د . وفى الكامل : الخبيص . والأضبط في ك .

في وقت قتل الحسين تغيب عبيد الله عمداً ، فجعل ابن زياد ينفقُد
أشراف أهل الكوفة ، فلم ير ابن الحرّ ثم جاء بعد (١) ذلك فقال :
أين كنت يا ابن الحرّ ؟ قال : كنتُ مريضاً . قال : كذبتُ ،
ولكنك كنت مع عدونا . قال : لو كنتُ معه لرُئي مكاني . وغفل عنه
ابن زياد ، فخرج وركب فرسه ، ثم طلبه فقبيل له : ركب الساعة ،
فبعث الشرط خلفه فأدركوه فقالوا : أجب الأمير ، فقال : بلغوه
عني أني لا آتيه طائعا أبداً ، وركض فرسه ، وأتى منزل أحمد بن زياد
الطائي ، فاجتمع إليه أصحابه ، ثم خرج حتى أتى كربلاء ، فنظر إلى
مصارع الحسين رضي الله عنه ، ومن قتل معه ، فاستغفر لهم ثم مضى
إلى المدائن . وقال في ذلك (٢) :

يقول أمير غادرٍ حتى (٣) غادرٍ ألا كنت قاتلت الشهيد (٤) ابن فاطمة
ونفسي على خذلانه واعتزاليه وبيعة هذا الناكث العهد لائمه
فياندمي ألا أكون نصرته ألا كل نفس لا تسدّ ناديه
وإنني لأنني لم أكن من حماته لدو حسرة ما إن تفارق (٥) لائمة
مقى الله أرواح الذين تآزروا على نصره سُفياً (٦) من الغيث دائمة
وقفت على أجدادهم ومجالهم فكاد الحثي ينقض والعين ساجمه

(١) في الكامل : ثم جاءه بعد أيام .

(٢) الأبيات في الكامل : ٣-٣٩٣ .

(٣) في الكامل : وابن غادر .

(٤) في الكامل : الحسين .

(٥) في الكامل : ألا تفارق .

(٦) في الكامل : تبادروا ... إلى نصره سحا ...

لَعُمْرِى لَقَدْ كَانُوا مَصَالِيَتْ فِي الْوَعَى سِرَاعًا إِلَى الْهَيْجَا حُمَاةَ خَضَارِمِ
تَأَسُّوْا عَلَى نَضْرِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيَّهِمْ بِأَسْيَافِهِمْ آسَادُ غَيْلٍ ضَرَاغِمِ
فَانِ يُقْتَلُوا فَكُلُّ^(١) نَفْسٍ تَقِيَّةٍ عَلَى الْأَرْضِ قَدْ أَضْحَتْ لِلذَّكَ وَاجِمِ
وَمَا إِنْ رَأَى الرَّاعُونَ أَفْضَلَ مِنْهُمْ لَدَى الْمَوْتِ سَادَاتٍ وَزَهْرًا^(٢) بِقَمَاقِمِ
أَنْقَتَلَهُمْ ظَلَمًا وَتَرْجُو وَدَادَنَا قَدْغُ خَطَّةٌ لَيْسَتْ لَنَا بِمُلَامِمِ
لَعُمْرِى لَقَدْ رَاغَبْتُمُونَا بِقَتْلِهِمْ فَكَمْ نَاقِمٍ مَنَا عَلَيْكُمْ وَنَاقِمِ
أَهْمُ مِرَارًا أَنْ أَسِيرَ بِجَحَلٍ إِلَى فِتَّةٍ زَاغَتْ عَنِ الْحَقِّ ظَالِمِ
فَكْفُوا وَإِلَّا زَرْتَكُمْ فِي^(٣) كِتَابِ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ مِنْ زُخُوفِ الدِّيَالِمِ

قال :- وأقام ابن الحر بمنزله على شاطئ الفرات إلى أن مات

يزيد ، ووقعت الفتنة ، فقال : ما أرى قرشياً يُنصف ، أين أبناء
الحرائر ؟ فأتاه كلُّ خليع ، ثم خرج إلى المدائن فلم يدغ ما لا قدم به
للسلطان^(٤) إلا أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ، ويكتب لصاحب
المال بما أخذ منه ، ثم جعل يتقصى الكور على مثل ذلك ، إلا أنه لم يعترض
لمال أحد ولا دبه ، فلم يزن كذلك حتى ظهر المختار وسمع ما يعمله
ابن الحر في السواد ، فلأخذ امرأته^(٥) فحبسها ، فأقبل عبید الله
في أصحابه إلى الكوفة ، فكسر باب السجن ، وأخرجها ، وأخرج
كلَّ امرأة كانت فيه ، ومضى ، وجعل يعيث بعمال المختار وأصحابه ،
فأحرقت داره في همدان ، ونهبت ضيعته ، فسار إلى ضياع همدان

(١) في الكامل : في كل .

(٢) د : وزهر - بكسر الراء . وفي الكامل : وزهر .

(٣) في الكامل : زدكم بكتائب .

(٤) في ك : السلطان .

(٥) امرأته أم سلمة الجعفية كما في الطبري .

فنهبها^(١) جميعا ، وكان يأتى المدائن فيمرُّ بعمال جُوْنَى^(٢) فيأخذ ما معهم من المال ، ثم يميل على الجبل ، فلم يزل على ذلك حتى قتل المختار .

وقيل : إنه بايع المختار بعد امتناع ، وسار مع إبراهيم بن الأشتر إلى الموصل ، ولم يشهد معه قتال ابن زياد ، وتمارض ، ثم فارق ابن الأشتر ، وأقبل إلى الأنبار في ثلاثمائة ، فأغار عليها ، وأخذ ما في بيت مالها ، فلما فعل ذلك أمر المختارُ بهدم داره وأخذ امرأته ، ففعل ما تقدّم ذكره ، وحضر مع مُصعب قتال المختار ، فلما قتل المختارُ قال الناس لمصعب : إنا لا نأمن أن يثب عبيد الله بن الحرّ بالسواد كما فعل بابن زياد والمختار ، فحبسه ، فكلّم قوما من وجوه مذحج ليشفعوا له إلى مصعب ، وأرسل إلى فتيان مذحج ، فقال : البسوا السلاح واستروه ، فإن شفّعهم مصعب وإلا فاقصدوا السجن فإني سأعينكم من داخل .

فلما شفّع أولئك النفر شفّعهم مُصعب فيه ، وأطلقه ، فأتى منزله ، وأثناء الناس يهثوونه ، فكلّمهم في الخروج على مصعب ، وقال لهم : قاتلوا عن حريمكم ، فإني قد قلبتُ ظهر المجن^(٣) وظهرتُ العداوة ولا قوة إلا بالله .

وخرج عن الكوفة ، وحارب وأغار ، فأرسل إليه مُصعب سيف بن هاني

(١) في الطبري : إلى ضبايع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فأنهبها .

(٢) في باقوت بضم الجيم ، وفي البكري بفتحها . وهي بلد بالعراق .

(٣) في ك : السجن - تحريف .

المرادى ، فعرض عليه خراج بادُرويا^(١) وغيرها ، ويدخل فى الطاعة ، فلم يُجب إلى ذلك ، فندب لقتاله الأبرد بن قرّة الرياحى ، فقاتله فهزمه عبید الله وضربه على وجهه ، فبعث إليه حرث بن زید فقتله ، فبعث إليه الحجاج ابن حارثة^(٢) الخثعمى ، ومسلم بن عمرو ، فلقياه بنهر صرصر^(٣) ، فقاتلها وهزمها ، فأرسل إليه يدعوه إلى الأمان والصّلة ، وأن يولّيه أى بلد شاء ، فلم يقبل ذلك وأتى نرسا^(٤) ، ففر دهقانها بمال إلى عين التمر^(٥) وعليها بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى ، فالتجأ الدهقان إليه ، فنبعه عبید الله فقاتله بسطام ، ووافاه الحجاج ابن حارثة^(٦) ، فأسرهما عبید الله ، وأسر جماعة كثيرة ممن معهما ، وأخذ المال الذى مع الدهقان ، وأطلق الأسارى وأتى تكريت ، فأقام بها يجبى الخراج ، فبعث إليه مضعب الأبرد بن قرّة الرياحى ، والجون ابن كعب الهمداني فى ألف ، وأمدّهم المهلب بيزيد بن المغفل فى خمسمائة ، فقاتلهم يومين وهو فى ثلاثمائة . فلما كان عند المساء من اليوم الثانى تحاجزوا ، وخرج عبید الله من تكريت ، وسار نحو كسكر ، فأخذ بيت مالها ، ثم أتى الكوفة فنزل إلى دير الأعور^(٦) ، فبعث إليه

(١) بادورا : بالوار والراء وياء وألف : بالجانب الغربى من بغداد . وفى د : باذوريا .

(٢) فى الكامل ، والطبرى (٦-١٣٢) : جارية .

(٣) صرصر : بالفتح والسكون وتكرير الصاد والراء : موضعان من نواحي بغداد (المراصد) .

(٤) نرس : بالفتح ثم السكون ، وآخره سين مهملة : نهر حفره نرمس ابن بهرام بنواحي الكوفة ، وأخذته من الفرات . وفى الطبرى : نرمى .

(٥) عين التمر : بلدة فى طرف البادية على غربى الفرات (المراصد) .

(٦) دير الأعور : بظاهر الكوفة ، بناه رجل من لباد .

مصعب حَجَّار بن أَبَجْر فانهزم حَجَّار ، فشتمه مُصْعَب ،
 وضم إليه الجَوْن بن كَعْب الهمداني وعمر بن عُبيد الله بن مَعْمَر ، فقاتلوه
 بأجمعهم ، وكثرت الجراحات في أصحاب ابن الحُر ، وعُقرت
 خيولهم ، فانهزم حَجَّار ، ثم رجع فاقتتلوا قتالا شديدا ، حتى
 أَمْسُوا^(١) ، وخرج ابن الحُر من الكوفة ، فكتب مُصْعَب إلى يزيد
 ابن الحارث بن رُويم الشيباني وهو بالمدائن [يأمره]^(٢) بقتاله ،
 فقدم ابنه حَوْشِبًا ، فقاتله فهزَمه عُبيد الله ، وأقبل إلى المدائن فتحصَّنوا
 منه ، فندب إليه الجَوْن بن كَعْب الهمداني ويُسْر بن عبد الله الأسدي ،
 فنزل الجَوْن بحَوْلَايَا^(٣) ، فخرج إليه عبد الرحمن بن عبد الله
 فقتله ابنُ الحُر وهزم أصحابه ، وخرج إليه بشير بن عبد الرحمن
 ابن بشير العجلي ، فقاتله بسُورًا^(٤) قتالا شديدا ، فرجع عنه بشير ،
 وأقام ابن الحُر بالسواد يُغيّر وَيَجْبِي الخراج .

ثم لحق بَعْدُ الملك بن مروان ، فلما صار إليه أكرمه وأجلسه
 معه على السرير ، وأعطاه مائة ألف درهم ، وأعطى لَمَنْ معه مالا ،
 فقال له ابن الحُر : وَجَّهْنِي بِجُنْدٍ أَقَاتِلَ بِهِمْ مُصْعَبًا ، فقال له :
 يَسْرُ بِأَصْحَابِكَ ، واذْعُ مَنْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ ، وأنا بمددك بالرجال ، فسار
 في أصحابه نحو الكوفة إلى أن انتهى إلى الأنبار ، فنزل بِقَرْيَةٍ
 بجوارها ، واستأذنه أصحابه في إتيان الكوفة ، فأذن لهم ، وأمرهم
 أن يُعْلَمُوا أصحابه بِمَقْدَمِهِ لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ ، فبلغ ذلك القَيْسِيَّة

(١) في ك : أَمْسُوا .

(٢) من الطبري ، والكامل .

(٣) حولايا - بفتح أوله وسكون ثانيه : قرية كانت بالنهر وان .

(٤) موضع بالعراق من أرض بابل (ياقوت) .

فَاتُوا الْحَارِثَ بْنَ [عَبْدِ اللَّهِ بْنِ] (١) أَبْنَى رُبْعَةَ عَامِلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ
بِالْكُوفَةِ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُمْ جَيْشًا يِقَاتِلُونَ بِهِ عُبَيْدَ اللَّهِ وَيَغْتَنِمُونَ
الْفُرْصَةَ فِيهِ بِتَفْرِيقِ أَصْحَابِهِ ، قَبِعَتْ مَعَهُمْ جَيْشًا كَثِيفًا ، فَسَارُوا
إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ مَنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ : نَحْنُ فِي نَقَرٍ يَسِيرُ ،
وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهَذَا الْجَيْشِ ، فَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَدْعَهُمْ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ
وَهُوَ يَقُولُ :

بِالْكُوفَةِ يَوْمًا قَاتَ فِيهِ نَهْيٌ وَغَابَ عَنِّي ثِقَتِي وَصَحْبِي
فَعَطَفُوا عَلَيْهِ فَكَشَفُوا أَصْحَابَهُ ، وَحَافِلُوا أَنْ يَأْسِرُوهُ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا
عَلَى ذَلِكَ ، وَأَذِنَ لِأَصْحَابِهِ فِي الذَّهَابِ ، فَذَهَبُوا فَلَمْ يَعْزِضْ لَهُمْ أَحَدٌ ،
وَجَمَلٌ يِقَاتِلُ وَحْدَهُ وَهُمْ يَرْمُونَهُ وَلَا يَدْنُونَ مِنْهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَهْذِهِ
نَيْلُ أُمِّ مَغَازِلٍ ! فَلَمَّا أَتَتْهُ الْجِرَاحُ خَاضَ (٢) إِلَى مُعْبَرٍ فَدَخَلَهُ
وَلَمْ يَدْخُلْ قَرْسُهُ ، فَرَكِبَ السَّفِينَةَ ، وَمَضَى بِهِ الْمَلَأَحُ حَتَّى تَوَسَّطَ
الْفُرَاتَ ، فَأَشْرَفَتْ الْخَيْلُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ فِي السَّفِينَةِ نَبِطٌ ، فَقَالُوا
لَهُمْ : إِنْ فِي السَّفِينَةِ طَلِبَةٌ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ فَاتَكُمْ قَتَلْنَاكُمْ ،
فَوَثَبَ ابْنُ الْخُرِّ لِيَرْمِيَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ عَظِيمُ الْخَلْقِ ،
فَقَبِضَ عَلَى يَدَيْهِ ، وَجَرَّاحَاتُهُ تَجْرِي دَمًا ، وَضَرْبُهُ الْبَاقُونَ بِالْمَجَادِفِ ،
فَقَبِضَ عَلَى الَّذِي أَمْسَكَهُ ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ ، فَغَرِقَا مَعًا .

وَقِيلَ فِي قَتْلِهِ : إِنَّهُ كَانَ يَغْتَنِي مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ بِالْكُوفَةِ فَرَأَاهُ
يُقَدِّمُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ، فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَصِيدَةً يَعَاتِبُ فِيهَا
مُصْعَبًا وَيَخُوفُهُ مَسِيرَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَقُولُ فِيهَا (٣) :

(١) مِنَ الطَّبَرِيِّ . (٢) فِي الْكَامِلِ : حَاصٍ .

(٣) وَالْكَامِلُ ، وَالطَّبَرِيُّ : ٦ - ١٣٦ .

أبلغ أمير المؤمنين رسالة
فلست على رأي قبيح أواربه
أفي الحق أن أجفى^(١) ويجعل مضعب
وزيريه^(٢) من قد كنت فيه أحاربه
فكيف ، وقد أبلتكم^(٣) حق بيغتي
وحتى يلكي عندكم وأطالبي
وأبلتكم مالا بضيع مثله
وآسبتكم والأمر صعب مراتبه
فلما استنار الملك وانقادت العدا
وأدرك من مال^(٤) العراق رعايته
جفا مضعب عني ولو كان غيره
لأصبح فيما بيننا لا أعائته
لقد رابني من مضعب أن مضعبا
أرى كل ذي غش^(٥) لنا هو صاحبه
إذا قمت عند الباب أدخل مسلم^(٦)
ويعني أن أدخل الباب حاجبه

(١) في ك : أخفى .

(٢) في الكامل : وزيرا له ...

(٣) في الكامل : آتيتكم ...

(٤) في الكامل : ملك العراق .

(٥) في الكامل : ذي عيش . وفي د : عش .

(٦) في الكامل : أدخل مسلما .

أشار بقوله : وزيريه ، إلى مُسلم بن عمرو والد قتيبة ، والمهلب
ابن أبى صُفْرة ، ويدلُّ على ذلك قوله أيضاً فى غيرها (١) :

بأىِّ بلاءٍ أم بأيةِ نعمةٍ تَقْدَمُ قَبْلِي مُسلمُ والمهلبُ

قال : فحبسه مصعب ، وله معه معاتباتٌ من الحبس ، وقال
فى قصيدة يهجو فيها قيس عيلان منها (٢) :

ألم ترَ قَيْساً قَيْساً عَيْلَانُ بَرَقَعَتْ

لِحَاها وباعت نَبْلَهَا بالمغازل

فأرسل زفر بن الحارث الكلّابى إلى مُصعب يقول : قد كفيتك فقال
أبْنُ الزُّرْعَاءِ - يعنى عبد الملك . وابن الحرِّ يَهْجُو قَيْساً ، ثم إنَّ
نفرًا من بنى سُليم أَسْرَوْا عُبيد الله بن الحرِّ ، فقال : إنما قلت (٣) :

ألم ترَ قَيْساً قَيْساً عَيْلَانُ أَقْبَلْتُ إِلَيْنَا وَسَارَتْ فِى الْقَنَآ (٤) وَالْقَنَابِلِ

فقتله رجل منهم يقال له عيَّاش ، والله أعلم .

وفى هذه السنة [سنة ٥٦٨] وافى عرفات أربعة ألوية :

لواء ابن الزبير وأصحابه ، ولواء ابن الحنفية وأصحابه ، ولواء لبنى
أمية ، ولواء لَنَجْدَةِ الْحَرُورِ ، ولم يَجْرِ بينهم حَرْبٌ ولا فِتْنَةٌ .

وكان العاملُ على المدينة جابر بن الأسود بن عَوْفِ الزُّهْرَى ،

(١) والطبرى : ٦ - ١٣٦ .

(٢) والطبرى : ٦ - ١٣٧ .

(٣) فى الطبرى : بالقنأ .

وعلى البصرة والكوفة مُضْعَبُ بْنُ الزَّيْبِر ، وعلى قضاها من ذكرنا
قَبْلُ ، وعلى خراسان عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِم .
وفيها توفى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وعدى بن حاتم الطائي .
وقيل في سنة [٥٦٦هـ] ست وستين ، وله مائة وعشرون سنة .

سنة (٦٩ هـ) تسع وستين

في هذه السنة شَخَصَ مُضْعَبُ بْنُ الزَّيْبِر إِلَى مَكَّةَ وَمَعَهُ أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ
ودوابٌ كثيرة ، فقسم في قومه وغيرهم ، ونحر بُدْنًا كَثِيرَةً . وقيل :
كان ذلك في سنة [٥٧٠هـ] سبعين .

وحجَّ بالناس عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِر ، وفيها حَكَّم رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ
بَنِي ، وَسَلَّ سَيْفَهُ ، وَكَانُوا جَمَاعَةً ، فَأَمْسَكَ اللَّهُ أَيْدِيَهُمْ ، فَقَتَلَ ذَلِكَ
الرَّجُلُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ (١) . وَكَانَ عُمَالُ الْأَمْصَارِ مِنْ ذِكْرِنَا .

سنة (٧٠ هـ) سبعين

ذِكْرُ يَوْمِ الْجَفْرَةِ (٢)

في هذه السنة سَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يُرِيدُ مُضْعَبَ بْنَ الزَّيْبِر ،
فَقَالَ لَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسِيد : إِنْ وَجَّهْتَنِي إِلَى الْبَصْرَةِ وَأَتْبَعْتَنِي
خَيْلًا رَجَوْتُ أَنْ أَغْلِبَ لَكَ عَلَيْهَا ، فَوَجَّهَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَقَدَمَهَا مُسْتَخْفِيًا
فِي خَاصَّتِيهِ حَتَّى نَزَلَ عَلَى عَمْرُو بْنِ أَضْمَعَ . وَقِيلَ : عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَضْمَعَ
الْبَاهِلِي ، فَأَرْسَلَ عَمْرُو (٣) إِلَى عَبَادِ بْنِ الْحَصِينِ وَهُوَ عَلَى شَرْطَةِ

(١) الجمرة : بمكة ، وهي موضع ومي الجمار (البكرى) .

(٢) بالضم وآخره هاء : موضع بالبصرة .

(٣) في ك : عمرا - تحريف .

ابن معمر ، وابن معمر خليفة مصعب على البصرة ، ورجا ابن أضمع أن عباد بن الحصين يتابعه ، وقال له : إني قد أجزتُ خالدًا وأحببتُ أن تعلم ذلك لتكون ظهيراً لى ، فوافاه الرسول حين نزل عن فرسه ، فقال عباد : قل له : والله لا أضعُ لبد قريبي حتى أتيك فى الخيل ، فقال ابن أضمع لخالد : إن عباداً يأتينا الساعة ، ولا أقدرُ أمنعك منه ، فعليك بمالك بن مسمع ، فخرج خالد يركض فرسه حتى أتى مالكا فقال : أجزنى فأجاره ، وأرسل إلى بكر بن وائل والأزد ، فأقبلت إليه ، وأقبل عباد فى الخيل ، فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال ، فلما كان الغد غلوا إلى جفرة^(١) نافع بن الحارث ، ومع خالد رجال من تميم ، منهم صفصعة بن معاوية وعبد الله بن بشر ومرة بن مخكان وغيرهم ، وكان من أصحاب خالد ، عبيد الله بن أبى بكررة ، وحمران بن أبان ، والمغيرة بن المهلب . ومن أصحاب ابن معمر ، فيس بن الهيثم السلمى ، وأمهه مضعب بزخر بن قيس الجعفى فى ألف ، وأمهه عبد الملك خالد^(٢) . بعبيد الله بن زياد بن ظبيان ، فبلغه تفرق الناس ، فرجع إلى عبد الملك . والتقى القوم ، واقتتلوا أربعة وعشرين يوما ، ومشت بينهم السفراء ، فاصلطحوا على أن يخرج خالدًا من البصرة ، فأخرجه مالك ، ولحق مالك بشأج^(٣) ، وجاء مضعب إلى البصرة ، وطمع أن يذكرك خالدًا فوجده قد خرج ، فمسخط على ابن معمر ، وقال لعبيد الله بن أبى بكررة : يا ابن مسروح ، إنما أنت ابن كلبة تعاورها

(١) فى الطبرى (٦-١٥٢) : حفرة .

(٢) ك : خالد . وفى الطبرى ، والكامل : ووجه إليه عبد الملك عبيد الله ابن زياد بن ظبيان مددا لخالد .

(٣) فى ك : بالتياج . والمثبت فى الطبرى ، وياقوت (الجفرة) .

الكلاب ، فجاءت بأحمر وأصفر وأسود من كلِّ كَلْب بما يُشبهه ،
 وإنما كان أبوك عبداً نزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حضن^(١)
 الطائف ، ثم ادعيتهم أن أبا سفيان زنى بأمكم ، والله لئن بقيت
 لألحقنكم بنسبكم .

ثم دعا حُمران فقال له : إنما أنت ابن يهودية عِلج نبطي سُبَيْت
 من عين التَّمَر . وقال للحكم بن المنذر بن الجارود ، ولعبد الله
 ابن فضالة الزهراني ، ولعلی بن أَسَمَع ، ولعبد العزيز بن بشر
 وغيرهم نحو هذا من التوبيخ والتفريع ، وضربهم مائة مائة ، وحلق
 رؤوسهم ولحاهم وهدم دُورهم ، وصَهَرهم في الشمس ثلاثاً ، وحملهم
 على طلاقِ نساءهم ، وجَهَز^(٢) أولادهم في البعوث ، وطاف بهم في
 في أقطار البصرة ، وأحلفهم ألا ينكحوا الحرائر ، وهدم دار مالك
 ابن مسمع ، وأخذ ما فيها ، فكان فيما أخذ منها جارية ولدت له
 عمرو^(٣) بن مصعب .

وأقام مصعب بالبصرة ، ثم شتخص إلى الكوفة فلم يزل بها حتى
 خرج لحرب عبد الملك .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير .

(١) في ك : حضر .

(٢) في الطبري : وجهر .

(٣) في الطبري : عمر .

سنة (٧١ هـ) احدى وسبعين

فى هذه السنة كان مقتل مُضْعَب بن الزُبَيْر واستيلاء عبد الملك ابن مروان على العراقِ على ما نذكر ذلك إن شاء الله مبيناً فى أخبار عبد الملك .

وفيهما عَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بن الزُبَيْر جابرَ بن الأسود عن المدينة ، واستعمل عليها طَلْحَةَ بن عَبْدِ اللَّهِ بن عوف ، وهو آخر والٍ كان له على المدينة حتى أتاه طارق بن عمرو ولى عثمان فهرب .

سنة (٧٢ هـ) اثنتين وسبعين

فى هذه السنة قتل عَبْدُ اللَّهِ بن خازم أمير خراسان ، واستولى عبد الملك على خراسان على ما نذكر ذلك إن شاء الله فى أخباره وفيها انتزع عَبْدُ الملك المدينةَ من عَبْدِ اللَّهِ بن الزُبَيْر ، واستعمل عليها طارق بن عمرو ، فلم يبق مع ابنِ الزُبَيْر إلا مكة .

سنة (٧٣ هـ) ثلاث وسبعين

فى هذه السنة كان مَقْتَلُ عَبْدِ اللَّهِ بن الزُبَيْر واستقلالُ عبد الملك ابن مروان بالأمر ، جرئاً على القاعدة التى قدمناها أن نذكر الواقعة بجملتها ونُحِيل عليها فى أخبار المغلوب ، وعند ذِكْرنا لِمَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ ابن الزُبَيْر نذكر نبذةً من سيرته وأولاده ، فلنرجع إلى أخبار الدولة الأموية .

٥٩
(٧٠)

ذكر بيعة مروان بن الحكم

هو أبو الحكم ، وقيل أبو عبد الملك ، مروان بن الحكم بن أبي العاص
أبن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، يجتمع نسبه
وتنسب معاوية في أمية ، وهو الرابع من ملوك بني أمية ، وكان النبي
صلى الله عليه وسلم طرد أباه إلى بطن وج^(١) ، فنزل الطائف ،
وخرج معه ابنه مروان . وقيل : إن مروان ولد بالطائف .

واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحكم ، فقيل : كان يتحيل ويستخفي ويسمع ما يسره رسول الله
عليه الصلاة والسلام إلى كبار أصحابه في مشركي قريش وسائر
الكفار والمنافقين ، وكان يفشي ذلك عنه ، حتى ظهر ذلك عليه ،
وكان يخفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيئته وبعض حركاته ،
وكان النبي عليه^(٢) الصلاة والسلام إذا مشى تكفأ ، فكان الحكم
يخفيه ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم يوما فرآه يفعل كذلك ،
فقال : فكذلك فلتكن . فكان الحكم مخلصا يرتعش من يومئذ ، فغيره
عبد الرحمن بن حسان ، فقال في عبد الرحمن بن الحكم بهجوه :

إِنَّ اللَّعِينَ أَبوكَ فَارْمِ عِظَامَهُ إِنْ تَرَمَّ تَرَمَ مَخْلُجًا مَجْنُونًا
يَمْشِي خَيمِصَ الْبَطْنِ مِنْ عَمَلِ التَّقَى وَيُظَلُّ مِنْ عَمَلِ الْخَيْبَةِ بَطِينًا

وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لمروان بن الحكم حين قال

(١) وج - بالفتح ، ثم التشديد : واد بالطائف (المراصد) .

(٢) د : صلى الله عليه وسلم

في أخيها عبد الرحمن ما قال : أما أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت في صلبه .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخل عليكم رجلٌ لعين . قال عبد الله : وكنت قد تركتُ عمرًا يلبسُ لِيُقْبَلَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم أزل مُشْفِقًا أن يكونَ أوَّل مَنْ يدخل ، فدخل الحَكَم بن أبي العاص ، فلهذا قال عبد الرحمن بن حستان في شعره : إنَّ اللعينَ أبوك . ولم يزل الحَكَم طريدا إلى خلافة عثمان بن عفان فرَّقه إلى المدينة : وقال : إن النبي عليه الصلاة والسلام كان أذن في رَدِّه .

وكان إسلام الحكم يوم فتح مكة ، ومات في خلافة عثمان قبل القيام عليه بأشهر .

وولِدَ مروان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل سنة [٥٢] اثنتين من الهجرة ، وقيل عام الخندق ، وقيل يوم أحد ، وقيل ولِدَ بمكة ، وقيل بالطائف ، ولم يرَ مروان رسول الله عليه (١) الصلاة والسلام ، لأنه خرج إلى الطائف طفلاً لا يعقل ، وقدم المدينة مع أبيه في خلافة عثمان ، ثم توفى أبوه فاستكتبه عثمان ابن عفان ، وضمه إليه ، فاستولى مروان عليه ، وغلب على رأيه حتى كان سبب قيام الناس على عثمان وقتله .

حكى أبو عمر بن عبد البر في كتابه المترجم بالاستيعاب (٢) أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أتى مروان يوما ، فقال : ويلك

(٢) د : صلى الله عليه وسلم .

(٢) صفحة ١٣٨٨ .

وَوَيْلَ أُمِّ مُحَمَّدٍ مِنْكَ وَمِنْ بَيْتِكَ إِذَا شَابَتْ ذِرَاعَاكَ^(١) . وَكَانَ مَرْوَانَ
يَقَالُ لَهُ خَيْطٌ بَاطِلٌ ، وَضُرِبَ يَوْمَ الدَّارِ عَلَى قَفَاهُ فَخَرَّ لِفِيهِ . وَفِيهِ
يَقُولُ أَخُوهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ وَكَانَ مَاجِنًا شَاعِرًا ، وَكَانَ لَا يَرَى
رَأَى مَرْوَانَ :

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرَى وَإِنِّي لَسَائِلُ

حَلِيلَةٌ مَضْرُوبُ الْقَفَا كَيْفَ يَصْنَعُ

لِحَا اللَّهِ قَوْمًا أَمْرُوا خَيْطَ بَاطِلُ

عَلَى النَّاسِ يُعْطَى مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ

وَقِيلَ : إِنَّهُ قَالَ ذَلِكَ حِينَ وَلَّاهُ مَعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ ، [وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَهْجُوهُ]^(٢) .
وَأُمُّ مَرْوَانَ آمِنَةُ بِنْتُ عُلْقَمَةَ بْنِ صَفْوَانَ ، وَكَانَ مَرْوَانَ قَصِيرًا
رَقِيقًا أَوْ قَصْ^(٣) ، بُوِيعَ لَهُ بِالْجَابِيَةِ^(٤) يَوْمَ الْخَمِيسِ^(٥) لَسَبْعَ بَقِيقِينَ
مِنْ شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ [٥٦٤] أَرْبَعِ وَسِتِّينَ ، وَقِيلَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا .

ذِكْرُ السَّبَبِ فِي بَيْعَةِ مَرْوَانَ

كَانَ سَبَبُ بَيْعَتِهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ لَمَّا بُوِيعَ لَهُ بِالْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ
اسْتَعْمَلَ أَخَاهُ عُبَيْدَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَخْرَجَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ
وَابْنَهُ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْحُصَيْنَ بْنَ ثُمَيْلٍ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الشَّامِ
أَخْبَرَ مَرْوَانَ بِمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَقَالَ لَهُ وَلَيْتَنِي أُمِيَّةٌ :

(١) فِي الْاسْتِعَابِ : إِذَا سَاءَتْ دَرْعُكَ .

(٢) سَاقَطَ فِي ك .

(٣) أَوْ قَصْ : قَصِيرُ الْعُنُقِ .

(٤) الْجَابِيَّةُ : قُرْبَةٌ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ .

أَقِيمُوا أَمْرَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكُمْ شَامِكُمْ^(١) ، فتكون فتنة عُمَيَّاء صماء . وكان مِنْ رَأَى مَرْوَانَ أَنْ يَسِيرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَيُبَايِعَهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ مِنَ الْعِرَاقِ قَالَ لِمَرْوَانَ : لَقَدْ اسْتَحْبَبْتَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنْتَ كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا ؛ وَقَبَّحَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا فَاتَ شَيْءٌ بَعْدُ ، وَقَامَ إِلَيْهِ بَنُو أُمَيَّةَ وَمَوَالِيَهُمْ فَتَجَمَّعَ^(٢) إِلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ ، فَسَارَ إِلَى دِمَشْقَ فَقَدِمَهَا وَالضَّحَّاكُ بْنُ قَبِيصٍ الْقَهْرِي يَصُلِّيُ بِالنَّاسِ قَدْ بَايَعُوهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَنْفَقَ رَأْيُ النَّاسِ عَلَى إِمَامٍ ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ سِرًّا ، وَالنَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ بِحِمْنٍ يُبَايِعُ لَهُ أَيْضًا . وَكَانَ حَسَانُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ بَخْدَلٍ الْكَلْبِيُّ غَلَامًا لِمَعَاوَةَ^(٣) وابنه يزيد بفلسطين وهو يريد^(٤) بَنِي أُمَيَّةَ .

فَكَتَبَ حَسَانٌ إِلَى الضَّحَّاكِ كِتَابًا يَعْظُمُ فِيهِ حَقُّ بَنِي أُمَيَّةَ وَحُسْنُ بِلَاثِهِمْ ، وَيَذَمُّ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَأَنَّهُ خَلَعَ خَلِيفَتَيْنِ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَقْرَأَ كِتَابَهُ عَلَى النَّاسِ . وَكَتَبَ كِتَابًا آخَرَ ، وَسَلَّمَهُ إِلَى رَسُولِهِ وَأَسَمَهُ نَاقِضَةً ، وَقَالَ لَهُ : إِنْ قَرَأَ [الضَّحَّاكُ]^(٥) كِتَابِي عَلَى النَّاسِ وَإِلَّا فَاقْرَأْ هَذَا الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ .

وَكَتَبَ [حَسَانُ]^(٥) إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ أَنْ يَحْضُرُوا ذَلِكَ ، فَقَدِمَ نَاقِضَةً ، فَدَفَعَ كِتَابَ الضَّحَّاكِ إِلَيْهِ وَكِتَابَ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَيْهِمْ .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَعِدَ الضَّحَّاكُ الْمَنْبَرَ ، فَقَالَ لَهُ نَاقِضَةُ :

(١) فِي الْكَامِلِ : شَانِكُمْ .

(٢) فِي الطَّبْرِيِّ : وَتَجَمَّعَ .

(٣) فِي الْكَامِلِ : بِفِلَسْطِينَ عَامِلًا لِمَعَاوَةَ .

(٤) فِي الطَّبْرِيِّ : يَهْوِي .

(٥) مِنَ الطَّبْرِيِّ .

اقرأ كتابَ حسان على الناس. فقال له : اجلس ، فجلس ، ثم قام الثانية والثالثة وهو يأمره بالجلوس ، فأخرج ناعضة الكتاب الذي معه ، وقرأه على الناس ، فقام يزيد بن أبي النمس^(١) الغساني ، ومُفَيَّان ابن الأبرد الكلبى ، فصدا حسانا ، وشتما ابن الزبير ، وقام عمرو ابن يزيد الحكيم فشم حسانا ، وأثنى على ابن الزبير ، واضطرب الناس ، فأمر الضحاك^(٢) بيزيد وسفيان فحسبا ، ووثبت كلب على عمرو بن يزيد فضربه وخرقوا ثيابه ، وقام خالد بن يزيد^(٣) ، فسكن الناس ، ونزل الضحاك فصلى الجمعة بالناس ، ودخل القصر فجاءت كلب فأخرجوا سفيان ، وجاءت غسان فأخرجوا يزيد ، وكان أهل الشام يسمون ذلك اليوم يوم جَيُّرُون^(٤) الأول . ثم خرج الضحاك بن قيس إلى المسجد ، وذكر يزيد بن معاوية نفسه ، فقام إليه شاب من كلب فضربه بعضا ، فقام الناس بعضهم إلى بعض فاقتتلوا ؛ فقيس تدعو إلى ابن الزبير ونصرة الضحاك ، وكتب تدعو إلى بنى أمية .

ودخل الضحاك دار الإمارة ، ولم يخرج من الغد لصلاة الفجر ، وبعث إلى بنى أمية فاعتذر إليهم ، وأنه لا يريد ما يكرهون ، وأمرهم أن يكتبوا إلى حسان ، ويكتب معهم ليسير من الأردن إلى الجابية ، ويسيروا^(٥) هم من دمشق إليها فيجتمعون بها ويباعون لرجل من

(١) في الكامل : الغس . والمثبت في الطبرى أيضا .

(٢) في الطبرى : فأمر الضحاك بالوليد بن عتبة ويزيد بن أبي النمس .

(٣) في ك : سويد .

(٤) جيرون - بالفتح : عند باب دمشق ، وقال قوم : جيرون هي دمشق لها (باقوت) .

(٥) في الكامل : وسبروا .. فيجتمعوا ... ويباعوا .

بنى أمية ، فرضوا ، وكتبوا إلى حسان ، وسار الضحّاك وبنو أمية نحو الجابية ، فأتاه ثور بن معن السلمى ، فقال : دعوتنا إلى ابن الزبير فبايعنا (١) على ذلك ، وأنت تسير إلى هذا الأعرابى من كلب يستخلف ابن أخته (٢) خالد بن يزيد .

قال الضحّاك : فما رأى ؟ قال : رأى أن يظهر ما كنا نكتم ونَدعو إلى ابن الزبير ، فرجع الضحّاك بمن معه من الناس ، فنزل مرّج راهط ودمشق بيده ، واجتمع بنو أمية وحسان وغيرهم بالجابية ، فكان حسان يُصلّى بهم أربعين يوماً والناس يتشاورون ، وكان مالك بن هُبيرة السكونى يهوى خالد بن يزيد والحُصَيْن بن نمير يميل إلى مروان ، فقال مالك للحُصَيْن : هلمّ نباع هذا الغلام الذى نحن ولدنا أباه [وهو ابنُ أختنا] (٣) ، وقد عرفت منزلتنا من أبيه ، فإنه يَحْمِلُنَا على رِقَاب العرب . يعنى خالد بن يزيد . فقال الحُصَيْن : لا والله لا تأتينا العربُ بشَيْخٍ ونأْتِيها بصِبيٍّ . فقال مالك : والله لئن استخلفتُ مروان ليحسدنك على سَوَاطِكِ وشِرَاكِ نَعْلِكَ وظلِّ شجرة تستظلُّ بها ، إن مروان أبو عشرة (٤) وأخو عشرة (٤) وعمُّ عشرة (٤) ، فإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم ، ولكن عليكم بابنِ أختكم [خالد] ، فقال الحُصَيْن : إني رأيتُ فى المنام قنديلاً معلقاً من السماء وأن من يلى الخلافة يتناوله ، فلم ينله إلا مروان ، والله لنستخلفنه .

(١) فى الطبرى : فبايعناك .

(٢) فى الطبرى : ابن أخيه . والمثبت فى ك ، د ، والكامل .

(٣) زيادة من الطبرى .

(٤) فى الطبرى ، والكامل : أبو عشرة ..

وقام روح بن زنباع الجُدَامِي فقال : أبها الناس ، إنكم تذكرون عبد الله بن عمر وصُحْبَتَهُ وَقَدَّمَهُ في الإسلام ، وهو كما تذكرون ، ولكنه ضعيف ، وليس بصاحب أمة محمد الضعيف ، وتذكرون ابن الزبير وهو كما تذكرون ، إنه ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمه ذات النطاقين ، ولكنه منافق قد خلع خليفتين : يزيد ، وابنه معاوية ، وسفك الدماء ، وشق عصا المسلمين ، وليس المنافق بصاحب أمة بمحمد

وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الإسلام صدع إلا كان من يشعبه ، وهو الذى قاتل [عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار ، والذى قاتل] ^(١) على بن أبي طالب يوم الجمل ، وإنا نرى للناس أن يُبايعوا الكبير ، ويستثبوا ^(٢) الصغير - يعنى بالكبير مروان ، وبالصغير خالد بن يزيد . فأجمع رأيهم على البيعة لمروان ، ثم لخالد ابن يزيد ، ثم لعمر بن سعيد بن العاص من بعد خالد ، على أن إمرة دمشق لعمر ، وإمرة حمص لخالد .

فدعا حسان خالداً ، فقال : يا بن أختي ، إن الناس قد أبوك لحداثة سنك ، وإني والله ما أريد الأمر إلا لك ولأهل بيتك ، وما أبابيع مروان إلا نظراً لكم . فقال خالد : بل عجزت عنا . فقال : والله ما أنا عجزت ^(٣) ، ولكن الرأي لك ما رأيت .

(١) من الطبرى .

(٢) فى الكامل : ويستشيروا .

(٣) فى الطبرى : لا ، والله ما عجزت عنك .

ثم بايعوا مروان ثلاث خلّون من ذى القعدة سنة [٥٦٤هـ] أربع وستين ،
وقال مروان حين يبيع له (١) :

لما رأيتُ الأمرَ أمراً نهياً يسرتُ (٢) غسانَ لهم وكلباً
والسكسكيين رجالاً غلباً وطيتنا تاباهُ إلا ضرباً
والقَيْنَ تمشى فى الحديد نكباً ومن تنوخَ مُشمخراً صغباً
لا يأخنونَ الملكَ إلا غضباً فإن دنت قيسَ قتلَ لأقرباً

ذكر موقعة مرج (٣) راهط

وقتل الضحّاك بن قيس بن خالد الفهري والنعمان
ابن بشير بن سعيد بن تغلب الأنصارى الخزرجى

قال : ولما بُويع مروان بن الحكم سار من الجابية إلى مرج راهط ،
وبه الضحّاك بن قيس ومن معه ؛ وكان الضحّاك قد استمدّ النعمان
ابن بشير وهو على حِمص ؛ فأمدّه بشرحبيل بن ذى الكّلاع ، واستمدّ
أيضاً زُفر بن الحارث فأمدّه بأهل قنسرين ، وأمدّه ناتيل بأهل فلسطين ،
وكان ناتيل بن قيس قد وثب بفلسطين لَمَّا خرج منها حسان بن مالك
إلى الأردن ، وأخرج خليفته روح بن زنباع ، وبايع ناتيل لابن الزبير ،
فاجتمعت هذه الأمّداد مع الضحّاك .

واجتمع إلى مروان كلب ، وغسان ، والسكسك ، والسككون ؛

(١) والطبرى : ٥-٥٣٨ .

(٢) قى ك : بشرت .

(٣) مرج راهط : بنواحى دمشق .

وجعل على مَيْمَنَتِهِ عمرو بن سعيد ، وعلى ميسرته عُبَيْد الله بن زياد ، وكان يزيد بن أبي النَّمس^(١) الغساني مُحْتَفِيًا بدمشق لم يحضر الجابية ، فغلب على دِمَشْق ، وأخرج عنها عَامِلَ الضَّحَاك بن قَيْس ، واستولى على الخزائن وبيت المال ، وباع لَمْرَوَانَ ، وأمدّه بالأموال والرجال والسلاح ، فكان ذلك أول فَتْحٍ - على بني أمية .

وتحارب مَرَوَانَ والضحّاك بِمَرْجٍ رَاطِطٍ عشرين ليلة ؛ واقتتلوا قتالا شديداً ؛ فقتل الضحّاك ، قتله زُحْنَةُ^(٢) بن عبد الله الكلبي ، وقتل معه ثمانون رجلاً من أشرف الشام ، وقتلت قيس مقتلة عظيمة لم تقتل مثلها في موطن قط ، وكان ممن قتل هانيء بن قبيصة النميري سيّد قومه ، قتله وازع بن ذُوآلَة الكلبي ، فلما سقط جريحاً قال^(٣) :

تعمت ابن ذات النوفِ أجهزُ على فتي^(٤)

يرى الموتَ خيراً من فِرَارٍ وأكثراً^(٥)

ولا تتركني بالحنشاة إنني

صبور إذا ما النكس مثلك أحجما

فعاد إليه وازع فقتله ، وكانت هذه الواقعة في المحرم سنة [٦٥هـ]

خمس وستين .

وقيل : كانت في آخر سنة أربع وستين .

(١) في الكامل : يزيد بن أبي الغيس ، وقال بالسين المهملة . وقبل بالشين المعجمة . والمثبت في الطبري أيضا .

(٢) في الكامل : دحية . والمثبت في د ، والطبري .

(٣) والكامل : ٣ - ٣٢٨ .

(٤) في الكامل : على امرئ . (٥) في الكامل : وألتما .

ولما أتى (١) مروان برأس الضحاك ساءه ذلك ، وقال : الآن حين
كبرت سننى ودق عظمى أقبلت بالكتائب أضربُ بعضَها ببعض .
وقيل : إن الضحاك كان فى ستين ألف فارس ومروان فى ثلاثة
عشر ألفا .

حكى المدائنى فى كتاب المكايدله ، قال : لما التقى مروان والضحاك
بمرج راهط قال عبيد الله بن زياد لمروان : إن فرسان قيس مع
الضحاك فلا ننال منه ما نريد إلا بكيد ، فأرسل إليه فاسأله الموادة
حتى ننظر فى أمرك ، على أنك إن رأيت البيعة لابن الزبير بايعة ،
ففعل فأجابه الضحاك إلى الموادة ، وأصبح أصحابه قد وضعوا سلاحهم ،
وكفروا عن القتال ، فقال ابن زياد لمروان : دونك . فشد مروان ومن معه
على عنكر الضحاك على غفلة منهم وانتشار ، فقتلوا من قيس مقتلة
عظيمة ، وقتل الضحاك يومئذ فلم يضحك رجال من قيس بعد يوم
المرج حتى ماتوا .

وقيل المكيدة كانت من عبيد الله بن زياد ، كاد بها الضحاك .
وقال له : مالك والدعاء إلى ابن الزبير ! وأنت رجل قرئى ومعك الخيل ،
وأكثر قيس ؟ فاذع لنفسك ، فانت أسن منه وأولى .

ففعل الضحاك ذلك ، فاختلف عليه الجنود ، فقاتله مروان عند ذلك
فقتل . والله أعلم .

قال : ولما انهزم الناس من المرج لحقوا بأجنادهم ، فانهى أهل

(١) فى الكامل : ولما رأى . وفى الطبرى : وجاء برأس الضحاك رجل
من كلب .

حِمَصُ إليها وعليها النعمانُ بنُ بشير ، فلما بلغه الخبرُ خرج هاربا معه امرأته نائلة بنتُ عُمارة الكَلْبِيَّة وثقله وأولاده ، فتَحَيَّرَ ليلته كلها ، فأصبح أهل حِمَص فطلبوه ، وكان الذى طلبه عمرو بن الحَلِي (١) الكَلَاعِي فقتله .

وقيل : اتبعه خالد بن عدى الكَلَاعِي فيمن خفَّ معه من أهل حِمَص فلحقه فقتله وبعث برأسه إلى مروان .

وقال علي بن المديني : قُتِل النعمان بن بشير بحمص غيلةً قتله أهلها .

وقيل : قُتِل بقرية من قرى حمص يقال لها تيزين (٢) . والنعمان من الصحابة ، ولِدَ قبل وفاة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بثمانى سنين . قال : ولما بلغت الهزيمة زُفِرَ بن الحارث الكلابي بِقَيْسَرِيْن (٣) هَرَبَ منها ، فلحق بقرقيسيا (٤) وعليها عياض الجُرْشِي (٥) ، وكان يزيد [بن معاوية] (٦) ولأه إياها ، فطلب منه أن يدخل الحمام ويحلف له بالطلاق والعتاق أنه إذا خرج من الحمام لا يُقسم بها ، فأذن له ، فدخلها ، فغلب عليها وتحصن بها ، ولم يدخل حمامها ، واجتمعت إليه قيس . وهرب نانل بن قيس الجُدَامِي من فلسطين ، فلحق بابن الزبير بمكة ، واستعمل مروانُ بعده على فلسطين روح بن زنباع ، واستوثق الشام لمروان .

(١) في الكامل : ابن الجلى - بالجيم . والمثبت في الطبرى أيضا .

(٢) في :ك تبرين- بالراء . وفي ياقوت : بعد الزاى ياء ساكنة ونون : قرية كبيرة من نواحي حلب .

(٣) بتشديد النون بفتحها أو كسرهما .

(٤) قرقيسيا : بلد على نهر الخابور (المراصد) .

(٥) في الكامل : الحرسي . والمثبت في الطبرى أيضا .

(٦) من الطبرى .

وقيل : إن عُبَيْدَ اللَّهِ بن زياد لما جاء إلى بنى أمية وهم بتذمر ،
ومروان يريد أن يسير إلى ابن الزبير فيُبَايِعَهُ (١) ويأخذ منه الأمان
ابنى أمية ، فردّه عن ذلك ، وأمره أن يسير بأهل تَذْمُرٍ إلى الضحّاك
فيقاتله ، وواقفه (٢) عمرو بن سعيد ، وأشار على مروان أن يتزوج أم خالد
ابن يزيد ليسقط من أغنيّ الناس ، فتزوجها ، وهى فاخِة ابنة أبى هاشم
ابن عتبة ، ثم جمع بنى أمية فبايعوه ، وبايعه أهل تَذْمُر .

وسار إلى الضحّاك فى جَمْعٍ عظيم ، وخرج الضحّاك إليه ، فاقتنلا ،
فقتل الضحّاك ، وسار زُفَر بن الحارث إلى قَرْيَسِيَاء ، وصحبهُ
فى هزيمته شابان من بنى سُلَيْم ، فجاءت خَيْلُ مروان فى طلبه ، فقال
الشابان له : انجُ بنفسك ، فإنّا نحن نقتل . فمضى زفر وتركهما
فقتلا ، وقال زُفَر فى ذلك (٣) :

أرينى سِلَاحِي لا أبالكِ إني أرى الحرب لا تَزْدَادُ إلا تَمَادِيَا
أتانى عن مروان بالغيب أنه مُقَيَّدُ دُمى أو قاطع من لِسَانِيَا
ففى العيش (٤) مُنْجَاةٌ فى الأرض مَهْرَبُ إذا نحن رفَعْنَا لَهْنَ المَنَانِيَا
فلا نخسبُونى إن تغيبتُ غَافِلًا ولا نفرحُوا إن جئتكم بِلِقَائِيَا
فقد ينبت المرعى على دِمَنِ الثرى وتبقى حَزَارَاتُك ومن كماهِيَا (٥)

(١) فى الكامل : ليبايعه .

(٢) فى ك : وواقفه . والمثبت فى الكامل أيضا .

(٣) الشعر فى الكامل : ٣ - ٣٢٩ ، والطبرى : ٥ - ٥٤١ ، والأغانى :

١٧ - ١١٢ ، وشرح ديوان الحماسة للبربرى : ١ - ١٥٣ .

(٤) فى الطبرى : فى العيش .

(٥) فى الكامل : له ورق من تحته الشر باديا .

لعمري لقد أبقت وقيعة راطِطٍ لحسان صدعاً بيننا متنائيا
 فلم ترميني نبوة قبل هـذِهِ فِرَارِي وتركي صاحبي ورائيا^(١)
 عشية أذعو^(٢) بالقرانِ فلا أرى من الناس إلّا من على ولايا
 أيذهب يوم واحد إن أسأته بصالح أيامي وحسن بلائيا
 فلا صلح حتى تنحط^(٣) الخيل بالقنا ويتأّر من نسوان كلب نسائيا
 فأجابه جواس بن القمطل^(٤) :

لعمري لقد أبقت وقيعة راطِطٍ على زُفراء^(٥) من الداء باقيا
 مقربا ثوى بين الضلوع محلّه وبين الحشا أغيّا الطبيب المداويا
 تُبكي على قتلى سليم وعامر وذُبيان مغروراً وتبكي البواكيا
 دعا بسلاح^(٦) ثم أحجم إذ رأى سيوف جناب والطوال المدايا
 عليها كاسد الغاب فتيان نجدة إذا أشرعوا نحو الطعان العوايا

(١) صاحبه : ابنه كعب ؛ ومولاه مسكان (شرح الخماصة) .

(٢) في الكامل : عشية أذعو في القران

(٣) في الكامل : تنحط . والنحط : صوت نخليل من الثقل والإعياء (اللسان) .

(٤) الشعر في الطبري : ٥ - ٥٤٢ ، والكامل : ٣ - ٣٢٩ .

(٥) في الكامل : مرا من الداء .

(٦) في الكامل : دعا بالسلاح .

ذكر مسير مروان الى مصر

واستبلائه عليها

قال : ولما قُتل الضحَّاك واستقرَّ الشامُ لَمَرْوَانَ سارَ إلى مِصرَ فقدمها ،
وعليها عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَجْدَرٍ ^(١) الْفِهْرِيُّ يَدْعُو لَابْنَ الزُّبَيْرِ ، فخرج إلى مَرْوَانَ
فيمن معه ، وبعث مَرْوَانَ عُمُرُو بْنُ سَعِيدٍ مِنْ وَرَاقِهِ : حَتَّى دَخَلَ مِصرَ ،
فَقِيلَ ذَلِكَ لَابْنَ حَجْدَرٍ ، فَرَجَعَ فَبَايَعَ النَّاسَ مَرْوَانَ ، وَجَاءَ مَرْوَانَ إِلَى مِصرَ ،
وَدَخَلَ الدَّارَ الْبَيْضَاءَ ، ثُمَّ سَارَعْنَهَا وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا ابْنَتَهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
ابْنَ مَرْوَانَ ، وَاسْتَقَرَّ مَرْوَانَ بِدِمَشْقَ .

ذكر البيعة لعبد الملك وعبد العزيز ابني مروان

ابن الحكم بولاية العهد

وفى سنة [٦٥هـ] خمس وستين أمر مَرْوَانَ بِالْبَيْعَةِ لِابْنَيْهِ : عَبْدِ الْمَلِكِ ،
وعبد العزيز ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عُمُرُو بْنَ سَعِيدٍ كَانَ قَدْ تَوَجَّهَ
إِلَى فِلَسْطِينَ ، وَقَاتَلَ مُضْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ حِينَ وَجَّهَهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهَا ^(٢) ،
فَهَزَمَ مُضْعَبًا ، وَرَجَعَ إِلَى مَرْوَانَ وَهُوَ بِدِمَشْقَ ، وَقَدْ غَلِبَ عَلَى الشَّامِ
وَمِصرَ ، فَبَلَغَ مَرْوَانَ أَنَّ عُمُرُو بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ : إِنَّ الْأَمْرَ لِي مِنْ بَغْدَ
مَرْوَانَ ، فَدَعَا حَسَانَ بْنَ مَالِكٍ بْنَ بَحْدَلٍ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا بَلَغَهُ عَنْ عُمُرُو ،
فَقَالَ : أَنَا أَكْفِيكَ عَمْرًا . فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ مَرْوَانَ قَامَ حَسَانُ
فَقَالَ : إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا يَتَمَنُّونَ أَمَانِي ، قَوْمُوا فَبَايَعُوا لِعَبْدِ الْمَلِكِ .

(١) في الكامل : حجدم القرشي .

(٢) في الطبري : إلى فلسطين .

وعبد العزيز من بعده ، فبايعوا من عند آخرهم .

وفي هذه السنة بعث مروان بن الحكم بعثتين : أحدهما مع عبيد الله بن زياد إلى الجزيرة ومحاربة زُفر بن الحارث بقرقيسياً ، واستعمله على كل ما يفتتحه ، فإذا فرغ من الجزيرة توجه لقصدير العراق . فلما كان بالجزيرة بلغه موت مروان ، وأتاه عهد عبد الملك بن مروان [يستعمله] ^(١) على ما استعمله عليه أبوه ويحثه على المسير إلى العراق .

والبعث الثاني ^(٢) مع حُبَيْش بن ذَلْجَة ^(٣) القَيْنِي ، فسار حتى انتهى إلى المدينة وعليها جابر بن الأسود بن عَوْف ابن أخي عبد الرحمن بن عَوْف من قِبَل ابن الزبير ، فهرب منه جابر .

ثم إن الحارث بن أبي ربيعة وجه جيشاً من البصرة وجعل عليهم الحَنْتَفَ ^(٤) بن السُّجَف التميمي لحرب حُبَيْش . فلما سمعهم حُبَيْش سار إليهم من المدينة ، وأرسل عبد الله بن الزبير عباس ^(٥) ابن سهل الساعدي إلى المدينة أميراً ، وأمره أن يسير في طلب حُبَيْش حتى يوافي جيش البصرة ، فأقبل عباس ^(٥) في آثارهم حتى لحقهم بالريذة فقاتلهم حُبَيْش ، فرماه يزيد بن سبياه ^(٦) بسهم فقتله .

(١) من الكامل . (٢) في الكامل : الآخر .

(٣) ضبطه ابن الأثير بفتح الدال واللام . وضبطه الطبري بضم الدال وسكون اللام . وفي تاج العروس : هو مسكن وعرك . والضبط في الإكمال (٢ - ٧١) أيضاً .

(٤) الضبط في الإكمال : والشبه : ٢٥٧ . وفي الكامل : الحنيف .

(٥) في الطبري : عباسي : (٦) في الكامل : بن زن :

وكان معه يومئذ يوسف بن الحَكَم ، وابنه الحجاج بن يوسف ، وهما على
جَمَلٍ واحدٍ ، وانهمز أصحابه فتحَرَّزَ منهم خمسمائة بالمدينة ، فقال
لهم عباس : انزلوا على حُكْمِي ، فنزلوا فقتلهم ، ورجع قَلْبُ
حُبَيْش إلى الشام .

ذكر وفاة مروان بن الحكم

كانت وفاته في شهر رَمَضان سنة [٨٦٥هـ] خمس وستين . قيل : مات
بالطاعون . وقيل : بل كان سببُ موته أنه لما بُويع بالخلافة أراد
حَسَنان بن بِخْتَل أن يجعل الأمر من بعده لخالد بن يزيد بن معاوية ،
فبايعه على ذلك ، فقيل لمروان : الرأي أن تنزَّوج أمَّ خالد تكفل
ابنها حتى يصغر شأنه فلا يطلب الخلافة . فنزَّوجها .

وقد ذكرنا ذلك ، فدخل خالد يوماً على مروان ، وعنده جماعة
نظر إليه وهو يمشي بين الصَّفَّين فقال : إنه (١) والله لأحمق ،
تعال : يا بَنَ الرُّطْبَةِ الانست ، يريد بذلك إسقاطَه مِنْ أعين أهل
الشام ، فقال له خالد : مؤتمن خائن . فندم مروان ، ثم دخل خالد
على أمِّه ، فقال : هكذا أردت ، يقول لى مروان على رموس الناس كذا
وكذا . فقالت له : لا يُعْلَمَنَّ ذلك منك ، فأنا أكفيك ، فوالله لا ترى
بعْدُ منه شيئاً تكرهه ، وسأقرب عليك ما بَعُد .

ثم دخل مروان عليها ، فقال لها : قال لك خالد في شيئاً ؟
قالت : إنه أشدُّ تعظيماً لك مِنْ أن يقول فيك شيئاً . فصَدَّقها ،

(١) الكامل : إنك .

ومكثت أيداما بعد ذلك ، فنام مروان عندها في بعض الأيام ، فوضعت
على وجهه وسادة ، وجلست عليها حتى مات . وهو معدود ممن قتلته
النساء .

ومولده سنة [٥٢] اثنتين من الهجرة ، وكان عمره ثلاثا وستين
سنة . واختلف فيه إلى نيف ^(١) وثمانين سنة . وصلى عليه ابنه عبد الملك ،
وكانت ولايته منذ جدت له البيعة عشرة أشهر تقريبا ، وكان سلطانه
بالشام ومصر .

أولاده : عبد الملك ، ومعاوية ، وعمر ، وعبيد الله ، وعبد الله ،
وأبان ، وداود ، وعبد العزيز ، وعبد الرحمن ، وبشر ، ومحمد ،
وأُم عمار .

كاتبه : سفيان الأحول . وقيل : عبيد الله بن أوس .

قاضيه : أبو إدريس الخولاني .

حاجبه : أبو سهل موله .

نقش خاتمه : الله ثقتي ورجائي .

ومروان أول من قدّم الخطبة قبل صلاة العيد ، وكان يقال له
لولده بنو الزرقاء ، يقول ذلك من يريد ذمهم وعييبهم ، وهى الزرقاء
بنت موهب جدة مروان لأبيه ، كانت من ذوات الرايات التى يستدل
بها على بيوت البغايا ؛ فلهذا كانوا يذمون بها ، ولعل هذا منها كان قبل
أن يتزوجها أبو العاص بن أمية ^(٢) والد الحكم ، فإنه كان من أشراف
قُريش ، ولا يكون هذا من امرأة وهى عنده . والله أعلم .

(١) مازاد على العقد فهو نيف إلى أن يبلغ العقد الثانى (القاموس - نوف).

(٢) فى الكامل : ابن أبيه ..

ذكر بيعة عبد الملك بن مروان ٥١١

هو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وهو الخامس من ملوك بني أمية .

وأمه عائشة بنت المغيرة بن أبي العاص ، وهو أول من سُمي عبد الملك في الإسلام ، ولُقّب رشح الحجر ^(١) لبخله ، ولُقّب أيضًا ببأي الذبّان ^(٢) لبخره . وقيل : إن السبب في بخره أنه كان يتلّو القرآن في المصحف ، فأفضت الخلافة إليه وهو يتلّو ، فردّ المصحف بَغَضَه على بَغَض ، وقال : هذا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، يُشير بهذا الكلام إلى المصحف فبَحِرَ لوقته ، وعجزت الأطباء عن مداواته ، فكان لا يمرُّ ذُباب على فيه إلا مات لوقته ^(٣) ، وكان أفوه مفتوح القم مُشَبَّك الأسنان بالذهب .

بويغ له في شهر رمضان سنة [٥٦٥هـ] خمس وستين بعد وفاة أبيه ، وكان وليَّ عَهْدِه كما تقدّم ، وأراد عبدُ الملك أن يقتل أمَّ خالد ، فقيل له : يظهر عند الناس أنَّ امرأة قَتَلَتْ أباك ، فتركها ، وكان عبدُ الملك وَلَدٍ لسبعة أشهر ، فكان الناس يذمّونه بذلك .

قيل : إنه اجتمع عنده قومٌ من الأشراف ، فقال لعبيد الله ابن زياد بن ظبيان البكرى : بلغنى أنك لا تُشبه أباك ! فقال : والله إني لأُشبهُ به من الماء بالماء والغراب بالغراب ، ولكن إن شئت :

(١) رشح - كمنع : عرق . ولم يرشح له بشيء : لم يعطه (القاموس - رشح) .

(٢) الذبّان : جمع ذباب . وفى ك : الذبيحان - تحريف . وفى العقد القريد

(٤-٣٩٩) : وكانت تدمى لثته فيقع عليها الذباب ، فكان يلقب أبا الذباب .

أَخْبَرْتُكَ بِمَنْ لَمْ تُنْصِجْهُ الْأَرْحَامُ ، وَلَمْ يُولَدْ لَتَمَامٍ ، وَلَمْ يُشَبَّهِ
الْأَخْوَالَ وَلَا الْأَعْمَامَ . قَالَ : مَنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : سُويْدُ بْنُ مَنجُوفٍ .

فلما خرج عُبَيْدُ اللَّهِ وَسُويْدُ قَالَ لَهُ سُويْدُ : وَاللَّهِ مَا يَسِرُّنِي بِمَقَالَتِكَ
لَهُ حُتْرَ النِّعَمِ . فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : وَمَا يَسِرُّنِي وَاللَّهِ بِاحْتِمَالِكَ إِيَّايَ وَسُكُوتِكَ
عَنِّي سَوْدُهَا .

قَالَ : وَكَانَ أَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ أَنْ كَتَبَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ
وَأَسْتَعْمَلَهُ عَلَى مَا كَانَ مَرْوَانَ قَدْ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهِ ، فَكَانَ مِنْ أَخْبَارِ
ابْنِ زِيَادٍ فِي مَسِيرِهِ وَخُرُوبِهِ وَمَقَاتِلِهِ مَا قَدْ مَنَاهُ فِي أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى إِعَادَتِهِ هَهُنَا ، فَلَنَذْكُرْ مِنْ أَخْبَارِ عَبْدِ الْمَلِكِ
غَيْرَ مَا قَدْ مَنَّا ذَكَرَهُ :

فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ابْنَتَهُ^(١) عَلَى
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَالَ : لِأَنْ يَرُبَّنِي بَنُو عَمِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
يَرُبَّنِي^(٢) رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ - يَعْنِي بَنِي عَمِّ بَنِي أُمَيَّةٍ ، لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ
أَوْلَادُ عَبْدِ مَنْفٍ ، وَيَعْنِي بِالرَّجُلِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ .
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ سَأَلَهُ عَنْ اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ ، فَقَالَ : الْاسْمُ عَلِيٌّ ،
وَالْكُنْيَةُ أَبُو الْحَسَنِ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَا يَجْتَمِعُ هَذَا الْاسْمُ وَهَذِهِ
الْكُنْيَةُ فِي عَسْكَرِي أَنْتَ أَبُو مُحَمَّدٍ .

جزوب
معين التاريخ
لأهل التاريخ

(١) فِي الْكَامِلِ : ابْنِ .

(٢) وَهُوَ يَرِيهِ ، أَيْ كَانَ لَهُ رِبَا (الْهَيْبَةُ) .

ذكر مقتل عمرو بن سعيد الأشدق

وثنى من أخباره [ونسبه] (١)

هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية (٢) بن عبد شمس ابن عبد مناف ، ويسمى عمرو اللطيم ليل كان في فيه (٣) ، فمن أجل ذلك قيل له لطيم الشيطان ، ويسمى الأشدق لنشأته في الكلام ، وكان من فصحاء قريش وأهل الخطابة منهم . وقيل في تسميته الأشدق : إنه لما مات سعيد والده دخل عمرو على معاوية فاستنطقه ، فقال : إن أول مركب صُعب . فقال له معاوية : إلى من أوصى بك أبوك ؟ فقال : إن أبى أوصانى ولم يوص بى . قال : فبأى شيء أوصاك ؟ قال : ألا يفقد منه أصحابه غير شخصه . فقال معاوية : إن عمراً هذا لأشدق .

ولنذكر سبب مقتله ثم نذكر نبذة من أخبار آبائه :

كان سبب مقتله أن عبد الملك بن مروان سار في سنة تسع وستين من دمشق يريد قرقيسياه ، يريد زفر بن الحارث الكلابى ، وصحبه عمرو بن سعيد في سيره ، فلما بلغ بطنان (٤) حبيب رجع عمرو ليلاً ومعه حميد بن حريث وزهير بن الأبرد الكلبى ، فأتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفى خليفة عبد الملك بها ، فهرب

(١) من ك وحدها . وانظر العقد (٤-٤٠٧) .

(٢) في الكامل : أبيه . (٣) في الكامل : ليل كان في وجهه .

(٤) بطنان - بالضم ، ثم السكون ، ونونان بينهما ألف : اسم واد بين منبج وحلب (المراصد) .

عنها ودخلها عمرو ، فغلب عليها وعلى خزانتهما ، وهدم دار ابن أم الحكم ، واجتمع الناس إليه ، فخطبهم ومثاهم ووعدهم ، وأصبح عَبْدُ الملك وقد فقد عَمْرًا ، فسأل عنه فأخبر بـرجوعه ، فرجع إلى دمشق ، فقاتله أياما ، ثم اصطلحا ، وكتبا بينهما كتابا ، وأمنه عَبْدُ الملك ، فجاءه عمرو واجتمعا ، ودخل عَبْدُ الملك دِمَشْقَ .

فلما كان بعد دخوله بأربعة أيام أرسل إلى عمرو يَسْتَدْهِيه ، فأتاه الرسولُ وعنده عَيْدُ الله بن يزيد بن معاوية ، فنهاه أَنْ يَلْتَمِسَهُ ، فقال عمرو : ولم ؟ قال : لَأَنَّ تَبْيِيعَ^(١) ابن امرأة كَتَبَ الْأَحْبَارُ قال : إن عَظِيمًا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ يَرْجِعُ فِيْ قُلُقُ أَبْوَابِ دِمَشْقَ ، ثم يخرج منها ، فلا يَلْبَثُ أَنْ يُسْقَتَ . فقال عمرو : والله لو كنتُ نائمًا ما أَتَيْتُهُنِي ابْنُ الزَّرْقَاءِ ولا اجْتَرَأَ عَلَيَّ ، مع أَنِي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عُثْمَانَ فِي الْمَنَامِ ، فَأَلْبَسَنِي قَمِيصَهُ .

ثم قام فلبس دِرْعًا وغطاها بالقَبَاءِ^(٢) ، وتقلد سيفًا ، وذلك بعد أن صرف رسولَ عبد الملك ، فلما نهض عشر باليَ سَاطِ ، فقال له حُمَيْدُ ابْنُ حُرَيْثٍ : والله لو أَطَعْتَنِي لَمْ تَأْتِهِ ، وقالت له امرأته الْكَلْبِيَّةُ كذلك ، فلم يلتفت ، ومضى في مائة من مواليه .

فلما بلغ بابَ عبد الملك أذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فلم يَزَلْ أَصْحَابُهُ يُخَبِّسُونَ عِنْدَ كُلِّ بَابٍ حَتَّى بَلَغَ قَاعَةَ الدَّارِ ، وليس معه إِلَّا وَصِيفٌ وَاحِدٌ ، فنظر عمرو إلى عَبْدِ الملك وإذا حَوْلَهُ بَنُو مَرْوَانَ ، وَحَسَّانُ بْنُ بَحْدَلٍ الْكَلْبِيُّ ، وَقَبِيصَةُ بْنُ ذُوَيْبِ الْخَزَاعِيُّ ، فلما رأى جماعتهم أَحْسَ

(١) الضبط من الطبرى ، والقاموس .

(٢) القباء : من الثياب .

بالشر ، فالتفت إلى وصيفه ، وقال له : انطلق إلى أخى يحيى ، وقل له
ياأتينى ، فلم يفهم الوصيف عنه ، فقال : لبيك ! فقال عمرو :
اغرب فى حرق الله وناره^(١) ، وأذن عبدُ الملك لحسان وقبيصة فقلعا ،
فلقيا عمراً ، فقال عمرو لقبيصة : انطلق إلى يحيى فمره أن يأتينى ،
فقال : لبيك ! فقال : اغرب [عنى] ^(٢) .

فلما خرج حسان وقبيصة أغلقت الأبواب ، ودخل عمرو فرحب
به عبدُ الملك ، وقال : ههنا يا أبا أمية ! فأجلسه معه على السرير ،
وحدثه طويلاً ، ثم قال : يا غلام ، خذ السيف عنه . فقال عمرو :
إنا لله يا أمير المؤمنين ! فقال عبدُ الملك : أتطمع أن تجلس معى
مقلداً سيفك ؟ فأخذ السيف عنه ، ثم تحدثا ، ثم قال له
عبد الملك : يا أبا أمية ، إنك حيث خلعتنى آليتُ بيمين إن أنا ملأتُ
عينى منك وأنا مالكُ لك أن أجعلك فى جامعة ^(٣) ، فقال له
بنو مروان : ثم تطلقه يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، وما عسيت
أن أصنع بأبى أمية ! فقال بنو مروان : أبر قسم أمير المؤمنين .
فقال [عمرو] ^(٤) : قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين . فأخرج
من تحت فراشه جامعة ، ثم قال : يا غلام ، قم فاجمعه فيها .
فجمعه الغلام فيها ، فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن
تُخرجنى فيها على رموس الناس ، فقال عبد الملك : أمكراً
وأنت فى الحديد إلا والله ما كنّا لنُخرجك فى جامعة على رموس الناس ،

(١) فى الكامل : اغرب عنى فى حرق الله وناره .

(٢) ساقط فى الكامل .

(٣) فى الطبرى : أجعلك . والجامعة : القل يوضع فى العنق أو اليد .

(٤) من الكامل .

ثم جذبته جَذْبَةً أَصَابَ فَمَهُ السَّرِيرُ فَكَسَرَ ثَنِيَّتَيْهِ ، فقال : أذكرك الله يا أمير المؤمنين ، كُسِرَ عَظْمٌ سَنَى ^(١) ، فلا تَرَكَّبْ ما هو أعظم من ذلك . فقال : والله لو أعلم أنك تُبْقِي [على] ^(٢) ، إن أَبْقَيْتُ عليك لأُطْلَقْتُكَ ، ولكن ما اجتمع رجُلَان قطَّ في بلدة على ما نَحْنُ عليه ، إلا أخرج أحدهما صاحبه ، وأَذَنُ المؤذُنُ ، وأُقيمت صلاةُ العصر ، فخرج عَبْدُ الملكِ يُصَلِّي بالناس ، وأمر أخاه عَبْدَ العزيز أن يقتله ، فقام إليه بالسيف ، فقال له عمرو : أذكرك الله والرحم أن تَلِيَ قَتْلِي ، لِيَقْتُلَنِي مَنْ هو أَبْعَدُ رَحِمًا منك ، فألقى عبد العزيز السيفَ ، وجلس . وصَلَّى عَبْدُ الملكِ صلاةً خفيفةً ، ودخل وغَلَقَتِ الأبواب ، ورأى الناس عَبْدَ الملكِ خرج وتأخَّرَ عَمْرُو ، فذكروا ذلك لأخيه يحيى بن سَعِيدٍ ، فأقبل في الناس ومعه أَلْفُ عَبْدٍ لَعَمْرُو ، وخلق كثير ، فجعلوا يصيحون بباب عبد الملك : أَسْمِعْنَا صَوْتَكَ يَا أَبَا أُمَيَّةَ ! وأقبل مع يحيى حُمَيْدُ بن حُرَيْثٍ وزهير بن الأبرد ، فكسروا باب المقصورة ، وضربوا الناس بالسيوف وضُرِبَ الوليد بن عبد الملك على رَأْسِهِ ، واحتمله إبراهيم بن عربي صاحب الديوان ، فأدخله بيت القراطيس ، ودخل عبد الملك حين صَلَّى فرأى عَمْرًا بالحياة ^(٣) ، فسبَّ أخاه عبد العزيز ، ثم أخذ عَبْدُ الملكِ الحربةَ فطعن بها عَمْرًا ، فلم تُغْرِ شَيْئًا ، ثم ثنى فلم تجز ، فضرب يده إلى عَصَدِهِ فرأى الدَّرْعَ ، قال : ودارعُ أيضًا ! إن كنتَ لَمُعِدًّا ، وأخذ الصمصامة ^(٤)

(١) في الكامل ، والطبري ، د : منى : وفي العقد (٤-٤٨٠) : لا عليك يا أمير المؤمنين عظم انكسر .

(٢) من الطبري ، والكامل .

(٣) في الطبري : حيا .

(٤) الصمصامة : السيف .

وأمر بغمره فُصرع ، وجلس على صدره فذبحه ، وهو يقول (١) :
يا عمرو إلا تدع شتى ومنقصتى
أضربك حيث تقول الهامة اشقونى
وانتفض عبد الملك برعدة (٢) ، فحِيلَ عن صدره ، ووضع
على سريرته .

ودخل يحيى بن سعيد ومن معه على بنى مروان ومواليهم ، فقاتلهم ،
وجاء عبْدُ الرحمن ابن أُمِّ الحكم الثقفى ، فدفع إليه الرأس فألقاه
إلى الناس ، وقام عبْدُ العزيز بن مروان ، فأخذ المال فى البدر ، فجعل
يلقيها إلى الناس ، فلما رأى الناس الرأس والأموال انتهبوا وتفرقوا .
ثم أمر عبْدُ الملك بعد ذلك بتلك الأموال فجُيِّت حتى عادت
إلى بيت المال .

قال : وأخرج عبْدُ الملك سريرته إلى المسجد ، وخرج ،
فجلس عليه ، وفقد الوليد ابنه ، فقال : والله ، لئن كانوا قتلوه لقد
أدرَكوا ثأرهم ، فأنابه إبراهيم بن عربى الكنانى ، فقال : الوليد عندى وقد
جُرح ، وليس عليه بأس .

وأتى عبْدُ الملك بيحيى بن سعيد فأمر أن يُقتل ، فقام إليه عبد العزيز
ابن مروان فقال : يا أير المؤمنين ، أتراك قاتل بنى أمية فى يوم واحد ، فأمر
فأمر بيحيى فحُيِس ، وأراد قتلَ غنْبَسه بن سعيد ، فشفع فيه
عبدُ العزيز أيضا ، وشفع فى عامر بن الأسود الكلبي ، وأمر ببنى
عُمر بن سعيد فحُيِسوا ، ثم خرجوا مع عنهم يحيى ،
فألحقهم بمصعب . ثم بعث عبْدُ الملك إلى امرأة عُمر الكلبية :

(١) البيت لذى الأصعب ، وهو فى اللسان - هم .

(٢) فى الطبرى ، والكامل : رعدة .

ابغى إلى^(١) الصُّلَحَ الذى كَتَبْتُ لعمرو . فقالت لرسوله : ارجعْ إليه فأعلمه أَنَّ ذاك الصُّلَحَ معه فى أَكفانه لِيُخَاصِمَكَ به عند ربِّه . قال : ولما قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ مُضْعَبُ بْنُ الزَّبِيرِ دَخَلَ أَوْلَادُ عَمْرِو عَلَيْهِ وَهُمْ أَرْبَعَةٌ : أُمَيَّةٌ ، وَسَعِيدٌ ، وَإِسَاعِيلٌ ، وَمُحَمَّدٌ ؛ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمْ [عَبْدُ الْمَلِكِ]^(٢) قَالَ : إِنَّكُمْ أَهْلُ بَيْتٍ لَمْ تَزَالُوا تَرَوْنَ لَكُمْ عَلَى جَمِيعِ قَوْمِكُمْ فَضْلًا لَمْ يَجْعَلْهُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَإِنِّ الَّذِى كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ آبَائِكُمْ لَمْ يَكُنْ حَدِيثًا ، بَلْ كَانَ قَدِيمًا أَنَفْسُ آبَائِكُمْ^(٣) عَلَى أَوْلِيَانَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

فلم يقدر أُمَيَّةٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ . وَكَانَ الْأَكْبَرُ مِنْ أَوْلَادِ عَمْرِو ، فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو [وَكَانَ الْأَوْسَطُ]^(٤) فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا تَنْعَى^(٥) عَلَيْنَا أَمْرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَهَدَمَ ذَلِكَ ، وَوَعَدَ جَنَّةً ، وَحَذَرَ نَارًا ، وَأَمَّا الَّذِى كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَمْرِو فَإِنَّهُ كَانَ ابْنُ عَمِّكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ وَمَا^(٦) صَنَعْتَ . وَقَدْ وَصَلَ عَمْرُو إِلَى اللَّهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ؛ وَلِعَمْرِى لئن أَخَذْتَنَا بِمَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ لَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَنَا مِنْ ظَهَرِهَا ، فَرَّقَ لَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : إِنَّ آبَاءَكُمْ خَيْرٌ لِي بَيْنَ أَنْ يَقْتُلَنِي أَوْ أَقْتُلَهُ ، فَاخْتَرْتُ قَتْلَهُ عَلَى قَتْلِي ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَمَا أَرْغَبَنِي فِيكُمْ وَأَوْصَلَنِي لِقَرَابَتِكُمْ ، وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُمْ وَوَصَلَهُمْ وَقُرْبَهُمْ .

(١) فى الطبرى : ابغى إلى بالصلح الذى كنت كتبه . وفى الكامل : ابغى إلى كتاب الصلح ...

(٢) من الطبرى .

(٣) فى الكامل : أنفس أوليائكم على أوليائنا .

(٤) من الطبرى .

(٥) فى الكامل ، د : ما تنعى .

(٦) فى الكامل : بما صنعت .

وقد قيل فى سبب قتله : إنه قال لعبد الملك حين سار إلى العراق
لقتال مُصعب : إنك تخرجُ إلى العراق ، وقد كان أبوك جعل لى الأمر
بعده ، وعلى ذلك قاتلتُ معه ، فاجعل هذا الأمر لى بعدك ، فلم يُجِبْهُ
عَبْدُ الْمَلِكِ إلى ذلك ، فرجع إلى دمشق ، وكان من أمره ما تقدّم .
وقيل : بل كان عَبْدُ الْمَلِكِ قد استخلفه على دِمَشق ، فوثب بها .
وقيل : إن عَبْدَ الْمَلِكِ لم يقتلْ عمرو بن سعيد بيلدٍ ، وإنما أمر
غلامه ابن الزُعَيْرِعة ، فقتله وألقى رأسه إلى الناس ورمى يحيى بصخرة
فى رأسه ، وكان مقتله فى سنة [٥٦٩هـ] تسع وستين . وقيل : فى سنة
سبعين . والله أعلم .

ذكر نبذة من أخبار عمرو بن سعيد الأشدق

فى الإسلام والجاهلية

كان مولد سعيد بن العاص والد عمرو عام الهجرة . وقيل : سنة
إحدى . وقُتِلَ جَدُّه العاصُ بنُ سعيد يوم بدرٍ كافراً ، قَتَلَهُ عَلَى
ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رضى الله عنه ، وكان لجدِّ أبيه سعيد بن العاص
ابن أمية ثمانية بنين ، منهم ثلاثة ماتوا على الكفر ، وهم : أحيحة ،
وبه كان يُكَنَّى سعيد بن العاص ، وقتل أحيحة يوم الفِجَارِ . والعاص ،
وعبيدة قتيلاً يوم بدرٍ كافرين ، قَتَلَ العاصُ عَلَى ، وقَتَلَ عُبيدةَ
الزُبَيْرِ ، وخمسة أدرَكُوا الإسلام ، وصحبوا رسولَ الله صلى الله عليه
وسلم ، وهم : خالد ، وعمرو ، وسعيد ، وأبان ، والحكم بنو سعيد
ابن العاص بن أمية ، وغيرَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم اسمُ ^(١) الحكم ،
فسمَّاه عَبْدُ اللَّهِ . وَجَدَ هؤلاء العاص بن أمية ذو العصابة ، قيل له ذلك ،

لأنه كان من شرفه إذا اعتَمَّ بعمامة بمكة لا يَغْتَمُّ^(١) أحدٌ بِلَوْنِهَا
إجلالا له ، وكان يكنى بأبي أحيحة ، وفي ذلك يقول الشاعر :

أبو أحيحة من يَغْتَمُّ عَمَّتَهُ يضرب ولو كان ذا مالٍ وذا حسبٍ

وكان سعيد بن العاص والد عمرو من أشرف قريش ممن جُمع
له السخاء والفصاحة ، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان بن عفان
رضي الله عنه ، واستعمله عثمان على الكوفة ، وغزا بالناس طبرستان^(٢)

فافتتحها . ويقال : إنه افتتح أيضا جرجان في سنة [٥٢٩] تسع
وعشرين أو سنة ثلاثين ، وغزا أذربيجان^(٣) لما انتقضت فافتتحها ، ثم
عزله عثمان ، واستعمل الوليد ، فمكث مدة ، ثم شكاه أهل الكوفة ،
فعزله ، وردَّ سعيدا ، فردَّه أهل الكوفة ، وكتبوا إلى عثمان : لاجأنا
في سعيدك ولا وليدك ، وكان في سعيد تجبرٌ وغلظٌ وشدةٌ سلطان .

ولما قُتِل عثمان بن عفان كان سعيد والد عمرو ممن لزم بيئته ،
واعتنزل حرب الجمل وصفين ، فلما اجتمع الناس على معاوية ولأه
المدينة ، ثم عزله ولأها مروان بن الحكم ، وكان يعاقبُ بينه وبين
مروان في ولاية المدينة ، وفيه يقول الفرزدق^(٤) :

(١) في ك : لا يقيم - تحريف .

(٢) بفتح أوله وثانيه ، وكسر الراء وسكون السين المهملة (المراصد) :
وفي معجم ما استعجم : وإسكان الراء المهملة وفتح السين المهملة : وهي بلاد
واسعة ومدن كثيرة من الروى .

(٣) بالفتح ثم السكون ، وفتح الراء وكسر الباء الموحدة ، وباء ساكنة
وألِف ونون ، وفتح قوم الذال وكسروا الراء . وبد آخرون مع ذلك الحمزة
(المراصد) ، وهي كورة بلى الجبل من بلاد العراق (البكرى) .

(٤) ديوانه : ١٠٠ .

فَرَى الْغُرَّ (١) الْجَحَاجِعَ مِنْ قُرَيْشٍ
 إِذَا مَا الْمَرْءُ فِي الْحَدَثَانِ غَالَا
 قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدِ
 كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هَلَالًا

وحكى الزبيد بن بكار قال (٢) : لما عُزل سَعِيد عن المدينة
 انصرف عن المسجد وَخَذَهُ ، فَتَبِعَهُ رَجُلٌ ، فنظر إليه سَعِيد رَضِيَ اللهُ
 عنه ، وقال : أَلَك حاجة ؟ قال : لا ، ولكنى رَأَيْتُكَ وَخَذَكَ ، فوصلتُ
 جَنَاحَكَ . فقال له : وصدك الله يا ابن أخى ، اطلب لى دَوَاةً وَجِلْدًا ،
 واذعُ لى مولاى فَلَانَا ، فَأَنَاهُ بِذَلِكَ ، فكتب له بعشرين ألف درهم ،
 وقال : إِذَا جَاءَتْ غَلْنُنَا دَفَعْنَا ذَلِكَ إِلَيْكَ ، فمات فى تلك السنة ،
 فَأَتَى بِالْكِتَابِ إِلَى ابْنِهِ عَمْرُو ، فَأَعْطَاهُ الْمَالَ .

وكان لسعيد بن العاص سبعة بنين ، وهم : عَمْرُو هذا :
 ومحمد ، وعبد الله ، ويحيى ، وعثمان ، وعَنْبَسَة ، وأبان .
 وكانت وفاة سَعِيد فى سنة [٥٩ هـ] تسع وخمسين . ولترجع
 إلى أخبار عبد الملك :

ذكر عصيان الجراجمة بالشام

وما كان من أمرهم

هذه الحادثة ذكرها ابن الأثير (٣) فى سنة [٦٩ هـ] تسع وستين ،
 فقال : لما امتنع عمرو بن سَعِيد على عَبْدِ الْمَلِك خرج قائدٌ مِنْ قُوَّادِ

(١) فى الديوان : الثم .

(٢) الأغاني : ٣٢-١ ، وقصص العرب : ١-١٩٩ .

(٣) صفحة ٤٠٠ ، جزء ثالث .

الضواحي في جبل اللُكَّام ^(١) وأتبعه خلقٌ كثير من الجَرَّاجمة ^(٢) والأنباط ، وأباني عبيد المسلمين ، وغيرهم ، وسار إلى لُبْنان ، فلما فرغ عبْدُ الملك من صَمْرُو أرسل إلى هذا الخارج عليه ، فبذل له في جُمعة ألف دينار ، فركنَ إلى ذلك ، ولم يُفَسِدْ في البلاد ، ثم وضع عليه عبْدُ الملك سُحيم بن المُهاجر ، فتلطّف حتى وصل إليه متنكراً ، وأظهر العيّلَ إليه ، ووعدّه أن يذكّه على عَوَرَاتِ عبْد الملك ، وما هو خيرٌ له من الصلح ، فوثق به ، ثم أتاه سُحيم في جيشٍ من مَوَالِي عبد الملك وبني أمية وجند من ثقات جُنْدِه والخارج ومنّ معه على غير أهبة ، فدهمهم ^(٣) ، وأمر فنودي : مَنْ أتاننا من العبيد [يعني الذين كانوا معه] ^(٤) فهو حرٌّ ، وثبت في الديوان ، فالتحق به خلقٌ كثيرٌ منهم ، وقاتلوا معه ، فقتلَ الخارجُ ومنّ أَعانته مِنَ الروم ، وقتلَ نَفَرٌ من الجَرَّاجمة والأنباط ، ونادى بالأمان فيمن بقي منهم فتفرّقوا ، وعاد إلى عبْد الملك ووفى للعبيد .

وفي سنة تسع اجتمعت الرومُ واستجاشوا ^(٥) على من بالشام ، فصالح عبْد الملك ملكهم على أن يؤدّي إليه في كل جمعة ألف دينار . وفيها كان يوم الجُمُرة وقد تقدم ذكره ^(٦) في أخبار ابن الزبير رضي الله عنه .

(١) اللُكَّام : بالضم والتشديد . ويرى بالتخفيف ، وهو الجبل المشرف على أنطاكية والمصيصة وطرسوس (المراصد) .

(٢) الجَرَّاجمة : قوم من عجم الجزيرة ، أو نبط الشام (القاموس) .

(٣) الفعل مثل سمع ومنع (القاموس) .

(٤) من الكامل .

(٥) استجاش عليهم : طلب لهم الجيش ، وجمعه عليهم (اللسان - جيش) .

(٦) تقدم صفحة ٧٧

ذكر خبر عمير بن الحباب بن جعدة السلمى

وما كان بين قَيْسٍ وتغلب من الحروب إلى أن قُتِلَ عُمَيْرُ
ابن الحَبَّابِ وما كان بعد ذلك .

كان مَقْتُلُ عُمَيْرِ بن الحَبَّابِ فى سنة [٥٧٠] سبعين ، وكان سبب ذلك أن عُمَيْرَ بن الحَبَّابِ لما انقضى مَرْجُ رَاهِطِ النَحْقِ بَزُفَرِ بن الحارثِ الْكِلَابِيِّ بَقَرَقَيْسِيَا ، ثم بايع مَرْوَانَ وفى نفسه ما فيها بسبب قَتْلِ قَيْسٍ بِالْمَرْجِ ^(١) ، فلما سار عُبَيْدُ اللَّهِ بن زياد إلى الموصل كان معه ، وقد ذكرنا اتفاقه مع إبراهيم بن الأشتر وانهزمه ، حتى قُتِلَ عُبَيْدُ اللَّهِ [بن زياد] ^(٢) ، وانهزمت جيوشُ الشَّامِ ، فلما كان ذلك أتى عُمَيْرُ ابن الحَبَّابِ بَقَرَقَيْسِيَا ، وصار مع زُفَرِ بن الحارثِ ، فجعلا يَطْلُبَانِ كَلْبًا وَالْيَانِيَّةَ بَسْمَنَ قُتِلُوا مِنْ قَيْسٍ ، وكان معهما قومٌ من تَغْلِبَ يقاتلون معهما ، ويدلُونهما ، وشُغِلَ عبد الملك عنهما بِمُضْعَبَ ، وتغلب عُمَيْرُ على نَصِيبِينَ ^(٣) ، ثم ملَّ المقام بَقَرَقَيْسِيَا ، فاستأْنَى من إلى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَمَنَهُ ، ثم غَدَرَ به فحبسه عند مَوْلَاهُ الرِّبَّانِ ، فسقاه عُمَيْرُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْحَرَمِ خَمْرًا حَتَّى أَسْكَرَهُمْ ، وتسلَّقَ فى سُلَّمٍ مِنَ الْحِجَالِ ، وخرج من الحبس ، وعاد إلى الجزيرة ، ونزل على نَهْرِ الْبَلِيخِ ^(٤) بين حَرَّانَ وَالرَّقَّةَ ، فاجتمعت إليه قَيْسٌ ، فكان يُغَيِّرُ بِهِمْ ^(٥) على كَلْبِ وَالْيَانِيَّةِ ، وكان مِنْ مَعِهِ يُسَيْبِيُّونَ ^(٦) جَوَارَ تَغْلِبَ ، ويستخرون

(١) مرج رَاهِطَ ، كما تقدم . (٢) من الكامل .

(٣) بالفتح ، ثم الكسر ، ثم ياء (المراصد) .

(٤) اسم نهر بالرقعة (ياقوت) . (٥) فِى د : يغز بهم .

(٦) فِى د : بسيف - تحريف .

مشايخهم من النصارى ، فهاج ذلك بينهم شراً ، إلا أنه لم يبلغ الحرب . ثم إن عُمَيْرًا أغار على كَلْب ، ورجع فنزل على الخَابُور ، وكانت منازلُ تغلب بين الخابور والفُرات وِدَجَلَة ، وكانت بحيث نزل عمير - امرأة من تميم ناكحٌ في تغلب ، يقال لها أم ذُويل ^(١) ، فأخذ غلامٌ من بنى الحَرِيش أصحابَ عمير عتراً من غَنَمها ، فشكت ذلك إلى عُمير ، فلم يَمْنَعُ عنها ، فأخذوا الباقي ، فمانعهم قومٌ من تغلب ، فقتل منهم رجلٌ يقال له مجاشع التغلبى ، وجاء ذُويل فشكت أمه إليه ، وكان من فُرسانِ تغلب ، فسار في قومه وجعل يذكُرهم ما يصنع بهم قيس ، فاجتمع منهم جماعةٌ وأمروا عليهم شُعَيْثٌ ^(٢) ابن مُلَيْل التغلبى ، فأغاروا على بنى الحَرِيش ومعهم قومٌ من نَمِير ، فقتل فيهم التغلبيون واستاقوا ذُوداً لامرأة منهم يقال لها أم الهَيْثَم ، فمانعهم القَيْسِيُّونَ ، فلم يقدروا على منعهم ، فكان بينهم أيامٌ ^(٣) مذكرة نحن نذكرها على سبيل الاختصار ؛ منها :

يوم مَأكِيسين ^(٤) :

قال : ولما استحكم الشرُّ بين قَيْسٍ وتَغْلِبَ ، وعلى قَيْسٍ عُمَيْرُ ، وعلى تغلب شُعَيْثٌ ^(٢) بن مُلَيْل غزا عُمَيْرُ بنى تغلب وجماعتهم بِمَأكِيسين من الخَابُور فاقْتَتَلُوا قتالاً شديداً ، وهى أولُ وقعةٍ كانت بينهم ، فقتل من بنى تغلب خمسمائة وقتل شُعَيْثٌ ، وكانت رِجْلُهُ قد قُطعت ، فجعل يقاتل حتى قُتل ، وهو يقول :

(١) بالبدال المهملة فى الكامل .

(٢) فى الكامل : شعيب بن ملك . والمثبت فى معجم ما استعجم .

(٣) فى الكامل : أياما .

(٤) ماكسين - بكسر الكاف : بلد بالخابور (المراصد) ، وفى البكرى :

بفتح الكاف وكسر السين المهملة بعدها ياء ونون : قرية لبنى تغلب على شاطئ الفرات .

قد علمت قيس ونحن نعلم أَنَّ الفتى يَقْتُلُ وهو أَجْذَم
ويوم الثُّرَّار الأول :

والثُّرَّار^(١) نهر أصل مَنبَعه شرق مدينة سِنْجَار يفرغ فى دجلة .
قال : لما قُتِل من تغلب بماكيسينَ مَنْ قُتِل استمَدَّتْ تَغْلِبُ وَحَسَدَتْ
واجتمعت إليها النُّمر بن قاسط ، وأناها المَجْشَر^(٢)
ابن الحارث الشيباني . وكان من ساداتهم بالجزيرة ، وأناها عُبَيْدُ اللَّهِ
ابن زياد بن ظبيان مُنْجِدًا لهم ، واستنجد عُمَيْرُ نِمْما وأسدًا فلم يُنْجِدْهُ
منهم أحد ، فالتقوا على الثُّرَّارِ ، وقد جعلت تَغْلِبُ عليها بعد سُعيث
زياد بن هُوَبر^(٣) ، ويقال يزيد بن هُوَبر التغلبي ، فاقتتلوا ،
فانهزمت قيس ، وَقَتَلَتْ تَغْلِبُ منها مقتلَةً عظيمة ، وبقرُوا بطونَ
ثلاثين امرأة من بنى سُلَيم .

ويوم الثُّرَّار الثانى :

قال : ثم إِنَّ قيسًا تَجَمَّعَتْ واستمَدَّت ، وأناها زُفَرُ بن الحارث
من قُرَيْسِيَا ، فالتقوا بالثُّرَّارِ ، واقتتلوا قتالًا شديدًا ، فانهزمت تغلب
ومن معها .

ويوم الفُدين :

قال : وأغار عُمَيْرُ على الفُدين^(٤) ، وهى قَرْيَةٌ على الخابور
فَقَتَلَ مِنْهَا مِنْ بَنَى تَغْلِبُ .

(١) الثُّرَّار - بفتح أوله ، وبطاء مثله ثانية قبل الراء ، ثم راء ثانية : ماء
معروف قبل تكريت (المراسد) . (٢) الضبط من المشبه .
(٣) والقاموس . (٤) بالصغير (البكرى) .

ويوم السُّكَيْر :

وهو على الخابور ؛ يسمى سُكَيْر^(١) العباس ؛ قال : ثم اجتمعوا
والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت تغلب والنمر ، وهرب عُمَيْر
ابن جندل ، وهو من فرسان تغلب ؛ فقال عُمَيْر بن الحباب :

وأفلتنا يوم السُّكَيْر ابن جندل على سابع عُوج اللبانِ مثابر
ونحن كرزنا الخيل قُباً^(٢) نَمَوازِبا دِقَاقَ الهَوَادِي دَامِيَاتِ الدَّوَابِرِ
ويوم المعارك :

والمعارك بين الحَضَر^(٣) والعَمِيْق من أَرْضِ الموصل ، اجتمعت
تغلب بهذا المكان فالتقوا هم وقَبَس ، واقتتلوا به ، فاشتد قتالُهُمْ ،
فانهزمت تغلب ، فيقال : إن يوم المعارك والحضر واحدٌ هزموهم
إلى الحَضَر ، وقَتَلُوا منهم بشراً كثيراً . وقيل : هما يومان ، كانا
لِقَيْس على تغلب . والتقوا أيضاً بِلِي^(٤) فوق تَكْرِيت فنناصفوا ،
فَقَيْس تقولُ : كان الفضل إلى^(٥) ، وتغلب تقول : كان لنا .
ويوم الشَّرْعِيَّة :

ثم التقوا بالشَّرْعِيَّة فكانَ بينهم قتالٌ شديد كان لتغلب على
قيس ، قُتِل يومئذٍ عمار بن الهمَز^(٦) السلمي . والشَّرْعِيَّة هذه من
بلاد تغلب ليست الشَّرْعِيَّة التي ببلاد منبج .

(١) الضبط في المراسد .

(٢) في الكامل : قدما . والقب : دقة الحضر وضمر البطن ، والشاذب :

الضامر اليابس (قاموس) .

(٣) والمراسد ، والبكرى .

(٤) في المراسد : بكسر أوله . وفي ياقوت ضبط بكسر اللام وتشديد الباء وقال :
صوابه أن يكتب بالياء ، وإنما كتبه هنا بالالف على اللفظ : من أرض الموصل .
(٥) في الكامل : لنا .

(٦) والمشته .

ويوم البليخ :

والبليخ : نهر بين حرّان والرقة اجتمعت تغلب ، وسارت إليه ،
وهناك عمير في قيس ، فالتقوا واقتتلوا فانهمزمت تغلب ، وكثر القتل
فيها وبقرت بطون النساء كما فعلوا يوم الثرثار . [والله علم ^(١)] .

ذكر يوم الحشاك ^(٢)

ومقتل عمير بن الحباب السلمى وابن هوبر التغلبى

قال : ولما رأت تغلب [إلحاح] ^(٣) عمير بن الحباب عليها
جمعت حاضرها وباديها ، وساروا إلى الحشاك - وهو نهر
قريب من الشرعبيّة ، فاتّاهم عمير في قيس ، ومعه زُفر بن الحارث
الكلابى ، وابنه الهليل بن زُفر ، وعلى تغلب ابن هوبر ^(٤) ، فاقتتلوا
عند تل الحشاك أشد قتال حتى جنّ عليهم الليل ، ثم تفرقوا واقتتلوا
من الغد إلى الليل ، ثم تهاجروا وأصبحت تغلب في اليوم الثالث ،
فتعاقدوا ألا يغيروا ، فلما رأى عمير جدّهم برأى نساءهم معهم قال
لقيس : يا قوم ؛ أرى لكم أن تنصرفوا عن هؤلاء فإنهم مستقثلون ،
فإذا اطمأنوا وساروا وجّهنا إلى كل قوم منهم من يُغير عليهم . فقال له
عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلى : قتلت فرسان قيس أمس
وأول أمس ، ثم ملئ سحرّك وجبنت . ويقال : إن الذى قال
هذه المقالة عيينة بن أسماء بن خارجة الفزارى ، وكان أناة منجداً ،
فغضب عليه عمير ونزل وجعل يقاتل واجلاً وهو يقول :

(١) من د .

(٢) الحشاك - بالفتح والتشديد ، وآخره كاف : واد ونهر بأرض الجزيرة
كانت فيه وقعة لتغلب (المراصد) .

(٣) من الكامل . (٤) ك : هويز .

أنا عُمَيْر وأبـو الغلس قد أحبس القوم بضنك فاحبس
وانهزم زُفر بن الحارث في اليوم الثالث ، فلاحق بقرقيسا ، وذلك أنه بلغه
أن عبد الملك عزم على الحركة إليه بقرقيسيا ، فبادر إليها ، وانهزمت
قيس ، وشد على عُمَيْر جميل بن قيس من بني كعب بن زهير
فقتله .

ويقال : بل اجتمع على عُمَيْر غلمان (١) من بني تغلب فرمّوه (١)
بالحجارة وقد أعيأ حتى أثنوه ، وكثر عليه ابن هُوَيْر فقتله ، وأصاب
ابن هُوَيْر جراحة ، فلما انقضت الحرب أوصى بني تغلب أن يولّوا
أمرهم مرار (٢) بن علقمة الزهيري . وقيل : إن ابن هُوَيْر جرح
في اليوم الثاني من أيامهم هذه ، فأوصى أن يولّوا مراراً أمرهم ، ومات
من ليلته ، وكان مرار رئيسهم في اليوم الثالث ، فعباهم على رأيائهم ،
وأمر كل بني أبي أن يجعلوا نساءهم خلفهم ، وكان ما تقدّم .

وكثر القتل يومئذ في بني سليم وغني خاصة ، وقتل من قيس
أيضاً بشر كثير ، وبعث بنو تغلب رأس عُمَيْر إلى عبد الملك بن مروان ،
فأعطى الوفد ، وكساهم . فلما صالح عبد الملك زُفر بن الحارث
اجتمع الناس عليه ، فقال الأخطل (٣) :

بني أمية قد ناضلت دونكمـو

أبناء قوم هم آووا وهم نصـروا

(١) في الكامل : غلمان ... فرمياه .

(٢) في الكامل : مرادا .

(٣) والكامل : ٤ - ٧ .

وقيس عيلان حتى أقبلوا^(١) رقصا
 فبايعوا لك قسرا بعدما قهروا
 ضجوا من الحرب إذ عصت غواربهم
 وقيس عيلان من أخلاقها الضجر^(٢)
 وكان مقتل عمير بن الحباب في سنة [٥٧٠هـ] سبعين [كما تقدم] ^(٣).

ذكر الحرب بعد مقتل عمير بن الحباب السلمى

قال : ولما قُتِلَ عمير أتى ابنه تميم زُفر بن الحارث ، فسأله الطلب
 بشأره ، فامتنع فقال له ابنه الهذيل بن زُفر : والله لئن ظفرت بهم
 تغلب إن ذلك لعار عليك ، ولئن ظفروا بتغلب وقد خذلتهم إن ذلك
 لأشد ، فاستخلف زُفر على قريشياً أخاه أوس بن الحارث ووجه
 زُفر خيلاً إلى بنى قنوكس^(٤) : وهم بطن من تغلب ، فقتل رجالهم ،
 واستبيحت الأموال [والنساء] ^(٥) حتى لم يبق منهم غير امرأة
 واحدة استجارت ، فأجارها يزيد بن حمران ، ووجه ابنه الهذيل
 في جيش إلى بنى كعب بن زهير ، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، وبعث
 أيضاً مسلم بن ربيعة العقيلي إلى قوم من تغلب وقد اجتمعوا^(٥)
 بالعقيق من أرض الموصل ، فلما أحسوا به ارتحلوا يريدون عبور
 دجلة ، فلما صاروا بالكحيل وهو من أرض الموصل في جانب دجلة

(١) في ١ : أقبلوا .

(٢) في الكامل : من أخلاقها ضجروا .

(٣) في د وحدها .

(٤) والقاموس .

(٥) في الكامل : أجمعوا .

الغربي : فلحقهم زُفر بن الحارث [به] ^(١) في القيسية : فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وترجل أصحابُ زُفر كلُّهم ، وبقي زُفر على بغلة له فقتلوهم ليلتهم وبقروا بطون نساء منهم ، وغرق في دجلة أكثر من قُتِل بالسيف : وأتى ^(٢) فلهم لبي فوجه زُفر ابنه الهذيل فأوقع بهم إلا من عبر فتجأ ، وأسر منهم زُفر مائتين فقتلهم صبراً ، فقال في ذلك زُفر ^(٣) :
 ألا يا عين بكى بانسكاب وبكى عاصما وابن الحُبَاب
 فإنْ تَكُ تغلب قتلْتَ عُميراً ورهطاً من غي في الحراب
 فقد أفتى بنى جُثم بن بكسر ونمرهم ^(٤) فوارس من كلاب
 قتلنا منهمو مائتين صبراً وماعدلوا عُمير بن الحُبَاب
 وأسر القطامي التغلبي في يومٍ من أيامهم ، وأخذ ماله ، فقام زُفر بأمره حتى ردَّ عليه ماله ووصله ، فقال فيه ^(٥) :

إني وإن كان قومي ليس بينهمو وبين قَوْمِكَ إلا ضربة الهادي
 مثن عليك بما أوليت من حسن وقد تعرض مني مقتلُ بادي

ذكر خبر يوم البشر ^(٥)

كان سبب هذا اليوم أن عبد الملك لما استقر له الأمر قدم عليه الأخطل الشاعر التغلبي وعنده الجحاف بن حكيم السلمى ، فقال له عبد الملك : أتعرف هذا يا أخطل ؟ قال : نعم ، هذا الذي أقولُ فيه ^(٦) :

(١) زيادة من الكامل . (٢) في الكامل : فرأى .

(٣) والكامل : ٤ - ٨ .

(٤) يربد النمر بن قاسط ، وهي قبيلة ، وسكن لضرورة الشعر .

(٥) البشر - بكسر أوله ثم السكون : اسم جبل . قال البكري : وسمى

البشر برجل من النمر بن قاسط كان يخفر السابلة يسمى بشرا .

(٦) والشعر والشعراء : ٤٥٧ .

أَلَا سَائِلِ الْجَحَافَ هَلْ هُوَ نَائِرٌ بِقَتْلِ أَصِيبَتٍ مِنْ سُلَيْمٍ أَوْ عَامِرٍ
وَأَنْشُدِ الْقَصِيدَةَ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا ، وَكَانَ الْجَحَافُ يَأْكُلُ رَطْبًا فَعَجَلَ
النَّوَى يَتَسَاقَطُ مِنْ يَدِهِ غِيظًا ، ثُمَّ أَجَابَهُ فَقَالَ :
بَلَى سَوْفَ نَبْكِيهِمْ بِكُلِّ مُهْنَدٍ وَتَنْتَعَى عُمَيْرًا بِالرَّمَاكِ الشَّوَاكِ
ثُمَّ قَالَ يَا ابْنَ النُّصْرَانِيَّةِ ، مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ تَجْتَرِىءُ عَلَى بَمَثَلِ
هَذَا . فَأَرْعُدْ مِنْ خَوْفِهِ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَمْسَكَ ذَيْلَهُ ، وَقَالَ :
هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ . فَقَالَ : أَنَا لَكَ ، ثُمَّ قَامَ الْجَحَافُ فَمَشَى وَهُوَ
يَجْرُؤُ بِهِ ، وَلَا يَعْقِلُ ، فَتَلَطَّفَ لِبَعْضِ كُتَّابِ الدِّيْوَانِ حَتَّى اخْتَلَقَ لَهُ
عَهْدًا عَلَى صَدَقَاتٍ تَغْلِبُ وَبُكْرًا بِالْجَزِيرَةِ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنَّ أَمِيرَ
أَوْمَيْنٍ وَلَأَنَّى هَذِهِ الصَّدَقَاتِ ، فَمَنْ أَرَادَ اللَّحَاقَ بِي فَلْيَفْعَلْ .

ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى رُصَافَةَ هَشَامٍ ، فَأَعْلَمَ أَصْحَابَهُ مَا كَانَ مِنَ الْأَخْطَلِ
إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ افْتَعَلَ كِتَابًا وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ يَوَالٍ ، فَمَنْ كَانَ يَحِبُّ أَنْ
يَغْيِلَ عَنِ الْعَارِ وَعَنْ نَفْسِهِ فَلْيَضْحَكُنِي ، فَإِنِّي أَقْسَمْتُ إِلَّا أَغْسِلَ
رَأْسِي حَتَّى أَوْقَعَ بَنِي تَغْلِبَ . فَرَجَعُوا عَنْهُ غَيْرَ ثَلَاثِمِائَةٍ قَالُوا : نَمُوتُ
لَمَوْتِكَ وَنَحْيَا لِحَيَاتِكَ ، فَسَارَ لَيْلَتَهُ حَتَّى أَصْبَحَ بِالرُّحُوبِ (١) ،
وَهُوَ مَاءُ بَنِي جُثَمِ (٢) بِنِ بَكْرِ بْنِ تَغْلِبَ ، فَصَادَفَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ
عَظِيمَةٌ مِنْهُمْ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَأَسْرَ الْأَخْطَلَ وَعَلِيهِ عِبَاءَةٌ
وَسَخَةٌ ، وَظَنَّ الَّذِي أَسْرَهُ أَنَّهُ عَبْدٌ ، فَسَأَلَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، فَقَالَ :
عَبْدٌ . فَأَطْلَقَهُ فَرَمَى بِنَفْسِهِ فِي جُثْبٍ ، مَخَافَةً أَنْ يَرَاهُ مَنْ يَعْرِفُهُ فَيَقْتُلَهُ ،

(١) الرُّحُوبُ - بفتح أوله ، على بناء فَعُولٍ : موضع قريب من البشر
من عمل الجزيرة (ياقوت) .
(٢) والمراد .

وأُسْرِفَ الجَحَافُ فِي الْقَتْلِ ، وَبَقَرَ الْبَطُونَ عَنِ الْأَجِنَّةِ ؛ وَفَعَلَ أَمْرًا عَظِيمًا ،
فَلَمَّا عَادَ عَنْهُمْ قَدِمَ الْأَخْطَلُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَنشَدَهُ (١) :

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبَشْرِ وَقَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُشْتَكَى وَالْمُعُولُ
فَطَلَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْجَحَافَ فَهَرَبَ إِلَى الرُّومِ ، فَكَانَ يَتَرَدَّدُ فِيهَا ،
ثُمَّ بَعَثَ إِلَى بَطَانَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ قَيْسٍ ، فَطَلَبُوا لَهُ الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُ
عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا جَاءَ أَلْزَمَهُ دِيَّاتَ مَنْ قُتِلَ ، وَأَخَذَ مِنْهُ الْكُفْلَاءَ ،
فَسَمِيَ فِيهَا حَتَّى جُمِعَ وَأَعْطَاهَا ، ثُمَّ تَنَسَّكَ الْجَحَافُ بَغْدَ ، وَصَلَحَ ،
وَمَضَى حَاجًّا فَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ،
وَمَا أَظْنُكَ تَفْعَلُ ! فَسَمِعَهُ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ ، فَقَالَ : يَا شَيْخَ ، قُنُوطُكَ
شَرٌّ مِنْ قَنْبِكَ .

وَقِيلَ : كَانَ سَبَبَ عَوْدِ الْجَحَافِ أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ أَكْرَمَهُ وَفَرَّبَهُ
وَعَرَضَ عَلَيْهِ النِّصْرَانِيَّةَ ، وَيُعْطِيهِ مَا شَاءَ ، فَامْتَنَعَ ، وَقَالَ : مَا أَنْيَتُكَ
غَيْبَةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ .

ثُمَّ هَزَمَ الْجَحَافُ صَائِفَةَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَخْبَرُوا عَبْدَ الْمَلِكِ أَنَّ الَّذِي
هَزَمَهُمُ الْجَحَافُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَأَمَّنَهُ ، فَسَارَ فِي بِلَادِ الرُّومِ ،
وَقَصَدَ الْبِشْرَ وَبِهِ حَيٌّ مِنْ تَغْلِبَ وَقَدْ لَبَسَ أَكْفَانَهُ ، وَقَالَ : قَدْ جِئْتُ
إِلَيْكُمْ أَعْطَى الْقَوْدَ مِنْ نَفْسِي ، فَأَرَادَ شَبَابِيَهُمْ قَتْلَهُ ، فَتَهَاكُمُ شَيْوُخُهُمْ ،
وَعَفَوْا عَنْهُ ، فَحَجَّ ، فَسَمِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو وَهُوَ يَطُوفُ وَيَقُولُ :
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَمَا أَظْنُكَ تَفْعَلُ ! فَقَالَ ابْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :
لَوْ كُنْتُ الْجَحَافَ مَازِدْتَ عَلَى هَذَا . قَالَ : فَأَنَا الْجَحَافُ .

ذكر مسير عبد الملك بن مروان الى العراق

وقتل مُضْعَب بن الزبير واستيلاء عبد الملك على العراق

[وفى جمادى الآخرة سنة [٥٧١هـ] إحدى وسبعين كان مقتل مصعب بن الزبير بن العوام واستيلاء عبد الملك على العراق] (١) ؛ وسبب ذلك أَنَّ عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد كما تقدم وَضَعَ السيف على مَنْ خالفه ، فصفا له الشام ، فلما لم يبقَ له بالشام مُخَالَف أَجْمَعَ المَسِيرَ إلى مُضْعَب بن الزبير بالعراق ، فاستشار أصحابه فى ذلك ، فأشار عليه عُمُ يَحْيَى بن الحكم أَنْ يَقْنَعَ بالشام ويترك ابنَ الزبير والعراق ، فكان عَبْدُ الملك يقول : مَنْ أَرَادَ صَوَابَ الرَّأْيِ فَلْيُخَالَفْ يَحْيَى . وأشار بعضهم أَنْ يُؤَخَّرَ السَّيْرُ هذا العام ، وأشار محمد بن مروان أَنْ يُقِيمَ وَيُبْعَثَ بَعْضُ أَهْلِهِ ، ويمدَّ بالجنود . فأبَى إِلَّا المَسِيرَ . فلما عزم على المسير ودَّعَ زَوْجَتَهُ عاتكة بنت يزيد بن معاوية : فبَكَتْ فَبَكَى جَوَارِيهَا لِبُكَائِهَا ، فقال : قَاتِلِ اللَّهَ كَثِيرَ عَزَّةٍ ، لَكَائِهِ يَشَاهِدُنَا حِينَ يَقُولُ (٢) :

إِذَا مَا أَرَادَ الْغَزْوُ لَمْ يَشْرَ هَمُّهُ حَصَانٌ عَلَيْهَا عَقْدُ دُرٍّ يَزِينُهَا
نَهَتْهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَبَهُ بَكَتْ فَبَكَى مَا عَنَّاها قَطِينُهَا (٣)
وسارَ عَبْدُ الملك نَحْوَ العراق ، فلما بلغ مُضْعَب بن الزبير مَسِيرَهُ وهو بالبصرة أَرْسَلَ إلى المهلب بن أبى صُفْرَةَ وهو يُقَاتِلُ الْخَوَارِجَ

(١) ما يفت من ك .

(٢) الأغاني : ٩-٢١ .

(٣) القطيع : الخدم والأتباع .

يستشيريه . وقيل : بل أحضره إليه ، فقال لمصعب : اعلم أن أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم فلا تبعثني [عنك] (١) .
فقال له مصعب : إن أهل البصرة قد أبوا أن يسيروا حتى أجعلك على قتال الخوارج ، وهم قد بلغوا سوق الأهواز ، وأنا أكره إذ سار عبد الملك [إلى] (١) ألا أسير إليه ، فأكفيني هذا الثغر (٢) .
فعاد إليهم ، وسار مضعب إلى الكوفة ومعه الأحنف فتوفي الأحنف بالكوفة ، وأحضر مضعب إبراهيم بن الأشتر ، وكان على الموصل والجزيرة ، فجعله على مقدمته ، وسار حتى نزل باجميرا (٣) قريب أوأنا فعسكر هناك ، وسار عبد الملك حتى نزل بمسكن (٤) على فرسخين أو ثلاثة من عسكر مضعب .

وكتب عبد الملك إلى أهل العراق من كاتبه ومن لم يكاتبه ، فجميعهم طلب أصفهان طعنة ، وأخفوا جميعهم كتبهم عن مضعب إلا ابن الأشتر فإنه أحضر كتابه مختوماً إلى مضعب ، فقرأه فإذا هو يدعوه إلى نفسه ، ويجعل له ولاية العراق . فقال له مصعب : أتدري ما فيه ؟ قال : لا . قال : إنه يعرض عليك كذا وكذا ، وإن هذا لما (٥) يرغب فيه . فقال إبراهيم : ما كنت لأتقلد الغدر والخيانة ، والله

(١) زيادة من الكامل .

(٢) في الكامل : الثغر .

(٣) باجميرا : بضم الجيم ، وفتح الميم ، وياء ساكنة ، وراء - مقصور : موضع دون تكرير .

وأوأنا : بليدة من نواحي دجيل بغداد ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (يافوت) .

(٤) مسكن - بفتح ثم سكون ، وكسر الكاف ، ونون ، وقد يقال بفتح الكاف أيضا .

(٥) في د : لما .

ما [عند] (١) عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بِأَيِّسٍ مِنْهُ مَنِ ، وَلَقَدْ كَتَبَ إِلَى جَمِيعِ أَصْحَابِكَ مِثْلَ الَّذِى كَتَبَ إِلِىَّ ، فَأَطِيعْنِى وَاضْرِبْ أَهْنَاهُمْ . فَقَالَ : إِذَا لَا تَنَاصَحْنِى عَشَائِرُهُمْ .

قَالَ : فَأَوْقَرَهُمْ حَدِيدًا ، وَابْتَعَثَ بِهِمْ إِلَى أَبِيضٍ كِسْرَى ، وَاجْبِسَهُمْ هُنَاكَ ، وَوَكَّلَ بِهِمْ مِنْ إِنْ غُلِبَتْ وَتَفَرَّقَتْ عَشَائِرُهُمْ عَنْكَ ضَرْبَ رِقَابِهِمْ ، وَإِنْ ظَهَرَتْ مَنَنْتَ عَلَى عَشَائِرِهِمْ بِإِطْلَانِهِمْ . فَقَالَ : إِنْ لَقِى شُغْلٌ عَنْ ذَلِكَ .

وَلَمَّا قَرَّبَ الْعَسْكَرُ أَنْ يَبْعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى مُضْعَبٍ يَقُولُ : دَعِ الدُّعَاءَ لِأَخِيكَ ، وَأَدْعُ الدُّعَاءَ إِلَى نَفْسِى ، وَنَجْعَلِ الْأَمْرَ مُشَوَّرَى . فَأَبَى مُضْعَبٌ إِلَّا السِّيفَ .

فَقَدَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَخَاهُ مُحَمَّدًا . وَقَدَّمَ الْمُضْعَبَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ ، فَالتَقِيَا ، فَتَنَافَسَ الْفَرِيقَانِ ، فَقُتِلَ صَاحِبُ لَوَاءِ مُحَمَّدٍ ، وَجَعَلَ مُضْعَبُ يَمْدُ إِبْرَاهِيمَ ، فَأَزَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ عَنْ مَوْقِفِهِ ، فَوَجَّهَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَقُتِلَ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرِو الْبَاهِلِ وَالِدُ قُتَيْبَةَ ، وَهُوَ فِي أَصْحَابِ مُضْعَبٍ ، وَأَمَدَّ مُضْعَبُ إِبْرَاهِيمَ بَعْتَابَ بْنَ وَرْقَاءَ ؛ فَسَاءَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ ، وَاسْتَرْجَعَ ، وَقَالَ : قَدْ قُلْتُ لَهُ : لَا يَمْدُنِى بَعْتَابُ وَضُرِّيَّائِهِ . وَكَانَ عَتَّابٌ قَدْ كَاتَبَ عَبْدَ الْمَلِكِ وَبَايَعَهُ ، فَانْهَزَمَ عَتَّابُ بِالنَّاسِ وَصَبَرَ ابْنُ الْأَشْتَرِ ، وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، قَتَلَهُ عُبَيْدُ بْنُ مَيْسَرَةَ مَوْلَى بَنِي عُذْرَةَ (٢) ، وَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ . وَتَقَدَّمَ أَهْلُ الشَّامِ فَقَاتَلَهُمْ مُضْعَبُ ، وَقَالَ لِقُطْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيِّ : قَدِمَ خَيْلُكَ أَبَا عَثَانَ . فَقَالَ : أَكْرَهُ أَنْ تَقْتُلَ مُنْجَحَ فِي غَيْرِ

شيء . فقال لِحَجَّار^(١) بن أَبَجَر : أبا أسيد : قَدُم خَيْلُكَ . فقال :
إلى هؤلاء الأتَّان ! قال : ما نساخر إليه أتَّان .

وقال لمحمد بن عَبْدِ الرحمن بن سَعِيد : قَدُم خَيْلُكَ . فقال :
ما فعل أحد هذا فافعله . فقال مُضْعَب : يا إبراهيم ، ولا إبراهيم
لى اليوم ! ثم التفت فرأى عُرْوَةَ بن المغيرة بن شعبة فاستدناه ،
فقال له : أَخْبِرْنِي عن الحُسَيْن بن على كيف صَنَعَ بامتناعه عن التَّزُولِ
على حُكْم ابن زِيَاد وعَزَمه على الحرب ؟ فَأَخْبِرْهُ ، فقال^(٢) :

إِن الْأُلَّ بِالطُّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَمَّسُوا فَسَنُوا لِلْكَرَامِ النَّاسِيَا
ثم دنا محمد بن مَرْوَانَ مِنْ مُضْعَب ، وناداه : أنا ابْنُ عَمِّكَ محمد
ابن مروان ، فاقْبَلْ أَمَانَ أمير المؤمنين . قال : أمير المؤمنين بمكة ،
يعنى أخاه عَبْدُ الله . قال : فَإِنَّ الْقَوْمَ خَاذِلُوكَ ، فَأَبَى مَاعَرِضَ عَلَيْهِ .
فنادى محمد عيسى بن مُضْعَب إليه ، فقال له مضعب : انظر ما يُرِيدُ ،
فدنا منه : فقال له : إني لك وَلِابْنِكَ ناصح ، وَلَكُمَا الْأَمَانُ . فرجع
إلى أبيه فَأَخْبِرْهُ . فقال : إني أَظُنُّ الْقَوْمَ يَفُونُكَ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ
أَنْ تَأْتِيَهُمْ ، فافعل . قال : لَا تَتَحَدَّثْ نِسَاءَ قَرِيشٍ أَنَّنِي خَذَلْتُكَ ،
وَرَغِبْتُ بِنَفْسِي عَنْكَ . قال : فاذهب أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ إِلَى عَمِّكَ بِمَكَّةَ ،
فَأَخْبِرْهُ بِمَا^(٣) صَنَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَدَعْنِي فَإِنِّي مَقْتُولٌ . فقال : لَا أَخْبِرُ
قَرِيشًا عَنْكَ أَبَدًا ، وَلَكِنْ يَا أَبَتِ الْحَقِّ بِالْبَصْرَةِ فَإِنَّهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ ،

(١) والقاموس .

(٢) والطبري : ١٥٦-٦ ، واللسان (أسي) ، غير معزو .

(٣) في د : ما .

أو الحق بأمر المؤمنين . فقال مُصْعَب : لا تتحدث قريش أئى فررتُ .
وقال لابنه عيسى : تقدّم إذا أحسبك . فتقدّم معه ناس ،
فقتل ، وقتلوا ، وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى ،
فحمل عليه مُصْعَب فقتله ، وشدّ على الناس فانفرجوا له ، وعاد :
ثم حمل ثانية فانفرجوا له ، وبذل له عبدُ الملك الأمان ، وقال :
إنه يعزّ على أن تقتل ، فاقبل أمانى . ولك حُكْمُكَ فى المال والعمل ،
فأبى ، فقال عبد الملك : هذا والله كما قال القائل (١) :

ومُدَجَّج كَرَّةَ الكَمَاءِ نِزَالَهُ لَأُمُومٍ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمٍ (٢)
ودخل مُصْعَبُ سُرَادِقَهُ فَتَحَنَطَ وَرَمَى السَرَادِقَ ، وخرج فقاتل ،
فأتاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه إلى المبارزة فقال : يا كلب ،
اغرب ، مثلى يُبَارِزُ مثلك ! وحمل عليه مُصْعَبُ فضربه على البيضة
فهشمها وجرحه ، فذهب (٣) يعصب رأسه ، وترك الناس
مُصْعَبًا وَخَذَلُوهُ حَتَّى بَقِيَ فى سبعة أنفس ، وأثنى بالرمى ، وكثرتُ
فيه الجراحات ، فعاد إليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فضربه مصعب ،
فلم يصنع شيئاً لضعفه ، وضربه ابن ظبيان فقتله . وقيل : بل نظر
إليه زائدة بن قدامة الثقفى فحمل عليه ، فطعنه فقال : يا ثاراتِ المختار !
فصرعه وأخذ عبيد الله بن زياد رأسه وحمله إلى عيّد الملك ، فألقاه
بين يديه وأنشد (٤) :

نُعَاطَى (٤) الْمُلُوكَ الْحَقَّ مَا قَسَطُوا لَنَا وَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمَحْرَمٍ

(١) فى الكامل : ١٢-٤ .

(٢) فى الكامل : لا مئنا ولا مستسلى .

(٣) فى د : فرجع .

(٤) فى العقد الفريد (٤-٤١١) : تطيع ملوك الأرض ما أقسطوا لنا .

فلما رأى عَبْدُ الْمَلِكِ الرَّأْسَ سَجَدَ ، فَقَالَ ابْنُ ظَبْيَانَ : لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَقْتُلَ عَبْدَ الْمَلِكِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكُونَ قَدْ قَتَلْتُ مُلْكِي الْعَرَبِ ، وَأَرَاخْتُ النَّاسَ مِنْهُمَا ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ (١) :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي . فَعَلْتُ فَأَدَمَنْتُ الْبُكَا لِأَقَارِبِهِ
فَأَوْرَدْتُهَا فِي النَّارِ بَكْرَيْنِ وَائْسِلَ . وَأَلْحَقْتُ مَنْ قَدْ خَرَّ شُكْرًا بِصَاحِبِهِ
وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَقْتُلَ ابْنَ ظَبْيَانَ فَأَكُونَ قَدْ
قَتَلْتُ أَقْتَلَكَ النَّاسَ بِأَشْجَعِ النَّاسِ .

وَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَابْنَ ظَبْيَانَ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ : لَمْ أَقْتُلْهُ عَلَى طَاعَتِكَ ، وَإِنَّمَا قَتَلْتَهُ بِأَخِي النَّبَاطِيِّ بْنِ زِيَادٍ ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا شَيْئًا . وَكَانَ النَّبَاطِيُّ قَدْ قَطَعَ الطَّرِيقَ فَقَتَلَهُ مُطَرِّفُ الْبَاهِلِ صَاحِبُ شُرْطَةِ مُصْعَبٍ . وَكَانَ قَتْلُ مُصْعَبٍ بِدَيْرِ الْجَانَلِيْقِ عِنْدَ نَهْرِ دُجَيْلٍ ، وَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِهِ وَبِإِثْنِهِ عِمْسِي فَدُفِنَا ، وَقَالَ : كَانَتْ الْحَرَمَةُ بَيْنَنَا [وَبَيْنَهُ] (٢)
قَدِيمَةً ، وَلَكِنْ [هَذَا] (٣) الْمَلِكُ عَقِيمٌ .

قَالَ : ثُمَّ دَعَا عَبْدُ الْمَلِكِ جُنْدَ الْعِرَاقِ إِلَى الْبَيْعَةِ فَبَايَعُوهُ ، وَسَارَ حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ ، فَأَقَامَ بِالنُّخَيْلَةِ (٤) أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَخَطَبَ النَّاسَ بِالْكُوفَةِ ، فَوَعَدَ الْمُحْسِنِينَ وَنَوَعَدَ الْمُدَّيِّ ، وَقَالَ : إِنْ الْجَامِعَةُ الَّتِي وَضَعْتُ فِي عُنُقِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ عِنْدِي ، وَوَاللَّهِ لَا أَضَعُّهَا فِي عُنُقِ رَجُلٍ فَأَنْتَزِعَهَا إِلَّا صُعْدًا لَا أَفْكُهَا عَنْهُ فَكَا : فَلَا يُبْقِيَنَّ أَمْرًا إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا يُؤَبِّقُنِي دَمُهُ .
وَالسَّلَامُ .

(١) والعقد الفريد : ٤-٤١١ .

(٢) زيادة من الطبري .

(٣) النخيلة : نصغير نخلة : موضع قرب الكوفة (للمراصد) .

قال عبد الملك بن عُمير : كُنْتُ مع عبد الملك بِقَصْرِ الكوفة حين جىء بِرَأْسِ مصعب فَوَضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَرَأَى قَدْ ارْتَعَدَتْ ، فَقَالَ لى : مالك ؟ فقلت : أَعِيْذُكَ بِاللّٰهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! كُنْتُ بِهَذَا الْقَصْرِ بهذا الموضع مع عُبَيْدِ اللّٰهِ بن زياد فرَأَيْتُ رَأْسَ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ كُنْتُ فِيهِ مع الْمُخْتَارِ بن أبى عُبَيْد فرَأَيْتُ رَأْسَ عُبَيْدِ اللّٰهِ بن زياد بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ كُنْتُ مع مُصْعَبٍ فِيهِ فرَأَيْتُ رَأْسَ الْمُخْتَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَأْسَ مُصْعَبٍ فِيهِ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَقَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ مَقَامِهِ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِهِذِمَ ذَلِكَ الطَّاقِ الَّذِى كُنَّا فِيهِ ، وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ مَرْوَانَ : مَتَى تَخْلِفُ قَرِيْشٌ مِثْلَ الْمُصْعَبِ ! ثُمَّ قَالَ : هَذَا سَيِّدُ شَبَابِ قَرِيْشٍ . فَقِيلَ لَهُ : أَكَانَ يَشْرَبُ الطَّلَا (١) ؟ فَقَالَ : لَوْ عَلِمَ الْمُصْعَبُ أَنَّ الْمَاءَ يُفْسِدُ مَرْوَنَةَ مَا شَرِبَهُ حَتَّى يَمُوتَ عَطْشًا .

قال : وَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِرَأْسِ مُصْعَبٍ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بن مَرْوَانَ بِمِصْرَ ، فَلَمَّا رَأَاهُ وَقَدْ قُطِعَ السِّيفُ أَنْفَهُ قَالَ : رَحِمَكَ اللّٰهُ ، أَمَّا وَاللّٰهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ أَحْسَنِهِمْ خُلُقًا ، وَأَشَدَّهُمْ بَأْسًا ، وَأَسْخَاهُمْ نَفْسًا . ثُمَّ سَيَّرَهُ إِلَى الشَّامِ فَنُصِبَ بِدِمَشْقَ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَطُوفُوا بِهِ فِى نَوَاحِى الشَّامِ ، فَأَخَذَتْهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ يَزِيدَ بن معاوية زَوْجَةُ عَبْدِ الْمَلِكِ بن مَرْوَانَ ، فَعَسَلَتْهُ وَطَبِيبَتَهُ وَدَفَنَتْهُ ، وَقَالَتْ : أَمَا رَضِيتُمْ بِمَا صَنَعْتُمْ حَتَّى تَطُوفُوا بِهِ الْمَدْنَ ! هَذَا بَقِىُّ .

وكان عُمرُ مصعب حين قُتِلَ ستًا وثلاثين سنة .

ولما بلغ عَبْدُ اللّٰهِ بن خَازِمٍ مَسِيرَ مُصْعَبٍ لِقِتَالِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ : أَمَعَهُ عَمْرٌ بن عُبَيْدِ اللّٰهِ بن معمر ؟

قيل : لا ، استعمله على فارس . قال : أَمَعَهُ المهْلَبُ؟ قيل : لا ، استعمله على الخوارج . قال : أَمَعَهُ عباد بن الحُصَيْنِ؟ قيل : لا ، استخلفه على البصرة . قال : وأنا بخراسان . وأنشد^(١) :

خُذْنِي فَجَرِّبْنِي جَعَارٍ وَأَبْشِرِي بِلَحْمِ امْرِئٍ لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرِهِ
قال : ولما قُتِلَ مصعب كان المهْلَبُ يُحَارِبُ الْأَزَارِقَةَ بِسُؤْلَافٍ^(٢)
ثمانية أشهر ، فبلغ الْأَزَارِقَةَ قَتْلَهُ قبل أن يبلغ المهْلَبُ ، فصاحوا
بأَصْحَابِ المهْلَبِ : ما قولكم في مُضْعَب ؟ قالوا : أمير^(٣) هُدًى ،
وهو وَلِيُّنَا في الدنيا والآخرة ، ونحن أولياؤه . قالوا : فما قولكم في
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ! قالوا : ذلك ابْنُ اللَّعِينِ ، نحن نبرأ إلى الله منه ،
وهو [عندنا]^(٤) أ حل دَمًا منكم . قالوا : فإن عبد الملك قتل مُضْعَبًا ،
وسيجعلون غَدًا عَبْدَ الْمَلِكِ إِمَامَكُمْ .

فلما كان الْعَدُوُّ سَمِعَ المهْلَبُ وَأَصْحَابَهُ قَتَلَ مُضْعَبَ ، فبايع المهْلَبُ
النَّاسَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، فصاح بهم الخوارج : يا أعداء الله ، ما تقولون
في مصعب ؟ قالوا : يا أعداء الله لا نخبركم . وكرهوا أن يكذبوا
أنفسهم . قالوا : فما قولكم في عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ قالوا : خَلِيفَتُنَا . ولم يجدوا
بُدًّا إِذْ بَايَعُوهُ أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ . قالوا : يا أعداء الله ، أنتم بِالْأَمْسِ
تَتَبَرَّءُونَ مِنْهُ في الدنيا والآخرة ، وهو اليوم إِمَامُكُمْ ، وقد قَتَلَ أميركم^(٥)

(١) البيت في اللسان - جعر ، والطبري : ١٥٨-٦ .

وروايته في اللسان : قتل لما غشي جعار وجرى ...

(٢) سولاف : بالضم ثم السكون : وآخره فاء : قرية على غربي دجيل
من أرض خوزستان (المراصد) .

(٣) في الطبري : إمام هدى .

(٤) زيادة من الطبري . (٥) في الطبري : إمامكم .

الذى كنتم تتولونه (١) ، قايئها المهتدى ؟ وأيها المبطل ؟ قالوا :
يا أعداء الله ، رَضِينَا بِذَاكَ إِذْ كَانَ يَتَوَلَّى أَمْرَنَا وَنَرَضَى بِهَذَا ، قالوا :
لا ، والله ، ولكنكم إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ وَعَبِيدُ الدُّنْيَا .

قال : ولم يَفِ عَبْدُ الْمَلِكِ لِأَحَدٍ بِأَصْبَهَانَ ، واستعمل قُطْنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
الحارثى على الكوفة ، ثم عَزَلَهُ ، واستعمل أَخَاهُ بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ .
واستعمل محمد بن عُمَيْرٍ (٢) على هَمَذَانَ ، ويزيد بن ورقاء بن رُوَيْمٍ على
الرِّىِّ ، واستعمل خالد بن عَبْدُ اللَّهِ بْنَ [خَالِدِ بْنِ] (٣) أَسِيدٍ على
البصرة . وعاد إلى الشام .

ذكر خبر عبد الملك بن مروان وزفر بن الحارث

وما كان بينهما من القتال وانتظام الصلح بينهما

قد ذكرنا أن زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ لَمَّا قَرَّ مِنْ مَرْجِ رَاهِطٍ إِلَى قَرْقِيسِيَاءَ ،
واستولى عليها ، وتحصَّنَ بِهَا ، واجتمعت قَيْسٌ عَلَيْهِ ، وكان في بَيْعَةٍ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَفِي طَاعَتِهِ . فَلَمَّا مَاتَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَوَلَّى
عَبْدُ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَى أَبَانَ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَهُوَ عَلَى حِمصَ ،
يَأْمُرُهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى زُفَرَ ، فَنَسَارَ إِلَيْهِ ، وَعَلَى مَقْدَمَتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْمِيتِ
الطَّائِي ، فَوَاقَعَ عَبْدُ اللَّهِ زُفَرَ قَبْلَ وَصُولِ أَبَانَ فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ ثَلَاثُمِائَةٍ ،
فَلَامَهُ أَبَانُ عَلَى عَجَلَتِهِ ، وَأَقْبَلَ أَبَانُ فَوَاقَعَ زُفَرَ فَقَتَلَ ابْنَهُ وَكَبِيرَ
ابْنِ زُفَرَ . فَلَمَّا سَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْعِرَاقِ لِقَتَالِ مُضْعَبٍ بِدَارِ قَرْقِيسِيَاءَ ،
فَحَضَرَ زُفَرَ فِيهَا ، وَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ ، فَأَمَرَ زُفَرَ أَنْ يُنَادَى فِي

(١) في الطبري ، والكمال : تولونه .

(٢) في الكامل : ابن عُمَيْرٍ .

(٣) من الكامل .

عسكر عبد الملك : لم نَصَبْتُمُ المجانيق علينا ؟ فقالوا : لنثلم ثُلْمَةً
نقاتلكم ^(١) عليها . فقال زفر : قولوا لهم : فإنا لانقاتلكم من
وراء الحيطان ، ولكننا نخرج إليكم . وقَاتَلَهُمْ زُفَر .

وكان خالد بن يزيد بن معاوية مُجَدًّا في قتال زُفَر ، فقال رجلٌ
من أصحابه من بنى كِلَابَ : لأقولن لخالد كلاما لا يعودُ إلى ما يصنع .
فلما كان الغد خرج خالد للمحاربة فقال له الكلابي :

ماذا ابتغاء خالد وهُمُ ————— إذ سُلِبَ الملك و ... أمه
فاستحيا وعادَ ، ولم يَعُدْ لقتالهم .

وقالت كَلْب لعبد الملك : إنا إذا لقينا زُفَر انهزمت القَيْسِيَّةُ الذين
معك ، فلا تَخْلِطْهُمْ مَعَنَا . ففعل . فكتبت القيسية على نَبْلِهَا : إنه
ليس يقاتلكم غداً مُضَرَى ، وَرَمَوْا النَّبْلَ إلى زُفَر . فلما أصبح دَعَا ابْنَهُ
الهُذَيْل فقال : اخرج إليهم ، فشدَّ عليهم ، ولا ترجع حتى تضربَ
فُسْطَاطَ عَبدِ الملك ، وأقسم لئن رجع دونَ أنْ يفعلَ ذلكَ ليقْتُلَنَّهُ .
فجمع الهذيل خَيْلَهُ ، وحمل ، فَصَبَرُوا قليلا ثم انكشفوا ، وتبعهم
الهذيل بخَيْلِهِ حتى وطشوا أَطْنَابَ الفُسْطَاطِ ، وقطعوا بعضُها ، ثم
رجعوا . فَقبِلَ زُفَرُ رَأْسَ ابْنِهِ الهذيل . فقال : والله لو شئت أنْ أَدْخُلَ
الفسطاط لفعلت .

قال : وكان رجلٌ من كَلْب يقال له اللبَّال يخرجُ فيسبُ زُفَر
فيكثر ، فقال زفر للهذيل ابنه أو لبعض أصحابه : أما تكفيني هذا ؟
قال : أنا آتيك به ، فدخل عسكرُ عبدِ الملك لبلا ، فجعل يُنادي

(١) في د : نقاتلكم .

مَنْ يَعْرِفُ بَغْلًا مِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا ؟ حَتَّى انْتَهَى إِلَى خِيَاءِ الرَّجُلِ .
 فَقَالَ الرَّجُلُ : رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ . فَقَالَ : يَا عَبْدُ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ
 أَعْيَيْتُ ، فَلَوْ أَذْنْتُ لِي فَاسْتَرَحْتُ قَلِيلًا . قَالَ : ادْخُلْ ، فَدْخُلْ ، وَالرَّجُلُ
 وَجَدَهُ فِي خِيَّائِهِ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ ، وَنَامَ صَاحِبُ الْخِيَاءِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ
 فَأَيَّقَظَهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ ، لَئِنْ تَكَلَّمْتَ لَا قَتْلُكَ ، قُتِلْتَ أَوْ سَلِمْتَ ، فَمَاذَا
 يَنْفَعُكَ قَتْلِي إِذَا قُتِلْتَ أَنْتَ ؟ وَاتْنِ سَكَتَ وَجِئْتُ مَعِيَ إِلَى زُفَرٍ فَلَكَ عَهْدُ
 اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ أَرُدَّكَ إِلَى عَسْكَرِكَ بَعْدَ أَنْ يَصِلَكَ زُفَرٌ وَيُخْسِنَ إِلَيْكَ ،
 فَخَرَجَا وَهُوَ يُنَادِي : مَنْ دُلَّ عَلَى بَغْلٍ مِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا حَتَّى أَتَى زُفَرَ .
 وَالرَّجُلُ مَعَهُ ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ أَمَنَهُ ، فَوَهَبَهُ (١) زُفَرٌ دَنَانِيرَ وَحْمَلَهُ عَلَى
 رِجَالِ النِّسَاءِ وَأَلْبَسَهُ ثِيَابَهُنَّ ، وَبِعَثَ مَعَهُ رِجَالًا حَتَّى دَنَوْا مِنْ عَسْكَرِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَتَنَادَوْا : هَذِهِ جَارِيَةٌ قَدْ بَعَثَ بِهَا زُفَرٌ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَانْصَرَفُوا !
 فَلَمَّا رَأَاهُ أَهْلُ الْعَسْكَرِ عَرَفُوهُ ، وَأَخْبَرُوا عَبْدَ الْمَلِكِ الْخَبَرَ فَضَحِكَ ،
 وَقَالَ : لَا يُبْعَدُ اللَّهُ رِجَالَ مَضْرُ ، وَاللَّهُ إِنْ قَتَلَهُمْ لَذَلَّ ، وَإِنْ تَرَكَهُمْ لَحَسْرَةٌ .
 وَكَفَتْ الرَّجُلَ فَلَمْ يَعُدْ يَسْبُ زُفَرَ .

وقيل : إنه هرب من العسكر ، ثم أمر عبد الملك أخاه محمداً
 أَنْ يَغْرِضَ عَلَى زُفَرَ وَابْنِهِ الْهَلْبِيلَ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمَا وَمَنْ مَعَهُمَا وَأَنْ
 يُعْطِيَا مَا أَحَبَّا . ففعل ذلك ، فأجابا على أَنَّ لَزْفَرَ الْخِيَارَ فِي بَيْعَتِهِ
 سَنَةً ، وَأَنْ يُتْرَكَ حَيْثُ شَاءَ ، وَأَلَّا يُعَيِّنَ عَبْدَ الْمَلِكِ عَلَى قِتَالِ ابْنِ الزَّبِيرِ .
 فبينما الرسل تختلف بينهم إذ جاء رجلٌ من كَلْبٍ ، فقال : قد هدم
 من المدينة أربعة أبراج ، فقال عبد الملك : لا أصالِحُهُمْ :

(١) في الكامل : فوهب له .

وزحف إليهم ، فهزموهم أصحابه حتى أدخلوهم عسكرهم ، فقال :
أعطوهم ما أرادوا . قال زُفر : لو كان قَبْلَ هذا لكان أحسن ، واستقرَّ
الصلح على أمان الجميع ، ووَضَعَ الدماء والأموال ، وألَّا يبايع عبد الملك
حتى يموت ابن الزُبَيْرِ اللَّيْمَةُ التي له في عُنُقِهِ ، وأن يُعْطَى مَالاً يَنْقَسِمُهُ
في أصحابه ، وخاف زُفر أن يَغْدِرَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ كما غَدَرَ بِعَمْرٍو بن سَعِيدٍ ،
فلم ينزل إليه ، فأرسل إليه بِقَضِيْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أماناً له ،
فنزل إليه ، فلما دخل عليه أجلسه معه على سريرِهِ ، فلما رأى عبد الملك
قِلَّةَ مَنْ مَعَ زُفر قال : لو علمتُ بآئِهِ في هذه القِلَّةِ لحاصرته أبداً حتى
نزل على حُكْمِي ، فبلغ قوله زُفر فقال : إن شئتَ رجعتُ ورجعت .
قال : بل نفى لك يا أبا الهذيل .

وأمر زُفر ابنه الهذيل أن يسير مع عبد الملك إلى قتالِ مُضْعَبٍ ،
وقال : أنت لاعمَدٌ عليك ، فسار معه ، فلما قارب مصعباً هرب إليه ،
وقاتل مع ابن الأَشْثَرِ . فلما قُتِلَ ابْنُ الْأَشْثَرِ اختفى الهذيل في الكوفة
حتى استؤمن له من عبد الملك فأمنه .

قال : وتزوج مسلمة بن عبد الملك الرِّبَابَ بنت زفر فكان يُؤَدِّنُ
لإخوتها : الهذيل والكوثر في أول الناس .

وفي هذه السنة ، أعنى سنة [٥٧١] إحدى وسبعين ، افتتح عبد الملك
قَيْسَارِيَّةَ^(١) في قول الواقدي رحمه الله .

(١) بالفتح ثم السكون ، وسين مهمة ، وبعد الألف راء وياء مشددة : بلدة
على ساحل بحر الشام ، تعد في فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام (المُرَاصِدُ) .

ذكر مقتل عبد الله بن خازم

واستيلاء عبد الملك على خراسان

ولما قُتل مُضْعَب كان عَبْدُ اللَّهِ بن خازم يقاتل بِحَيْر^(١) بن وَرْقَاء
لُصْرِيْعِي التَّمِيْمِي بنِيْسَابُور، فكتب عَبْدُ اللَّهِ الملك إلى ابْنِ خازم يدعوه
إلى الْبَيْعَةِ وَيُطْعِمُهُ خراسان سَبْعَ سنين، وأرسل الكتاب مع سَوْدَةَ^(٢)
ابن أَشِيْم النَّمِيْرِي، فقال له ابن خازم: لولا أَن أُضْرَبَ بين بنِي سُلَيْم
وبنِي عامر لَقَتَلْتُكَ، ولكن كُلْ كِتَابَهُ، فَأَكَلَهُ. وقيل: بل كان الكتاب
مع سَوَادَةَ بن عُبَيْدِ اللَّهِ النَّمِيْرِي. وقيل: مع^(٣) مَكْمَلِ الْغَنَوِي.
فقال له ابن خازم: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ أَبُو الدُّبَّانَ لِأَنَّكَ مِنْ غَيْبِي، وقد علم
أَنِّي لا أَقْتُلُ رَجُلًا من قَيْس، ولكن كُلْ كِتَابَهُ.

وكتب عبد الملك إلى بُكَيْر^(٤) بن وَسَّاج، وكان خليفة ابن خازم
على مَرَوْ، بَعَثَهُ على خراسان، ووعدَهُ وَمَنَّا، فخلع بِكَيْرَ عَبْدَ اللَّهِ
ابن الزبير ودعا إلى عَبْدِ اللَّهِ الملك، فَأَجَابَهُ أَهْلُ مَرَوْ، وبلغ ابن خازم، فخاف
أَن يَأْتِيَهُ بِكَيْرٌ فيجتمع عليه أَهْلُ مَرَوْ وأَهْلُ نَيْسَابُور، فترك بِحَيْرًا
وأقبل إلى مَرَوْ، فاتبعه بِحَيْرٌ فلحقه بقرية على ثمانية فراسخ من مَرَوْ،
فقاتله، فَقَتَلَ ابْنُ خازِمٍ: وكان الذى قتله وكيع بن عمرو^(٥)
الْقُرَيْبِيُّ، اغتَوَرَهُ وكيع وبَحَيْر بن وَرْقَاء وعَمَّار بن عبد العزيز،

(١) بحير - بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة (هامش د).

(٢) في الكامل: سودة: والمثبت في الطبري أيضا (٦-١٧٦).

(٣) في ك، والطبري: ستان بن مكمل الغنوي.

(٤) في الطبري (٦-١٧٦): بكير بن وشاح. والمثبت في القاموس: والتاج.

(٥) في الطبري (٦-١٧٧): وكيع بن عميرة. والمثبت في الكامل أيضا.

فطعنوه ، فصرعوه ؛ وقعد وكيع على صَدْرِهِ فقتله ، وبعث^(١) بِشِيرًا بِقَتْلِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلَمْ يَبْعَثْ بِرَأْسِهِ .

وَأَقْبَلَ بِكَيْرٍ فِي أَهْلِ مَرَوْ ، فَوَافَاهُمْ حِينَ قَتَلَ ابْنَ خَازِمٍ ، فَأَرَادَ أَخْذَ الرَّأْسِ وَإِنْفَاذَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَمَنَعَهُ بِحَيْرٍ [فَضْرِبَهُ بِعُمُودٍ وَحَبَسَهُ ^(٢)] ، وَسَيَّرَ الرَّأْسَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ .

وَقِيلَ : بَلْ كَانَ مَقْتَلُهُ بَعْدَ قَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَأَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ أَنْفَذَ إِلَيْهِ رَأْسَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَدَعَاهُ إِلَى نَفْسِهِ فَعَسَلَهُ وَكَفَّتَهُ ، وَبَعَثَهُ إِلَى أَهْلِهِ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَطْعَمَ الرَّسُولَ الْكِتَابَ ، وَقَالَ : لَوْلَا أَنْكَ رَسُولُ لَقَتَلْتُكَ .
وَقِيلَ : بَلْ قَطَعَ يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ وَقَتَلَهُ ، وَحَافَ أَلَا يَطْبِغَ عَبْدَ الْمَلِكِ أَبَدًا . [وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٢)] .

ذِكْرُ مَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَشَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِهِ

قَالَ : لَمَّا قَتَلَ مَصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ تَقْدِمَ الْحِجَاجُ بْنُ يُونُسَ الثَّقَفِي إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَخَذْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَسَلَخْتُهُ ، فَابْعَثْنِي إِلَيْهِ ، وَوَلَّيْتُ حَرْبَهُ ، فَبَعَثَهُ فِي أَلْفَيْنِ ، وَقِيلَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، فَسَارَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ [٨٧٢] اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ، وَنَزَلَ الطَّائِفَ ، وَكَانَ يَبْعَثُ الْخَيْلَ إِلَى عَرَفَةَ [فِي الْحُلِ] ^(٣)

(١) فِي الْكَامِلِ : وَبَعَثَ بِحَيْرٍ سَاعَةَ قَتْلِهِ بِشِيرًا .

(٢) مِنْ دَوْحِهَا .

(٣) زِيَادَةُ مِنَ الطَّبَرِيِّ .

بعد الطائف ، وبيع ابن الزبير الخيل فيقتلون فتنهزم خيل ابن الزبير ،
وتعود خيل الحجاج بالظفر .

ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه فى دخول الحرم وحضر (١)
ابن الزبير ، ويخبره بضعفه وتفرق أصحابه ، ويستمده ، فأمدّه
بطارق بن عمرو مؤكى عمان ، وكان عبد الملك قد بعثه فى جيش
إلى وادى القرى ليمنع عمال ابن الزبير من الانتشار ، فقدم المدينة
فى ذى القعدة (٢) سنة [٨٧٢] اثنتين وسبعين ، وأخرج عامل ابن
الزبير منها ، وجعل عليها رجلاً من أهل الشام اسمه ثعلبة ، وقدم
طارق (٢) مكة فى ذى الحجة منها فى خمسة آلاف ، وتقدم الحجاج
إلى مكة ، فنزل عند بشر ميمون (٣) ، وحج بالناس فى تلك السنة .
إلا أنه لم يطف بالبيت ، ولا سعى بين الصفا والمروة ؛ منعه عبد الله
ابن الزبير من ذلك ، ولم يحج ابن الزبير ولا أصحابه فى تلك السنة .
ونضب الحجاج المنيجنيق على أبى قبيس (٤) ، ورمى به الكعبة ،
فقال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما للحجاج ، اتق الله
واكفف هذه الحجارة عن الناس ، فإنك فى شهر حرام فى بلد حرام ،
وقد قدمت وفود الله من أقطار الأرض ليؤدوا فريضة الله ، وقد منعهم
المنيجنيق عن الطواف . فكف حتى انقضى الحج ، ثم نادى فى الناس :
انصرفوا إلى بلادكم ، فإننا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملعود .

(١) فى الطبرى : وحصار .

(٢) فى الطبرى : وكان قدوم طارق مكة للال ذى الحجة .

(٣) بشر ميمون : فى مكة بأعلامها (المراصد) .

(٤) أبو قبيس : جبل مشرف على مكة .

قال : وأول ما رمى الكعبة بالمنجنيق رعدت السماء وبرقت ،
وعلا صوت الرعد على الحجارة ، فأعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا
أيديهم ، فأخذ الحجاج حجر المنجنيق ^(١) ووضعه بينه ورمى به ،
فجاءت الصواعق فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً ، فأنكسر أهل
الشام ، فقال الحجاج : يا أهل الشام ، لا تُنْكِرُوا هذا ، فإن ابن
نَهَامة ، وهذه صواعقها ، وهذا الفتح قد حضر ، فأبشروا .

فلما كان الغد جاءت الصاعقة فأصابته من أصحاب ابن الزبير
عدة . فقال الحجاج : ألا ترون أنهم يُصابُونَ كما تُصابُونَ ، وأنتم
على الطاعة وهم على خلافها ، وكان الحجر يقع بين يدي عبد الله
ابن الزبير وهو يُصَلِّي ، فلا ينصرف عن مكانه .

وغلّت الأسعار عند ابن الزبير حتى ذبح قرسه ، وقسم لحمه
في أصحابه ، وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم والمُدُّ النيرة بعشرين درهماً ،
وكانت بيوت ابن الزبير مملوءة قمحاً وشعيراً وذرةً ونعماً ، وكان أهل
الشام ينتظرون فناء ما عنده : فكان لا ينفق منه إلا ما يُمسِكُ الرُمق
ويقول : نفوس أصحابي قوية ما لم تنف .

فلما كان قبيل مقتله تفرق الناس عنه ، وخرجوا إلى الحجاج بالأمان ،
فخرج من عنده نحو عشرة آلاف . وكان من فارقه ابنه حمزة وخبيب ،
أخذاً لأنفسهما أماناً ، فقال عبد الله لابن الزبير : خذ لنفسك أماناً
كما فعل أخواك ، فوالله إني لأحبُّ بقاءكم . فقال : ما كنت لأرغب
بنفسي عنك ، فقتل معه .

(١) في الكامل : حجارة المنجنيق بيده ، فوضعها فيه ، ورمى بها معهم .

قال : ولما كان فى الليلة التى قُتِلَ فيها عَبْدُ اللَّهِ فى صبيحتها جمع قُرَيْشًا فقام لهم : ما تَرَوْنَ ؟ فقال رجل من بنى مخزوم : والله ، إِنَّا قَاتَلْنَا مَعَكَ حَتَّى مَا نَجِدُ مَقْتَلًا ، والله لئن سِرْنَا مَعَكَ مَا نَزِيدُ عَلَى أَنْ نَمُوتَ ، وَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى تَحْصِلَتَيْنِ : إما أَنْ تَأْذَنَ لَنَا فَنَأْخُذَ الْأَمَانَ لَأَنْفُسِنَا وَلَكَ ، وإما أَنْ تَأْذَنَ لَنَا فَتُخْرَجَ .

فقال له رجل : اكْتُبْ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ . فقال : كيف أَكْتُبُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ؟ فوالله لَا يَقْبَلُ هَذَا أَبَدًا ، أَوْ أَكْتُبُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . من عبد الله بن الزبير ؟ فوالله لَأَنْ تَقَعَ الْخُضْرَاءُ عَلَى الْغُبَرَاءِ أَهْوَنُ عَلَىَّ مِنْ ذَلِكَ . فقال له عُرْوَةُ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ : قد جعل الله لكَ أَسْوَأَ فِي الْحَسَنِ بْنِ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، خَلَعَ نَفْسَهُ وَبَايَعَ مُعَاوِيَةَ ، فَرَكَضَهُ بِرِجْلِهِ وَرَمَاهُ عَنِ السَّرِيرِ ، وقال : قَلْبِي إِذَا مِثْلَ قَلْبِكَ ، والله لو قَاتَلْتُهَا مَا عَشْتُ إِلَّا قَلِيلًا وَإِنْ أَضْرَبَ بِسَيْفٍ فِي عِزٍّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَلْطَمَ فِي ذُلٍّ .

فلما أَصْبَحَ دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ أُمِّ هَاشِمٍ ^(١) فقال : اصْنَعِي لِي طَعَامًا . فلما صَنَعَتْهُ وَأَتَتْ بِهِ لَأَنَّ مِنْهُ لُقْمَةً ثُمَّ لَفَظَهَا ، وقال : اسْقُونِي لَبَنًا فَسَقَوْهُ ، ثُمَّ اغْتَسَلَ وَتَطَيَّبَ وَتَحَنَّطَ ، وَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ ، فقال : يَا أُمَاهُ ، قد خَلَقَنِي النَّاسُ حَتَّى وَكَلَدِي وَأَهْلِي وَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ إِلَّا الْيَسِيرُ ، وَالْقَوْمُ يَعْطُونَنِي مَا أَرَدْتُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَمَا رَأَيْكَ ؟ قالت له : أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ ، إِنْ كُنْتَ [تَعْلَمُ أَنَّكَ] ^(٢) عَلَى حَقٍّ وَأَنْتَ تَدْعُو إِلَيْهِ فَامْضِ لَهُ ، فَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُكَ ، وَلَا تَمَكَّنْ ^(٣)

(١) فى العقد : بنت منصور بن زياد الفزارية .

(٢) من الطبرى ، والكامل .

(٣) فى الكامل : وَلَا تَمَكَّنْ مِنْ رِقَبَتِكَ .

من نفسك يتلعبُ بك غِلْمَانُ بنى أُمِيَّةٍ ، وإن كنتَ إنما أردتَ الدنيا
فبئس العبدُ أنت ، أهلكْتَ نفسك ومن قُتِلَ معك ، وإن قلتَ : كنتُ
على حقٍّ فلما وهنَ أصحابي ضَعُفْتُ ، فهذا ليس بفعلِ الأحرار ولا أهلِ
الدين ، كم خلودُك في الدنيا ؟ القتلُ أحسن ! فقال : يا أُمَامَه ، أخاف
إن قتلني أهلُ الشام أن يُمَثِّلُوا بي ويصلُّوا بي . فقالت : يا بني ، إن
الشاةَ لا تألمُ السلخَ بعد الذَّبْحِ ، فامضِ على بصيرتك ، واستعين بالله .

فقبِلَ رأسها وقال : هذا رأيي ، والذي خرجتُ به دَاعِيَا (١)
إلى يومى هذا . ما رَكَنْتُ إلى الدنيا ، ولا أَحْبَبْتُ الحَيَاةَ فيها ، ومادَعَانِي
إلى الخروجِ إِلَّا الغَضَبُ لله ، وأن تُسْتَحْلَ حُرُمَاتِهِ ، ولكنى أَحْبَبْتُ
أن أَعْلَمَ رأيك ، فقد زدتنى بصيرةً ، فانظري فإني مقتولٌ في يومى هذا ،
فلا يشتدُّ حزنُك ، وَسَلَّمِي لأَمْرِ الله ، فَإِنَّ ابْنَكَ لم يتعمدْ إِيْتِيَانِ مُنْكَرٍ
ولا عملاً بفاحشة ، ولم يَجْزْ في حُكْمِ الله ، ولم يَغْلِيْزْ في أَمَانٍ ،
ولم يتعمدْ ظُلْمَ مُسْلِمٍ أو مَعَاهِدٍ ، ولم يبلغني ظُلْمٌ عن عَمَالٍ ، فرضيتُ
به ؛ بل أنكرتُه ، ولم يكن عني أثرٌ عندى من رِضَاءِ رَبِّي . اللهم
إني لا أقولُ هذا تزكيةً لنفسى ، ولكن أقوله تعزيةً لَأُمِي حتى تَسْلُوَ عني .

فقالت : إني لأرجو أن يكونَ عَزَايَ فيك جَمِيلاً ، إن تقدَّمَتْنِي
احْتَسِبْتُكَ ، وإن ظَفِرْتَ سُرْرَتَ بَطْفَرِكَ . اخرج [عني] (٢) حتى
أنظرُ إلى ما يصيرُ أَمْرُكَ ، فقال : جزاك اللهُ خيراً ، فلا تدعِ الدعَاءَ لي .
قالت : لَا أَدْعُهُ أبداً ، فمن قُتِلَ عَلَى باطلٍ فقد قُتِلَ على حقٍّ .

(١) في الكامل : دأبها .

(٢) في د وحدها .

ثم قالت : اللهم ارحم طولَ ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك النجيب والظما في هواجر مكة والمدينة ، وبرّه بأبيه وبى . اللهم قد سلمته لأمرِكَ فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين .

فتناول يدها ليقبّلها ، فقالت : هذا وداعٌ فلا تبعذ . فقال لها : جئتُ مودعا ، لأنى أرى هذا آخر أيامى من الدنيا . قالت : امض على بصيرتك ، واذن منى حتى أودعك ، فدنا منها فعانقها ، وقبل بين عينيها ، فوقعت يدها على الدرع ، فقالت : ما هذا صنيع من يريد ما تُريد ! فقال : ما ليسته إلا لأشدّ منك . قالت : فإنه لا يشدّ مثنى ، فنزعها ، ثم درج ^(١) كفيه ، وشدّ أسفل قميصه وجبة خُر تحت السراويل ، وأدخل أسفلها تحت المنطقة ، وأمه تقول : البس ثيابك مشمرة .

فخرج من عندها وحمل على أهل الشام حملة منكرا ، فقتل منهم ، ثم انكشف هو وأصحابه . فقال له بعض أصحابه : لو لحقت بموضع كذا . فقال : بشس الشيخ أنا إذا في الإسلام أن أوقعت قوما فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم .

ودنا أهل الشام حتى امتلأت منهم الأبواب ، وكانوا يصيحون : يابن ذات النطاقين ، فيقول : وتلك شكاة ظاهر عنك لؤمها ^(٢) .

(١) في الطبرى : أدرع .

(٢) في الكامل : عارها .

وجعل أهل الشام على أبواب المسجد رجالاً^(١) ، فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ، ولأهل دمشق باب بني شَيْبَةَ ، ولأهل الأُرْدُنْ باب الصُّفَا ، ولأهل فلسطين باب بني جُمَح ، ولأهل قَنَسَرِينَ باب بني سَهْم . وكان الحجاج وطارق بناحية الأَبْطَح إلى المَرْوَة ، وابن الزبير يحمل على هذه الناحية مرة وفي هذه أخرى ، وكأنه أَسَدٌ في أَجْمَةٍ ما تُقَدَّم عليه الرجال وهو يَعْدُو في إثر القوم حتى يحرجهم ، ثم يصيح [يا]^(٢) أباصفوان، ويل أمه فَتَحًا ، لو كان له رجال . . لو^(٣) كان قُرْنِي واحداً كَفَيْتُهُ .

فيقول أبو صفوان عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف :
أى والله وألف .

فقال رجل من أهل الشام اسمه جُلُبُوب^(٤) : إنما يمكنكم أخذه إذا ولى . قيل : فخذْهُ أَنْتَ إِذَا وُلَّى . قال : نعم ، وتقدّم ليخضّيته من خلفه ، فعطف عليه فَقَطَّ ذِرَاعَيْهِ فصاح ، فقال : اصبر جُلُبُوب^(٤) . قال : فلما رأى الحجاج أن الناس لا يُقْدِمُونَ على ابن الزبير غضب وترجّل يسوقُ الناس ويصدم^(٥) بهم ، فصدم صاحب عَلم ابن الزبير وهو بين يديه ، فتقدّم ابنُ الزُّبَيْرِ على صاحب عَلمه وقتلهم حتى انكشفوا ، ورجع فصلّ ركعتين عند المقام ، فحملوا

(١) في الكامل : رجلا من أهل كل بلد .

(٢) من الطبرى .

(٣) والعقد ٤-٤١٦ ، والطبرى : ٦-١٩١ ، وطبقات القراء : ٢٨ ،

وهو لدويد بن زيد .

(٤) في العقد (٤١٦) : خلبوب . والمثبت في الكامل ، د . والضبط في د .

(٥) في الكامل : ويصدم بهم ، فصدم .

على صاحب علمه ، فقتلوه عند باب بنى شَيْبَةَ ، وأخذوا العلم .
فلما فرغ من صلاته تقدم فقاتل بغير علم ، وقتل رجلا من أهل الشام
وآخر ، وقاتل معه عَبْدُ اللَّهِ بن مُطِيع ، وهو يقول :
أنا الذى فرزتُ يسوم الحرة والحُرَّ لا يَغُرُّ إِلَّا مَسْرَةٌ
واليوم أجزى قَرَّةً بكَسْرَةٍ

وقاتل حتى قُتِل ، ويقال : أصابته جراحة فمات منها بعد أيام .
قال : وقال عَبْدُ اللَّهِ بن الزُّبَيْر لأصحابه وأهله يوم قُتِل بعد صلاة
الصبح : اكشفوا وجوهكم حتى أنظر إليكم وعليكم المغْفِرُ ، ففعلوا ،
فقال : يا آل الزُّبَيْر ، لو طُبِثْتُمْ لى نفسا عن أنفسكم كُنَّا أهل بيت
من العرب اصْطَلَمْنَا فى اللَّهِ فلا يَرُعْكُمْ وَقَعُ السيف ، فَإِنَّ أَلَمَ الدَّوَاءِ
للجراح أشَدَّ من أَلَمِ وَقْعِهَا ، صُونُوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم ،
غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ عن الْبَارِقَةِ ، وليشغل كل امرئ امرئَه ، ولا تسألوا
عَنى ، فمن كان سائلا عَنى فَإِنى فى الزَّعِيلِ الْأَوَّلِ ، احملوا على بركة اللَّهِ .
ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الْحُجُونُ ^(١) فَرُمِيَ بِأَجْرَةٍ ، رماه بها
رَجُلٌ من السُّكُونِ ، فَأَصَابَتْ وَجْهَهُ فَأَرَعَشَ لَهَا وسال الدَّمُ على وجهه ،
فقال رضى الله عنه وأرضاه ^(٢) :

فَلَسْنَا على الْأَعْقَابِ تَدْمَى كلومُنَا ولكن على أَعْقَابِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا
وقاتلهم قتالا شديدا ، فتعاونوا ^(٣) عليه ، فقتلوه ، قَتَلَهُ رَجُلٌ

(١) الْحُجُونُ : بأعلى مكة : عند مقبرة أهلها (المراصد) .

(٢) والطبرى : (٦-١٩٢) ، والبيت للحصين بن الحمام المرى ، وانظر

ديوان الحماة بشرح المرزوقى : ١ - ١٩٢ .

(٣) فى الكامل : فتعاوروا .

من مُراد، وحمل رأسه إلى الحجاج ، فمسجد . وورّد السُّكُونِي والمُرَادِي إلى عَبْدِ الْمَلِكِ بالخبر ؛ فأعطى كل واحدٍ منهما خمسمائة دينار .

وقيل في قتله : إنه جاءه حَجَرُ الْمِنْجَنِيْق وهو يقَاتِلُ فصرعه فافتحم عليه أَهْلُ الشَّامِ ، ودَّهَبُوا به إلى الْحِجَّاجِ فحزَّ رأسه بيده . وكان مقتله - رضى الله عنه - في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جُمَادَى الْأُولَى سنة [٥٧٣] ثلاث وسبعين وقيل في جمادى الآخرة منها ، وله ثلاث وسبعون سنة .

ولما قُتِلَ رضى الله عنه كَبُرَ أَهْلُ الشَّامِ فَرَحًا بقتله ؛ فقال عَبْدُ اللَّهِ ابن عمر : انظروا إلى هؤلاء . انظروا إلى هؤلاء . لقد كَبُرَ المسلمون فرحًا بولادته ، وهؤلاء يكبرون فرحًا بقتله .

وبعث الحجاج برأسه ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عُمارة ابن عمرو بن حَزْمٍ إلى المدينة ، ثم إلى عبد الملك وصلب جثته [منكسة] ^(١) على الثنية اليمنى بالْحَجُّونَ ، فأرسلت إليه أسماء تقول : قاتلك الله ! على ماذا صلبته ؟ قال : استبقتُ أنا وهو إلى هذه الخشبة ، فكانت له . فاستأذنته في تكفينه ودفنه . فبأي .

وكتب إلى عَبْدِ الْمَلِكِ يُخْبِرُهُ بِصَلْبِهِ ، فكتب إليه يَلُومُهُ ، ويقول : أَلَا خَلَيْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُمِّهِ . فَأَذِنَ لها الْحِجَّاجُ فدَفَنَتْهُ بِالْحَجُّونِ .

وكان قبل مقتله بقى أيامًا يستعمل الصَّيْرَ وَالْمِسْكَ لثلاثين

إِنَّهُ صُلِبَ ، فَلَمَّا صُلِبَ ظَهَرَ مِنْهُ رِيحُ الْمَسْكِ ، فَقِيلَ : إِنَّ الْحِجَّاجَ
صَلَّبَ مَعَهُ كَلْبًا مَيِّتًا . وَقِيلَ ، يَسْتَوْرًا ، فغلب على ريح المسك .

.. ولما قتل عَبْدُ اللَّهِ رَكِبَ أَخُوهُ عُرْوَةُ بْنُ الزَّيْبِرِ نَاقَةً لَمْ يَرَ مِثْلَهَا
وَسَارَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَسَبَقَ رُسُلَ الْحِجَّاجِ ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
فَأْذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلاَفَةِ ، فَرَحَّبَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ
عَلَى السَّرِيرِ ، فَقَالَ عُرْوَةُ :

نَعْتُ^(١) بِأَرْحَامِ إِلَيْكَ قَرِيبَةً وَلَا خَيْرَ فِي الْأَرْحَامِ مَا لَمْ تُقْرَبْ
وَتَحَدَّثَ^(٢) حَتَّى جَرَى ذِكْرُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ عُرْوَةُ : إِنَّهُ كَانَ .
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَمَا فَعَلَ ؟ قَالَ : قُتِلَ ؛ فُخِرَ سَاجِدًا . فَقَالَ عُرْوَةُ :
إِنَّ الْحِجَّاجَ صَلَّبَهُ . فَهَبْ جُسْنَهُ لَأُمِّهِ . قَالَ : نَعَمْ .

وَكُتِبَ إِلَى الْحِجَّاجِ فَعَظَّمَ^(٣) صَلْبَهُ .

وَكَانَ الْحِجَّاجُ لَمَّا فَقَدَ عُرْوَةَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ : إِنَّ عُرْوَةَ كَانَ
مَعَ أَخِيهِ . فَلَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ أَخَذَ مَالًا مِنْ مَالِ اللَّهِ وَهَرَبَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ يَقُولُ : إِنَّهُ نَمَّ يَهْرَبُ ، وَلَكِنَّهُ أَنَا فِي مُبَاطَعَا ،
وَقَدْ آمَنْتُهُ وَحَلَّتْهُ مِمَّا كَانَ مِنْهُ ، وَهُوَ قَادِمٌ عَلَيْكَ ، فَيَا بَاكَ وَعُرْوَةُ .

فَعَادَ عُرْوَةُ إِلَى مَكَّةَ فَكَانَتْ غَيْبَتُهُ عَنْهَا ثَلَاثِينَ يَوْمًا . فَأَنْزَلَ
الْحِجَّاجُ جُسَّةَ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْخَشَبَةِ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّهِ فغسلته . فَلَمَّا أَصَابَهُ
الْمَاءُ نَقَطَعَ فغسلته عَضْوًا عَضْوًا . وَصَلَى عَلَيْهِ عُرْوَةُ وَقِيلَ غَيْرُهُ .

(١) فِي الْكَامِلِ : مَتَّ .

(٢) فِي الْكَامِلِ : ثُمَّ تَحَدَّثَا .

(٣) فِي الْكَامِلِ : يَعْظُمُ .

وقيل : لم يُصَلِّ عليه أحدٌ ؛ منع الحجاجُ من الصلاة عليه .
وكانت أيام ولايته منذ مات معاوية بن يزيد إلى أن قُتِل سبع
سنين وأياماً .

وكان له من الأولاد : عَبْدُ اللَّهِ ، وحمزة ، وَخُبَيْب ، وثابت ،
وعَبَاد ، وقيس ، وعامر ، وموسى .

وكان به زيد بن عمرو .

وحاجبه سالم مولاه [والله الموفق بمنه وكرمه] ^(١) .

ذكر نبذة من سيرته

[رضى الله عنه] ^(١) وأخباره

كان كثيرَ العبادة إذا سجد وقعت المصافيرُ على ظهره نظفَهُ
حائطاً لسكُونِهِ وطُولِ سجوده . وقال بعض السلف : قَسَمَ عَبْدُ اللَّهِ
الذَّهْرُ على ثلاث حالات فَلَيْلَةٌ قائم حتى الصباح ، وليلة راكم حتى
الصباح ، وليلة ساجد حتى الصباح .

وقيل : أول ما علم مِنْ هَمَّتِهِ أَنَّهُ كان يَلْعَبُ ذات يومٍ مع الصَّبِيَّانِ
وهو صَبِيٌّ ، فمرَّ رجلٌ فصاح عليهم ففروا ، ومشى عَبْدُ اللَّهِ الْقَهْقَرَى ،
وقال للصبيان : اجعلوني أميركم ، وَشُدُّوا بِنَا عليه .

ومرَّ به عُمَرُ بن الخطاب رضى الله عنه وهو يَلْعَبُ مع الصبيان
ففروا ووقف هو ، فقال له عُمَرُ : ما منعك أن لا تفرَّ معهم ^(٢) ؟
فقال : لم أَجْزِمُ فَأَخَافُكَ ، ولم تكن الطريقُ ضيقةً فأَوْسَعَ لك .

(١) ساقط في د .

(٢) في الكامل : مالك لم تفر معهم .

وقال: هشام بن عروة: كان أول ما أفصح به عمى عبد الله ابن الزبير وهو صغير السيف^(١)، فكان لا يضعه من فيه^(٢). فكان الزبير رضى الله عنه يقول: والله ليكونن لك منه يوم وأيام.

وقال ابن سيرين: قال ابن الزبير: ما كان شئ يحدثنا به كعب إلا وقد جاء على ما قال إلا قوله: فتى ثقيف يقتلنى وهذا رأسه بين يدى - يعنى المختار.

قال: لم يشعر ابن الزبير أن الحجاج قد خبىء له. ومر [به]^(٣) عبد الله بن عمر رضى الله عنهم وهو مصابوب، فقال: يرحمك الله إن كنت لصوآماً قوآماً، ولقد أفلحت قريش إن كنت شرها. وكان الحجاج قد صلبه ثم ألقاه فى مقابر اليهود، وأرسل إلى أمه يستحضرها، فلم تحضر، فأرسل إليها لتأتينى أولأبعثن إليك من يسحبك بقرونك، فلم تأت فجاء إليها. فقال: كيف رأيتنى صنعتن بعلو الله^(٤)؟ قالت: رأيته أفسدت على ابنتى دنيآه، وأفسد عليك آخرتك؛ وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن فى ثقيف كتاباً ومبيراً، فأما الكذاب فقد رأيناه [تعنى المختار]^(٥)، وأما المبيير فأنت^(٦).

(١) فى د: السن.

(٢) فى الكامل: من يده.

(٣) من الكامل.

(٤) فى الكامل: بعبد الله.

(٥) من الكامل.

(٦) فى الكامل: فأنت هو.

وقال قَطَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : كَانَ الزُّبَيْرُ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ،
وَمَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَنْزِعْ ثَوْبَهُ عَنْ ظَهْرِهِ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : لَمْ يَكُنْ
بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْعِبَادَةِ يَعْجِزُ عَنْهُ النَّاسُ إِلَّا تَكَلَّفَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ ،
وَلَقَدْ جَاءَ سَيْلٌ طَبَّقَ الْبَيْتَ ، فَجَعَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَطُوفُ
سَبَاحَةً . [وَمَاتَتْ أَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ (١)] .

انتهت أخبار عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ، فلنذكر غير ذلك
من أخبار أيام عبد الملك ونبدأ بتتمة أخبار الحجاج وما فعل بمكة
والمدينة [والله أعلم (٢)] .

ذكر مبايعة أهل مكة عبد الملك بن مروان

وما فعله الحجاج من هدم الكعبة وبنائها ومسيره إلى المدينة
وما فعله فيها بالصحابة رضى الله عنهم

قال : ولما فرغ الحجاج من أمر عبد الله بن الزبير دخل مكة
فبإيعة أهلها لعبد الملك بن مروان ، وأمر بكنس المسجد الحرام
من الحجارة والدم ، وهدم الكعبة في المحرم سنة [٨٧٤] أربع وسبعين ،
وأعادها إلى البناء الأول وأخرج الحجر منها ، وكان عبد الملك [يقول (٢)] :
كذب ابن الزبير فيما رواه عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في أمر الحجر ، وأنه من البيت . فلما (٣) قال له

(١) ساقط منك .

(٢) ليس في د .

(٣) في الكامل : فلما قيل له .

غَيْرُ ابْنِ الزُّبَيْرِ : إِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَوَتْ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : وَدِدْتُ أَنَّى تَرَكْتُهُ وَمَا تَحْمَلُ .

والكعبةُ في وقتنا هذا على بناءها الذى أعادهُ الحجاجُ بن يوسف .

قال : ثم سار الحجاج إلى المدينة في سنة [٥٧٤هـ] أربع وسبعين ، وكان عَبْدُ الْمَلِكِ قد عزل طَارِقًا (١) عنها ، واستعمل عليها الحجاج ، فصار معه مكة والمدينة واليمن واليَمَامَة ، فلما قدم المدينة أقام بها شهرًا أو شهرين ، فأساء إلى أهلها ، واستخف بهم ، وقال : أَنْتُمْ قَتَلْتُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ ، وَخَتَمَ أَيْدِي جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالرِّصَاصِ اسْتِخْفَافًا بِهِمْ ، كَمَا يُفْعَلُ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ ، منهم جابر بن عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَنْسَ بْنَ مَالِكٍ ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِرًا ، وقال حين خرج من المدينة : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنْ أُمَّ نَحْنُ ، أَهْلُهَا أَخْبَثُ أَهْلُ بَلَدٍ ، وَأَغْشَى لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَحْسَدُهُمْ لَهْ عَلَى نِعْمَةِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَوْلَا مَا كَانَتْ تَأْتِينِي كُتُبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا لَجَعَلْتُهَا مِثْلَ جَوْفِ الْحِمَارِ ، أَعْوَادَ يَعْوَدُونَ بِهَا ، وَرِمَةً قَدْ بَلَيْتْ ، يَقُولُونَ : مِنْبَرُ رَسُولِ اللَّهِ ، وَقَبِيرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فبلغ جابر بن عَبْدِ اللَّهِ قولَه ، فقال : إِنَّ وَرَاءَهُ مَا يَسُوءُهُ . قد قال فرعون ما قال ، فَأَخَذَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ أَنْظَرَهُ .

وأقام الحجاج بالحجاز إلى أن نقله عَبْدُ الْمَلِكِ إلى ولاية العراق . وذلك في سنة [٥٧٥هـ] خمس وسبعين على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(١) هو طارق بن عمرو .

ذكر أخبار الخوارج

في أيام عبد الملك بن مروان منذ استقل بالأمير

قد ذكرنا أنه لما قُتِل مصعب بن الزبير كان المهلب بن أبي صفرة يقاتل الخوارج منذ ثمانية أشهر، وذكرنا مقاتلتهم لأصحابه حين بلغهم قتل مُصعب، وتبعه عبد الملك، فلما كان في سنة (٥٧٢هـ) اثنتان وسبعين استعمل عبد الملك خالد بن عبد الله بن أسيد^(١) على البصرة، فلما قدمها استعمل المهلب على خراج الأهواز ومعونتها، وبعث أخاه عبد العزيز بن عبد الله إلى قتال الخوارج، وسير معه مقاتل بن مسمع، فخرجوا يطلبان الأزارقة، فأتت الخوارج من ناحية كرمان إلى ذرابجرد^(٢) وأرسل قطري بن الفجاءة المازني أمير الحج سبعمائة فارس مع صالح ابن مخراق^(٣)، فأقبل بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير ليلا على غير تعبئة، فانهزم بالناس، ونزل مقاتل بن مسمع، فقاتل حتى قُتِل.

ولما انهزم عبد العزيز أخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود، فأقيمت فيمن يزيد، فبلغت قيمتها مائة ألف، فجاء رجل من قومها^(٤) كان من رعيوس الخوارج، فقال: تنحوا هكذا، ما أرى هذه المشركة إلا قد فتنتكم، فضرب عنقها، ولحق بالبصرة، فراه آل المنذر،

(١) الضبط في معجم البكري.

(٢) ذرا يجرد: بفتح أوله. وقال أبو حاتم: بكسر أوله. والباء المعجمة بواحدة، بعدها جيم مكسورة، وراء همزة ساكنة، ودال مهملة (البكري). وفي ك: دار الجرة - تحريف.

(٣) في الكامل: مخارق، والمثبت في الطبري أيضا. وفي الكامل: تسعمائة فارس.

(٤) في الكامل: يقال له أبو الحديد الشني.

فقالوا : والله ما ندري أنحمدك أم نذمك ؟ فكان يقول : ما فعلته
إلا خيرةً وحميةً .

وانتهى عبد العزيز إلى رامهرمز ، وأتى المهلبَ خبره ، فأرسل^(١)
إلى أخيه خالد بن عبد الله بحَبْر هزيمته ، فقال للرسول : كذبت .
فقال : إن كنتُ كاذباً فاضربْ عُنُقِي ، وإن كنتُ صادقاً فأعطني
جُبَّتَكَ ومُطَرَّفَكَ . قال : ويحك ! قد رضىت من الخطر العظيم بالخطر
اليسير ، ثم حبسه وأحسن إليه لما صَحَّ عنده خبر الهزيمة . وفي هذه
الهزيمة وفرار عبد العزيز يقول ابن قيس الرقيات^(٢) :

عبد العزيز فَصَحَّتْ^(٣) جَيْشَكَ كُلَّهُمْ
وتركتهم صَرَغَى بكلِّ سَبِيٍّ—
من بين ذى عَطَشٍ يَجُودُ بِتَقِيٍّ—
وَمُلَحَّبٍ^(٤) بين الرجالِ قَتِيٍّ—
هلاً صَبَرْتَ مع الشهيدِ مُقَاتٍ—
إذ رُحْتَ مُنْتَكِبَ القُؤَى بأَصِيٍّ—
وتركتَ جَيْشَكَ لا أَمِيرَ عَلَيْهِمْ—
فَارْجِعْ بِعَارٍ فى الحياةِ طَوِيٍّ—
ونسيتَ عِرْسَكَ إذ تُفَادُ سَبِيٍّ—
نَبِكى العيونَ بِرُتْنَةٍ وَعَوِيٍّ—

(١) فى الطبرى : فأرسل إليه شيخاً من الأزد .

(٢) والطبرى : ٦-١٧٣ : وديوانه : ١٩٠ . والكامل : ٤-١٩ .

(٣) فى ك : قضمت ، والمثبت فى د ، والكامل ، والطبرى .

(٤) ملحب : قطعه السيف .

قال : وكتب خالد إلى عَبْدِ الملك بالخبر ، فكتب إليه يقول :
 قَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَكَ حين تبعْتُ أخاك أعرابيا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ على القتال ،
 وتَدَعُ المهلبَ يَجْبِي الخراج ، وهو الميمون النقيبة ، الْمُقَارِي للهِرَبِ ،
 ابنها وابن أبنائها . أرسل إلى المهلب يستقبلهم ، وقد بعثتُ
 إلى بِشْرٍ بالكوفة أن يمدك بجيش ، فيسر معهم ، ولا تعمل في عدوك
 برأى حتى يحضره المهلب . والسلام .

وكتب عَبْدُ الملك إلى أخيه بِشْرٍ ، وهو أميرُ الكوفة ، يأمره
 بإنفاذ خمسة آلاف مع رجلٍ يرضاه لقتالِ الخوارج ، فإذا قضا
 غزوتهم ساروا إلى الرِّى ، فقاتلوا عدوهم ، وكانوا مسلحة ، فبعث
 بِشْرُ عَبْدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث في خمسة آلاف ، وكتب
 عَهْدَهُ على الرِّى ، وخرج خالد بأهلِ البصرة حتى قدم الأهواز ، وقدمها
 عبد الرحمن في أهل الكوفة ، وجاءت الأزاقة حتى دنوا من الأهواز ؛ فبعثاً
 خالد أصحابه ، وجعل المهلب على ميمنته ، وداود بن قَحْدَمٍ من بني
 قيس بن ثعلبة على ميسرته ، ثم زحف خالد إليهم بالناس بعد
 عشرين ليلة ، فرأوا من كثرةِ الناس ما هالهم ، فانصرفوا على
 حامية ^(١) ، ولم يقاتلوا ؛ فأرسل خالد داودَ بْنَ قَحْدَمٍ في آثارهم ،
 وانصرف عَبْدُ الرحمن إلى الرِّى ، وأقام المهلبُ بالأهواز ، وانصرف
 خالد إلى البصرة ، وكتب إلى عَبْدِ الملك بذلك ، فكتب إلى أخيه
 بِشْرٍ يأمره أن يبعث أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة مع رجل بصير

(١) في الكامل : كأنهم على حامية .

بالحَرْبِ إلى فارس في طلب الأَزَارَقَةِ، ويأمر صاحبه بموافقة داود ابن قَحْطَمَ إن اجتمعوا .

فبعث بِشْرَ عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءِ في أربعة آلاف ، فسادروا حتى لحقوا داود ، فاجتمعوا ، ثم اتَّبَعُوا الخوارج حتى هلكت خيولُ عامتهم ، وأصابهم الجوعُ والجهد ، ورجع عامة الجيش ^(١) مُشَاةً إلى الأهواز ، وذلك في سنة [٥٧٢هـ] اثنتين وسبعين .

ذكر مقتل أبي فديك الخارجي

قد ذكرنا في أخبارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُبَيْرِ قَتْلَ نَجْدَةَ بْنِ عامر وطاعة أصحابه أبا فُذَيْكٍ ، فلما كان في سنة [٥٧٢هـ] اثنتين وسبعين غَلَبَ أَبُو فُذَيْكٍ على البَحْرَيْنِ ، فبعث خالدهُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرُ البصرة أخاه أُمِيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ في جُنْدٍ كثيفٍ ، فهزمه أَبُو فُذَيْكٍ ، وأخذ جاريةً له ، فاتخذها لنفسه ، فكتبَ إلى عَبْدِ الْمَلِكِ بذلك ، فأمر عَبْدُ الْمَلِكِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بنَ مَعْمَرٍ أَنْ يَنْدُبَ النَّاسَ مِنْ ^(٢) أَهْلِ الكوفة والبصرة وَيَسِيرَ إلى قِتَالِهِ ، فانتدب معه عشرة آلاف ، وسار بهم ، وجعل أَهْلَ الكوفةِ على الميمنة ، وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَأَهْلَ البصرة على الميسرة وعليهم عُمَرُ بْنُ مُوسَى بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بن مَعْمَرٍ ، وهو ابن أَخِي عُمَرَ ، وجعل خِيَلَهُ في القَلْبِ ، وساروا حتى انتهوا إلى البَحْرَيْنِ ، فالتقوا ، واصطَفَقُوا للقتال ، فحمل أَبُو فُذَيْكٍ وَأَصْحَابُهُ حَمَلَةً رجلٍ واحدٍ ، فكشفوا ميسرة عُمَرَ حتى أَبْعَدُوا إِلَّا المغيرة

(١) في د ، والكامل : الجيشين .

(٢) في ك : مع .

ابن المهلب ، ومَجَاعَةُ بن عبد الرحمن ، وفُرْسَانُ الناس ؛ فإنهم مالوا إلى صَفِّ أَهْلِ الكوفةِ بِاليمنة ، ثم رجع أهلُ الميسرة وقاتلوا واشتد قتالُهم حتى دخلوا عَسْكَرَ الخوارج ، وحمل أهلُ اليمنة حتى استباحوا عسْكَرَ الخوارج ، وقتلوا أَبَا فُتَيْكٍ ، وحَصَرُوا أَصْحَابَهُ حتى نزلوا على الحكم ، فقتل منهم نحو ستة آلاف ، وأمر ثمانمائة ؛ ووجدوا جارية أمية بن عبد الله حُبْلَى من أَبِي فُتَيْكٍ ، وعادوا إلى البصرة ، وذلك في سنة [٨٧٣] ثلاث وسبعين .

ذكر ولاية المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة

في سنة [٨٧٤] أربع وسبعين أمر عَبْدُ الملك أخاه بِشِراء ، وكان قد أضاف إليه ولايةَ البصرة مع الكوفة ، أَنْ يَبْعَثَ المهلبُ بنَ أَبِي صُفْرَةَ لحَرْبِ الأزارقة في أهل البصرة ، وَأَنْ يَنْتَخب مَنْ أَرَادَ منهم ، وَأَنْ يتركه في الحرب ورَأْيِهِ ، وأمره أَنْ يَبْعَثَ مِنْ أَهْلِ الكوفة رجلاً شريفاً معروفاً بالبِئاسِ والتَّجْدَةِ في جيش كثيف إلى المهلب ، وَأَنْ يَتَّبِعُوا الخوارجَ حيث كانوا حتى يستأصلوهم .

فأرسل المهلبُ خَلِيجَ بنَ سَعِيدٍ ^(١) بنَ قَيْبِصَةَ ، وأمره أَنْ يَنْتَخب الناس من الديوان ، وشنق على بشر أَنْ إمرةَ المهلبِ جاءت من قَيْلِ عَبْدِ الملك ، وبعث بشر عبد الرحمن بن مَخْتَفٍ على أهل الكوفة ، وأغراه بالمهلب ؛ وأمره أَنْ يَسْتَبِدَّ بالأمر ، وسار المهلبُ حتى نزل رَامَهُزْمَ ، فلقى بها الخوارج ، فَخَنَّدَقَ عليه ، وأقبل أهلُ الكوفة حتى نزلوا على ميل من المهلب ، فلم يلبث العسكر إلَّا عشراً ^(٢) حتى

(١) والإكمال : ٢ - ١٣٣ .

(٢) في ك : شهرًا ، والمثبت في د ، والطبری .

أَنَّهُمْ نَعَى بِشَرِّ بْنِ مَرْوَانَ فَتَفَرَّقُوا ، وَعَادَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ إِلَى أَنْ قَدِمَ الْحِجَابُ إِلَى الْكُوفَةِ فِي سَنَةِ [٨٧٥] خَمْسٍ وَسَبْعِينَ ، فَأَخْرَجَ النَّاسَ إِلَى الْمُهَلَّبِ وَابْنِ مِخْنَفٍ عَلَى مَا نَذَرَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي أَخْبَارِ الْحِجَابِ حِينَ قَدِمَ الْكُوفَةَ .

ذِكْرُ أَجْلَاءِ الْخَوَارِجِ عَنْ دَاهِرِ مَرْزُوقٍ

وَقَتْلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ

قَالَ : وَلَمَّا أَعَادَ الْحِجَابُ الْبِعُوثَ إِلَى الْمُهَلَّبِ كَتَبَ إِلَيْهِ وَإِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ بِأَمْرِهِمَا بِمَنَاقِصَةِ الْخَوَارِجِ رَجَعُوا (١) إِلَيْهِمْ وَقَاتَلُوهُمْ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ ، فَانْزَاكَتِ الْخَوَارِجُ كَأَنَّهُمْ عَلَى حَامِيَةٍ ، وَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا بِكَازِرُونَ (٢) ، وَسَارَ الْمُهَلَّبُ وَابْنُ مِخْنَفٍ حَتَّى نَزَلُوا بِهِمْ ، وَخَنَدَقَ الْمُهَلَّبُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَأَشَارَ عَلَى ابْنِ مِخْنَفٍ أَنْ يَخْنَدُقَ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ : نَحْنُ خَنَدَقْنَا سَيُوفُنَا ، فَأَتَى الْخَوَارِجُ الْمُهَلَّبَ لِيَبْيِثُوهُ ، فَوَجَدُوهُ قَدْ خَنَدَقَ ، فَمَالُوا بِحَوْزِ ابْنِ مِخْنَفٍ ، فَقَاتَلُوهُ ، فَانْهَزَمَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، فَنَزَلَ فَقَاتَلَ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقُتِلَ وَقَتِّلُوا رِجَالَهُ ، فَقَالَ شَاعِرُهُمْ (٣) :

لَمَنِ الْعَسْكَرُ الْمَكْلَلُ بِالْصَّرِّ عَى فَهُمْ بَيْنَ مَيِّتٍ وَقَتِيلٍ
فَتَرَاهُمْ تَسْفِي الرِّسَاحَ عَلَيْهِمْ حَاصِبَ الرَّمْلِ بَعْدَ جَرِّ الدُّبُولِ

هَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي قَتْلِ ابْنِ مِخْنَفٍ .

(١) فِي الْكَامِلِ : زَحَفُوا .

(٢) كَازِرُونَ - بِتَقْدِيمِ الزَّاي ، وَآخِرُهُ تَوْنٌ : مَدِينَةُ بَفَارِسَ بَيْنَ الْبَحْرِ وَشِيرَازَ ، يُقَالُ : هِيَ دِمَاطُ الْأَعْلَامِ (الْبَكْرِى) .

(٣) وَالطَّبْرِي : ٦ - ٢١٢ .

وأما أهل الكوفة فقالوا : إنه لما وصل كتابُ الحجاج لمناهضة^(١) الخوارج ناهضهم المهلب وابن مخنف ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فمالت الخوارج إلى المهلب فاضطروه إلى عسكره ، فاستنجد عبد الرحمن فأمدّه بالخيـل والرجال ، وكان ذلك بعد الظهر لعشر بـقيـن من شهر رمضان سنة [٨٧٥] خمس وسبعين .

فلما كان بعد العصر ورأت الخوارج من يأتي من عسكر عبد الرحمن [من الرجال]^(٢) علموا أنه قد خف أصحابه ، فجعلوا بإزاء المهلب من يشغله ، وانصرفوا بحدّهم^(٣) إلى ابن مخنف ، فنزل ونزل معه القراء ، منهم أبو الأحوص^(٤) صاحب ابن مسعود ، وخزيمة بن نصر أبو نصر بن خزيمة ، ونزل معه من قومه واحد وسبعون رجلاً ، وحملت عليهم الخوارج فقاتلوا قتالاً شديداً ، وانكشف الناس عنه ، وبقي في عصابة من أهل الصبر ، فقاتلوا حتى ذهب نحو ثلثي الليل ، ثم قُتِلَ في تلك العصابة .

فلما أصبحوا جاء المهلب فصلّى عليه ودفنه ، وكتب بذلك إلى الحجاج ، فبعث إلى عسكر عبد الرحمن عتاب ابن ورقاء ، وأمره أن يسمع إلى المهلب ، فساء ذلك ، ولم يجد بدءاً من طاعته ، فجاء وقاتل الخوارج ، ثم وقع بينه وبين المهلب كلامٌ أغلظ كل منهما لصاحبه ، فرفع المهلب القضيب على عتاب ،

(١) في ك : بمناهضة .

(٢) من الكامل .

(٣) في ك : يندهم . وفي الكامل : يندهم . والمثبت في د ، والطبرى .

(٤) في الطبرى : عليهم أبو الأحوص .

فوثب المغيرة بن المهلب فقبض^(١) القضيبة من يَدِ أبيه وسكته ،
وأثنى على عتاب ، وافترقا .

فأرسل عتاب إلى الحجاج يشكو المهلب ، ويسأله أن يأمر
بالعود ، فوافق ذلك حاجة من الحجاج إليه ، فاستقدمه ، وأمره
أن يترك ذلك الجيش مع المهلب ، فجعل المهلب عليهم ابنه حبيباً ،
وقاتل المهلبُ الخوارج على سابور^(٢) نحو سنةٍ بعدَ مسير عتاب عنه ،
وكانت كِرمَان في يَدِ الخوارج ، وفارس في يَدِ المهلب ، فضاق على
الخوارج مكانهم ، فخرجوا حتى أتوا كِرمَان ، وتبعهم المهلب
حتى نزل بجيِّرْفَت^(٣) ، وهى مدينة كِرمَان ، فقاتلهم قتالاً شديداً .
ثم أرسل إليه الحجاج البراءة بِنَ قبيصة يحثه على قتالِ الخوارج ،
ويأمره بالجد ، وأنه لا عُذْرَ له عنده .

فخرج المهلبُ بالعسكر ، فقاتل الخوارج من الغداة إلى الظهر ،
ثم انصرفوا والبراء على قَلِّ مُشْرِف^(٤) يَراهم ، فأثنى على المهلب
وعلى أصحابه ، وانصرف إلى الحجاج ، وعرفه عُذْرُ المهلب ، ثم قاتلهم
المهلب ثمانية عشر شهراً لا يَغْدِرُ منهم على شيء إلى أن وقع بينهم
الاختلاف .

(١) في الطبرى : قبض على القضيبة .

(٢) كورة مشهورة بأرض فارس (ياقوت) .

(٣) بالكسر ثم السكون وفتح الراء وسكون الفاء ، وتاء فوقها نقطتان :
مدينة بكرمان (المراسد) .

(٤) فى الكامل : على مكان عال .

ذكر الاختلاف بين الأزارقة

ومفارقة قَطْرِيَّ بن الفُجاعة

لِإِتَاهِم ومبايعتهم عبد ربَّ الكبير والحَرْبَ بينه وبين المهْلَب ومقتله

وفي سنة [٨٧٧] سَبَّح وسبعين وقع الاختلافُ بين الخوارج ، فخلعوا قَطْرِيَّ بن الفُجاعة ، وبإيعاد عبد ربَّ الكبير ، واختلف في سبب ذلك ، فقيل : إنَّ عَالاً^(١) لَقَطْرِيَّ على ناحية كِرْمَان ، يدعى الْمُفْعَطَر الضُّبِّي ، قتل رجلاً منهم ، فوثبت الخوارجُ إني قَطْرِي ، وطلبوا منه أن يقيدهم من عامله ، فلم يَفْعَل ، وقال : إنه تَأَوَّلَ فَأَخْطَأَ التَّأَوُّبِل ، وهو ن ذَوِي السابقة فيكم ، ما أرى أن تقتلوه ، فاختلفوا .

وقيل : كان السبب في اختلافهم أن رجلاً كان في عسكرهم يَعْمَلُ النُّصُولَ المسمومة ، فيرمى بها أصحابَ المهْلَب ، فشكا أصحابه منها ، فقال : أنا أكفيكموه ، فوجه رجلاً من أصحابه ومعه كتاب ، فأمره أن يُلْقِيَه في عسكر قَطْرِي ولا يراه أحد ، ففعل ، ووقع الكتابُ ، إلى قَطْرِي ، فإذا فيه : أما بعد فإنَّ نِصَالَكَ وَصَلَتْ ، وقد أَنْفَذْتُ إِلَيْكَ أَلْفَ درهم ، فأحضر قَطْرِيَّ الصَّانِعَ فسأله . فجحد ، فقتله ، فأنكر عليه عبد ربَّ الكبير قَتْلَه ، واختلفوا .

ثم وضع المهْلَب رجلاً نصرانياً ، وأمره أن يسجد لَقَطْرِي . ففعل . فقال الخوارج : إنَّ هذا قد اتَّخَذَكَ إِلَهاً . ووثب بعضهم على النُّصْراني فقتله ، فزاد اختلافهم ، ففارق بعضهم قَطْرِيّاً وخلعوه ، ووَلَّوْا

(١) في ك : غلاما .

عبد رب الكبير ، وبقى مع قَطْرَى منهم نحو رُبْعهم أو خُمسهم ، واقتتلوا فيما بينهم نَحْوًا من شهر (١) .

وكتب المهلب إلى الحجاج بذلك ، فكتب إليه الحجاج يأمره بِقِتَالِهِمْ على حالِ اختلافهم قبل أن يجتمعوا .

فكتب إليه المهلب : إني لستُ أرى أن أقاتِلَهُمْ مادام يَقْتُلُ بعضهم بعضًا ، فإن تَمَّوا على ذلك فهو الذى نُريد (٢) ، وفيه هلاكهم . وإن اجتمعوا لم يجتمعوا إلَّا وقد رَقَّ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فأنا هاضمهم حينئذ ، وهم أهونُ ما كانوا وأضعفهم شَوْكَةً إن شاء الله تعالى . والسلام . فسكت عنه .

ثم إن قَطْرِيًّا خرج بِمَنْ معه نحو طَبْرِسْتَان ، وأقام (٣) عند عبد ربِّ الكبير بِكَرْمَانَ ، فنهض إليهم المهلبُ ، فقاتلوه قتالاً شديداً وحصرهم بِجَيْرَفَت ، وكرَّرَ قتالَهُمْ وهو لا يبلُغُ منهم ما يريد .

فلما طال عليهم الحِصَار خرجوا من جَيْرَفَت بِأموالهم وحُرْمهم ، فقاتلهم المهلبُ قتالاً شديداً حتى عُقِرَت الخَيْلُ وتكسَّر السلاحُ ، وقُتِلَ الفرسان ، فتركهم ، فساروا ؛ ودخل المهلبُ جَيْرَفَت ، ثم سار حتى لحقهم على أربعة فراسخ منها ، فقاتلهم مِنْ بُكْرَةِ النهار إلى الظُّهْرِ ، ثم كفَّ عنهم ، فجمع عبدُ ربِّ الكبير أصحابه ، وقال :

(١) فى الكامل : أشهر .

(٢) فى د : نريده .

(٣) فى الطبرى : وبابِ عامتهم عبد ربِّ الكبير ، وفى الكامل : وبابِ الباقون عبد ربِّ الكبير .

يا معشر المهاجرين ؛ إن قَطَرِيًّا ومن معه هربوا ، طلب (١) البقاء ، ولا سبيل إليه ، فآلَقُوا عدوكم ، وهَبُوا أَنْفُسَكُمْ لِلَّهِ ، ثُمَّ عَاوَدَ الْقِتَالُ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا أَنْسَاهُمْ مَا قَبْلَهُ ، فَتَبَاعِيعُ (٢) جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ عَلَى الْمَوْتِ ، وَتَرَجَّلَتِ الْخَوَارِجُ ، وَعَقَرُوا دَوَابَّهُمْ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَعَظُمَ الْخَطْبُ حَتَّى قَالَ الْمُهَلَّبُ : مَا مَرَّ بِي يَوْمٌ مِثْلُ هَذَا .

ثُمَّ هَزَمَ اللَّهُ الْخَوَارِجَ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ ، فَكَانَ عَدَدُ الْقَتْلِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، مِنْهُمْ ابْنُ عَبْدِ رَبِّ الْكَبِيرِ ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَأَخِذَ عَسْكَرَهُمْ وَمَا فِيهِ ، وَبَعَثَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْحِجَاجِ مُبَشِّرًا . فَلَمَّا دَخَلَ الْبَشِيرُ إِلَيْهِ أَخْبَرَهُ عَنِ الْجَيْشِ وَعَنِ الْخَوَارِجِ وَذَكَرَ حُرُوبَهُمْ ، وَأَخْبَرَهُ عَنْ بَنِي الْمُهَلَّبِ ، فَقَالَ : الْمَغْبِرَةُ فَارُسُهُمْ وَسَيِّدُهُمْ : وَكَفَى بِيَزِيدَ فَارِسًا شَجَاعًا ، وَجَوَادُهُمْ وَشَجَاعُهُمْ (٣) قَبِيصَةٌ ، وَلَا يَسْتَحْيِ الشَّجَاعُ أَنْ يَفْرَءَ مِنْ مُذْرِكِهِ . وَعَبْدُ الْمَلِكِ سَمُّ نَاقِعٍ : وَحَبِيبُ مَوْتٍ دُعَافٌ (٤) ، وَمُحَمَّدُ لَيْثٌ غَابٍ ، وَكَفَاكَ بِالْفَضْلِ نَجْدَةٌ . قَالَ : فَأَيُّهُمْ كَانَ أَنْجَدُ ؟ قَالَ : كَانُوا كَالْحَلْقَةِ الْمَفْرَغَةِ لَا يُعْرِفُ طَرَفُهَا .

سَمِعْتُ حَسَنَ قَوْلَهُ : وَكَتَبَ إِلَى الْمُهَلَّبِ يَشْكُرُهُ ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يُوَلِّي كِرْزَمَانَ مَنْ يَشِيقُ إِلَيْهِ ، وَيَجْعَلَ فِيهَا مَنْ يَحِييُهَا ، وَيَقْدُمُ عَلَيْهِ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا ابْنَهُ يَزِيدَ . وَسَارَ إِلَى الْحِجَاجِ .

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ أَكْرَمَهُ وَأَجَلَّه - إِلَى جَانِبِهِ ، وَقَالَ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ .

(١) فِي ك : طَلَبُوا .

(٢) فِي الْكَامِلِ : قَبَايِعُ .

(٣) فِي د : وَالْكَامِلُ : وَسَخِيهِمْ .

(٤) بِالذَّالِ : وَالزَّاي : كَمَا فِي الْقَامُوسِ .

أَنْتُمْ عِبِيدُ الْمُهَلَّبِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتَ كَمَا قَالَ لَقِيْطُ بْنُ يَغْمُرَ الْإِيَادَى
فِي صِفَةِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ (١) :

فَقُلُّوْا (٢) . أَمَرَكَمُ اللهُ دُرُكُمُـــ
رَحْبَ الدَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلِّعَا

لَا مُتَرَفًا إِنْ رَخَاءَ الْعِيْشِ سَاعِدَهُ
وَلَا إِذَا عَصَ مَكْرُوهُ بِهِ خَشَعَا (٣)

مُسَهَّدُ النَّوْمِ تَغْنِيهِهُ تُغَوَّرُكُمْـــ
يَرُومُ مِنْهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ مُطْلَعَا

مَا انْفَلَكَ يَحْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ
يَكُونُ مَتِيْعًا طَوْرًا وَمَتَبِّعَا

وَلَيْسَ يَشْغُلُهُ مَالٌ يُشْمَرُهُ
عِنَكُمْ وَلَا وَلَدٌ يَنْبَغِي لَهُ الرُّقْعَا

حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْرٍ مَرِيرَتُهُ
مُسْتَحْكَمُ السِّنِّ لَا قَحْمَا وَلَا ضَرْعَا (٤)

وَأَحْسَنُ الْحِجَاجِ إِلَى أَهْلِ الْبَلَاءِ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ وَزَادَهُمْ
[وَاللهُ أَعْلَمُ (٥)] .

(١) والشعر والشعراء : ١٥٢ ، والأبيات من قصيدة له طويلة في مختارات
ابن الشجري : ٣ .

(٢) في الكامل : وقلدوا .

(٣) في د ، ك : جشعا .

(٤) القحيم : الكبير السن جدا . والضرع : الضعيف . وقى ك : فرعا .

(٥) ماقط من د .

ذكر مقتل قطري بن الفجاءة وعبيدة بن هلال

ومَن معهما من الأزارقة

كان مقتلهم في سنة [٨٧٧] سبع وسبعين ، وذلك أنه لما تشبَّت أمرهم بسبب الاختلاف الذي ذكرناه ، وسار قطري نحو طبرستان ندب الحجاج سُفْيَان بن الأبرد في جيش كثيف ، فسار ، واجتمع معه إسحاق بن محمد بن الأشعث في جيش لأهل الكوفة بطبرستان ، فأقبلوا في طلب قطري ، فأدركوه في شُعب من شُعَاب طبرستان ، فقاتلوه ، فنفَّرق عنه أصحابه ، وسقط عن دابته فتَذَهَّدَه (١) إلى أسفل الشَّعب ، وأُتاه عِلْجٌ من أهل البلد وهو لا يعرفه فقال [له] (٢) قطري : اسقني (٣) الماء . فقال العِلْج : أُعْطِيَ شيئاً . فقال : ما معي إلا سِلَاحي ، وإن أتيتني بالماء فهو لك ، فانطلق العِلْج حتى أشرف على قطري ثم حُدَّر عليه حَجَرًا عَظِيمًا من فوقه ، فأصاب وَرَكَّهُ (٤) فأَوْهَنَه ، وصاح بالناس فأقبلوا نحوه .

وجاء نَفَرٌ من أهل الكوفة فقتلوه ، منهم سَوْرَة بن أبجر (٥) التميمي ، وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف ، والصباح بن محمد بن الأشعث ، وعمر بن أبي الصلت ، وكلُّ هؤلاء ادَّعى قَتْلَه ، فجاءهم أبو الجهم

(١) في الطبري : فتذهلى : وهما بمعنى : تدرج .

(٢) من الكامل .

(٣) في الطبري : من الماء .

(٤) في الطبري : وركيه .

(٥) في الكامل : سورة بن الحر ، والمثبت في الطبري أيضا .

ابن^(١) كنانة ، فقال : ادفعوا رأسه إلىّ حتى تصطلحوا ، فدفعوه إليه ، فأقبل به إلى إسحاق بن محمد ، وهو على أهل الكوفة ، فأرسله معه إلى سُفْيَان بن الأبرّد ، فبعثه معه إلى الحجاج ، فسيّره معه إلى عبد الملك ، فجعل عطاءه في ألفين ، ثم سار سُفْيَان إليهم ، وأحاط بهم وأميرهم عُبيدة بن هلال ، فأمر منادياً فنادى : مَنْ قتل صاحبه وجاء إلينا فهو آمن ، وحصرهم سُفْيَان حتى أكلوا دوابهم ، ثم خرجوا إليه ، وقتلوه ، فقتلهم ، وبعث برؤوسهم إلى الحجاج ، وانقرضت الأزارقة بعد مقتل قَطْرِىّ وعُبَيْدة ، [فكان أولهم نافع ابن الأزرق ، وآخرهم قَطْرِىّ وعُبَيْدة]^(٢) : واتصل أمرهم بِضْعاً وعشرين سنة ، ثم دخل سُفْيَان دُنْبَاوَنَد^(٣) وطَبْرِسْتَان ، فكان هناك حتى عزّله الحجاجُ قبل الجَمَاجِم .

هذا ما كان من أمر الأزارقة ، فلنذكر من سواهم من الخوارج . أيام عبد الملك .

(١) ك : ق . والمثبت في الكامل ، والطبرى أيضاً (٦-١٠٣) .

(٢) ساقط في ك .

(٣) دُنْبَاوَنَد : تَجِيل في نَوَاحِي الرّي (ياقوت) .

ذكر خروج صالح بن مسرح التميمي

وشَيْبِيب بن يزيد بن نَعِيم الشيباني

قال : كان صالح بن مُسْرَح (١) التميمي رجلاً نَاسِكًا مُصَفَّرَ
الوجْهِ صاحبَ عِبَادَةٍ ، وكان بدارًا وأرض الموصل والجزيرة ، وله
أصحابٌ يُقرنهم القرآن والفِقهَ ، ويقصُّ عليهم ، فدعاهم إلى الخروج
وإنكارِ المظالم وجهادِ المخالفين لهم ، فأجابوه إلى ذلك ، فبينما هم
في ذلك إذ ورد عليهم (٢) كتاب شَيْبِيب يقول [له] (٣) : إنك
كنت تريدُ الخروجَ ، فإن كان ذلك من شأنك اليوم فأنت شيخُ
المسلمين ، ولن نُغْدِلَ بكَ أحدًا ، وإن أَرَدْتَ تأخيرَ ذلك فأعلمني ،
فإنَّ الآجالَ غاديةٌ ورائحةٌ ، ولا آمنُ أنْ تَخْتَرِ مني المنيةَ ، ولم أجاهد
الظَّالِمِينَ .

فكتب إليه صالح : إنه لم يمنعني من الخروج إلا انتظارُك ،
فأخرجُ إلينا ، فإنك ممن لا يُسْتَعْنَى عن رأيه ، ولا تُقْضَى دونه الأمورُ .

فلما قرأ شَيْبِيب كتابَه دعا نَفَرًا من أصحابه ، منهم أخوه مُصَاد (٤)
ابن يزيد ، والمُحَلَّل (٥) بن وائل اليشكري وغيرهم (٦) ، وخرج بهم

(١) بضم الميم وفتح السين وتشديد الواو المكسورة وبالحاء المهملة (الكامل).

(٢) في الكامل : عليه .

(٣) ساقط في ك .

(٤) بضم الميم ، وتفتح .

(٥) الضبط في د .

(٦) في الكامل : وغيرها .

حتى قَدِمَ على صالح بدارا ، فلما لقيه قال : اخرج بنا رَحِمَكَ اللهُ ،
فوالله ما تَزِدُّادُ السَّنَةَ إِلَّا دُرُوسًا ، ولا يَزِدُّادُ المجرمون إِلَّا طُغْيَانًا .
فبثَّ صالحُ رُسُلَهُ ، وواعدَ أصحابَه للخروج هلال صفر سنة [٥٧٦هـ]
ست وسبعين ، فاجتمعوا عنده ليلة الموعِد ، فسأله بَعْضُ أصحابه
عن القتال ، أيكون قبل الدعاء أو بَعْدَهُ ؟ فقال : بل ندعوهم ،
فإنه أقطع لِحُجَّتِهِمْ . فقال : كيف ترى فيمن قاتلنا فظفِرنا بهم ،
ما تقولُ في دمايهم وأموالهم ؟ فقال : إن قاتلنا فغنمنا فلنَّا ، وإن عَفَوْنَا
فموسعُ علينا .

ثم وعظ أصحابَه وأمرهم بأمره ، وقال لهم : إن أكثركم رجالة ،
وهذه دوابٌ لمحمد بن مروان فابذرواها ، فاحملوا عليها رَاجِلَكُمْ وتقوُّوا
بها على عَدُوِّكُمْ .

فخرجوا تلك الليلة فَاَخَذُوا الدوابَّ ، وأقاموا بِأَرْض دَارًا ثلاث
عشرة ليلة ، وتحصَّنَ أَهْلُهَا منهم وأهل نَصِيبِينَ وسِنْجَار (١) ،
وكان خروجُه في مائة وعشرين ، وقيل : وعشرة .

وبلغ ذلك محمد بن مروان وهو أميرُ الجزيرة يومئذ ، فأرسل إليهم
عدى بن عدى الكندى في ألف ، فصار من حران ، وكانه يُساقُ
إلى الموت ، وأرسل عدى إلى صالح يسأله أن يخرج من هذه البلد ،
ويعلمه أنه بِكَرَّةٍ قِتَالُهُ . وكان عدى ناسكًا . فأعاد صالح إليه :
إن كُنْتَ ترى رأيُنَا خرجنَا عنك . فأرسل إليه : إني لا أَرَى رأيَكَ ،
ولكنى أكره قتالَكَ وقتالَ غَيْرِكَ . فقال صالح لأصحابه : اركبوا ،

(١) بالكسر ثم السكون ، ثم جيم ، وآخره راء : مدينة مشهورة من نواحي
الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام (المواصد) .

فركبوا ، وحبس الرسول ^(١) عنده ومضى . فأتى عدياً وهو يصلّي
الضُحَى ، فلم يشعرُوا إلا والخيلُ قد طلعت عليهم ، وهو على غير تعبئة ،
فحمل عليهم شبيب وهو على مئمنة صالح ، وسويد بن سليم وهو على
ميسرته ، فانهزموا ، وأتى عدي بدأيته فركبها ، وانهزم . وجاء صالح
فنزل في معسكره ، وأخذ ما فيه ، ودخل أصحاب عدي على محمد
ابن مروان فغضب على عدي . ثم دعا خالد بن جزء السلمي ، فبعثه
في ألف وخمسمائة ، وبعث الحارث بن جَعُونَةَ ^(٢) في ألف وخمسمائة ،
وقال : اخرجوا إلى هذه المارقة ^(٣) ، وأغذاً السير ، فأيكما سبق
فهو الأميرُ على صاحبه ، فخرجوا متساندين يسألان عن صالح ، فقبيل :
إنه نحو آمِد ^(٤) ، فقصداه ، فوجّه صالح شبيباً في شطر [من] ^(٥)
أصحابه إلى الحارث ، وتوجّه هو نحو خالد ، فالتقيا ، واقتتلوا وقتَ
العصر أشدَّ قتال حتى أسسوا ، وقد كثر الجراح في الفريقين ، فلما حال
بينهما الليلُ خرج صالح وأصحابه ، فساروا حتى قطعوا أرض الجزيرة
والموصل ، وانتهوا إلى الدَّسْكَرَةِ ^(٦) .

فلما بلغ خبرهم الحجاج سَرَحَ إليهم الحارث بن عميرة في ثلاثة
آلاف من أهل الكوفة ، فلقيهم صالح في تسعين رجلاً ، وذلك لثلاث

(١) في الطبري : الرجل .

(٢) بفتح الجيم وسكون العين المهملة ، وفتح الواو ، وآخره نون (الكامل :

٤ - ٤٤) .

(٣) في الطبري : الخارجة .

(٤) آمد - بكسر الميم : بلد قديم على نهر ، ودجلة محيطة بأكثره مستديرة به

كالخلال (المراصد) .

(٥) قرية كبيرة بنواحي نهر ملك .

(٦) من ك .

عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة ، فاقتتلوا . فانهزم سُويد بن سُليم بمئسرة صالح ، وثبت صالح ، فقاتل حتى قُتل ، وقاتل شبيب حتى صُرع عن فرسه ، فحمل عليهم راجلاً فانكشفوا عنه ، فنادى : إلى يامعشر المسلمين ، فلا تُؤا به . فقال لأصحابه : ليجعل كل واحد منكم ظهره إلى ظهر صاحبه ، وليطاعن عذوه حتى تدخل هذا الحصن ونرى رأينا . ففعلوا ذلك ، ودخلوا الحصن ، وهم سبعون رجلاً ، وأحاط بهم الحارث ، وأحرق عليهم الباب ، وقال : إنهم لا يقدرُونَ على الخروج منه . وكانت هذه الواقعة بقرية يقال لها المدبج^(١) .

ذكربيعة شبيب بن يزيد الشيباني

ومحاربته الحارث بن عميرة وهزيمة الحارث

قال : ولما أحرق الحارث الباب على شبيب انصرف إلى عسكره وقال : إنهم لا يقدرُونَ على الخروج منه ، فنصبهم غداً فنقتلهم . فقال شبيب لأصحابه : ما تنتظرون ؟ فوالله لئن صبحكم هؤلاء وإنه لهلاككم . فقالوا : مُرْنَا بِأَمْرِكَ . فقال : بايعُونى أو مَنْ شئتم من أصحابكم ، واخرجوا بنا إليهم ، فإنهم آمنون ، فبايعوه ، وأتوا باللبود فبلوها وجعلوها^(٢) على جمر الباب وخرجوا . فلم يشعر الحارث إلا وهم بينهم بالسيوف : فصُرع الحارث ، فاحتمله أصحابه وانهزموا نحو المدائن ، وحوى شبيب عسكرهم . فكان ذلك أول جيش هزمه .

(١) فى د: المريج . والصواب فى ك ، وياقوت ، والطبرى (٦-٢٢٤) : وهى على تخوم ما بين الموصل والعراق .

(٢) فى الطبرى : ثم ألقوها على الجمر .

ذكر الحروب بين أصحاب شبيب وعنزة

قال : ثم لقي شبيب سلامة بن سيار^(١) التميمي ، تيمم شيبان ، بأرض الموصل ، فدعاه إلى الخروج معه فشرط عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين فارساً ينطلق بهم نحو عنزة^(٢) ليوقع بهم ، فإنهم كانوا قتلوا أخاه فضالة ، وكان فضالة قد خرج في ثمانية عشر رجلاً حتى نزل ماء يقال له الشجرة وبه^(٣) عنزة نازلون ، فنهضت عنزة فقتلوه ومن معه وأتوا برؤوسهم إلى عبد الملك فأنزلهم بانيقيا^(٤) ، وفرص لهم ، وكان خروج فضالة قبل خروج صالح ، فأجابه شبيب فخرج حتى انتهى إلى عنزة ، فجعل يقتل المحلة بعد المحلة حتى انتهى إلى فريق منهم فيه خالته قد أكتبت على ابن لها وهو غلام حين احتلم ، فأخرجت ثديها [إليه]^(٥) وقالت : أنشدك ترحم^(٦) هذا يا سلامة . فقال : [لا]^(٥) والله ما رأيت فضالة مذ أناخ بأرض الشجرة^(٧) . لتقومين عنه أو لأجمعنكما بالرمح ، فقامت عنه . فقتلته .

(١) في الكامل : بن سنان . والمثبت في الطبري أيضا .

(٢) عنزة بن أسد : حى (القاموس) .

(٣) في الطبري : وعليه .

(٤) من نواحي الكوفة .

(٥) من الطبري .

(٦) في الطبري والكامل : برحم هذا يا سلامة .

(٧) في الكامل : بأصل . وفي الطبري ، والكامل - يعنى أخاه .

ذكر مسيرة شبيب الى بنى شيبان

ولإيقاعه بهم ودخلهم معه

قال : ثم أقبل شبيب بخيَّله نحو راذان فهرب منه طائفة من بنى شيبان ، ومعهم ناسٌ قليلٌ من غيرهم ، فأقبلوا حتى نزلوا دُبْرًا خرابًا^(١) إلى جنب حَوْلَايَا^(٢) ، وهم نحو ثلاثة آلاف ، وشبيب في سبعين رجلاً أو يزيدون قليلاً ، فنزل بهم فتحصَّنوا منه فجعل أخاه مُصاد بن يزيد يحاصرهم ، وتوجَّه إلى أمِّه ليأخذها وهو في اثني عشر رجلاً ، فمرَّ طريقه بجماعة من بنى [تيم بن] ^(٣) شيبان في أموالهم مُقيمين ؛ لا يرون أنَّ شبيباً يمرُّ بهم . ولا يشعرون بمكانهم ، فحمل عليهم فقتل ثلاثين شبيخاً فيهم حوْثرة بن أسد ، ومضى إلى أمِّه ؛ وأشرف رجلٌ من الدَّير على أصحاب شبيب ، فقال : يا قوم ؛ بيننا وبينكم القرآن ، قال الله تعالى ^(٤) : « وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ » . فكفُّوا عنا حتى نخرج إليكم بأمانٍ وتعرضوا علينا أمركم ، فإن قبلناه حرمت عليكم دِمَاؤُنا وأموالُنا ، وإن نحن لم نقبله ردَّتمونا إلى مَأْمَننا ، ثم رأيتم رأيكم . فأجابوهم فخرجوا إليهم ، فعرض عليهم أصحاب شبيب قولهم ، فقبلوه كلُّه ، فنزلوا إليهم ، وجاء شبيب فأخبر بذلك ، فقال : أصبتم ووفقتم .

(١) في ك : خربا . وفي الطبرى : دير خرزاد .

(٢) حولابا - بفتح الحاء ، وسكون الواو ، وآخره ياء وألف : قرية كانت بالهروان ، خربت بخرابه (المراصد) .

(٣) من الطبرى . (٤) سورة التوبة ، آية ٦ .

ذكر الوقعة بين شبيب وسفيان الخثعمي

قال : ثم ارتحل شبيب ، وخرج معه طائفة ، وأقامت طائفة ؛ فسار في أرض الموصل نحو أذربيجان . وكتب الحجاجُ إلى سفيان ابن أبي العالية الخثعمي يأمره بالقُفُول ، وكان معه ألفُ فارس يريدُ أن يدخل بها طبرستان . فلما أتاه كتابُ الحجاج صالح صاحب طبرستان ورجع ، فأمره الحجاج أن ينزل الدسكرة^(١) حتى يأتيه جيش الحارث بن عميرة الهمداني وتأتيه خيل المناظر ، ثم يسير إلى شبيب . فأقام بالدسكرة ونودي في جيش الحارث : الحرب بالكوفة والمدائن ، فخرجوا حتى أتوا سفيان ، وأنته خيل المناظر عليهم سورة^(٢) ابن أبجر التميمي ، وكتب إليه سورة بالتوقف حتى يلحقه ، فعجل سفيان في طلب شبيب ، فلحقه بخانقين^(٣) وارتفع شبيب عنهم ، وأكمن له أخاه مُصَادًا في خمسين رجلا ، ومضى في سفح الجبل ، فقالوا : هرب عدو الله ، فاتبعوه ، فقال لهم عدى بن عميرة الشيباني : لا تعجلوا حتى تُبصروا الأرض لئلا يكون قد أكمن بها كمينًا ، فلم يلتفتوا واتبعوه ، فلما جازوا الكمين عطف عليهم شبيب ، وخرج أخوه في الكمين ، فانهزم الناس بغير قتال ، وثبت سفيان في نحو

(١) في المراسد: بالفتح ثم السكون . وكسر كافه : قرية كبيرة بناوحي نهر ملك كمدينة صغيرة على ضفة نهر الملك . وسيت دسكرة الملك لأن هرمزين أردشير كان بكسر المقام بها . والدسكرة أيضا : قرية بخوزستان . وفي ياقوت . بفتح الكاف .

(٢) في الكامل : سورة بن الحر . والثبت في الطبري أيضا .

(٣) بلدة من نواحي السواد (المراسد ، والكامل) .

مائتين ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، ثم نجا حتى انتهى إلى بابل
مهروذ^(١) وكتب إلى الحجاج بالخبر ، ويعرفه وصول الجند
إلا سورة بن أبجر فإنه لم يشهد معى القتال .

ذكر الوقعة بين شبيب وسورة

قال : ولما وصل كتاب سفيان إلى الحجاج كتب إلى سورة
ابن أبجر يلومه ويتهدده ، ويأمره أن ينتخب من المدائن خمسمائة
فارس ويسير بهم وبمن معه إلى شبيب ، فسار سورة بهم نحو شبيب ،
وشبيب في جُوحى^(٢) ، وسورة في طلبه حتى انتهى إلى المدائن ،
فتحصن^(٣) منه وأخذ منها [دواب]^(٤) وقتل من ظهر له ،
وخرج حتى انتهى إلى النهروان^(٥) فصلوا وترحموا على أصحابهم
الذين قتلهم على رضى الله عنه وتبرأوا من على وأصحابه . وبلغ
سورة خبره ، فجمع أصحابه وقال : إن شبيبا لا يزيد على مائة رجل ،
وقد رأيت أن أنتخبكم فأسير في ثلاثمائة من شجعانكم وآتية ،
فأجابوه إلى ذلك ، فسار في ثلاثمائة نحو النهروان ، وأذكى شبيب
الحرص ، فلما دنا أصحاب سورة علموا بهم ، فاستووا على خيولهم ،
وتعبثوا تغيبتهم للحرب ، فلما انتهى إليهم سورة رأهم قد حذروا ،

(١) مهروذ : آخره ذال معجمة ، والواو ساكنة : من طساسيج سواد
العراق : نهر عليه قرى في طريق خراسان (المراصد) .

(٢) نهر عليه كورة واسعة في سواد العراق (المراصد) .

(٣) في الكامل : فتحصنوا .

(٤) بياض بالأصل ، والمثبت من الطبرى والكامل .

(٥) كورة واسعة أسفل بقلاد من شرقي تمارا (المراصد) .

فحمل عليهم فثبتوا له ، وصاح شبيب بأصحابه فحملوا عليهم وشبيب يقول ^(١) :

من ينك العيرَ بينك نيساكا جندلثان اضطكتنا اضطكاكا
فرجع سورة إلى عسكره وقدهزم الفرسان وأهل القوة ، فتحمل بهم ،
وأقبل نحو المدائن ، فثبته شبيب يرجو أن يذركه ، فوصل إليهم ،
وقد دخل الناس المدائن ، فمر على كلواذا ^(٢) ، فأصاب بها دواب كثيرة للحجاج ، فأخذها ومضى إلى تكريت ، وأرجف الناس بالمدائن بوصول شبيب إليهم ، فهرب من بها من الجند نحو الكوفة ،
وحبس الحجاج سورة ثم أطلقه .

ذكر الحرب بين شبيب والجزل بن سعيد

وقتل سعيد بن مجالد

قال : ولما قدم القل ^(٣) الكوفة سير الحجاج الجزل بن سعيد ابن شريحيل الكندي ، واسمه عثمان ، نحو شبيب ، وأوصاه بالاحتياط وترك العجلة ، وأخرج معه أربعة آلاف ليس فيهم أحد ممن هزم ، فقدم الجزل بين يديه عياض بن أبي ليثة ^(٤) الكندي ، فساروا في طلب شبيب وهو يخرج من رستاق إلى رستاق ، يقصد بذلك أن يفرق الجزل أصحابه فيلقاه وهو على غير تعبته ، فجعل الجزل لا يسير إلا على تعبته ، ولا ينزل إلا أخذق على نفسه .

فلما طال ذلك على شبيب دعا أصحابه وكانوا مائة وستين رجلاً ،

(١) الشطر الأول في اللسان . وهو مثل يضرب في مغالبة الغلاب .

(٢) كلواذي : قرب بغداد (المراصد) .

(٣) القل : المنهزمون . (٤) الكامل : ابن أبي ليثة .

ففرّقهم أربَع فرق كل فرقة أربعين ، فجعل أخاه مُصَاداً فى أربعين ،
وسويد بن سُليم فى أربعين ، والمحلّل ^(١) بن وائِل فى أربعين ، وبقي
هو فى أربعين . وأنته عيونه ، فأخبروه أن الجزل يريد ^(٢)
يزدجرد ، فسار شبيب ، وأمر كلّ رأس من أصحابه أن يأتي الجزل
من جهة ذكرها له ، وقال : إني أريد أن أبيت ^(٣) ، فسار أخوه فانتهى
إلى دَيْرِ الخَرّارة ، فرأى للجزل مَسْلَحة مع ابن أبى ليثمة ، فحمل عليهم
مُصَاد فيمن معه ، فقاتلوه ساعة ، ثم اندفعوا بين يديه ، وقد أدرّكهم
شبيب ، فقال : اركبوا أكتافهم لتدخلوا عليهم عسكرهم إن استطعتم .
فاتبعوهم فانتهوا إلى عسكرهم ، فمنعهم أصحابهم من دخول
خندقهم ، وكان للجزل مسالِح أخرى فرجعت ، فمنعهم من دخول
الخندق ، وجعل شبيب يحيل على المسالِح حتى اضطروهم إلى الخندق ،
ورشقهم أهل العسكر بالنبل . فلما رأى شبيب أنه لا يصل إليهم ^(٤)
سار عنهم وتركهم ، ثم نزل هو وأصحابه فاستراحوا : ثم أقبل
بهم راجعاً إلى الجزل ، فأقبلوا وقد أدخل أهل العسكر مسالِحهم إليهم
وأمنوا ، فما شعروا إلّا بوقع حوافِر الخيل ، فانتهوا إليهم قبل الصبح ،
وأحاطوا بعسكرهم من جهاته الأربع ، ثم انصرف شبيب وتركهم ،
ولم يظفّر بهم ، فنزل على ميل ونصف ، ثم صلى الغداة وسار نحو
جَرَجَرَايا ^(٥) ، وأقبل الجزل فى طلبهم على تعبته ، وسار شبيب

(١) فى د : اخلك - تحريف .

(٢) فى الطبرى : نزل دير يزدجرد .

(٣) فى الطبرى : أن أبيت هذا العسكر .

(٤) فى الكامل : إليه .

(٥) جرجرايا : بفتح الجيم وسكون الراء الأولى وفتح الثانية : بلد من أعمال
النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى (المراصد) .

في أرض الجَوْخَى ^(١) وغيرها ، فطال ذلك على الحجاج ، فكتب إلى
الجزل يُنْكِرُ عليه إبطاءه ويأمره بمناقضتهم ، فجذب في طلبهم وبعث
الحجاج سعيده بن المجالد على جيش الجزل ، وأمره بالجذب في قتال
شبيب وترك المطولة ، فوصل سعيد إلى الجزل وهو بالنهر وان قد
خندق عليه ، فقام في العسكر ووبخهم وعجزهم .

ثم خرج ، وأخرج معه الناس ، وضم إليه خيول أهل العسكر
ليسير بهم جريدة ^(٢) إلى شبيب ويترك الناس ^(٣) مكانهم ، فنهاء
الجزل عن ذلك ، فلم ينته ولم يرجع إليه ، وتقدم معه الناس ، وأخذ
شبيب إلى قَطِيطِيا ^(٤) ، فدخلها وأغلق الباب ، وأمر دُهَقَانَهَا ^(٥)
أن يُضِلَّحَ لهم غداء ، فلم يتهبأ الغداء حتى أتاه سعيد في ذلك الجيش ،
فأعلم الدُهَقَانُ شبيباً ، فقال : لا بأس ، قرب الغداء ، فقربه فأكل
وتوضأ وصلى ركعتين ، وركب بغلاً ، وخرج إلى سعيد وهو على باب
المدينة فحمل عليهم ، وقال : لا حُكْمَ إلا للحكم ، فهزمهم
وثبت سعيد ، ونادى أصحابه ، فحمل عليه شبيب ، فضربه بالسيف
فقتله ، فانهزم ذلك الجيش ، وقفلوا حتى انتهوا إلى الجزل ، وكان
قد وقف في بقية العسكر ، فناداهم : أيها الناس ، إلى إلى ، وقاتل
قتالاً شديداً حتى حُمِلَ جريحاً ، وقدم المنتهزمون الكوفة .

(١) جَوْخَى : في الكامل ، والطبري ، وياقوت .

(٢) الجريدة : خيل لا رجالة فيها (القاموس) .

(٣) في د : الباقيين .

(٤) الضبط من الطبري .

(٥) بكسر الدال وضمها (القاموس) .

وكتب الجَزَل إلى الحجاج بالخبر ، وأقام بالمدائن ، فكتب إليه الحجاج يشكره ويثنى عليه ، وأرسل إليه نفقةً ومَنْ يُدَاوِي جِرَاحَهُ . وسار شبيب نحو المدائن فعلم أنه لا سبيلَ إلى أهلها ، فأقبل حتى أتى الكَرْخَ ، فعبر دجلةَ إليه ، وأرسل إلى أهل سُوقِ بَغْدَادِ فأمنهم ، وكان يَوْمَ سوقهم ، واشترى أصحابه دوابَّ وغيرها .

ذكر مسير شبيب الى الكوفة

قال : ثم سار شبيب إلى الكوفة فنزل عند حَمَامٍ ^(١) عُمَرُ ابْنِ سَعْدٍ ^(٢) ، فلما بلغ الحجاج مكانه بعث سُويْدَ بن عبد الرحمن السَّعْدِيَّ في أَلْفَى رجل ، وقال له : أَلَيْكَ شَيْبًا فَإِنْ اسْتَطَرَدَ لَكَ فَلَاتَتَّبِعْهُ . فخرج وعسكرَ بالسَّبْحَةِ ^(٣) ، فبلغه أَنَّ شَيْبًا قد أقبل ، فسار نحوه وأمر الحجاج عثمان بن قَطَنَ فَعَسَكَرَ بالناس في السَّبْحَةِ ، فبينما سُويْدُ يَهْبِي أصحابه إذ قيل له : أُنَاكَ شَيْبٌ ، فنزل ونزل معه جُلُ أصحابه ، ثم أخبر أنه قد عَبَرَ الْفَرَاتَ وهو يُرِيدُ الكوفةَ من وَجْهِ آخر ، فركب هو ومن معه ، وسارُوا في آثارهم ، وبلغ من السَّبْحَةِ إقبالُ شَيْبٍ فهُمُوا بِدُخُولِ الكوفةِ ، ثم قيل لهم : إِنْ سُويْدًا في آثارهم قد لحقهم وهو يَقَاتِلُهُمْ ، فثبتوا ، وحَمَلَ شَيْبٌ عَلَى سُويْدٍ وَمَنْ معه حملةً منكراً ، ثم أخذ على بُيُوتِ الكوفةِ نحو الحيرة ، وذلك عند المساء ، وتَبِعَهُ سُويْدٌ إلى الحيرة ، فرآه قد ترك وذهب ، فتركه سُويْدٌ وأقام حتى أصبح . وأرسل إلى الحجاج يُعَلِّمُهُ الخبر .

(١) موضع في طريق الحاج بالكوفة (المراسد) .

(٢) في ك : عمر بن سعيد ، والمثبت في الطبرى ، والمراسد . وفي الكامل .

(٣) موضع بالبصرة . عمير بن سعد .

ذكر معاربة شبيب أهل البادية

قال : وكتب الحجاجُ إلى سُويد يأمرُه باتباعه ، فأتبعه ، ومضى شبيب حتى أغار أسفل الفرات على مَنْ وجد مِنْ قومه ، وارتفع إلى البر فأصاب رجالاً من بني الورثة^(١) ، فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً ، منهم : حنظلة بن مالك ، ومالك بن حنظلة ، ومضى حتى أتى بني أمية على اللصف^(٢) ، وعلى ذلك الماء القزْر بن الأسود ، وهو أحد بني الصلت ، وكان ينهى شبيباً عن رأيه ، وكان شبيب يقول : لئن ملكت سبعة أعنة لأغزو القزْر ، فلما بلغهم خبر شبيب ركب القزْر فرساً ، وخرج من البيوت وانهمز . فرجع شبيب ، وقد أخاف أهل البادية ، فأخذ على القطقطانة^(٣) ثم على قضر بني مقاتل ، ثم على الأنبار ، ومضى حتى دخل دقوقاء^(٤) ، ثم ارتفع إلى أداني أذربيجان ، فلما أبعد سار الحجاجُ إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة^(٥) بن شعبة ، فأتاه الخبر بإقبال شبيب نحو الكوفة ، فكتب إلى الحجاج بذلك ، فأقبل من البصرة مجداً نحو الكوفة فسابق^(٦) شبيباً إليها .

(١) في هامش الكامل : الورثة - بكسر الواو . وفي الفاموس : وبني الورثة - بالكسر : بطن نسبوا إلى أمهم .

(٢) في المراسد : اللصف - بالتحريك : بركة في غربي طريق مكة .

(٣) بالضم : ثم السكون ، ثم قاف أخرى مضمومة ، وطاء أخرى : وبعد

الألف نون وهاء : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف (المراسد) .

(٤) دقوقاء : بالفتح ثم الضم : وبعد الواو قاف أخرى : وألف ممدودة :

بلدة بين إربل وبغداد (المراسد) .

(٥) في الطبري ، والكامل : عروة بن المغيرة بن شعبة .

(٦) في د : يسابق .

ذكر دخول شبيب الكوفة

قال : وأقبل شبيب إلى الكوفة فسابق^(١) الحجاج إليها ، فطوى الحجاج المنازل ، فوصل الكوفة صلاة العصر ، ونزل شبيب السبحة صلاة المغرب ، فأكلوا شيئاً ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة وبلغوا السوق ، وضرب شبيب باب القصر بعموده ، فأثر فيه أثراً عظيماً ، ووقف عند المصطبة ، ثم قال^(٢) :

عند دعى من ثمود أضله لابل يُقال أبو أبيهم يقدم

يعنى الحجاج ، فإن بعض النابيين يقول : إن ثقيفاً بقايا ثمود ، ومنهم من يقول : هم من نسل يقدم الإبادى .

ثم اقتحموا المسجد الأعظم ، وكان لا يفارقه قوم يصلون فيه ، فقتلوا عقيل بن مضعب الرادعى : وعدى بن عمرو الثقفى ، وأبا ليث ابن أبي سليم ، ومرؤا بدار حوشب وهو على الشرط - فقالوا : إن الأمير يطلبه ، فأراد الركوب ، ثم أنكرهم فلم يخرج إليهم ، فقتلوا غلامه . ثم مروا بمسجد بنى ذهل ، فرأوا ذهل بن الحارث فقتلوه ، ثم خرجوا من الكوفة ، فاستقبلهم النضر بن القعقاع بن شور^(٣) الذهل ، وكان قد أقبل مع الحجاج من البصرة ، فتخلف عنه فقتلوه ، ثم خرجوا نحو المردمة^(٤) ، وأمر الحجاج مُنادياً فنادى : يا خيل الله

(١) فى د : يسابق .

(٢) والطبرى : ٦-٢٤١ ، والكامل : ٤-٤٩ .

(٣) فى ك : سور . والصواب فى د ، والطبرى ، والكامل ، والقاموس .

(٤) جبل لبنى مالك بن ربيعة (المرصد) .

اركبى ؛ فأتاه الناس من كل جانب ، فبعث يشر بن غالب الأسدي في ألفى رجل ، وزائدة بن قدامة الثقفي في ألفى رجل ، وأبا الضريس مولى بني تميم في ألفى رجل ، وعبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، وزباد ابن عمرو العنكي ، وسير معهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، وكان عبد الملك قد استعمله على سجستان ، وكتب إلى الحجاج أن يُجهّزه ، فقال له الحجاج : تَلَقَّى شَيْبًا فتجاهده ، فيكون الظفر لك ، ويظهر (١) اسمك ثم تمضى إلى عملك .

وقال الحجاج لهؤلاء الأمراء : إن كان حربٌ فأمرُكم زائدة ابن قدامة . فساروا ففزلوا أسفل الفرات ، فترك شبيب الوجهة الذي هم فيه وأخذ نحو القادسية .

ذكر معاربة شبيب زحر بن قيس

وهزيمة جيش زحر (٢)

قال : ووجه الحجاج جريدة خيلٍ اختارهم ألف وثمانمائة فارس مع زحر بن قيس ، وقال له : اتبع شبيباً حتى توافقه أين أذكرته إلا أن يكون ذاهباً فأنركه ما لم يعطف عليك ؛ فخرج زحر حتى انتهى إلى السيلحين (٣) ، وأقبل شبيب نحوه فالتقيا ، فجمع شبيب خيله ، ثم اعترض بهم الصف حتى انتهى إلى زحر ، فقاتل زحر حتى صرع ، وانهمز أصحابه وظنوا أنهم قتلوه ، فلما كان السحر قام يمشي حتى دخل قرية فبات بها ، وحمل منها إلى الكوفة وبوجهه ورأسه بضع عشرة جراحة ، فمكث أياماً . ثم أتى الحجاج فأجلسه معه على السرير ،

(١) في الكامل : ويظهر .

(٢) في ك : بضم الزاي والحاء ، والصواب في القاموس ، والتاج .

(٣) بفتح أوله وإسكان ثانيه وفتح اللام وكسر الحاء المهملة : موضع بالحيرة

(المرصد) .

وقال : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَمْشَى فِي النَّاسِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا .

ذكر محاربته الأمراء

الذين نذبهم الحجاج لقتاله وقتال^(١) محمد بن موسى بن طلحة

وزائدة بن قدامة

قال : لما هزم شَرِب أصحاب زُحْر قال أنه أصحابه . نصرف بنا الآن وإفرين ، فقد هزمتنا لهم جُندًا . فقال : إن هذه الهزيمة قد أرعبت قلوب الأمراء والجنود الذين في طلبكم ، فاقصدوهم ، فوالله لئن قاتلناهم مادون الحجاج مانع^(٢) ، ونأخذ الكوفة إن شاء الله .

فقالوا : نحن لِرَأْيِكَ تَبِع ، وسأل عن الأمراء فقبل : إنهم برؤذبار^(٣) على أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة ، فقصدهم فانتهى إليهم وقد تعبثوا للحرب ، وأمير الجماعة زائدة بن قدامة ، وعلى ميمنته زياد بن عمرو العنكى ، وعلى اليسرة بشر بن غالب الأسدى ، وكل أمير واقف في أصحابه .

وأقبل شبيب في ثلاث كتائب : كتيبة فيها سُويد بن سَلَم وقف بإزاء الميمنة ، وكتيبة فيها مُصاد أخو شبيب وقف بإزاء اليسرة ، ووقف شبيب مقابل القلب . فحمل سُويد على زياد فانكشف أهل الميمنة ، وثبت زياد في نحر من نصف أصحابه ، ثم ارتفع عنهم سُويد قليلاً ، ثم حمل ثانية فتطاعنوا ساعة ، واقتتلوا أشد قتال ،

(١) في ك : وقتل .

(٢) في الطبرى : ما دون الحجاج من شيء .

(٣) في المراسد : بضم أوله وسكون ثانيه وذال معجمة وباء موحدة وآخره راء . وفي البكرى بإسكان الذال المعجمة .

ثم ارتفع سُويد عنهم ، ففترق أصحابُ زياد بن عمرو من كل جانب ، فحمل عليهم الثالثة فانهزموا وأخذت السيوف زياد بن عمرو من كل جانب [فلم تضره اللباسة ^(١)] ، فانهزم ^(٢) وقد جرح جراحةً يسيرة ، وذلك عند المساء ، ثم حملوا على عبد الأعلى بن عبد الله ابن عامر ، فهزموه ، ولم يقاتل كثيراً ، ولحق بزياد ، فمضيا منهزمين .

وحملت الخوارجُ على محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب ، فقاتلوه قتالاً شديداً ، وحمل مُصاد على بشر بن غالب ، وهو في ميسرة أهل الكوفة ، فصبر بشر ، ونزل ونزل معه نحو خمسين رجلاً ، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم ، وانهزم أصحابه ، وحملت الخوارج على أبي الضُريريس مولى بني تميم ، وهو يلى بشر بن غالب ، فهزموه حتى انتهى إلى موقف أعين ، ثم حملوا عليه وعلى أعين ، فهزموهما حتى انتهبوا بهما إلى زائدة بن قدامة ، فنادى زائدة : يا أهل الإسلام ، الأرض ، الأرض ، لا يكونوا على كفرهم أضير منكم على إيمانكم ، فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر ، ثم إن شبيباً حمل عليه في جماعة من أصحابه ، فقتله وقتل أصحابه ، فلما قتل دخل أبو الضُريريس وأعين جُوسقاً عظيماً ، وقال شبيب لأصحابه : ارفعوا السيوف عنهم ، وادعُوهم إلى البيعة ، فدعُوهم ^(٣) إلى البيعة عند الفجر ، فبايعوه وسَلَّمُوا عليه بإمرة المؤمنين ، وكان فيمن بايعه أبو بردة بن أبي موسى

(١) من د .

(٢) في د : ثم انهزم .

(٣) في ك : فدعاهم .

الأشعرى ، فلما طلع الفجر أمرَ محمد بن موسى بن طلحة مؤذنه فأذن ، وكان لم ينهزم . فقال شبيب : ما هذا ؟ قالوا : محمد بن موسى لم يبرح ، فقال : قد ظننتُ أن حُمقَه وخيلاءه يَحْمِلُهُ على هذا . ثم نزل شبيب فأذن هو وصلى بأصحابه الصبح ، ثم ركبوا فحملوا على محمد وأصحابه ، فانهزمت طائفةٌ منهم ، وثبتت معه طائفةٌ ، فقاتل حتى قُتل ، وأخذت الخوارجُ ما فى العسكر ، وانهزم الذين كانوا بايعوا شبيباً بجملتهم ، ثم أتى شبيب الجوسق الذى فيه أعين وأبو الفُرس فتحصنوا منه ، فأقام عليهم يومه ذلك ، وسار عنهم فأتى خانيجار ^(١) فأقام بها ، وبلغ الحجاجَ مسيره ، فظن أنه يريد المدائن ، فهالَه ذلك ، فبعث عثمان بن قطن أميراً على المدائن وعزل عنها عبيد الله بن أبى عَصِيْبٍمير ^(٢) .

وقيل فى مقتل محمد بن موسى : أنه قتله مُبارزةً ، وذلك أنه كان شهد مع عمر بن عبيد الله بن معمر قتالَ أبى قُدْرِك ، وكان شجاعاً ذا بأس ، فزوجه عمر ابنته ، وكانت أخته تحت عبد الملك ابن مروان ، فولاه سجستان ، فمر بالكوفة وفيها الحجاج ، فقبل له : صار هذا بسجستان مع صهره لعبد الملك ، فلو لجأ إليه أحدٌ ممن يُطلب ^(٣) منعك منه . قال : فما الحيَلةُ ؟ قال : تأتى إليه ، وتسلم

(١) خانيجار : بعد الألف نون ، ثم ياء مثناة من تحت وجيم وآخره راء : بليدة قرب دقواق (المراصد) .

(٢) والطبرى : ٦-٢٢٨ ، وفى الكامل : عبد الله بن عصفير .

(٣) فى ك : تطلب .

عليه ، وتذكر نَجْدَتَهُ وبأسه ، وأن شبيباً في طريقه ، وأنه قد أعياك ، وترجو أن يريح الله منه على يده ، فيكون له ذكره وفخره .

ف فعل الحجاج ذلك ، فأجابه محمد ، وعدل إلى شبيب ، فأرسل إليه شبيب إنك مخدوع ، وإن الحجاج قد اتقى بك ، وأنت جارك حق ، فانطلق لما أمرت به ولك الله أني لا أضرك (١) . فأبى إلا محاربته ، فواقفه شبيب ، وأعاد عليه الرسول ، فأبى وطلب البراز فبرز إليه شبيب ، وقال له : أنشدك الله في ديمك ؛ فإن لك جواراً ، فأبى . فحمل عليه شبيب فضربه بعمود حديد زنته اثنا عشر رطلاً بالشامى ، فهشم البيضة ورأسه ، فسقط فكفنه شبيب ودفنه ، وابتناع ماغنمه من عسكره فبعثه إلى أهله واعتذر شبيب إلى أصحابه ، وقال : هو جارى ، ولئى أن أهب ماغنمت .

ذكر محاربته (٢) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

وعثمان بن قطن وقتل ابن قطن

قال : ثم إن الحجاج أمر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أن ينتخب ستة آلاف فارس ويسير بهم في طلب شبيب أين كان ، ففعل ذلك ، وسار نحوه ، فسار شبيب إلى دقوقاء وشهرزور (٣) ، وعبد الرحمن في طلبه حتى انتهى إلى التخوم ، فوقف وقال : هذه أرض الموصل ، فليقاتلوا عنها .

(١) في الكامل : لا أؤذك .

(٢) في الكامل : محاربة .

(٣) بالفتح ثم السكون وراء مفتوحة بعدها زاي وواو ساكنة وراء : بكورة

واسعة بين إربل وهمدان (المرصد) .

فكتب إليه الحجاج : أما بعد فاطلبُ شبيباً واسلك في أثره
أين سلك حتى تُدرّكه فتقتله أو تقتفيه ، فإنما السلطان سلطان
أمير المؤمنين والجنّد جُنْدُه .

فخرج عبْدُ الرحمن في طلبه ، فكان شبيب يدْعُه حتى يَدْنُو منه
فيبيته فيجده قد خَنَدَقَ على نفسه وحلر ، فيتركه [ويسير] (١)
فيتبعه عبد الرحمن ، فإذا بلغ شبيباً ميسيرهم أتاهم وهم سائرون فيجدهم
على تَغِيثَةٍ فلا يصيب لهم غِرَّةً ، ثم جعل إذا دَنَا منه عبْدُ الرحمن
يسير عشرين فرسخاً ، ونحوها ، وينزل في أرض خَشِينة غليظة ،
ويتبعه عبْدُ الرحمن ، فإذا دَنَا منه فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ حتى أَتَعَبَ ذَلِكَ
الجيش ، وَشَقَّ عَلَيْهِم (٢) ، وَأَخْفَى دَوَابَّهُمْ .

ولم يزل عبد الرحمن يَتَّبِعُهُ حتى مرَّ به على خَاتَمَيْنِ (٣) وَجَلُولَاهُ
وَقَامَرًا (٤) ، ثم أَقْبَلَ إِلَى الْبَيْتِ ، وهى من قُرَى الموصل ليس
بينها وبين سواد الكوفة إلَّا نهر حَوْلَايَا ، وذلك في عشر ذى الحجة
سنة [٨٧٦] ست وسبعين ، فأرسل شبيب إلى عبد الرحمن :
إن هذه أيام عيدٍ لنا ولكم [يعنى عيد النحر] (٥) ، فهل لك في المودة
حتى تَمُتِّقِي هذه الأيام ؟ فأجابه إلى ذلك ، وكان يحبُّ الْمُطَاوَلَةَ .
وكتب عثمان بن قُطْن أمير المدائن إلى الحجاج يقول : أما بعد

(١) من الكامل . وفي الطبرى : فيمضى ويدعه فيتبعه .

(٢) الكامل : وشق عليه .

(٣) خاتمين : بلدة من نواحي السواد في طريق همدان من بغداد . وخاتمين

أيضا : بلدة بالكوفة (المراسد) .

(٤) تامرا : نهر كبير تحت بغداد شرقها . وفي الكامل : سامرا . وسامرا :

مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرق دجلة .

(٥) من الكامل .

فإنَّ عَبْدَ الرحمن قد حفر جُوحى كُلَّها خندقاً واحداً ، وكسر خراجها ،
وخلى شبيباً يأكل أهلها . والسلام .

فكتب إليه الحجاج يأمره بالمسير إلى الجيش ، وأمره عليهم ،
وعزل عنهم عَبْدَ الرحمن ، وبعث إلى المدائن مُطَرَفَ بن المغيرة
ابن شُعْبَةَ ، فسار عثمان حتى قدم على العسكر عشية الثلاثاء يوم
التَّروية ؛ فنَادى النَّاسَ - وهو على بَغْلَةٍ : أيها الناس ، اخرجوا إلى
عدوكم ، فقالوا : هذا المساء قد غَشِينَا والنَّاسَ لم يوطئوا أنفسهم على
الحرب ، فبِتِ اللَّيْلَةُ ثم اخرج على نعبته ، فأبى ذلك ، ثم نزل وبات
لَيْلَتِهِ يحرّضُ أصحابه ، فلما أصبح يوم الأربعاء اخرج بالناس كُلَّهُمْ ،
فاستقبلتهم ريحٌ شديدة وغبرة ، فقال له أصحابه : ننشدك الله
أن تخرج بنا والريحُ علينا . فأقام بهم ذلك اليوم ، ثم خرج يوم
الخميس ، ثم ^(١) عبَّأهم ، فجعل في الميمنة خالد بن نُهَيْك بن قَيْس ،
وعلى الميسرة عقيل بن شداد ، ونزل هو في الرِّجَالَةِ ، وعبر شبيب
إليهم النهر ؛ وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلاً ، فوقف هو
في الميمنة ، وجعل أخاه مُصَاداً في القَلْبِ ، وجعل سُويْدَ بن سُلَيْمٍ في
الميسرة ، وزحف بعضهم إلى بعض ، فحمل شبيب على ميسرة
عثمان فانهزموا ، ونزل عقيل بن شداد فقاتل حتى قُتِلَ ، وقتل مالك
ابن عَبْدَ الله الهَمْدَانِي ، ودخل شبيب عسكرهم ، وحمل سُويْدَ على
ميمنة عثمان فهزمها ؛ فقاتل خالد بن نُهَيْك قتالاً شديداً ، وحمل شبيب
من ورائه فقتله ، وتقدم عُثْمَانُ بن قَطَنَ وقد نزل معه العُرفاء

(١) في د : وقد .

وأشرافُ الناس والفُرسان نحو القلب وفيه مُصاد أخو شبيب في
نَحْوٍ من ستين رجلاً، فشُدَّ عليهم عثمان فيمنَّ معه فثَبَّتُوا له .

وحمل شبيب بالخيل من ورائهم فما شعروا إلا والرماحُ في أكثافهم
نكبتهم لوجوهم ، وعطف عليهم سُويد بن سُليم في خيله ، وقتل
عثمان بن قُطَن أحسن قتالاً ، ثم أحاطوا به ، وضربَه مُصاد بن يزيد
ضربةً بالسيف استدار لها وقال (١) : « وكان أمرُ الله مفعولاً » .

ثم قُتل ، وسقط عبد الرحمن عن فرسه ، فأتاه ابن أبي سبرة الجعفى
وهو على بغلة فأركبه معه ، ونادى في الناس : الحقوا بذيَر (٢) أبى مريم ،
ثم انطلقا (٣) ذاهبين ، ثم أتاه واصل [بن الحارث] (٤) السكونى ببرقون
فركبه وسار حتى نزل دِيرَ البقار (٥) ، وأمر شبيب أصحابه فرفعوا
السيفَ عن الناس ، ودعاهم إلى البيعة فبايعوه ، وقُتل يومئذ من كِنْدَةَ
مائة وعشرون ، وبات عبد الرحمن بذيَر البقار (٥) ، فأتاه فارسان ،
فصعدا إليه فخلا به أحدهما طويلاً ثم نزلاً ، فقيل : إن ذلك الرجل
كان شبيباً ، وكان بينه وبين عبد الرحمن مكاتبةً ، وسار عبدُ الرحمن
حتى أتى دِيرَ أبى مريم ، فاجتمع الناس إليه وقالوا له : إن سَمِيعَ شبيبٍ
بمكائِكَ أُنَّاكَ فكُنْتَ له غنيمة .

فخرج إلى الكوفة واختفى من الحجاج حتى أخذ له الأمان منه ، وكانت
هذه الوقائع التى ذكرناها كلَّها من أخبار شبيب في سنة ست وسبعين .

(١) سورة النساء : آية ٤٧ ، وغيرها .

(٢) فى ك : بدير ابن أبى مريم . والمثبت فى الكامل ، د ، والطبرى .

(٣) فى الكامل : ثم انطلقوا ذاهبين ، والمثبت فى الطبرى أيضا .

(٤) زيادة من الطبرى .

(٥) فى الطبرى (٦-٢٥٥) : دير البقار . والمثبت فى الكامل أيضا .

ذكر محاربة (١) عتاب بن ورقاء

وزهرة بن حويّة (٢) وقتلها

وفي سنة [٧٧هـ] سبع وسبعين أتي شبيب ماه بهراذان (٣) فصيف بها ثلاثة أشهر ، وكان حين هزم ذلك الجيش حرّاً شديد ، فلما صيف هناك أتاه ناس كثير من يطلب الدنيا ومن كان الحجاج يطلبهم بمالٍ أو تبعات .

فلما ذهب الحرّ خرج في نحو ثمانمائة رجل ، فأقبل نحو المدائن ، وعليها مطرف بن المغيرة بن شعبة ، فجاء حتى نزل قناطر حليفة ابن البان ، فكتب مهروذ عظيم بابل إلى الحجاج بذلك ، فقام الحجاج في الناس فقال : أيها الناس ، لتقاتلن عن بلادكم وعن بنيكم (٤) أولأبعثن إلى قومهم أطوع وأصبر على اللأواء والقيظ منكم ، فيقاتلون عدوكم ويأكلون فيثكم .

فقام إليه الناس من كل جانب فقالوا : نحن نقاتلهم فلم نديننا الأمير إليهم ، وقام زهرة بن حويّة - وهو شيخ كبير ، فقال : أصلح الله الأمير ، إنما تبعث إليهم الناس متقطعين ، فاستنفر الناس إليهم كافة ، وابعث إليهم رجلاً شجاعاً مجرباً ممن يرى الفرار [هضماً] و (٥) عاراً ، والصبر مجداً وكرماً .

(١) في د : محاربة .

(٢) في المتن : ابن جورية . وقيل : ابن حويّة . والمثبت في الطبري أيضا

(٦-٢٥٧) .

(٣) ماه بهراذان : قال باقوت : وما أظنها إلا ناحية الراذاني .

(٤) في الكامل ، والطبري : فيثكم .

(٥) من الطبري .

فقال الحجاج : فَأَنْتَ ذَاكَ الرَّجُلُ ، فَأَخْرَجُ .

فقال : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنَّمَا يَصْلَحُ رَجُلٌ بِخَيْلِ الدَّرْعِ وَالرَّمْحِ ، وَهَيْزُ السَّيْفِ ، وَيَثْبُتُ عَلَى الْفَرَسِ ، وَأَنَا لَا أُطِيقُ شَيْئًا مِنْ هَذَا ، وَقَدْ ضَعُفَ بَصْرَى ، وَلَكِنْ أَخْرَجْنِي فِي النَّاسِ مَعَ الْأَمِيرِ فَأُثِيرُ عَلَيْهِ بَرَأئِي .

فقال له الحجاجُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ فِي أَوَّلِ أَمْرِكَ وَآخِرِهِ .

ثم قال : أَيُّهَا النَّاسُ ، سِيرُوا بِأَجْمَعِكُمْ كَافَّةً ، فَخَرَجَ النَّاسُ يَتَجَهَّزُونَ وَلَا يَدْرُونَ مَنْ أَمِيرُهُمْ .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يُخْبِرُهُ أَنَّ شَيْبِيًّا قَدْ نَسَارَفَ الْمَدَائِنَ ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ الْكُوفَةَ ، وَقَدْ عَجَزَ أَهْلُهَا عَنْ قِتَالِهِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، يَقْتُلُ أَمْرَأَهُمْ وَبِهِزْمَ جُنْدِهِمْ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَبْعَثَ جُنْدًا مِنَ الشَّامِ يَقَاتِلُونَ الْخَوَارِجَ ، وَيَأْكُلُونَ الْبِلَادَ . فَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ سُفْيَانَ بْنَ الْأَثَرْدِ الْكَلْبِيَّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَحَبِيبَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَكَمِيَّ فِي أَلْفَيْنِ ، وَبَعَثَ الْحَجَّاجَ إِلَى عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ يَسْتَدْعِيهِ ، وَكَانَ يَقَاتِلُ الْأَزَارِقَةَ مَعَ الْمُهَلَّبِ كَمَا تَقْدُمُ .

واستشار الحجاجُ أَهْلَ الْكُوفَةِ فِيمَنْ يُؤْلِيهِ أَمْرَ الْجَيْشِ ، فَقَالُوا : رَأْيُكَ أَفْضَلُ . فقال : قَدْ بَعَثْتُ إِلَى عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ وَهُوَ قَادِمٌ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَةَ أَوْ الْقَابِلَةَ ، فَقَالَ زَهْرَةُ : رَمَيْتَهُمْ بِحَجَرِهِمْ ، وَاللَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَيْكَ حَتَّى يَظْفَرَ أَوْ يَقْتُلَ . وقال له قَبِيصَةُ بْنُ وَاقٍ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ تَحَدَّثُوا أَنَّ جَيْشًا قَدْ وَصَلَ إِلَيْكَ مِنَ الشَّامِ ، وَأَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَدْ هَزَمُوا وَهَانُوا عَلَيْهِمُ الْفَرَارُ ، فَقُلُوبُهُمْ كَأَنَّهَا لَيْسَتْ فِيهِمْ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَبَعْتُ

إلى أهل الشام ليأخذوا حذرهم ، فإنك تحارب حولا قلوباً ظفاناً^(١) رَحَلاً ، وقد جهزت إليهم أهل الكوفة ولست واثقاً بهم كل الثقة ، فإن شبيباً بينا هو في أرض إذا هو في أخرى ، ولا آمن أن يأتي أهل الشام وهم آمنون ؛ فإن يهلكوا تهلك^(٢) ويهلك أهل العراق .

فقال : لله أبوك ، ما أحسن ما أشرت به ! وأرسل إلى أهل الشام يحذّرهم ويأمرهم أن يأتوا على عين التمر^(٣) ، ففعلوا ، وقدم عتاب بن ورقاء تلك الليلة ، فبعثه الحجاج على ذلك الجيش ، فعسكر بحمام أعين^(٤) ، وأقبل شبيب حتى انتهى إلى كلواذا^(٥) فقطع منها دجلة ، ثم سار حتى نزل مدينة بهرسيير^(٦) الدنيا ، وهي المدائن الغربية ، فصار بينه وبين مطرف دجلة ، فقطع مطرف الجسر ، وبعث إلى شبيب أن ابعث إلى رجلا من وجوه أصحابك أدارسهم القرآن وأنظر فيما يدعون^(٧) إليه ، فبعث إليه بمعتب^(٨) بن سويد والمحلل وغيرهما ، وأخذ منه رهاطين على عود أصحابه ، فأقاموا عنده أربعة أيام ، ثم أعادهم ، ولم يتفقوا ، فلما لم يتبعه مطرف تهيأ

(١) في ك : طفاناً .

(٢) في الطبري : تهلك .

(٣) عين التمر : بلدة في طرف البادية على غربي الفرات (المراسد) .

(٤) حمام أعين : موضع بالكرقة منسوب إلى « أعين » مولى سعد بن أبي وقاص .

(٥) قرب بغداد .

(٦) بالفنح ، ثم الضم وفتح الراء وكسر السين المهملة وياء ساكنة وراء : من نواحي بغداد قرب المدائن . وقال حمزة : هي إحدى المدائن السبعة التي سميت بها المدائن ، وهي في غربي دجلة (المراسد) .

(٧) في الكامل : فيما تدعو إليه .

(٨) في الكامل : قعنب ، والمثبت في الطبري أيضا .

للمسير إلى عَتَاب . وأقبل عَتَاب حتى نزل بسُوقِ حَكَمَةَ (١) . وقد خرج معه مِنَ المقاتلة أربعون ألفاً ، وَمِنَ الشباب والأَتْبَاع عشرةُ آلافٍ ، فكانوا خمسين ألفاً . وكان الحجاج قد قال لهم حين ساروا : ألا إن للساير المجدَّ الكرامة والأثرة ، وللهارب الهوان والجفوة ، والذي لا إلهَ غيره لئن فعلتم في هذا الوطن كفعلكم في غيره من المواطن لأولينكم كَنَفًا (٢) خَشِنًا ، ولأعزكنكم بكلكل ثَقِيل .

وسار شبيب مِنَ المدائن وأصحابه ألفُ رجل ، فتخلفَ عنه بعضهم ، فصلَّى الظهر بِسَابَاط ، وصَلَّى العصر ، وسار حتى أَشْرَفَ على عَتَاب وعسكره ، فلما رآهم نزل فصلَّى المغرب ، وكان عَتَاب قد عبأ أصحابه ، فجعل في الميمنة محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وفي الميسرة نعيم بن عَليم ، وبعث حنظلة بن الحارث اليربوعي - وهو ابنُ عمه - على الرجال ، وصَفَّهم ثلاثة (٣) صفوف : صَفَّ فيهم أصحابُ السُّيُوف ، وصَفَّ فيهم أصحابُ الرماح ، وصَفَّ فيهم الرُّمَّة ، ثم سار في الناس يُحرِّضُهم على القتال ، ورجع فجلس في القلب ، ومعه زُهْرَةُ بن حُوْبَةَ جَالِسٌ ، وعبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وأبو بكر ابن محمد بن أبي جهْم العَدَوِي .

وأقبل شبيب وهو في سِمَاة ، وقد تخلفَ عنه من أصحابه أربعمائة ، فجعل مُؤَيَّد بن سُلَيم في الميسرة في مائتين ، والمحَلَّل بن وائل في القلب في مائتين ، ووقف هو في الميمنة في مائتين ، وذلك بين المغرب والعشاء .

(١) سوق حكمة : موضع بنواحي الكوفة .

(٢) الكنف : الجانب .

(٣) بالأصول : ثلاث .

الآخرة حين أضاء القمر، فناداهم : لَمَنْ هذه الرايات ؟ قالوا : لربيعة .
قال : طالما نصرت الحق ، وطالما نصرت الباطل ، والله لأجاهدَنَّكُمْ
محتسباً ، أنا شبيب ، لا حُكْمَ إِلَّا للحكم ، اثبتوا إن شئتم .

ثم حمل عليهم ففَضُّهُمْ ، فثبت أصحابُ رايات قَبِيصَةَ بنِ والقي ،
وعُبَيْد بن الحليس ، ونُعَيْم بن عليم ، وقتلوا ، وانهمزت الميسرة كلها ،
ثم حمل شبيب على عَتَّاب بن ورقاء ، وحمل مُوَيْد بن سُليم على
الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن ، فقاتلهم في رجال من تميم
وَمَعْدَان ؛ فما زالوا كذلك حتى قيل لهم : قُتِلَ عَتَّاب ، فانْفَضُّوا (١) .
ولم يزل عَتَّاب جالسا على طِنْفِيسَتِهِ (٢) في القلبِ ومعه زَهْرَة بن حَوِيَّة
حتى غَشِيَهُمْ شبيب ، فقال عَتَّاب : يا زَهْرَة ، هذا يوم كَثُرَ فيه العدد
وقُلَّ فيه الفَنَاء ، والهفَى على خمسمائة فارس من تميم من جميع الناس ،
ألا صابِر لعدوه ! ألا مُوَأِس بنفسه ! فانْفَضُّوا عنه وتركوه ، فلما دنا
منه شبيب وثب في عَصَابَةٍ قليلة صَبَرَتْ معه ، وقاتل ساعة ، فراه
رجُلٌ من أصحابِ شبيب يُقَال له عامر بن عَمْرٍو التغلبي ، فعحمل
عليه فطَعَنَهُ ، وجاء الفضلُ بن عامر الشيباني إلى زَهْرَة فقتله ، وتمكَّن (٣)
شبيب من أهل العسكر والناس ، فقال : ارفعوا السيف . ودعاهم
إلى البيعة ، فبايعه الناس وهربوا من ليلتهم ، وحوى ماني العسكر .
وأقام شبيب بعد الوقعة ببيت قُرَة يَوْمِينَ ، ثم سار نحو الكوفة

(١) في ك : فانقرضوا .

(٢) في الكامل ، والطبرى : طنفسة .

(٣) في الكامل : فاستمك . وفي الطبرى : واستمكن .

فنزل بسُورًا (١) . وقتل عاملها ، وكان سفيان بن الأبرد وعسكر الشام قد دخلوا الكوفة فشدوا ظهر الحجاج ، واستغنى بهم عن أهل الكوفة ، وقام على المنبر فقال : يا أهل الكوفة ، لا أعز الله من أراد بكم العز ، ولا نصّر من أراد بكم النصّر ، اخرجوا عنا فلا تشاهدوا معنا قتال عدونا ، انزلوا الحيّرة مع اليهود والنصارى ، ولا يقاتل معنا إلا من لم يشهد قتال عتاب .

ذكر قدوم شبيب الكوفة وانهزاه عنها

قال : ثم سار شبيب من سُورًا فنزل حمام أعين ، فدعا الحجاج الحارث بن معاوية الثقفى ، فوجهه في ناس من الشرط وغيرهم لم يشهدوا يوم عتاب ، فخرجوا في ألف فنزلوا زُرارة (٢) ، فبلغ ذلك شبيبًا ، فعجل إلى الحارث ، فلما انتهى إليه حمل عليه فقتله ، وانهزم أصحابه ، فدخلوا الكوفة ، وجاء شبيب فعسكر بنا حية الكوفة فأقام ثلاثا ، فنزل السبيحة ، وابتنى بها مسجداً ، وذلك في اليوم الثانى من الأيام الثلاثة .

فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجاج أبا الورد مولاة عليه تجفاف (٣) ومعه غلمان (٤) له ، فقالوا : هذا الحجاج ! فحمل عليه شبيب فقتله ، فأخرج إليه غلامه طهمان فى مثل تلك العدة والحالة ، فقتله شبيب ، وقال : إن كان هذا الحجاج فقد أرختكم منه .

(١) سورا : موضع من أرض بابل . وسوراء : موضع قيل إلى جنب بغداد . وقيل بغداد نفسها ، وبروى بالقصر (المرصد) .

(٢) حلة بالكوفة .

(٣) التجفاف - بالكسر : آلة يلبسها الفرس والإنسان لثقيف الحرب (القاموس)

(٤) فى الأصول : ومعه غلمان له .

ثم خرج الحجاج عند ارتفاع النهار من القَصْر، فركب بغلاً ومعه أهل الشام، فلما رأى الحجاج شبيباً وأصحابه نزل وجلس على كرمي، وتقدم إليه شبيب وأصحابه فلقوهم بأطراف الأيمنة؛ فكان بينهم قتالٌ شديد عامة النهار، حتى انتهى الحجاج إلى مسجد شبيب، فقال: هذا أولُ الفتح.

ثم قال خالد بن عتاب للحجاج: ائذن لي في قتالهم، فيأني مونور. فأذن له، فخرج ومعه جماعة من أهل الكوفة، فقصده عسكرهم من ورائهم، فقتل مصاداً أخا شبيب، وقتل امرأته [غزاة] (١)، هذا وشبيب يُقاتلُ الحجاج، وأنى الخبر الحجاج فكبر فيعندها ركب شبيب وكان قد نزل فقاتل على الأرض، وقال الحجاج لأصحابه: احمِلوا عليهم، فإنه قد أتاهم ما أُرعبهم؛ فشدوا على أصحاب شبيب فهزموهم، وثبت شبيب في حامية الناس، فبعث الحجاج إلى خيئه أن دَعُوهُ، فتركوه ورجعوا، ودخل الحجاج الكوفة، وبعث حبيب بن عبد الرحمن الحكمي في ثلاثة آلاف فارس من أهل الشام، فخرج في أثره حتى نزل إلى الأنبار.

وكان الحجاج قد نادى عند انهزام شبيب: من جاءنا منكم فهو آمن؛ فتفرق عن شبيب ناسٌ كثير من أصحابه. فلما نزل حبيب الأنبار أتاهم شبيب، فلما دنا منهم نزل فصلى المغرب، وكان حبيب قد جعل أصحابه أرباعاً، وقال: ليمنع كل ربيع منكم جانبيه فإن قاتل هذا الربع فلا يؤمنهم (٢) الربع الآخر. وأتاهم شبيب وهو على تعبثته فحمل [على] (٣) ربيع، فقاتلهم طويلاً، فما زالت قدماً لإنسان عن موضعها

(١) ساقط في ك.

(٢) في الطبري: فلا يؤمنهم. (٤) من د بين السطور.

فتركهم ، وأقبل إلى رُبْع آخر ، فكانوا كذلك ، وقاتل الربيع الثالث والرابع وهم كذلك ، فما برح يقاتلهم حتى ذَهَبَ ثلاثةُ أرباع الليل ، ثم نازلهم راجِلًا ، فسقطت بينهم ^(١) الأيدي وكثرت القتلى ، وفُتشت الأعين ، وقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ شَيْبِ بْنِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، ومن أهل الشام نحو مائة . واستولى التَّعْبُ والإعياء على الطائفتين حتى إن الرجلَ لَيَضْرِبُ بِسَيْفِهِ فلا يصنع شيئًا ، فلما يشس شَيْبُ مِنْهُمْ تركهم وانصرف عنهم ، ثم قطع دَجَلَةً وأخذ في أرض جَوْحَى ثم قطع دجلة مرة أخرى عند واسط ، وأخذ نحو الأهواز إلى فارس ثم إلى كَرْمَانَ ليستريح هو وَمَنْ مَعَهُ .

ذكر مهلك شَيْبِ

كَانَ مَهْلِكُ شَيْبِ فِي سَنَةِ [٨٧٧] سَبْعٍ وَسَبْعِينَ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْحِجَاجُ أَنْفَقَ فِي أَصْحَابِ سُفْيَانَ بْنِ الْأَبْرَدِ مَالًا عَظِيمًا ، وَأَمَرَهُمْ بِتَقْصُدِ شَيْبِ ، فَسَارُوا نَحْوَهُ مَعَ سُفْيَانَ بْنِ الْأَبْرَدِ ، وَكُتِبَ الْحِجَاجُ إِلَى الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ زَوْجِ ابْنَتِهِ - وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ - أَنْ يُرْسِلَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ فَارِسٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، ففعل وسيرهم مع زياد بن عمرو العنكي ، فلم يَصِلْ إِلَى سُفْيَانَ حَتَّى التَقَى سُفْيَانُ مَعَ شَيْبِ . وَكَانَ شَيْبِ قَدْ أَقَامَ بِكَرْمَانَ حَتَّى اسْتَرَحَ وَأَرَّاحَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعًا فَالتَقَى مَعَ سُفْيَانَ بِجَسْرٍ ^(٢) دُجِيلِ الْأَهْوَازِ ، فَعَبِرَ شَيْبِ الْجَسْرَ إِلَى سُفْيَانَ فَوَجَدَهُ قَدْ نَزَلَ فِي الرِّجَالِ ، وَجَعَلَ مُهَاصِرَ بْنَ سَيْفٍ ^(٣) عَلَى الْخَيْلِ ، وَأَقْبَلَ

(١) في الكامل : منهم .

(٢) بالفتح ثم السكون ، وآخره راء . وربما كسرت الجيم ، والفتح أشهر (المراصد) .

(٣) في الطبرى (٦-٢٧٩) : بن صئفى . والمثبت في الكامل أيضا .

شبيب في ثلاثة كَرَاديسٍ (١) ، فاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَرَجَعَ شَبِيبٌ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ حَمَلَةً ، وَأَهْلُ الشَّامِ عَلَى حَالِهِمْ فِي ثِيَابِ الْقَدَمِ ، وَمَازَلُوا يِقَاتِلُونَ الْخَوَارِجَ حَتَّى اضْطَرُّوهُمْ إِلَى الْجِسْرِ . فَلَمَّا انْتَهَى شَبِيبٌ إِلَى الْجِسْرِ نَزَلَ وَنَزَلَ مَعَهُ نَحْوُ مِائَةِ رَجُلٍ ، فِقَاتَلُوا حَتَّى الْمَسَاءِ ، وَأَوْقَعُوا بِأَهْلِ الشَّامِ مِنَ الضَّرْبِ وَالطَّعْنِ مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ ، فَأَمَرَ سَفِيَّانُ الرُّمَّةَ أَنْ يَرْمُوهُمْ فَتَقَدَّمُوا ، وَرَمَوْهُمْ سَاعَةً ، فَحَمَلَ شَبِيبٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الرُّمَّةِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى سَفِيَّانَ وَمَنْ مَعَهُ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى اخْتَلَطَ الظَّلَامُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَقَالَ سَفِيَّانُ لِأَصْحَابِهِ : لَا تَتَّبِعُوهُمْ .

فَلَمَّا انْتَهَى شَبِيبٌ إِلَى الْجِسْرِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : اعْبُرُوا فَإِذَا أَصْبَحْنَا بِأَكْرَنَاهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَعَبَرُوا أَمَامَهُ ، وَتَخَلَّفَ فِي آخِرِهِمْ ، وَجَاءَ لِيَعْبُرَ وَهُوَ عَلَى حِصَانٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ حِجْرٌ (٢) ، فَتَنَزَّاهُ قَرَسُهُ عَلَيْهَا وَهُوَ عَلَى الْجِسْرِ فَاضْطَرَبَتْ تَحْتَهُ ، وَنَزَلَ حَافِرُ رَجُلٍ حِصَانَهُ عَلَى حَرَفِ السَّفِينَةِ ، فَسَقَطَ فِي الْمَاءِ ، فَلَمَّا سَقَطَ قَالَ : لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا . وَانْغَمَسَ (٣) فِي الْمَاءِ ، ثُمَّ ارْتَفَعَ ، وَقَالَ : ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَغَرِقَ .

قال : وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ قَدْ عَزَمُوا عَلَى الْإِنصِرَافِ ، فَأَتَاهُمْ صَاحِبُ

(١) الكردوسة ، بالضم : قطعة عظيمة من الخيل .

(٢) الحجر : الأثني من الخيل .

(٣) في الطبري : فارتطمس . والارتطمس : الاغتماس .

الجِسر ، فقال لسفیان : إنَّ رجلا منهم وقع فى الماء ، فتنادوا بينهم : غرق أمير المؤمنين . ثم انصرفوا راجعين ، وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد ، فكبر سفیان وكبر أصحابه ، وأقبل حتى انتهى إلى الجِسر ، وبعث إلى المعسكر ، وإذا ^(١) ليس فيه أحد ، وإذا هو أكثر العساكر خيراً ، ثم استخرجوا شبيباً فشقوقاً جوفه ، وأخرجوا قلبه ، فكان صلباً كأنه صخرة ، فكان يضرب به الصخرة فينبو ^(٢) عنها قامة إنسان .

قال : وكان شبيب يُنعى لأمه فيقال لها: قُتل ، فلا تقبل ذلك . فلما قيل لها غرق صدقت ذلك ، وقالت : إني رأيت حين ولدته أنه خرج منى شهاب نار ، فعلمت أنه لا يطفئه إلا الماء ، وكانت أمه جارية رومية اشتراها أبوه فأولدها شبيباً سنة [٢٥هـ] خمس عشرين يوم النحر ، وقالت : إني رأيتُ فيما يرى النائم أنه خرج من قبلى شهاب نار ، فذهب ساطعاً إلى السماء ، وبلغ الآفاق كلها ، فبينما هو كذلك إذ وقع فى ماء كثير فخبأ ، وقد ولدته فى يومكم الذى تهريقون فيه الدماء ، وقد أولتُ ذلك أن ولدى يكون صاحب دماء وأن أمره سيعلم ويعظم سريعاً .

(١) فى الكامل : وإذا .

(٢) فى الطبرى : فيشب عنها .

ذكر خروج مطرف بن المغيرة

ابن شُعبَةَ ومقتله

كان خروجه وقتلَه في سنة [٨٧٧] سبع وسبعين ، وذلك أنه لما قدم الحجاجُ العِراقَ استعمل أولادَ المغيرة على أعماله لشرفهم ومنزلتهم من قومهم ، واستعمل عروة [بن المغيرة] ^(١) على الكوفة ، ومُطَرِّفًا على المدائن ، وحنزة على همدان ، فكانوا على أعمالهم أحسن الناس سيرةً ، وأشدَّهم على المريب ، وكان المُطَرِّف على المدائن لما خرج شبيب ، وقد ذكرنا أن المطرف أرسل يستدعى منه أن يسير إليه من أصحابه من يُدَارِسُه ويسمَعُ منه ، وأنه سبر إليه جماعة ، ولم يحصل بينهم اتفاق ، وكان مما تكلموا فيه أن المطرف سألهم عما يدعون إليه ، فقالوا : ندعو إلى كتاب الله ومسنه رسوله ، وأن الذي نقصنا على ^(٢) قومنا الاستئثار بالقيء وتمطيل الحدود والتسلط بالجبرية ، فقال لهم مُطَرِّف : ما دعوتكم إلا إلى حق ، وما نقصتم إلا جوراً ظاهراً ، أنا لكم متابع ^(٣) ، فبإيعوني ^(٤) على ما أذعوكم إليه : أن نقاتل هؤلاء الظلمة على أحداثهم ، ونذعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين ، يؤمرون من يرضون ^(٥) على مثل الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب ،

(١) زيادة من الطبرى .

(٢) فى الكامل : من قومنا .

(٣) فى ك : سامع .

(٤) فى الطبرى : فتابعونى .

(٥) فى الطبرى والكامل : يرضون .

فَإِنَّ الْعَرَبَ إِذَا عَلِمَتْ أَنَّهَا إِغْمَا يُرَادُ بِالشُّورَى الرِّضَا مِنْ قُرَيْشٍ رَضُوا
وَكَثُرَ تَبِعُكُمْ وَأَعْوَانُكُمْ .

فَقَالُوا : هَذَا مَا لَا تُجِيبُكَ إِلَيْهِ ، وَفَارَقُوهُ ، وَأَحْضَرَ مُطَرِّفٌ
نَصْحَاءَهُ (١) وَثِقَاتِهِ ، فَذَكَرَ لَهُمْ ظُلْمَ الْحِجَابِ وَعَبْدَ الْمَلِكِ ، وَأَنَّهُ
مَا زَالَ يُؤْثِرُ مَخَالَفَتَهُمْ وَمَنَافَضَتَهُمْ ، وَأَنَّهُ يَرَى ذَلِكَ دِينًا لَوْ وَجَدَ عَلَيْهِ
أَعْوَانًا ، وَذَكَرَ لَهُمْ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِ شَيْبِيبَ ، وَأَنَّهُمْ
لَو تَابِعُوهُ عَلَى رَأْيِهِ لَخَلَعَ عَبْدَ الْمَلِكِ وَالْحِجَابَ ، وَاسْتَشَارَهُمْ فِيمَا يَفْعَلُ .

فَقَالُوا لَهُ : أَخْفِ هَذَا الْكَلَامَ وَلَا تُظْهِرْهُ لِأَحَدٍ . فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ
ابْنُ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى أَبِيهِ : وَاللَّهِ لَا يَخْفَى عَلَى الْحِجَابِ مَا كَانَ بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً وَلِيُزَادَنَّ عَلَى كُلِّ كَلِمَةٍ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، وَلَوْ كُنْتُ
فِي السَّحَابِ (٢) لَا لَتَمَسَّكَ الْحِجَابُ حَتَّى يُهْلِكَكَ ، فَالْتَجَاءَ النَّجَاءُ .

فَوَافَقَهُ أَصْحَابُهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَسَارَ عَنِ الْمَدَائِنِ نَحْوَ الْجِبَالِ ،
ثُمَّ دَعَا أَصْحَابَهُ الَّذِينَ لَمْ يَعْلَمُوا بِخَالِهِ إِلَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، فَبَايَعَهُ
بَعْضُهُمْ ، وَرَجَعَ عَنْهُ بَعْضُهُمْ ، وَسَارَ نَحْوَ حُلُوانَ وَبِهَا سُؤَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
السَّعْدِيُّ مِنْ قَبْلِ الْحِجَابِ ، [فَأَرَادَ هُوَ وَالْأَكْرَادُ مَنَعَهُ لِيَعْلَمَ عِنْدَ الْحِجَابِ] (٣) ،
فَأَوْقَعَ مُطَرِّفٌ بِالْأَكْرَادِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ ، وَسَارَ .

فَلَمَّا دَنَا مِنْ هَمْدَانَ وَبِهَا أَخُوهُ حَمْزَةُ بْنُ الْمَغِيرَةِ تَرَكَهَا ذَاتَ الْيَسَارِ ،
وَأَرْسَلَ إِلَى أَخِيهِ حَمْزَةَ يَسْتَمِدُّهُ بِالْمَالِ وَالسَّلَاحِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَا طَلَّبَ

(١) فِي الْكَامِلِ : صَلْحَاءَهُ .

(٢) فِي ك: السَّحَابَةُ .

(٣) سَاقَطَ فِي ك .

سراً، وسار مُطَرِّف حتى بلغ قُم^(١) وقاشان، ويغت عماله على تلك
النواحي، وأتاه الناس.

وكان ممن أتاه سُويد بن سرحان الثقفي، وبكير بن هارون
النخعي^(٢) من الرى في نحو مائة رجل، وكتب البراء بن قبيصة -
وهو عامل الحجاج على أصفهان - إليه يعرفه حال المُطَرِّف ويستمدّه،
فأمده بالرجال بعدد الرجال على دواب البريد.

وكتب الحجاج إلى عديّ بن زياد^(٣) عامل الرى يأمره بقصد
مُطَرِّف، وأن يجتمع هو والبراء على محاربته، فسار عديّ من الرى
واجتمع هو والبراء وعدى الأمير، واجتمعوا في نحو ستة آلاف مقاتل.
وكان حمزة بن المغيرة قد أرسل إلى الحجاج يعتذر، فأظهر قبول عذره،
وأراد عزله وخاف أن يمتنع عليه، فكتب إلى قيس بن سعد العجلي،
وهو على شرطة حمزة بعثه على همدان، ويأمره أن يقبض على حمزة
ابن المغيرة؛ فسار قيس بن سعد إلى حمزة في جماعة من عشيرته
فأقرأه العهد بولايته، وكتب الحجاج بالقبض عليه، فقال:
سمعا وطاعة. فقبض قيس عليه وسجنه، وسار عديّ والبراء نحو
مُطَرِّف فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهم أصحاب مُطَرِّف وقتل
هو وجماعة كثيرة من أصحابه، قتل عمر^(٤) بن هبيرة الفزاري،
وكان الحجاج يقول: إن مُطَرِّفاً ليس بولد المغيرة بن شعبة، إنما هو

(١) قم - بالضم وتشديد الميم: بين أصفهان وساعة. وقاشان: مدينة قرب
أصفهان (المراصد).

(٢) في الطبري: البجلي. والمثبت في الكامل أيضا.

(٣) في الطبري: عدي بن وتاد. والمثبت في الكامل أيضا.

(٤) في ك: عمرو، وفي الكامل: عمير. والمثبت في الطبري أيضا.

ولد مَضَقَلَةَ بن هُبَيْرَةَ الشيبانى ، وكان مَضَقَلَةَ والمغيرة يدعيانه ،
فأُلْحِقَ بالمغيرة ، وجُلِدَ مَضَقَلَةَ الحَدُّ ، فلما أظهر رأى الخوارج قال
الحجاج ذلك ، لأنَّ كثيراً من ربيعة كانوا خوارج (١) ولم يكن
منهم أحدٌ من قيس عيلان .

انتهت أخبار الخوارج فلنذكر الغزوات فى خلافة عبد الملك

ذكر الغزوات والفتوحات

فى أيام عبد الملك بن مروان على حكم السنين

فى سنة [٨٧١] إحدى وسبعين أفتتح عبد الملك قيسارية فى قول
الواقدي .

وفى سنة [٨٧٣] ثلاث وسبعين غزا محمد بن مروان الروم صائفةً ،
فهزمهم ، وفيها كانت وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية أرمينية ،
وهو فى أربعة آلاف ، والروم فى ستين ألفاً ، فهزمهم وأكثر فيهم القتل .

وفى سنة [٨٧٤] أربع وسبعين غزا عبد الله بن أمية رُتْبِيلَ (٢)
من سجستان ، وكان رُتْبِيلَ هائباً للمسلمين ، فلما وصل عبْدُ الله إلى
بُست (٣) راسله رُتْبِيلَ فى طلبِ الصلح ، وبذل ألف ألف ، وبعث
إليه بهدايا ورقيق ، فأبى عبْدُ الله قبول ذلك ، وقال : إن ملأ لى هذا
الرواق ذهباً وإلا فلا صلح ، وكان غراً ، فخلّى له رُتْبِيلَ البلاد حتى
أوغل فيها ، وأخذ عليه الشَّعَابَ والمضايق [وطلب أن يخلّى عن

(١) فى ك : من خوارج .

(٢) الضبط فى القاموس والمشته .

(٣) بست - بالضم : مدينة بين سجستان وغزني وهراة (المراصد).

وعن المسلمين^(١) ، ولا يأخذ منه شيئاً ، فأبى رُتْبِيل وقال : يَأْخُذُ^(٢) ثلاثمائة ألف درهم صلحاً ، ويكتبُ لنا بها كِتَاباً ، ولا يَغْزُو بلادنا مادامتُ أميراً ، ولا يحرق ولا يخرّب .
ف فعل ، وبلغ ذلك عبد الملك فعزّله .

وفيهما غزا محمد بن مروان الروم صائفةً ، وبلغ أندوليّة ، وغزا أيضاً في سنة [٨٧٥] خمس وسبعين صائفةً حتى خرجت الروم من قبل مرّعش ، وغزا أيضاً في سنة [٨٧٦] ست وسبعين من ناحية مَلَطِيّة .
وفي سنة [٨٧٧] سبع وسبعين غزا أميّة بن عبد الله ماوراء النهر فبلغ بُخَارَى ، وخالف عليه بكير بن وِسَاج ، فصالح أهل بُخَارَى على فِدْيَةٍ قليلة ، ورجع لقتال بكر .

وفيهما غزا أميّة أيضاً ، وعَبَّرَ نهر بَلُخ ، فحُوصِرَ حتى جهد هو وأصحابه ، ثم نَجَوْا بعد ما أَشْرَفُوا على الهلاك ، ورجعوا إلى مَرُوء .
وغزا الوليد بن عبد الملك الصائفة .

ذكر غزو عبيد الله بن أبي بكر رتبيل

وفي سنة [٨٧٩] تسع وسبعين غزا عبيد الله بن أبي بكر بلاد رُتْبِيل ، وكان الحجاج قد استعمله على سجستان ، وكان رُتْبِيل يُؤَدِّي الخراج ، وربما امتنع منه ، فبعث الحجاج إلى عُبَيْدِ اللَّهِ [ابن أبي بكر]^(٣) يأمره بِمُتَاجَزَتِهِ ، وألاً يرجع حتى يَسْتَبِيحَ بلاده ، ويهدم قَلَاعَهُ ، ويقتل^(٤) رجاله .

(١) ساقط في ك . (٢) و ك : نأخذ منه .

(٣) زيادة من الطبري .

(٤) في الكامل : وبقيد . وفي الطبري : ويقتل مقاتلته .

فسار عُبَيْدُ اللَّهِ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ ، وَعَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ شُرَيْحُ
ابن هَانِئٍ ؛ فَمَضَى عُبَيْدُ اللَّهِ حَتَّى دَخَلَ بِلَادَ رُبَيْلٍ ، فَأَصَابَ مِنْ
الْغَنَائِمِ مَا شَاءَ ، وَهَدَمَ حُصُونًا ، وَغَلَبَ عَلَى أَرْضٍ مِنْ أَرْضِيهِمْ ،
وَأَصْحَابُ رُبَيْلٍ مِنَ التَّرِكِ يُخْلَوْنَ لِلْمُسْلِمِينَ أَرْضًا بَعْدَ أَرْضٍ ، حَتَّى
أَمْنُوا فِي بِلَادِهِمْ ، وَدَنَوْا مِنْ مَدِينَتِهِمْ ، وَكَانُوا مِنْهَا عَلَى ثَمَانِيَةِ عَشَرَ
فَرَسَخًا ، فَأَخَذَ التَّرِكَ عَلَيْهِمُ الشَّعَابُ وَالْعِقَابُ ^(١) ، فَصَالَحَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ
عَلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ يَوْصِلُهَا إِلَى رُبَيْلٍ لِيَمْكُنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْخُرُوجِ ،
فَلَقِيَهُ شُرَيْحٌ فَقَالَ : إِنَّكُمْ لَا تَصَالِحُونَ ^(٢) عَلَى شَيْءٍ إِلَّا حَسَبَ
السُّلْطَانِ مِنْ أَعْطِيَانِكُمْ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، تَعَارَؤُنَا عَلَى عُدُوِّكُمْ ،
فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي ^(٣) بَكْرَةَ : إِنَّكَ شَيْخٌ قَدْ خَرِفْتَ . فَقَالَ شُرَيْحٌ :
يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، مَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ الشَّهَادَةَ فَيَلِئْ ، فَاتَّبِعْ نَاسًا مِنَ الْمُطَوَّعَةِ ^(٤)
غَيْرَ كَثِيرٍ ، وَفُرْسَانَ النَّاسِ ، وَأَهْلَ الْحِفَازِ ، فَفَاتَلَوْا حَتَّى أَصِيبُوا
إِلَّا قَلِيلًا ، وَجَعَلَ شُرَيْحٌ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ ^(٥) :

أَصْبَحْتُ ذَابْتُ أَفَافِي الْكِبَرَا قَدْ عِشْتُ بَيْنَ الْمَشْرِكِينَ أَغْصُرَا
ثُمَّتُ أَدْرَكْتُ النَّبِيَّ الْمُنْفِرَا وَبَعْدَهُ صِدِّيقَهُ وَعَمَّرَا
وَيَوْمَ مِهْرَانَ وَيَوْمَ تُسْتَرَا وَالْجَمْعَ فِي صِفِّينِهِمُ وَالنَّهْرَا
هِيَهَاتَ مَا أَطُولُ هَذَا الْعُمُرَا ^(٦)

(١) فِي الْكَامِلِ ، وَالطَّبَرِيُّ : فَأَخْلَوْا عَلَى الْمُسْلِمِينَ الشَّعَابَ وَالْعِقَابَ .

(٢) فِي كَ : لَا تَحْصِلُونَ .

(٣) فِي كَ : أَبُو بَكْرَةَ - وَأَرَاهُ تَحْرِيفًا .

(٤) فِي الطَّبَرِيِّ : الْمُطَوَّعَةُ . (٥) وَالطَّبَرِيُّ : ٦-٣٢٣ .

(٦) فِي الطَّبَرِيِّ ، وَالْكَامِلِ :

وَبِاجْمِرَاتٍ مَعَ الْمُشْفَرَا هِيَهَاتَ ، مَا أَطُولُ هَذَا عُمُرَا

وقَاتِلَ حَتَّى قُتِلَ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَنَجَا مَنْ نَجَا مِنْهُمْ ، وَخَرَجُوا مِنْ بِلَادِ رُثَيْبِيلَ ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّاسُ بِالْأَطْعَمَةِ ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَكَلَ وَشَبِعَ مَاتَ ، فَحَنَرُوا النَّاسَ وَجَعَلُوا يَطْعَمُونَهُمْ [السَّمْنُ] ^(١) قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اسْتَمَرُّوا .

وَفِيهَا أَصَابَ الرُّومُ أَهْلَ أَنْطَاكِيَّةٍ وَظَفَرُوا بِهِمْ ، وَكَانَ قَدْ أَصَابَ أَهْلَ الشَّامِ طَاعُونٌ شَدِيدٌ فَلَمْ يَغْزُ تِلْكَ السَّنَةَ أَحَدٌ مِنْهُمْ .

ذَكَرَ مَسِيرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ

إِلَى رُثَيْبِيلَ وَمَا مَلَكَهُ مِنْ بِلَادِهِ

كَانَ مَسِيرُهُ فِي سَنَةِ [٨٠] هـ ثَمَانِينَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بِلَادِ رُثَيْبِيلَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا كَتَبَ الْحِجَاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِخَبَرِهِمْ ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّهُ قَدْ جَهَّزَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ جَيْشًا كَثِيفًا وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي إِرْسَالِهِ إِلَى بِلَادِ رُثَيْبِيلَ ، فَأُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَجَهَّزَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ عَشْرِينَ أَلْفَ فَارِسٍ وَمِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِثْلَهَا ، وَأَنْفَقَ فِيهِمْ أَلْفَيْ أَلْفٍ سِوَى أُعْطِيَانِهِمْ ، وَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ يَوْصَفُ بِشَجَاعَةٍ وَغَنَاءٍ ، وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ .

وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَهُ عَلَى الْجَيْشِ أَنَاهُ ^(٢) إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، فَقَالَ : لَا تَبْعَثْهُ ، وَاللَّهِ مَا جَازَ جِسْرَ الْقُرَاتِ فَرَأَى لُؤَالٍ عَلَيْهِ طَاعَةٌ ، وَإِنِّي أَخَافُ خِلَافَهُ .

(١) مِنْ الْكَامِلِ ، وَالطَّبْرِي .

(٢) فِي الطَّبْرِي : أَتَى الْحِجَاجَ عَمَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْأَشْعَثِ .

فقال الحجاج : هو أهيبُّ لى من أن يخالِفَ أمرى . وسيرهُ على الجيش ، فسار حتى قدم سجستان ، فجمع أهلها فخطبهم ثم قال : إن الحجاج ولأنى فُتْرِكُمْ ، وأمرنى بجِهَادِ عُنُوكُمْ الذى استباح بِلَادَكُمْ ، فإياكم أن يتخَلَّفَ منكم أحد فتَسِمَهُ (١) العقوبة . فعسكروا مع الناس ، وساروا بأجمعهم ، وبلغ الخبرُ رُتَيْبِلَ ، فأرسل يعتذر ويَبْدُلُ الخراج ، فلم يقبَلْ منه ، وسار إليه ، ودخل بلاده ، فترك له رُتَيْبِلَ أرضاً أرضاً ورُستاقاً ورُستاقاً وحِصْناً حصناً ، وعبدُ الرحمن يحوى ذلك ، وكلما حوى بلدًا بعث إليه عَامِلًا (٢) ، وجعل معه أعوانًا ، وجعل الأَرَضَادَ على العِقَابِ والشَّعَابِ ، ووضع المَسَالِحَ بكل مكان مخوف ، حتى حاز (٣) من أرضه أرضاً عظيمة ، وملأ الناس أيديهم من الغنائم العظيمة ، ومنع الناس من التَوَعُّلِ ، وقال : نكتفى بما قد أصبناه العام من بلادهم حتى نجيشها (٤) ونَعْرِفَهَا ، ويجترئ المسلمون على طرقها ، وفى العام المقبل نأخذ ما رواءها إن شاء الله تعالى حتى نقاتلهم فى آخر ذلك على كنوزهم ودَّرَارِيهِمْ فى أقصى بلادهم حتى بهلكهم الله تعالى .

وكتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يُريد . فكتب الحجاج إليه يُنْكِرُ فِعْلَهُ ، ويأمره بالمناجزة ، فأدى ذلك إلى خروج عبد الرحمن على الحجاج على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

(١) فى الكامل : فتسمه . وفى الطبرى : فيحل بنفسه العقوبة .

(٢) فى ك : غلاما .

(٣) فى ك : جاز .

(٤) فى الطبرى : حتى نجيبها .

ذكر غزو المهلب بن أبي صفرة ما وراء النهر

وفي سنة [٨٠هـ] ثمانين قطع المهلب نهر بلخ ونزل على كُشٍّ^(١) وكان الحجاجُ قد استعمله على خرّمدان حين قصّتها عبدُ الملك إلى صبله، فسار وعلى مقدمته أبو الأدهم^(٢) الزمالي في ثلاثة آلاف ، وهم في خمسة آلاف ، ولما نزل المهلب على كُشٍّ أتاه ابن عم ملك الخُتَلِ^(٣) دعاه إلى غزو الخُتَلِ ، فوجّه معه ابنه يزيد ، وكان اسم ملك الخُتَلِ السبل^(٤) ، فسار يزيد وابن عم الملك حتى نازلوه ، ونزل كل واحد منهما ناحية ، فبيّت الملك ابن عمه ، وأخذته فقتله ، فحصر يزيد القلعة ، فصالحوه على فدية جمّلت إليه ، ورجع يزيد عنهم ، ووجه المهلبُ ابنه حبيباً ، فوافى صاحب بخارى في أربعين ألفاً ، فترك جماعة من العدو قرية ، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف فقتلهم وأحرق القرية فسببت المحترقة . ورجع حبيب إلى أبيه ، وأقام المهلب بكُشٍّ^(١) سنين ، فقبل له : لو تقدّمت إلى ما وراء ذلك لقتل : ليت خطي من هذه الغزوة سلامة هذا الجند ، وعوذه سالمين ، ثم صالح أهل كُشٍّ على فدية يأخذها منهم .

(١) كُشٍّ - بالفتح ثم التشديد : قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان على الجبل ، وقرية من قرى أصحاب (المراسد) ، وقال ابن ماکولا : كثيرة القرايون وغيرهم جعله بفتح الكاف ، وربما صحفه بعضهم فقالوا بالتثنية المعجمة ، وهو خطأ .

(٢) في الطبري : أبو الأدهم زياد بن عمر .

(٣) ختل - كسكر : كورة بما وراء النهر (القائموس) .

(٤) في الكامل : السبل . والضبط في الطبري .

وفى سنة [٨٨١هـ] إحدى وثمانين سبى عبد الملك ابنه عبيد الله
ففتح قَالِيَقْلًا^(١).

ذكر دخول الديلم قزوين وقتلهم

كانت قزوين ثغراً للمسلمين من ناحية الديلم ، فكانت العساكر
لا تَبْرَحُ مرابطةً بها ، يتحارسون ليلاً ونهاراً ، فلما كان فى سنة
[٨٨١ هـ] إحدى وثمانين كان فى جملة^(٢) من رابطَ بها محمد
ابن أبى سيرة الجعفى ، وكان فارساً شجاعاً ، فرأى الناس
يتحارسون فلا ينامون الليل ، فقال : أتخافون أن يدخل عليكم العدو
مدينتكم ؟ قالوا : نعم . قال : لقد أنصفوكم إن فعلوا ، افتحوا
الأبواب ، ولا بأس عليكم . ففتحوها ، وبلغ ذلك الديلم ، فساروا
إليهم وبيئتهم ، وهجموا إلى البلد ، فقال ابن أبى سيرة : أغلقوا أبواب
المدينة علينا وعليهم ، فقد أنصفونا ، وقتلوه .

فغلقوا الأبواب وقتلوه ، وأبلى ابن أبى سيرة بلاء عظيماً ، وظفير بهم
للمسلمون ، فلم يفلت من الديلم أحد ، واشتهر اسمه بذلك ، ولم يُقدِّم
الديلم بعدها على مفارقة أرضهم ، فصار محمد فارس ذلك الثغر
المشار إليه . [والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب]^(٣) .

(١) قَالِيَقْلًا : بارمينية العظمى من نواحى خلاط (المراصد) .

(٢) فى الكامل : جماعة .

(٣) ساقط من د .

ذكر فتح قلعة نيزك بباذغيس^(١)

وفى سنة [٨٤٤هـ] أربع وثمانين فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك،
فلما بلغه خروجه عن القلعة سار إليها وحاصرها. فملكها وما فيها
من الأموال والمخائر، وكانت من أحصن القلاع وأمنعها، وكان
نيزك إذا رآها سجد لها تعظيماً، وفيها يقول كعب بن معديان الأشقرى^(٢) :
وباذغيس التي من حلّ ذرونها عزّ الملوك فإن شأ جار أو ظلماً
منيعاً لم يكذبها قبله مسلك إلا إذا واجهت جيشاً له وجماً
تخال نيرانها من بُعدٍ منظرها بعض النجوم إذا مائلها عتماً
وهي أبيات عديدة .

وقال أيضاً يذكر يزيد [رحمه الله] ^(٣) وفتحها^(٤) :

ففى نيزكا عن باذغيس ونيزك بمنزلة أعيان الملوك اغتصابها
محلقة دون السماء كأنها غمامة صيف زل^(٥) عنها سحابها
ولا يبلغ الأزوى شاربها العلا ولا الطير إلا نسرها وعمابها
واخوفت بالذئب ولدان أهلها ولا تبحث إلا النجوم كلابها

(١) نيزك : ضبطت في الطبرى بكسر النون وفتح الزاى . وفى د : بفتحها .
وضم الزاى . وباذغيس : ناحية من أعمال هراة ومرو الروذ (المراصد) .

(٢) فى ك : الأشعرى . والمثبت في الطبرى ، والكامل ، ومعجم الشعراء ،
والأغانى ، والشعر والشعراء . والشعر في الطبرى : ٦-٣٨٦ ، والكامل : ٤-٩٤ .

(٣) ساقط في د .

(٤) والطبرى : ٦-٣٨٧ .

(٥) في الكامل : زال .

جروب
معين التاريخ
لأهل التاريخ

ذكر فتح المصيصة

وفى سنة [٨٨٤هـ] أربع وثمانين أيضًا غزا عبْدُ الله بن عبد الملك الرومَ ، ففتح المَصِيصَةَ^(١) وبَنَى حِصْنَهَا ، وجعل فيها ثلاثمائة مقاتل من ذوى البأس ، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك ، وبَنَى مَسْجِدَهَا .
وغزا محمد بن مَرْوَانَ أرمينية .

وفى سنة [٨٨٥هـ] خمس وثمانين غَزَا المفضل بن المهلب بأَذَغِيصَ ففتحها وأصاب مَغْنَمًا فقسمه ، فأصاب كلَّ رجل ثمانمائة^(٢) ،
ثم غزا آخَرُونَ^(٣) وشُومان ، فغنم وقَنَمَ ما أصاب .
وفيهما غزا محمد بن مَرْوَانَ أرمينية ، فصاف فيها وشتا . انتهى
ذكر الغزوات والفتوحات .

ذكر الحوادث الكائنة

فى أيام عبْد الملك بن مروان منذ استقلَّ بالأمر
خلاف ما ذكرناه ، وذلك على حُكْم السنين

قد ذكرنا حوادث السنين فى أخبار عبْد الله بن الزبير رضى الله عنهما إلى أَنْ قُتِلَ فى سنة [٧٣هـ] ثلاث وسبعين ، وذكرنا ما هو متعلِّقُ بهذه الدولة الأموية فى أثناء أخبار عبد الملك ، فلنذكرُ خلاف ذلك .

(١) المصيصة — بالفتح ، ثم الكسر والتشديد ، وياه ساكنة ، وصاد أخرى ،
وقيل بتخفيف الصادين ، وهى مدينة على شاطئ جيجان من ثغور الشام (المراصد) .
وفى البكرى : بكسر أوله .

(٢) فى الطبرى : ثمانمائة درهم .

(٣) فى ك : أجرون ، والمثبت فى الكامل ، والطبرى .

سنة (٧٣ هـ) ثلاث وسبعين :

ذكر ولاية محمد بن مروان

الجزيرة وأزمينية

في هذه السنة استعمل عَبْدُ الْمَلِكِ أَخَاهُ مُحَمَّدًا عَلَى الْجَزِيرَةِ ، وَكَانَتْ بِحَيْرَةُ أَرْمِينِيَّةٍ مُبَاحَةً لَمْ يَغْرِضْ لَهَا أَحَدٌ ، بَلْ يَأْخُذُ مِنْهَا مَنْ شَاءَ ، فَمَنْعَ مَنْ صَيَدَهَا وَجَعَلَ عَلَيْهِ مَنْ يَأْخُذُ وَيَبِيعُهُ وَيَأْخُذُ ثَمَنَهُ ، ثُمَّ صَارَتْ بَعْدَهُ لَابْنِهِ مَرْوَانَ ، وَاسْتَمَرَ ذَلِكَ بَعْدَهُ .

وَفِيهَا عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْبَصْرَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا أَخَاهُ يَشْرَ بْنَ مَرْوَانَ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ الْمِصْرَانِ : الْكُوفَةُ ، وَالْبَصْرَةُ ، فَسَارَ يَشْرُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْكُوفَةِ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ .

وَحُجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْحِجَاجُ وَهُوَ عَلَى مَكَّةَ وَالْيَمَنَ وَالْبَاهَاةِ ، وَكَانَ عَلَى قِضَاءِ الْكُوفَةِ شُرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَعَلَى قِضَاءِ الْبَصْرَةِ هِشَامُ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، وَكَانَ عَلَى خِرَاسَانَ بُكَيْرُ بْنُ وَشَاحٍ ^(١) .

وَفِيهَا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِمَكَّةَ وَكَانَ سَبَبُ وَفَاتِهِ أَنَّ الْحِجَاجَ أَمَرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، فَضَرَبَ ظَهْرَ قَدِيمِهِ بِزُجْ رُمُحٍ مَسْخُومٍ . فَمَاتَ مِنْهَا ، وَعَادَهُ الْحِجَاجُ فِي مَرَضِهِ ، فَقَالَ : مَنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَنْتَ ، لِأَنَّكَ أَمَرْتَ بِحَمْلِ السِّلَاحِ فِي بَلَدٍ لَا يَحِلُّ حَمْلُهُ فِيهِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ، وَكَانَ عَمْرُهُ سَبْعًا وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَمَاتَ غَيْرَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

(١) فِي الطَّبَرِيِّ ، وَالْكَامِلِ : وَشَاحٌ . وَقَدْ تَقَدَّمَ الْخِلَافُ فِيهِ .

سنة (٧٤ هـ) اربع وسبعون :

في هذه السنة عزل عَبْدُ الْمَلِكِ طَارِقًا ^(١) عن المدينة ، واستعمل عليها الحجاج ، ففعل ما قَدُمْنَا ذكره .

وفيهما استقضى عبد الملك أبا إدريس الخولاني .

وفيهما استعمل عبد الملك أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيد ^(٢) على خُرَّاسَانَ ، وعزل عنها بُكَيْرَ بْنَ وَسَّاجٍ ، فسار أُمَيَّةُ إِلَيْهَا ، فَلَاقِيَهُ بِحِجِرٍ ^(٣) بَنَ وَرَقَاءَ بَنِي سَابُورٍ ، وَأَخْبَرَهُ عَنْ خُرَّاسَانَ وَمَا يَحْسَنُ بِهِ طَاعَةُ أَهْلِهَا ، وَرَفَعَ عَلَى بُكَيْرٍ أَمْوَالًا أَخَذَهَا وَحَذَرَهُ غَلَّزَهُ ^(٤) ، وَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَ مَرُو ، وَكَانَ أُمَيَّةٌ كَرِيمًا فَلَمْ يَعْزِضْ لِبُكَيْرٍ وَلَا لِعُجْمَالِهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ شُرْطَنَهُ ، فَأَبَى فَوَلَّاهَا بِحِجِرَ بْنَ وَرَقَاءَ ، ثُمَّ خَيَّرَ بُكَيْرًا أَنْ يُوَلِّيَهُ مَا شَاءَ مِنْ خُرَّاسَانَ ، فَاخْتَارَ طَخَرِيسْتَانَ .

قال : فَتَجَهَّزَ لَهَا ، فَأَنْفَقَ مَالًا كَثِيرًا ، فَقَالَ بِحِجِرٌ لِأُمَيَّةَ : إِنْ أَتَى طَخَرِيسْتَانَ خَلَعَكَ ، وَحَذَرَهُ فَلَمْ يُوَلِّهِ .

وفيهما استعمل عَبْدُ الْمَلِكِ حَسَّانَ بْنَ النُّعْمَانَ الْغَسَّانِيَّ عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ ، وَسَيِّدَكَرَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي أَخْبَارِ إِفْرِيقِيَّةٍ .

وحجَّ بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف .

وفيهما توفي بشر بن مروان بالبصرة ، واستخلف قبل وفاته خالد ابن عبد الله بن خالد على البصرة ، وكان خليفته على الكوفة عمرو

(١) هو طارق بن عمرو .

(٢) أسيد - بفتح الهمزة وكسر السين - الكامل .

(٣) بحير - بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء - الكامل .

(٤) في ك : عدوه .

ابن حُرَيْث ؛ فكانوا على ذلك إلى أن قدم الحجاجُ بن يوسف الثقفي أميراً سنة [٨٧٥] خمس وسبعين .

ذكر ولاية الحجاج بن يوسف العراق

وما فعله عند مقدمه

وفي هذه السنة استعمل عَبْدُ الملك بن مَرْوان الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق دون خراسان وسجستان ، وأرسل ^(١) إليه بعهدده وهو بالمدينة ، فسار في اثني عشر ركباً على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار ، فبدأ بالمسجد ، فصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خَزْ حِراء ، فقال : على بالناس ، فحسبوه خارجياً ، فهموا به وهو جالس على المنبر ينتظر اجتماعهم ، فاجتمع الناس وهو ساكت قد أطال السكوت ، فتناول عُمير بن ضابيء البرجمي حصي ^(٢) وقال : ألا أحضبه لكم ! فقالوا : أمهل حتى ننظر . وقيل : إن الذي همَّ بحضبه محمد بن عُمير وقال : قاتله الله ما أعياه وأدمه ^(٣) ، والله إني لأحسب خبره كروياه ^(٤) .

فلما تكلم الحجاج جعل الحصى ينتثر من يده وهو لا يعقل ، فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن وجهه ونهض فقال : أنا ابن جلا ^(٥) وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني أما والله إني لأحمل الشر محمله ، فأخذه ^(٦) بفعله ، وأجزيه بمثله ،

(١) في د : فأرسل .

(٢) في الكامل : فتناول محمد بن عُمير حصاء ، وسيأتي .

(٣) في الكامل : ما أغياه وذمه .

(٤) في الطبري : كرواه .

(٥) ابن جلا : هو الصبح ، لأنه يملو الظلمة . والثنايا : ما صغر من الجبال .

والبيت من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحي (الأصمعيات : ١٧) .

(٦) في الطبري : وأخذوه بتمله . والمثيت في الكامل أيضا .

وَإِنِّى لَأَرَى رُغُوسًا قَدْ أَيْنَعَتْ وَحَانَ قِطَافُهَا ، وَإِنِّى لَصَاحِبُهَا ، وَإِنِّى لَأَنْظُرُ
إِلَى الدَّمَاءِ بَيْنَ الْعِمَائِمِ وَاللُّحَى • قَدْ شَمَرْتُ عَنْ سَاقِهَا تَشْمِيرًا •

هَذَا أَوَّانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَّى زَيْمٌ قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطِمَ ^(١)
لَيْسَ بِرَاعَى لِإِبْلِى وَلَا عَنَمٍ وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمَ ^(٢)
قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصْلِيٍّ ^(٣) أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوَى ^(٤)

مهاجر ليس بأعسرانى

قَدْ شَمَرْتُ عَنْ سَاقِهَا فَشَدُّوا وَجَدْتُ الْحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا
وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرَّرَ عُرْدٌ ^(٥) مِثْلَ فِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ
لَيْسَ أَوَّانٌ يَكْرَهُ الْخِلَاطُ جَاءَتْ بِهِ وَالْقُلُصُ الْأَعْلَاطُ ^(٦)

يهوى هوى سابىق الفطاط ^(٧)

إِنِّى وَاللَّهِ يَا هَلَّ الْعِرَاقِ مَا يُقَمِّعُ لِي بِالشَّنَانِ ^(٨) ، وَلَا يُغْمِزْ جَانِبِي
تَغْمَازُ الثَّيْنِ ، وَلَقَدْ قُرِرْتُ عَنْ ذِكَاوٍ ، وَقُتِّشْتُ عَنْ تَجْرِبَةٍ ،
وَجَرِيتُ إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى . ثُمَّ قَرَأَ ^(٩) : « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً
كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ

(١) الرجز لرويشد بن ربيع العنبرى - اللسان - حام . وفي الأغاني (١٥ - ٢٥٥) :

الشعر لرويشد بن ربيع العنبرى .

(٢) الوضم : ما وقى به اللحم عن الأرض .

(٣) الرجز فى اللسان - عصلب . والعصلى : الشديد .

(٤) الدوى : القلاة . (٥) عرد : شديد .

(٦) الأعلاط من الإبل : التى لا أرسان عليها .

(٧) فى الكامل : سائق . والفطاط - بالضم والفتح : ضرب من الطير .

(٨) الشنان : جمع شنة ، وهى القرية البالية اليابسة .

(٩) سورة النحل ، آية ١١٢ .

فَإِذَا قَامَ اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۖ فَآتَمَّ أُولَئِكَ
وَأَشْبَاهَ أُولَئِكَ . إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الْمَلِكِ نَشَرَ ^(١) كِنَانَتَهُ فَعَجِمَ ^(٢)
عِينَهَا عُدَا عُدَا ، فَوَجَدَنِي أَمْرًا عُدَا ^(٣) ، وَأَصْلَبَهَا مَكْسِرًا ،
فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ ، وَرَمَى بِي فِي نُحُورِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ أَهْلُ بَغْيٍ وَخِلَافٍ وَشِقَاقٍ
وَنِفَاقٍ ، طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ فِي الشَّرِّ ، وَاضْطَجَعْتُمْ فِي الضَّلَالَةِ ، وَسَنَنْتُمْ
صُنْنَ الْغَيِّ ، فَاسْتَوْثِقُوا ^(٤) وَاسْتَقِيمُوا ، فَوَاللَّهِ لِأَذِيْقَتِكُمُ الْهُوَانَ
وَلَأَمْرِيتِكُمْ ^(٥) حَتَّى تَذَرُوا ، وَلَأَلْحُونَكُمْ لَحْوُ الْعُودِ ، وَلَأَعْصِبَنَّكُمْ
عَضْبُ السَّلَمِ ^(٦) ، حَتَّى تَذَلُّوا ، وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ حَتَّى
تَذَرُوا الْعِضْيَانَ وَتَنْقَادُوا ، وَلَأَقْرَعَنَّكُمْ قَرَعَ الْمَرْوَةِ حَتَّى تَلِينُوا . إِنْى وَاللَّهِ
مَا أَعِدُّ إِلَّا وَفَيْتُ ، وَلَا أَمُهُ إِلَّا أَمْضَيْتُ ، وَلَا أَخْلُقُ ^(٧) إِلَّا فَرَيْتُ ،
فِيَأَيَّ وَهَذِهِ الْجَمَاعَاتُ ، فَلَا يَرْكَبَنَّ رَجُلٌ إِلَّا وَحْدَهُ ، أَقْسَمَ بِاللَّهِ لَتُقْبِلُنَّ
عَلَى الْإِنْصَافِ ، وَلَتَدْعُنَّ الْإِرْجَافَ ، وَقَبِلًا وَقَالًا ، وَمَا يَقُولُ فَلَانُ ،
وَأَخْبِرْنِي فَلَانُ ، أَوْ لَادْعُنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ ، فِيمَ أَنْتُمْ
وَذَاكَ ، وَاللَّهِ لَتَسْتَقِيمَنَّ عَلَى الْحَقِّ أَوْ لَأَضْرِبَنَّكُمْ بِالسَّيْفِ ضَرْبًا يَدْعُ
النِّسَاءَ أَيَّامِي وَالْوِلْدَانَ يَتَامَى ، وَحَتَّى تَذَرُوا السُّمَهَى ^(٨) وَتُقْلِعُوا

(١) في د : نزل .

(٢) عجم عيدانها : أى عضها واختبرها .

(٣) أمرها عودا : أصلها وأقواها .

(٤) في د : فاستوسقوا .

(٥) مرى الناقة مريا : مسح ضرعها لتدر (اللسان) .

(٦) العصب : القطع . والسلام : شجر من العضاء . والعضاء : كل شجر يعظم

وله شوك (اللسان) .

(٧) الخلق : التقدير ، ويقال : فريت الأديم إذا أصلحته (هامش د) .

(٨) السمهي : الباطل والكذب .

عن هاوها (١) ، ألا إنه لو ساغ لأهل المعصية معصيتهم ما جئى قىء ولا قوتل عدو ، ولعللت الثغور ، ولولا أنهم يغزون كرها ما غزوا طوعاً ، ولقد بلغنى رَفَضُكُمْ المهلب وإقبالكم على مِصركم عاصيين مخالفين وإنى أقسم بالله لا أجدُ أحداً من عسكره بعد ثالثة (٢) إلا ضربت عنقه ، وأنهيت داره .

ثم أمر بكتاب عبد الملك فقرأه ، فلما قال القارى : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين : سلامٌ عليكم ، فإني أحمد الله إليكم - فلم يقل أحدٌ شيئاً ، فقال : اكفف ، ثم قال : يا عبيد العضا ، يُسلم عليكم أمير المؤمنين فلا يرد راد منكم السلام . هذا أدبُ ابن نُهيّة (٣) ، أدبكم به ، والله لأودبنكم غير هذا الأدب ، أو لتستقيمن . ثم قال ، للقارى : اقرأ . فلما بلغ سلام عليكم قالوا بأجمعهم : وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله . ثم نزل ودخل منزله ، ودعا العرفاء وقال : أَلْحِقُوا النَّاسَ بِالْمَهْلَبِ ، واثبتوني بالبراءات بمواقفهم ، ولا تغلقن أبواب الجسر ليلاً ولا نهاراً حتى تنقضى هذه المدة .

قال : فلما كان في اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق ، فخرج وجلس على المنبر ، فقال : يأهل العراق ، يأهل الشقاق والنفاق

(١) في ك : هؤلاء . وفي الكامل : هواها . والمثبت في الطبرى أيضا .

(٢) في الكامل : بعد ثلاثة .

(٣) في ك : ابن أدية . والمثبت في الطبرى أيضا ولكنه رواه بكر التون وسكون الهاء ، وقد زعم أبو العباس أن ابن نهيّة رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج . ونهيّة : أم ولد عمر بن الخطاب ، كما في القاموس ، والتاج . وفي اللسان ، والاشتقاق : أدية : أبو مرداس الحرورى .

ومساوى الأخلاق ، إني سمعتُ تكبيراً ليس بالتكبير الذى يُراد به وجهُ الله ، ولكنه التكبيرُ الذى يُرادُ به الترهيب ، وقد عرفتُ أنها عجاجةٌ تحتها قَصْفٌ^(١) ، يابنى اللكيسة^(٢) ، وعبيد العصا ، وأبناء الأيامى ، ألا يَرِيع رجل منكم على ظَلْعِهِ^(٣) ويحسن حَقْنَ دَمِهِ ، ويعرف^(٤) موضع قَدَمِهِ ، فأقسم بالله لأؤشِكُ أن أوقع بكم وقعةً تكون نكالاً لما قبلها وأدباً لما بعدها .

فقام إليه عُمير بن ضابئ الحنظلى^(٥) التميمى ، فقال : أصلح الله الأمير ، أنا فى هذا البعثِ وأنا شيخٌ كبيرٌ عليلٌ ، وابنى هذا هو أقوى منى على الأسفار أَفْتَقِبْلُهُ مِنِّى بديلاً؟ فقال: نَفْعَلُ . ثم قال : ومن أنت ؟ قال : أنا عُمير بن ضابئ . قال : أسمعْتَ كلامنا بالأمس ! قال: نعم . قال : أَلَسْتُ الذى غَزَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ؟ قال: بلى . قال : يا عدو الله ، أفلا بعثت بديلاً إلى أمير المؤمنين ، وما حملَكَ على ذلك؟ قال: إنه حبس أبى ، وكان شيخاً كبيراً . قال: أولست القاتل^(٦) :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِى تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَاوْلُهُ
إِنِّى لِأَحْسِبُ أَنَّ فى قَتْلِكَ صَلاَحَ الْعِصْرَيْنِ ، وَأَمْرٌ بِهِ فَضْرَبَتْ
رَقِيَّتُهُ ، وَأَنْهَبَ مَالَهُ ، وَأَمْرٌ مَنَادِيًّا فَنَادَى : أَلَا إِنَّ عُمَيْرَ بْنَ ضَابِئٍ أَتَى

(١) التصف: شدة الريح .

(٢) اللكماء : الحُمَّاء من الإماء .

(٣) اربع على ظلعك : ارفق على نفسك فيما تحاوله (اللسان) .

(٤) فى الطبرى : ويصير

(٥) فى الطبرى : التميمى ثم الحنظلى .

(٦) والكامل : ٤-٣٥ ، والطبرى : ٦-٢٠٧ .

بعد الثالثة^(١)، وكان قد سمع النداء، فأمرنا بقتله، ألا وإن فِعةُ الله بريئةٌ ممن بات الليلة من جُندِ المهلب.

فخرج الناس فازدحموا على الجسر، وخرج العرفاء إلى المهلب وهو براءهمرمز، فأخذوا كتيبه بالمواقاة، فقال المهلب: قدم العراق اليوم رجل ذكر، اليوم فويل^(٢) العدو.

وقال: ولما قتل الحجاج عُميراً لقي إبراهيمُ بن عامر الأسدي عبد الله بن الزبير^(٣) [رضى الله عنهما]^(٤) في السوق، فسأله عن الخبر، فقال^(٥):

أقولُ لإبراهيمَ لَمَّا لَقِينَهُ أَرَى الْأَمْرَ أَضْحَى مُنْصِيباً مُتَشَعِّباً
تَجَهَّزْ فَأَسْرِعْ وَالْحَقَّ الْجَيْشُ لَا أَرَى مِوَى الْجَيْشِ إِلَّا فِي الْمَهَالِكِ مَذْعَباً
تَخِيرْ فَإِمَّا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِيهِ عُمَيْرًا وَإِمَّا أَنْ تَزُورَ الْمُهْلَبِ
هَما خَطَطًا خَسَفَ^(٦) نَجَاوُكُمِنْهُمَا رَكُوبُكَ حَوْلِيًا مِنَ الثَّلَجِ^(٧) أَشْهَبًا
فَحَالٌ وَلَوْ كَانَتْ خُرَاسَانُ دُونَهُ رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبًا

(١) في الكامل: بعد ثلاثة.

(٢) في د: قوتل العدد، والمثبت في ك.

(٣) الضبط في الكامل، ومعجم الشعراء: ٧٣.

(٤) ساقط في د.

(٥) الأبيات في الطبرى (٦-٢٠٩)، وفي الكامل (٤-٣٥)، والبيتان

الأخبران في معجم المرزبانى (٧٣).

(٦) في الطبرى: خطنا كره.

(٧) الحول: المهرأتى عليه الحول. وقوله: من الثلج — ير يد أن لونه أشد

شبهة من الثلج. وفي الكامل: من البلج.

قال : وكان الحجاجُ أولَ من عاقب بالقَتْلِ على التخلُّف عن الوجهِ الذى يُكتب إليه .

قال الشعبي : كان الرجل إذا أخْلُ بوجهه الذى يكتب إليه زمن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم تُزِعَت عِمَامَتُهُ ويُتَمَام للناس ، ويُشهر أمره ، فلما ولي مصعب قال : ما هذا بشيء ، وأضاف إليه خلقَ الرموس واللَّحَى ، فلما ولي يِشْر بن مروان زاد فيه ، فصار يُرْفَع الرجلُ عن الأرض ويسمَّرُ فى يديه مساران فى حائط ، فربما مات ، وربما خرق المسار يده ، فسلم .

فلما ولي الحجاج قال : كلُّ هذا لعب ، أضربُ عُنُقَ من يُخِلُّ^(١) بمكانه من الثغر .

قال : وكان قدوم الحجاج فى شهر رمضان ، فوجه الحكيم بن أيوب الثقفى على البصرة أميراً ، وأمره أن يشتدَّ على خالد بن عبد الله ، فبلغ الخبر خالداً فخرج عن البصرة فنَزَلَ الجَلْحَاء^(٢) وشيخه أهل البصرة فقسم فيهم ألف ألف .

(١) فى الكامل : بخل مكانه .

(٢) الجَلْحَاء — بفتح ثم سكون ، ثم حاء مهملة وألف ممدودة : موضع على ستة أميال من الغوير المعروف بالزبيدية بين العقبة والقاع (ياقوت) .

ذكر وثوب أهل البصرة بالحجاج

قال : ثم خرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة . فلما قدم البصرة خطبهم بمِثْلِ خطبته بالكوفة ، وتوعد من رآه منهم بعد ثلاثة ^(١) ، ولم يلحق بالمهلب ، فاتاه شريك بن عمرو البشكري وكان به فتق ، فقال : أصلى الله الأمير ، إن بي فتقاً ، وقد رآه يشمر بن مروان فعذرني ، وهذا عطائي مرذود في بيت المال ، فأمر به فضربت عنقه ، فلم يبقَ بالبصرة أحدٌ من عسكر المهلب إلا لحق به .

ثم سار الحجاج إلى رُسْتَقْبَاز ^(٢) وبينها وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً ، وقال حين نزل بها : يا أهل المِصْرَيْنِ ، هذا المكان والله مكانكم شهراً بعد شهر ، وسنة بعد سنة ، حتى يهلك الله عدوكم ، هؤلاء الخوارج المظلمين عليكم .

ثم خطب يوماً فقال : إن الزيادة التي زادكم إياها ابنُ الزبير إنما هي زيادةٌ مُلْحَدٌ فاسقٍ منافقٍ ، ولبسنا بُجَيزَها - وكان مصعب قد زاد الناس في العطاء مائة مائة - فقال عَبْدُ اللَّهِ بن الجارود : إنها ليست زيادة ابن الزبير ، إنما هي زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على يَدِ أَخِيهِ يَشْر .

(١) في الكامل : بعد ثلاثة . . .

(٢) رستقباد : موضع من أرض دستوا (المراصد) .

فقال له الحجاج : ما أنت والكلام ! لَتُحْسِنَنَّ حَمَلَ رَأْسِكَ أَوْ لَأَسْلُبَنَّكَ
إِيَّاهُ . فقال : وَلِمَ ؟ إني لك لَنَاصِحٌ ، وإن هذا لقول مَنْ وَرَأَى .

فنزل الحجاج ومكث أشهراً لا يذكر الزيادة ، ثم أعاد القول فيها ،
فردّ عليه ابن الجارود مثل رده الأول ، فقام مضطرباً بن كرب العبدي ،
فقال : إنه ليس للريّة أن تردّ على راعيها ، وقد سمعنا ما قال الأمير ،
فسمّنا وطاعةً فيما أحبّ ^(١) وكرهنا . فسبّه ابن الجارود وقام فأتاه
وجوه الناس فصورّوا رأيه وقوله ، وقال الهذيل بن عمران البرّجسي
وعبد الله بن حكيم بن زياد المجاشعي وغيرهما : نحن معك وأعوانك ،
إن هذا الرجل غير كافٍ حتى ينقصنا هذه الزيادة فهلمّ نبايعك على
إخراجه من العراق ، ثم نكتب إلى عبد الملك أن يؤلّي علينا غيره ، فإن
أبى خلعهناه ، فإنه هائب لنا ما دامت الخوارج .

فبايعه الناس سراً ، وأعطوه المواثيق على الوفاء ، وبلغ الحجاج ما هم
فيه ، فأحرز بيت المال .

فلما تمّ لهم أمرهم أظهروه ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة
[٥٧٦هـ] ست وسبعين ، واجتمع الناس على ابن الجارود حتى لم يبقَ
مع الحجاج إلّا خاصّته وأهل بيته ، وأرسل الحجاج أعينَ صاحب
حمام أعين ^(٢) إلى ابن الجارود يستدعيه ، فقال : لا كرامة لابن أبي
رغال ^(٣) ، ولكن ليخرج عنّا مذموماً مذخوراً ، وإلا قاتلناه . قال أعين :

(١) في الكامل : أحينا .

(٢) حمام أعين - بتثديد الميم : بالكوفة (ياقوت) .

(٣) رغال - ككتاب (القاموس) .

فإنه يقولُ لك : أَتَطِيبُ نَفْسًا بِقَتْلِكَ وَقَتْلِ بَيْتِكَ وَعَشِيرَتِكَ !
والذى نفسى بيده لئن لم تَأْتِ لِأَدْعَن قَوْمَكَ وَأَهْلِكَ خَاصَةً حَدِيثًا
لِلغَابِرِينَ .

وكان الحجاجُ قد حَمَلَ أَغْنَى هذه الرسالة ؛ فقال ابْنُ الجارود :
لولا أَنَّكَ رَسُولٌ لَقَتَلْتُكَ يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ ، وَأَمْرَفُوجِيءٌ فِي عُنُقِهِ ، وَأَخْرَجَ .
وَأَقْبَلَ ابْنُ الجارود بالناس زَحْفًا نحو الحجاج ، وكان رأيهم أَنْ
يُخْرِجُوهُ عَنْهُمْ وَلَا يَقَاتِلُوهُ . فلما صاروا إِلَيْهِ نَهَبُوا مَا فِي فُسْطَاطِهِ .
وَأَخْلَوْا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ مَتَاعِهِ وَدَوَابِهِ ، وجاء أَهْلُ الْيَمَنِ فَأَخَذُوا
امْرَأَتَهُ ابْنَةَ النعمان بن بشير ، وجاءت مُضَرَّ فَأَخْلَوْا امْرَأَتَهُ الْأُخْرَى
أُمَ سَلَمَةَ بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو أَخِي سُهِيلِ بْنِ عَمْرِو .

ثم إن القوم انصرفوا عن الحجاج وتركوه . فَأَتَاهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ فَصَارُوا مَعَهُ خَوْفًا مِنْ مُحَارَبَةِ الْخَلِيفَةِ ، فجعل الفَضْبَانِ
ابن الْقَيْعَثَرِيِّ الشَّيْبَانِي يَقُولُ لِابْنِ الجارود : تَعَشَّ بِالْجَدْيِ قَبْلَ
أَنْ يَتَغَدَّى بِكَ . أما ترى مَنْ قَدْ أَتَاهُ مِنْكُمْ ؟ وَلَئِنْ أَصْبَحَ لِي كَثْرُونَ
نَاصِرِهِ ، وَلِتَضَعُنَّ مُنْتَكَمًا^(١) .

فقال : قَدْ قَرُبَ الْمَسَاءُ ، وَلَكِنَّا نُعَاجِلُهُ بِالْغَدَاةِ ، وكان مع الحجاج
عُثْمَانُ بْنُ قَطَنَ ، وَزِيَادُ بْنُ عَمْرِو الْعَتَكِيُّ ، وَكَانَ زِيَادٌ عَلَى شَرْطَتِهِ بِالْبَصْرَةِ ،
فقال لهما : ماتريان ؟ فقال زياد : أَرَى أَنْ آخُذَ لَكَ مِنَ الْقَوْمِ أَمَانًا
وَتُخْرِجَ حَتَّى تُلْحَقَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ أَرَفَضَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَنْكَ ،
وَلَا أَرَى لَكَ أَنْ تُقَاتِلَ بَيْنَ مَعِكَ .

فقال عُثْمَانُ بْنُ قَطَنَ الْحَارِثِيُّ : لَكِنِّي لَا أَرَى ذَلِكَ ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

قد شركك في أمره ، وخطك بنفسه ، واستنصحك وسلطك ، فسرت
إلى ابن الزبير وهو أعظم الناس خطراً فقتله ، فوَلَاكُ الله شرف ذلك
وسنائه ، وولَاكُ أمير المؤمنين العراقيين ، فحيث جريت إلى المدى
وأصببت الغرض الأقصى تخرج على قعود إلى الشام ، والله لئن فعلت
لا نلت من عبد الملك مثل الذي أتت فيه من السلطان أبداً ، ولكنى
أرى أن نمشى بسيوفنا معك فنقاتل حتى نلقى ظفراً أو نموت كراماً .

فقال له الحجاج : الرأي ما رأيت ، وحفظ ^(١) هذه لعثمان ،
وحفدها على زياد ، وجاء عامر بن مسمع إلى الحجاج فقال : إني قد
أخذت لك أماناً من الناس ، فجعل الحجاج يرفع صوته ليسمع الناس
ويقول : والله لا أؤمنهم أبداً حتى يأتوا بالهذيل وعبد الله بن حكيم .
ومرَّ عباد بن الحصين الحبطي ^(٢) بابن الجارود وابن الهذيل وابن
حكيم وهم يتناجون ، فقال : أشركونا في نجواكم . فقالوا : هيهات
أن يدخل في نجوانا أحد من الحبط ، فغضب وسار إلى الحجاج
في مائة رجل ، فقال له الحجاج : ما أبالي من تخلف بعدك . وأتاه
قُتَيْبَةُ بن مسلم في قومه من بني أعصر ، وكان الحجاج قد يشس
من الحياة ، فلما جاءه هؤلاء اطمأن ، ثم جاءه سبرة بن على الكلابي ،
وسعيد بن أسلم بن زُرْعَة ، وجعفر بن عبد الرحمن بن مِخْنَفِ الأزدي ،
وأرسل إليه مسمع بن مالك بن مسمع يقول : إن شئت أتيتك ،
وإن شئت أقمت وثببت الناس عنك . فقال : أقم وثببت الناس عني .
فلما اجتمع للحجاج عدد ^(٣) يُمنع بمنهم خرج ، وعباً أصحابه ،

(١) في الكامل : هذا . (٢) في ك : الحبطي - تحريف .

(٣) في الكامل : جمع للحجاج عدد .

وتلاحق الناس به ، فلما أصبح إذا حوله ستة آلاف ، فقال ابن الجارود لعبيد الله بن زياد بن ظبيان : ما الرأي ؟ قال : تركتُ الرأي أمس حين قال لك الغضبان : تعش بالجدى قبل أن يتغذى بك . وقد ذهب الرأي وبقي الصبر .

فحرض ابنُ الجارود الناس ، وزحف بهم وعلى ميمنته الهذيل ابن عمران ، وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، وتقدم الحجاج وعلى ميمنته قتيبة بن مسلم ، ويقال عبّاد بن الحصين ، وعلى ميسرته سعيد بن أسلم ، فحمل ابنُ الجارود فى أصحابه حتى جاوز أصحاب الحجاج ، فعطف الحجاج عليه ، ثم اقتتلوا ساعة وعاد ابنُ الجارود بظفر ، فأتاه سهمٌ غرب^(١) ، فقتله ، ونادى منادى الحجاج بأمانِ الناس إلا الهذيل وعبد الله بن حكيم ، وأمر ألا يُتبع المنهزمون . فانهمز عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، فأتى سعيد [ابن عبّاد الجُلندى الأزدي بعمان ، فقبل لسعيد : إنه رجل فاتك فاحلره ، فلما جاء البطيخ بعث إليه]^(٢) بنصف بطيخة مسمومة ، وقال : هذا أول شئ جاءنا منه ، وقد أكلتُ نصف هذه ، وبعثتُ إليك بنصفها ، فأكلها عبيد الله فأحسّ بالشر ، فقال : أردتُ أن أقتله فقتلنى .

قال : وحمل رأس ابن الجارود وثمانية عشر من وجوه أصحابه إلى المهلب ، فنصبت ليراها الخوارجُ وبيأسوا من الاختلاف .

وحبس الحجاج عبيد بن كعب النميرى ومحمد بن [عمير بن]^(٣)

(١) يقال : أصابه سهم غرب — بالإضافة والتنوين ، أى لا يدري راميهِ (القاموس) .
(٢) ساقط فى ك .
(٣)

عطار د ، فإنه كان قد بعث إلى كلٍّ منهما يقول : هلمَّ إلى فامتنعني ، فقال : إن أتيتني منعتك . وحبس الغضبان وقال : أنت القاتل : تعش بالجدني قبل أن يتغدى بك ! فقال : مانفعت من قبلت له ولاضررت من قبلت فيه ! فكتب عبد الملك إلى الحجاج بإطلاقه .

ذكر ما كلم به الحجاج أنس بن مالك

رضى الله عنه وشكواه لإياه وما كتب به عبد الملك من الإنكار على الحجاج ومبته بسببه

قال : كان عبْدُ الله بن أنس بن مالك الأنصارى رضى الله عنه من قُتِلَ مع ابنِ الجارود ، فلما دخل الحجاج البصرة أخذ ماله ، فدخل عليه أنس بن مالك رضى الله عنه ، فحين رآه الحجاج قال له : لا مَرَجَبًا ولا أهلاً ، إيه يا خبيثة^(١) ، شيخُ ضلالة ، جوال في الفتن ، مرّة مع أبي ثراب ، ومرّة مع ابنِ الزُبَيْر ، ومرّة مع ابنِ الجارود ، أما والله لأجرذنك جرذ القضيبي ، ولأغصبتك عصب السلمة ، ولأفلعنك قلع الصمغة .

فقال أنس : مَنْ يَغْنَى الأمير؟ فقال : إياك أغنى ، أصمَّ الله صداك . فرجع أنس ، فكتب إلى عبد الملك كتاباً يشكو فيه الحجاج وما صنع به .

فكتب عبْدُ الملك إلى الحجاج : أما بعْدُ يا بنِ أم الحجاج فإنك عبْدٌ طمعت بك الأمور فغلوت فيها حتى علوت طورك ، وتجاوزت قدرك ، يا بنِ المستقرمة بعجم الزبيب^(٢) لأغمرنك غمرة كبعض

(١) واللسان . يا خبيثة : يا خبيث .

(٢) المستقرمة : التي تضع دواء تنضيق به . والعجم — بالتحريك :

نوى كل شيء (القاموس) .

غمرات اللبوث^(١) الثعالب ، ولأخبطنك خبطة تود لها لو أنك رجعت
فى مخرجك من بطن أمك . أما تذكر حال آبائك بالطائف حيث كانوا
ينقلون الحجارة على ظهورهم ، ويحفرون الآبار بأيديهم فى أوديتهم
ومياهم ، أم نسيت حال آبائك فى اللؤم والدناءة فى المروءة والخلق .

وقد بلغ أمير المؤمنين الذى كان منك إلى أنس بن مالك جراءة
وإقداماً ، وأظنك أردت أن تسبّر ما عند أمير المؤمنين فى أمره فتعلم
إنكاره ذلك وإغضائه عنك ، فإن سوغك ما كان منك مضيت عليه
قدماً ، فعليك لعنة الله من عبد أخفش العيين^(٢) ، أصك^(٣)
الرجلين ، ممسوح الجاعرتين^(٤) ، ولولا أن أمير المؤمنين ظن
أن الكاتب كثر [فى الكتابة]^(٥) عن الشيخ إلى أمير المؤمنين فيك
لأتاك من يسحبك ظهراً لبطن حتى يأتى بك أنساً فيحكم فيك ،
فأحزمت أنساً وأهل بيته ، وأعرف له حقه وخدتمته رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ولا تقصّر فى شئ من حوائجه ، ولا يبلغن أمير المؤمنين
عنك خلاف ما تقدم فيه إليك من أمر أنس وبره وإكرامه ، فبيعت
إليك من يضرب ظهره ، ويهتك منك ، ويؤشمك بك عدوك ،
وألقه فى منزله متنصلاً إليه ، وليكتب إلى أمير المؤمنين برضاه عنك ،
إن شاء الله . والسلام .

(١) اللبث : الأسد . وفى د : اللبوث ، والمثبت فى الكامل ، والعقد . وفيه :

اللبوث للثعالب .

(٢) أخفش - محرقة : صغر العين وضعف البصر خلفه (القاموس) .

(٣) رجل أصك : مضطرب الركبتين والعرقوبين (القاموس) .

(٤) الجاعرتان : حرفا الوركين المشرفين على الفخذين .

(٥) من الكامل .

وبعث بالكتاب مع إسماعيل بن عبد الله مولى بنى مخزوم ، فأتى
إسماعيل أنساً بكتاب عبد الملك فقرأه ، وأتى الحجاج بالكتاب فجعل
يقرؤه ووجهه يتغير ويتمعر^(١) ، وجبينه يرشح عرقاً ، ثم قال^(٢) :
يغفر الله لأمير المؤمنين .

ثم اجتمع بأنس فرحب به الحجاج ، وأذناه ، واعتذر إليه ،
وقال : أردت أن يعلم أهل العراق إذ كان من ابنك ما كان وإذ بلغت
منك ما بلغت أتى إليهم بالعقوبة أسرع .

فقال أنس : ما شكوت حتى بلغ منى الجهد ، وقد زعمت أنا
الأشرار ، وقد سمأنا الله الأنصار ، وزعمت أنا أهل النفاق ، ونحن
الذين تبوءوا الدار والإيمان ، وسيحكم الله بيننا وبينك ، فهو أقدر
على التغيير ، لا يشبه الحق عنده الباطل ، ولا الصدق الكذب ،
وزعمت أنك اتخذتني ذريعةً وسلماً إلى مساءة أهل العراق باستيحال
ما حرم الله عليك منى ، ولم يكن لى عليك قوة ، فوكلتكم إلى الله ثم
إلى أمير المؤمنين : فحفظ من حقى مالم تحفظ ، فوالله لو أن النصارى
على كفرهم رأوا رجلاً خدع عيسى ابن مريم يوماً واحداً لعرفوا من
حقه مالم تعرف أنت من حقى ، وقد خدمت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عشر سنين . وبعد فإن رأينا خيراً حمدنا الله عليه ، وأثنينا ،
وإن رأينا غير ذلك صبرنا . والله المستعان .

ورد عليه الحجاج ما كان أخذ منه .

(١) معروجه : غيره غيفلاً فتمعر (القاموس) . وفى الكامل : ويتغير .

(٢) فى د : ويقول .

ذكر ولاية سعيد بن أسلم السند وقتله

وولاية مُجَاعَةَ بنِ سِغْرٍ^(١) التميمى ووفاته

وفى هذه السنة استعمل الحجاج على السند سعيد بن أسلم ابن زُرْعَةَ ، فخرج عليه معاوية ومحمد ابنا الحارث العلاقيان . فقتلاه وغلبا على البلاد ، فأرسل الحجاج مُجَاعَةَ بنِ سِغْرٍ التميمى إلى السند ، فغلب على ذلك الثَّغْرِ ، وغَزَا وفتح أماكن من قَنْدَابِيل^(٢) ، ومات مُجَاعَةَ بعد سنة بمُكْرَانَ^(٣) . [والله أعلم] .^(٤)

ذكر خبر الزنج بالبصرة

قال : كان الزنج قد اجتمعوا بفُرات البَصْرَةِ فى آخر أيام مُصَنَّب ، ولم يكونوا بالكثير ، فأفسدوا . فلما ولى خالد بن عبد الله البَصْرَةَ كثُروا ، فشكا الناس إليه ما يَنَالُهم منهم ، فجمع لهم جَيْشًا ، فلما بلغهم ذلك تفرقوا ، وأخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم ، فلما كان من أمر ابن الجارود ما ذكُرناه اجتمع من الزنج خَلْقٌ كثير بالفُرات ، وجعلوا عليهم رجلاً منهم اسمه رباح ويلقب شيرزنجى^(٥) يعنى أُمَد الزنج ، [فأفسدوا]^(٦) ، فأمر الحجاج زياد بن عمرو وهو على شرطة البَصْرَةِ

(١) الضبط فى القاموس .

(٢) قندابيل : مدينة با لسند : قضية لولاية (المراصد) .

(٣) مكران- با لضم ، ثم السكون ، ونون ، وهى ولاية واسعة تشتمل على

مدن وقرى (المراصد) .

(٤) ساقط فى د .

(٥) فى د : شيرزنجى . والمثبت فى الكامل أيضا .

(٦) من الكامل .

لأنَّ يُرْسِلَ إليهم جيشًا ، فندب ابنه حفص بن زياد فقتلوه ، وهزموا أصحابه ، فسير إليهم جيشًا آخر فهزم الزنج وقتلهم ، واستقامت البصرة .

وفي هذه السنة حجَّ عبد الملك بالناس فخطب الناس بالمدينة ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه :

أما بعد فإني لستُ بالخليفة المستضعف - يعنى عثمان ، ولا بالخليفة المدامن - يعنى معاوية ، ولا بالخليفة المأفون ^(١) - يعنى يزيد ، ألا وإني لا أداوى هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لى قناتكم ، وإنكم تكلّفونا أعمالَ المهاجرين الأولين ولا تعملون مثْلَ أعمالهم : وإنكم تأمروننا بتقوى الله وتَنسَوْنَ ذلك من أنفسكم ، والله لا يأمرنى أحدٌ بتقوى الله بعد مقامى هذا إلا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ : ثم نزل .

سنة (٧٦ هـ) ست وسبعين :

ذكر ضرب الدنانير والدراهم الإسلامية

وفي هذه السنة ضَرَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بن مَرْوَانَ الدنانير والدراهم الإسلامية : وهو أوَّل مَنْ أَخَذَتْ ضَرْبُهَا فى الإسلام ، وكان سبب ذلك أنه كتب فى صُدُورِ الْكِتَابِ إلى الروم : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . وذكر النبىُّ صلى الله عليه وسلم مع التاريخ . فكتب إليه ملكُ الروم : إنكم قد أحَدْتُمُ هذا فاتركوه ، وإلا أتاكم فى دنانيرنا من ذِكْرِ نبيكم ماتكروهون . فعَظَّمَ ذلك على عَبْدِ الْمَلِكِ ، واستشار خالد بن يزيد بن معاوية ، فقال : حَرَّمَ دَنَانِيرَهُمْ ، واضرب للناس مِسْكَةً فيها ذِكْرُ اللَّهِ تعالى .

(١) فى ك : المأبون .

فصُرب الدنانير والدرهم ونقش عليها : قل هو الله أحد . فكَرِهَ الناس ذلك لمكان القرآن ؛ لأنَّ الجُنبَ والحائضَ تَمَسُّهُمَا ^(١) ، ثم ضربها الحجاج .
وقد قيل : إن مصعب بن الزبير ضربَ دَرَاهِمَ قليلة أيامَ أخيه عبد الله ، ثم كُسرت بعد ذلك في أيام عبد الملك . والصحيحُ أنَّ عَبدَ الملك أول مَنْ ضرب الدنانير والدرهم في الإسلام .

• • •

وفيها استعمل عبد الملك أبان بن عثمان على المدينة .

وفيها وُلد مروان بن محمد بن مروان .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير ^(٢) المدينة ، وكان على العرق الحجاج ، وعلى خراسان أمية بن عبد الله ، وعلى قضاء الكوفة سُرينج ، وعلى قضاء البصرة زُرارة بن أوفى .

سنة سبع وسبعين :

ذكر مقتل بكير بن وساج

وفي هذه السنة قَتَلَ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أمير خراسان بُكَيْرَ بْنَ وَسَاجٍ ^(٣) ، وسبب ذلك أن أُمِيَّةَ أَمَرَ بِكَيْرًا أَنْ يَتَجَهَّزَ لَغَزْوِ مَاوراءِ النَّهْرِ ، فتجهَّزَ وأنفق نفقةً كَثيرَةً ، فقال بِكَيْرُ بْنُ وَرْقَاءَ لَأُمِيَّةَ : إن صار بينك وبينه النَّهْرُ خلع الخليفة . فَأرسل إليه أُمِيَّةُ يَقول : أَقِمْ لَعَلَّيْ أَغْزَوْ فَتَكُونُ مَعِي ، فغَضِبَ بِكَيْرٌ ، وكان قبل ذلك قد ولَّاه طَخَارِسْتَانَ ، وأنفق

(١) في ك : تلمسها .

(٢) في الطبرى : أمير على المدينة .

(٣) الضبط في القاموس ، وفي الطبرى : وشاح . وقد تقدم الخلاف فيه .

نفقة عظيمة ، فحذّره بِكَيْرٍ منه فمنعه منها ، ثم إن أمية تجهّز
للغزو إلى بُخارى وتجهّز معه الناس ، وفيهم بُكَيْرُ بن وَسَّاج ، فلما بلغوا
النهر وأرادوا قطّعه قال أمية لبُكَيْرٍ : إني قد استخلفتُ ابني على خراسان
وأخاف أنه لا يضبطها ، لأنّه غلام حَدَث ، فارجع إلى مرو فاكفنيها ،
فقد وليتكمها ، فقم بأمر ابني .

فانتخب بُكَيْرُ فُرْسَانًا كان قد عرفهم ووثق بهم ، ورجع . ومضى
أمية إلى بُخارى فقال عُمَابُ (١) الغداني لبُكَيْرٍ : إنا طلبنا أميرًا من
قريش ، فجاءنا أميرٌ يلب بنا ، يحولنا من سجن إلى سجن ، وإني أرى
أنّ تحرق هذه السفن ، ونمضي إلى مرو ، ونخلع أمية ونقيم بمرو ،
نأكلها إلى يومٍ ما ، ووافقه الأحنف بن عبد الله العنبري على هذا ، فقال
بُكَيْرُ : أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي . قال : إن هلك
هؤلاء أنا آتيك من أهل مرو بما شئت . قال : يهلك المسلمون . قال :
إنما يكفيك أن يُنادى مناد : من أسلم رَقَعْنَا عنه الخراج ، فبأتيتك
خمسون ألفًا أسمعُ من هؤلاء وأطوع . قال : فيهلك أمية ومن معه .
قال : ولِمَ يهلكون ولهم عددٌ وعدّةٌ ونَجدةٌ وسلاحٌ ظاهر ، ليقَاتِلُوا
عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين .

فأحرق بُكَيْرُ السفنَ ، ورجع إلى مرو ، فحبس ابن أمية وخلع
أمية ، وبلغ أمية الخبر ، فصالح أهل بخارى على فديةٍ قليلة ، ورجع
وأمر (٢) باتخاذ السفن ، وعبر ، وذكر للناس إحسانه إلى بُكَيْرٍ مرةً
بعد أخرى ، وأنه كافأه بالعُصيان .

(١) الضبط من القاموس والإكمال . وفي د ، والطبري : عتاب . ويقال له :

(٢) في الطبري : قاهر .

ذو اللقوة .

وسار إلى مَرَوْ، وأرسل شَمَّاسَ بنِ دِثَارٍ في ثمانمائة ، فسار بُكَيْرٌ
إليهم ، فانهمز شَمَّاسُ ، وأمر أصحابه ألا يَقْتُلُوا مِنْهُمْ أَحَدًا ، فكانوا
يَأْخُذُونَ مِصْلَاحَهُمْ ويطلقونهم . وقدم أميةٌ فتلقاه شماس ، فقدم ثابت
ابن قُطَيْبَةَ فَلَقِيَهُ بُكَيْرٌ فَأَسْرَهُ ، وفرَّقَ جَمْعَهُ ، ثم أطلقه لِيَدِ كَانَتْ
لثابت عنده . وأقبل أميةٌ وقاتله بُكَيْرٌ فكان بينهما وقعتان في أيامٍ ،
فانكشف أصحابُ بُكَيْرٍ في بعضها ، فاتبعه حُرَيْثُ بن قُطَيْبَةَ
حتى بلغ القَنْطَرَةَ وناداه إلى أين يا بُكَيْرُ ! فرجع فضربه حُرَيْثُ على
رأسه فقطع المِغْفَرَ ، وعَضَّ السيفُ برأسه فقطع فُصْرَعُ ، واحتمله
أصحابُهُ فَأَدْخَلُوهُ الْبَلَدَ .

وكان أصحابُ بُكَيْرٍ يَفْدُونَ ^(١) في الثياب المصبغة فيجلسون
يتحدثون . وينادى مُتَابِعُهُمْ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ رَمَيْنَا إِلَيْهِ بِرَأْسِ رَجُلٍ مِنْ
وَلَدِهِ وَأَهْلِهِ ، فلا يرى منهم أَحَدٌ .

وخاف بُكَيْرٌ أَنْ طَالَ الْحَصَارُ أَنْ يَخْذُلَهُ النَّاسُ ، فطلب الصلح ،
وأحبَّ ذلك أيضًا أصحابُ أمية ، فاصطلحوا على أَنْ يَقْضِيَ عَنْهُ أُمِيَّةُ
أَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ ، ويصل أصحابُهُ ويوليه أَى كُورٍ خِرَاسَانَ شَاءَ ،
ولا يسمع قَوْلَ بَحِيرٍ فِيهِ ، وَإِنْ رَأَى رَيْبٌ فَهُوَ آمِنٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا .

ودخل أمية مدينةَ مَرَوْ ، ووقى لِبُكَيْرٍ ، وعاد إلى ما كان مِنَ
الْكَرَامَةِ ^(٢) ، وأعطى أمية عُمَّالِيًا ^(٣) عَشْرِينَ أَلْفًا ، وكان أمية سهلا

(١) في الكامل ، والطبرى : يغلون .

(٢) في الكامل : لإكرامه . وفي الطبرى : إلى ما كان عليه من الإكرام .

(٣) في ك : عتابة . وانظر هامش رقم ١ صفحة ٢٢٥ .

لَيْتًا سَخِيًّا، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ ثَقِيلًا عَلَى أَهْلِ خُرَاسَانَ، وَكَانَ فِيهِ زَهْدٌ ^(١).
 وَعَزَلَ أُمِيَّةٌ بِحَيْرًا عَنْ شَرْطَتِهِ وَوَلَّاهَا عِطَاءَ بْنِ أَبِي السَّائِبِ، وَطَالَبَ
 أُمِيَّةُ النَّاسَ بِالْخُرَاجِ وَاسْتَدَّ عَلَيْهِمْ، فَجَلَسَ بِكَيْرٍ فِي الْمَسْجِدِ وَعِنْدَهُ
 النَّاسُ، فَذَكَرُوا شِدَّةَ أُمِيَّةٍ قَذَمُوهُ وَبَحِيرَ، وَضَرَّارَ بْنَ حَصْنٍ ^(٢)،
 وَعَبْدَ ^(٣) الْعَزِيزِ بْنِ جَارِيَةَ بْنِ قُدَّامَةَ فِي الْمَسْجِدِ، فَنَقَلَ بِحَيْرَ ذَلِكَ
 إِلَى أُمِيَّةٍ فَكَذَّبَهُ، فَادَّعَى شَهَادَةَ هَؤُلَاءِ، فَشَهِدَ مُزَاحِمُ بْنُ أَبِي الْمُجْشَرِ
 السَّلْمِيُّ أَنَّهُ كَانَ يَمَزَّحُ، فَتَرَكَهُ أُمِيَّةٌ، ثُمَّ إِنَّ بِحَيْرًا أَتَى أُمِيَّةً وَقَالَ:
 وَاللَّهِ إِنْ بُكِّرْتُ قَدْ دَعَانِي إِلَى خَلْعِكَ، وَقَالَ: لَوْلَا مَكَانُكَ لَقَتَلْتُ هَذَا
 الْقُرْشِيَّ، وَأَكَلْتُ خُرَاسَانَ. فَلَمْ يَصَدِّقْهُ أُمِيَّةٌ، فَاسْتَشْهَدَ جَمَاعَةُ
 ذَكَرَ بِكَيْرٍ أَنَّهُمْ أَعْدَاؤُهُ. فَقَبِضَ أُمِيَّةٌ عَلَى بِكَيْرٍ وَعَلَى ابْنَيْ أَخِيهِ:
 بَدَلٍ، وَشَمْرَدَلٍ، ثُمَّ أَمَرَ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ بِقَتْلِ بِكَيْرٍ، فَامْتَنَعُوا فَأَمَرَ
 بِحَيْرًا بِقَتْلِهِ فَقَتَلَهُ، وَقَتَلَ أُمِيَّةٌ ابْنَ أَخِي بِكَيْرٍ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ.

وَفِيهَا مَاتَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ.

سنة (٧٨ هـ) ثمان وسعين

فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أُمِيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ
 خُرَاسَانَ وَسَجِسْتَانَ؛ وَضَمَّهُمَا إِلَى أَعْمَالِ الْحِجَاجِ، فَاسْتَعْمَلَ

(١) فِي الْكَامِلِ، وَالطَّبَرِيُّ: زَهُو شَدِيدٌ.

(٢) فِي الْكَامِلِ: حَصْنٌ. وَالمُثَبِّتُ فِي الطَّبَرِيِّ أَيْضًا.

(٣) فِي الْكَامِلِ: وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَارِيَةَ، وَالمُثَبِّتُ فِي الطَّبَرِيِّ أَيْضًا.

الحجاجُ المهلبُ بن أبى صُفْرة على خراسان وعُبَيْد^(١) الله بن أبى بكرة على سجستان ، فبعث المهلب ابنه حَبِيباً إلى خُراسان ، فلما ودَّع الحجاج أعطاه بَقْلَةً خَضْرَاءَ ، فسار عليها وأصحابه على البريد ، فوصل خُراسان فى عشرين يوماً ، فلما دخل باب مرو لقيه حِمْلٌ حَطَبٍ ، فنقرت البَقْلَةُ فمَجِبُوا مِنْ نِقَارِهَا بعد ذلك التعب وشدة السير ، ولم يعرض لأمية ولا لعماله ، وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلبُ فى سنة [٥٧٩ هـ] تسع وسبعين .

وحجَّ بالناس [فى هذه السنة]^(٢) أبان بن عثمان^(٣) ، وكان العمال مَنْ ذَكَرْنَا ، وعلى قضاء الكوفة شُرَيْحٌ ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس .

سنة (٧٩ هـ) تسع وسبعين :

فى هذه السنة استعفى شُرَيْحُ بن الحارث من القضاء فأعفاه الحجاج ، واستعمل على القضاء أبَا بُرْدَةَ بن أبى موسى . وحجَّ بالناس أبان بن عثمان وهو أمير المدينة .

سنة (٨٠ هـ) ثمانين :

فى هذه السنة حجَّ بالناس أبان بن عثمان ، وفيها توفى أبو إدريس الخولاني ، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب . وقيل سنة [٨٤ هـ] أربع وثمانين ، وقيل سنة خمس . وقيل سنة ست . وقيل سنة تسعين . والله أعلم .

(١) فى ك : وعبد الله . والمثبت فى الطبرى أيضا .

(٢) ساقط فى د .

(٣) فى الطبرى : وحجَّ بالناس فى هذه السنة الوليد بن عبد الملك وكان أمير المدينة فى هذه السنة أبان بن عثمان .

وفيهما توفي محمد بن علي بن أبي طالب [رضي الله عنهما] ^(١) ، وهو
ابنُ الحنفية ، ومات جماعة من الصحابة رضي الله [تعالى] ^(٢) عنهم
[أجمعين] ^(٣) .

سنة (٨١ هـ) إحدى وثمانين :

ذكر مقتل بعير بن ورقاء

[بشر القاتل بالقتل لأنه كان سبياً وباعثاً لقتل بكير بن وساج] ^(١)

في هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصريمي . وكان سبب قتله
أنه لما قتل بكير بن وساج وكلاهما كان تميمياً - قال عثمان بن رجاء
ابن جابر أحد بني ^(٢) عوف بن سعد من الأبناء ، والأبناء عدة بطون
من تميم ، يُحرّض ^(٣) بعض آل بكير من الأبناء على الطلب بشأره ^(٤) :

العمري لقد أغضبت عينا على القلدي

وبيت بطينا من رحيق مرووق ^(٥)

وخليت ^(٦) ثاراً طل واخترت نومة

ومن شرب ^(٧) الصهباء بالوتر يسبق

فلو كنت من عوف بن سعد ذؤابة

تركت بجيراً في دم مترقـرق

(١) ساقط في د .

(٢) في ك . حدثني . والمثبت في الكامل ، والطبري .

(٣) في الطبري : يحض .

(٤) معجم الشعراء : ٩١ ، والكامل : ٤-٧٥ ، والطبري : ٦-٣٣١ .

(٥) في المرزباني : معتق .

(٦) في المرزباني : وخيلت .

(٧) في الكامل ، والمرزباني : ومن يشرب .

فقل لَبَحِيرَ نَمَّ وَلَا تَخْشَ ثَانِــــراً
 بَيَّكْرُ (١) فعوف أَهْلُ شَاءَ حَلَقِ (٢)
 دَع (٣) الضَّانَ يوما قد سُبِقْتُمْ بوتركم
 وصرْتُم حليثاً بين غَرْبٍ ومشرق
 ومُتَّبِعُوا فلو أنسى (٤) يُكَيِّرُ كَمَهْـــــــده
 لغاداهُمــــو زَحْفًا بجأواء فَيَلْتَقِ (٥)
 وقال أيضاً (٦) :

فلو كان بكرٌ بارِزاً فى أدَاتِــــه
 وذى العَرْشِ لم يُقَدِّم عليه بَحِــــيرُ
 ففى الدهر إن أَبْقَانِ الدَّهْرِ مَطْلَبُ
 وفى الله طَلَّابٌ بـلْذاك جَدِــــيرُ
 فبلغ بحيراً أن رَهْطَ بُكَيْرٍ من الأبناء يتوعَّدونه ، فقال (٦) :
 تَوَعَّدْتِ الأَبْنَاءَ جَهْلًا كَأَنَّـــــــا
 يَرَوْنَ فِتْنَتِي مُقْفِرًا من بنى كَمـــــــبِ

-
- (١) فى ك : بكر . وفى الطبرى ، والمرزبانى : يعوف .
 والمثبت فى الكامل أيضاً .
 (٢) فى الطبرى : أهل شاة ، والحليق : صغار الغنم .
 (٣) فى الكامل : دعوا ...
 (٤) فى ك : آسى .
 (٥) فى المرزبانى : كهمدكم صحيحاً لغاداهم وفى الطبرى : كهمده
 صحيحاً لغاداهم ...
 (٦) والطبرى : ٦-٣٣١ ، والكامل : ٤-٧٦ .

رَفَعْتُ لَهُ كَفَى بَعْضُ (١) مُهْنٌ

حُسَامٍ كُلُّونِ (٢) الْمِلْحِ (٣) ذِي رَوْتِي عَضِبِ

فتعاقد سبعة (٣) عشر من بنى عَوْفٍ على الطلب بَدَمٍ بُكَيْرٍ ،
فخرج فتنى منهم يقال له شَمْرُذَل (٤) من البادية حتى قدم خُرَاسَانَ ،
فرأى بِحِيرًا واقفًا ، فحمل عليه فطعنَه فصرعه ، وظنَّ أنه قَتَلَهُ ، وركض ،
فشر به فرسه فسقط عنه فقتل . وخرج صَعَصَعَةُ بن حرب العوفي
من البادية ، ومضى إلى سجستان ، فجاور قرابةً لَبَحِيرٍ مدَّةً ، وأدعى
أنه من بنى حنيفة من اليمامة ، وأطال مُجَالَسَتَهُمْ حتى أنسوا به ،
ثم قال لهم : إن لى بخراسان ميراثًا فاكتبوا لى إلى بِحِيرٍ كتابًا
ليُعيِننى عَلَى حَسَى . فكتبوا له ، وسار فقدم على بِحِيرٍ فأخبره أنه من
من بنى حنيفة وأنَّ له مَالًا بسجستان وميراثًا بِمَرُو ، وقدم لبيعه (٥)
ويعود إلى اليمامة . فأنزله بِحِيرٌ ، وأمر له بنفقةً ، ووعدته المساعدة .
وكان بِحِيرٌ قد حَذِرَ ، فلما قال له : إنه من بنى حنيفة أَمِنَهُ ،
وكان إذ ذاك فى الغزو مع المهلب . فقال له : أقيم معك حتى ترجعَ
إلى مَرُو ، فأقام شهرًا يحضر معه باب المهلب ، فجاء صَعَصَعَةُ يومًا
وَبَحِيرٌ عند باب المهلب وعليه قميص ورداء ، فقعده خلفه ، ودنا منه
كأنه يكلمه ، فوجَّاه بِخَنْجَرٍ معه فى خاصرته ، فغيبه فى جَوْفِهِ ؛
ونادى بالثارات بكير ! فَأَخَذَ وَأَتَى به المهلب ، فقال له : بؤسًا لك !

(١) فى الطبرى : بحد مهنت وفى الكامل : بسيف ...

(٢) فى الكامل : كلون الملح .

(٣) فى ل : سبع .

(٤) فى الطبرى : الشمرذل .

(٥) فى د : لبيعه .

ما أدرَكَتَ بِشَارِكَ ، وقتلتَ نَفْسَكَ ، وما على بَحِيرٍ بِأَس ! فقال :
لقد طعنته طعنةً لو قُسِّمَت بين الناس لماثوا . ولقد وجدت ريح
بطْنِهِ فى يَدِي .

فحبسه المهلب ، ومات بَحِيرٌ من الغد ، فقال صعصعة : اصنعوا
الآن ما شئتم ، أليس قد خَلَّتْ خلدور ^(١) نساء بنى عوف ، وأدرَكَت
بشَارِي . والله لقد أمكننى منه [ما صنعت] ^(٢) خالياً غير مرة ،
فكرهت أن أقتله سراً .

فقال المهلب : ما رأيتُ رجلاً أَسْحَى نفساً بالموت من هذا ،
وأمر بقتله ، فقتل .

وقيل : إنه بعثه إلى بَحِيرٍ قبل أن يموتَ فقتله ، وغضبت عوف
والأبناء وقالوا : علام قُتِلَ صاحبُنَا ، وإنما أخذَ بشَارَهُ ، فنازعَهم
مُتَعَارِسٌ والبطون ، وكلُّهم بطون من عجم ، حتى خاف الناس أن يعظم
الأمر ، فقال أهلُ الجَحَا : احمِلُوا دَمَ صعصعة ، واجعلوا دَمَ بَحِيرٍ
[أبواء] ^(٣) ببيكبير ، فودَّوا صعصعة ، فقال رجل من الأبناء يمدح
صعصعة ^(٤) :

لِلَّهِ دَرٌّ قَتَى تَجَاوَزَ هُمُهِ دُونَ الْعِرَاقِ ^(٥) مَقَاوِزًا وَيُحَوِّرَا
مَا زَالَ يُدْثِبُ ^(٦) نَفْسَهُ وَرِكَابَهُ حَتَّى تَنَاوَلَ فِي الْخُزُونِ ^(٧) بَحِيرَا

(١) فى الطبرى والكامل : جلبت نفور نساء بنى عوف .

(٢) زيادة من الطبرى .

(٣) والطبرى : ٦-٣٣٤ ، والكامل : ٤-٧٧ .

(٤) فى ك : دون القرات .

(٥) فى الطبرى : يدأب ... ويكدها .

(٦) فى الكامل : فى الخروب . وفى الطبرى : فى خرون ١

ذكر خلاف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

على الحجاج وما كان بينهما من الحروب

كان ابتداء خلافه على الحجاج في هذه السنة ، واستمرت الوقائع التي نذكرها بينهما إلى سنة [٨٨٣] ثلاث وثمانين ، وقد رأينا أن نجتمع أخباره بجملة في هذا الموضع ، ولا نَقْطَعُها بغيرها ، ونميز كل وقعة منها بتاريخها .

وكان سبب خلافه أن الحجاج لما بعثه في الجنود إلى بلاد رُثَيْبِيل في سنة [٨٨٠] ثمانين كما ذكرنا في الغزوات ، وملك ماملِك من من حصون رُثَيْبِيل ، واستولى على ما استولى عليه من بلاديه ، وأقام ، وكتب إلى الحجاج يُعْرِفُهُ أنه رأى ترك التوغُّل في بلاد رُثَيْبِيل حتى يعرفوا طُرُقَهَا وَيَجْبُوا خراجها .

فلما ورد كتابه على الحجاج كتب إليه : إِنَّ كِتَابَكَ كِتَابُ امْرِئٍ يَحِبُّ الْهَذْنَةَ ، وَيَسْتَرِيخُ إِلَى الْمَوَادَعَةِ : فَاْمْضُ إِلَى (١) مَا أَمَرْتُكَ مِنَ الْوُغُولِ فِي أَرْضِهِمْ ، وَالْهَذْمِ لِحَصُونِهِمْ ، وَقَتْلِ مَقَاتِلَتِهِمْ ، وَسَبْيِ ذُرَارِيهِمْ ، ثُمَّ أَرْدِفْهُ كِتَابًا آخَرَ [يَنْخُذُ ذَلِكَ] (٢) ، وفيه :

أما بعد فَمُرُّ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَخْرِثُوا وَيَقِيمُوا بِهَا ، فَإِذَا دَارَهُمْ حَتَّى يَفْتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

ثم كتب إليه كتابًا ثالثًا كذلك ، ويقول : إِنْ مَضَيْتَ إِلَى مَا أَمَرْتُكَ

(١) في ك : لا .

(٢) م د .

وإِلَّا فَأَخْرُكُ إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَمِيرُ النَّاسِ . فَدَعَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاسَ وَقَالَ لَهُمْ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ وَلِصْلَاحِكُمْ مُجِيبٌ ، وَلَكُمْ فِي كُلِّ مَا يُحِيطُ بِهِ نَفْعُكُمْ ^(١) نَاطِرٌ ، وَقَدْ كَانَ رَأْيِي فِيَّائِي بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُوِّ ^(٢) مَارِضِيَّهِ ذَوُو أَحْلَامِكُمْ وَأَوَّلُو التَّجَرُّبَةِ مِنْكُمْ ، وَكَتَبْتُ بِذَلِكَ إِلَى أَمِيرِكُمْ الْحِجَاجِ ، فَأَتَانِي كِتَابُهُ يَعْجِزُنِي وَيَضْعِفُنِي وَيَأْمُرُنِي بِتَعْجِيلِ الْوُغُولِ بِكُمْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ ، وَهِيَ الْبِلَادُ الَّتِي هَلَكَ فِيهَا إِخْوَانُكُمْ بِالْأَمْسِ ، وَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ أَمْضِي إِذَا مَضَيْتُمْ ، وَأَتِي إِذَا أَبَيْتُمْ .

فَنَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَقَالُوا : بَلْ ، نَأْتِي عَلَى عَدُوِّ اللَّهِ ، وَلَا نَسْمَعُ لَهُ وَلَا نَطِيعُ .

فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ الْكِنَانِيُّ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ ، فَقَالَ - بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْحِجَاجَ يَرَى بِكُمْ مَا رَأَى الْقَائِلُ الْأَوَّلُ [إِذْ قَالَ لِأَخِيهِ] ^(٣) : احْمِلْ عَبْدَكَ عَلَى الْفَرَسِ ، إِنْ هَلَكَ هَلَكَ ، وَإِنْ نَجَا فَلَكَ . إِنَّ الْحِجَاجَ لَا يُبَالِي أَنْ يَخَاطِرَ بِكُمْ فَيُقْصِمَكُمْ بَلَايَا ^(٤) كَثِيرَةً ، وَيَغْشَى بِكُمْ اللَّهُوبَ وَاللَّصُوبَ ^(٥) ، فَإِنْ ظَفَرْتُمْ وَغَنِمْتُمْ أَكَلَّ الْبِلَادَ وَحَازَ الْمَالَ ، وَكَانَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي سُلْطَانِهِ ؛

(١) فِي الطَّبْرِيِّ : وَلَكُمْ فِي كُلِّ مَا يَحِيطُ بِكُمْ نَفْعُهُ . وَالْمَثْبُتُ فِي الْكَامِلِ أَيْضًا .

(٢) فِي الطَّبْرِيِّ : عَدُوَّكُمْ .

(٣) زِيَادَةُ فِي الطَّبْرِيِّ .

(٤) فِي ذِكْرِ : بِلَادًا .

(٥) اللَّهُوبُ : جَمْعُ لُحْبٍ ، وَهُوَ وَجْهٌ مِنَ الْجَبَلِ لَا يُمْكِنُ ارْتِفَاقُهُ . وَاللَّصْبُ :

مَضِيقُ الْوَادِي ، وَجَمْعُهُ لَصُوبٌ (الْقَامُوسُ) .

وإن ظفر عدوكم كُنْتُمْ أَنْتُمْ الأعداء البغضاء الذين لا يبالي عنتهم ،
ولا يُتَمَقَّى عليهم ، اخلعوا عَدُوَّ اللَّهِ الحجاج ، وبأيعوا الأمير عبد الرحمن ،
فإني أشهدكم أنني أولُّ خالع .

فنادى الناس من كل جانب : فَعَلْنَا فَعَلْنَا ، قد خلعنا عَدُوَّ اللَّهِ .
وقام عبد المؤمن بن شُبَيْث بن رِبْعِي ثانياً فتكلَّم ، وندب النَّاسَ
إلى مُبايعة عبد الرحمن ، فبايعوه على خَلْع الحجاج ونَفْيِهِ من العراق ،
ولم يذكر عَبْدُ الْمَلِكِ ، فوثبَ النَّاسُ إلى عبد الرحمن فبايعوه على خَلْعِ
الحجاج ونَفْيِهِ وعلى النَّصْرَةِ له ، فصالح عبد الرحمن رُثَيْبِلَ على أَنَّهُ
إن ظهر فلا خراج على رُثَيْبِلَ أبداً ، وإن هُزِمَ فأَرَادَهُ مِنْهُ ^(١) .

ثم جعل عَبْدُ الرَّحْمَنِ على بُسْت عِيَاضَ بن هَمِيَانَ الشَّيْبَانِي
وعلى زُرْنِج ^(٢) عبد الله بن عامر التميمي ، وعلى كِرْمَانَ خَرْشَمَةَ بن عمرو
التميمي ، ورجع إلى العراق ، وجعل على مَقْدَمَتِهِ عطية بن عَمْرٍو
العنبري .

فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا :
إذا خَلَعْنَا الحجاجَ عامل عبد الملك فقد خلعنا عَبْدَ الْمَلِكِ ، فاجتمعوا
إلى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فكان أول الناس خلع عبد الملك تيجان ^(٣)
ابن أبجر بن تَيْمِ اللَّهِ بن ثعلبة ^(٤) ، قام فقال : أيها الناس ، إني خلعت

(١) في الطبري : أَلْجَاهُ عنده .

(٢) زرنج - بفتح أوله وثانيه ، ونون ساكنة : وجم : مدينة هي قسبة

مسيستان (باقوت) .

(٣) في الطبري : تيجان - بالحاء المهملة .

(٤) في الطبري : من بني تيم الله .

أبا ذِيَّان (١) كخلفى خاتمى (٢) ، فخلعه الناسُ إلَّا قليلا منهم ،
وبايعوا عبْدَ الرحمن . وكانت بيعته يبايعون على كتاب الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى جهادِ أهل الضلالة ، وتخلعهم ،
وجهاد المحلّين .

فلما بلغ الحجاج خلعه كتبَ إلى عبْدِ الملك بالخبر ، ويسأله
أن يعجّل بعثة الجنود إليه . وسار الحجاج حتى بلغ البصرة .

ولما وصل كتابُ الحجاج إلى عبد الملك هالَه ، ودعا خالد بن يزيد
فأقرأه الكتاب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان هذا الحدث من
سجستان فلا تخفّه ، وإن كان من خراسان فإني أتخوّف .

فجهزَ عبد الملك الجُنْدَ على البريد ، فكانوا يصلون من مائة ومن
خمسین وأقل من ذلك وأكثر ، وسار الحجاج من البصرة إلى تُسْتَر (٣) ،
وقدم مقدمته إلى دُجَيْل ، فلقوا خَيْلاً لعبد الرحمن ، فانهزم أصحابُ
الحجاج بعد قتالٍ ، وذلك يوم الأضحى سنة [٨١١هـ] إحدى وعثمانين ،
وقتل منهم جمع كثير .

فلما أتى خَبْرُ الهزيمة إلى الحجاج رجع إلى البصرة وتبعه أصحابُ
عبد الرحمن ، فقتلوا من أصحابه وأصابوا بَعْضَ أثقالهم . وأقبل
الحجاج حتى نزل الزاوية (٤) ، وجمع عنده الطعام ، وفرّق في الناس

(١) أبو ذيان : كنية عبد الملك بن مروان .

(٢) في الطبرى والكامل : قميصى .

(٣) مدينة بخوزستان (المراصد) .

(٤) الزاوية : عدة مواضع ، منها قرية بالموصل ، وموضع قرب البصرة .

كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وابن الأشعث (المراصد) .

مائة وخمسين ألف درهم ، وأقبل عبدُ الرحمن حتى دخل البصرة فباعه جميعُ أهلها .

وكان السبب في سرعة إجابتهم إلى بيعته أنَّ عمَّال الحجاج كتبوا إليه إنَّ الخراج قد انكسر ، وإنَّ أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار .

فكتب إلى البصرة وغيرها : إنَّ مَنْ كان له أصل في قرية فليخرج إليها ، فأخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية ، فجمعوا يبنكون وينادون : يا محمداه ! يا محمداه ! وجعل قراء البصرة يبنكون .

فلما قدم ابنُ الأشعث إثر ذلك بايعوه على حرب الحجاج ، وخلع عبد الملك ، وختنق الحجاج على نفسه ، وختنق عبد الرحمن على البصرة ، وكان دخوله البصرة في آخر ذى الحجة .

ذكر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث

وانهزم ابن الأشعث من البصرة إلى الكوفة

وفي المحرم سنة [٨٢٢هـ] انتنن عثمانين واقتتل عسكرُ الحجاج وعسكر ابن الأشعث قتالاً شديداً ، وكان بينهم عدة وقعات ، فلما كان آخر يومٍ من المحرم اشتدَّ القتال ، فانهزم أصحابُ الحجاج حتى انتهوا إليه ، وقاتلوا على خنادقهم ، ثم تراحفوا فتنقوض أصحابُ الحجاج ، فجثا على رُكبتيه ، وقال : لله دَرُّ مصعب ! ما كان أكرمهُ حين نزل به مانزل ، وعزم على أنه لا يغير .

فحمل سفيان بن الأبرد على ميمته ابن الأشعث فهزمها ، وانهزم

أهلُ العراق ، وأقبلوا نحو الكوفة مع عَبْدِ الرحمن ، وقتل منهم خلقٌ كثير ، منهم : عقبه بن عيد الغافر الأزدي وجماعة من القراء .

ولما بلغ ابنُ الأشعث الكوفة تبعه أهلُ القوة وأصحابُ الخيل من البصرة ، واجتمع من بقي بالبصرة مع عبد الرحمن بن عباس ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فبايعوه ، فقاتل بهم الحجاج خمَسَ ليالٍ أشدَّ قتالَ رآه الناسُ ، ثم انصرف فلحق بابن الأشعث معه (١) طائفة من أهل البصرة ، وهذه الرقعة تُسمَّى وقعة الزاوية .

وقتل الحجاجُ في هذا اليوم بعد الهزيمة أحدَ عشر ألفًا خدعهم بالأمان ، أمر مُتأدياً فنادى : الأمان لفلان وفلان ، سُمي رجالاً ، فقال العامة : قد أمن الناس ، فحضروا عنده ، فأمر بهم فقتلوا .

قال : وكان الحجاجُ عند مسيره من الكوفة إلى البصرة استعمل عليها عبدُ الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي حليف بنى أمية ، فقصده مطر بن ناجية اليربوعي ، فتحصن منه ابن الحضرمي في القصر ، فوثب أهلُ الكوفة مع مطر ، فأخرج ابن الحضرمي ومن معه من أهل الشام ، وكانوا أربعة آلاف ، واستولى مطر على القصر ، واجتمع إليه الناس ، ففرق فيهم لكل إنسان مائتي درهم .

فلما وصل ابنُ الأشعث إلى الكوفة كان مطر بالقصر ، فخرج أهلُ الكوفة يستقبلونه ، فدخل الكوفة ، وقد سبق إليه همدان فكانوا حوله ، فأتى القصر فمنعه مطر بن ناجية ومن معه من بني تميم ، فأصعد

(١) في الطبرى ، والكامل : وتبعه .

عبد الرحمن الناس في السلايم إلى القَصْر فأخذه ، وأتى عبد الرحمن بمطر فحبسه ثم أطلقه .

ذكر وقعة دير الجماجم

[وانهزام أصحاب ابن الأشعث وعود الحجاج إلى الكوفة] ^(١)

كانت وقعة دَيْرِ الجماجم ^(٢) في شعبان سنة [٨٨٢هـ] اثنتين وثمانين ، وقيل : كانت في سنة ثلاث وثمانين . والذي يقول : إنها في سنة ثلاث يقول : كان نزولهم بدَيْرِ الجَمَاجِمِ لليلة مَبْصِتٍ من شهر ربيع الأول سنة [٨٨٣هـ] ثلاث وثمانين ، والهزيمة لأربع عشرة ليلة مضت من جمادى الآخرة منها ، فكانت مائة يوم وثلاثة أيام . والله أعلم . وكان سبب هذه الوقعة أن الحجاج سار من البصرة إلى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن الأشعث ، ونزل دَيْرَ ^(٣) قُرَّة ، وخرج عبد الرحمن من الكوفة فنزل دَيْرَ الجَمَاجِمِ ، واجتمع لعبد الرحمن أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالح والقراء ، وكانوا مائة ألف من يأخذ العطاء ومعهم مثلهم ^(٤) ، وجاءت الحجاج أمداً الشام قبل نزوله بدَيْرِ قُرَّة ، وخذق كل منهما على نفسه ، وكان الناس يقتتلون كل يوم ، ولا يزال أحدهما يُدْنِي خندقه من الآخر .

فبعث عبد الملك ابنه عبد الله وأخاه محمد بن مروان - وكان محمد بأرض الموصل - في جُنْدٍ كَثِيفٍ إلى الحجاج ، وأمرهما أن يَغْرِضَا

(١) من د .

(٢) على سبعة فراسخ من الكوفة على طرف البر للسالك إلى البصرة (المراصد) .

(٣) دير قرة : بأرض دبر الجماجم مما يلي الكوفة (المراصد) .

(٤) في ك : نسلهم .

على أهل العراق عزل الحجاج ، وأن يُجرى عليهم أعطياتهم ،
 كما يُجرى على أهل الشام ، وأن ينزل عبد الرحمن بن الأشعث
 أى بلد شاء من العراق ، فإذا نزل كان والياً عليها مادام حياً ،
 وعبد الملك خليفة . فإن أجاب أهل العراق إلى ذلك عزلاً الحجاج
 عنهم ^(١) ، وصار محمد بن مروان أمير العراق ، وإن أبى أهل العراق
 ذلك فالحجاج أمير الجماعة ووالى ^(٢) القتال ، ومحمد وعبد الله
 فى طاعته ، فلم يأت الحجاج أمر قط كان أشد عليه ولا أوجع
 لقلبه منه ، وخشى أن يقبل أهل العراق عزله فيعزل عنهم ، فكتب
 إلى عبد الملك : والله لو ^(٣) أعطيت أهل العراق عزلى ^(٤) لم يلبثوا
 إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدهم ذلك إلا جراءة
 عليك ، ألم تر ويبغضك وثوب أهل العراق مع الأشتر على عثمان
 ابن عفان وسؤالهم نزع سعيد بن العاص ، فلما نزع لم تم لهم
 السنة حتى ساروا إلى عثمان فقتلوه ؛ وإن الحديد بالحديد يفلح .

فأبى عبد الملك إلا عرض عزله على أهل العراق ، وقال : عزله
 أيسر من حرب أهل العراق ، ويخفين الدماء . ١

فخرج عبد الله بن عبد الملك وقال : يا أهل العراق ، أنا ابن أمير
 المؤمنين ، وهو يعطيكم كذا وكذا .

(١) فى الكامل : عنها .

(٢) فى الطبرى : وولى .

(٣) فى الطبرى : لئن .

(٤) فى الطبرى ، والكامل : نزعى .

وخرج محمد بن مروان ، وقال : أنا رسول أمير المؤمنين ، وهو
يَعْرِضُ عليكم كذا وكذا .

فقالوا : نَرْجِعْ للعشيَّة . ورجعوا ، واجتمعوا عند ابن الأشعث ،
فقال لهم : قد أعطيتُم أمرًا انتهَازُكم إياه اليوم فُرصة ، وإنكم اليوم
على النِّصْف ؛ فإن كانوا اعتدوا عليكم بيوم الزَّاوية فأنتم تعتدون
عليهم بيوم تُستَر ، فاقبلوا ما عَرَضَ عليكم ، وأنتم أعزاء أقوياء .

فوثبوا وقالوا : لا والله لا نَقْبَلُ . وأعادوا خَلَعَ عبد الملك
ثانيًا ؛ وكان أول مَنْ قام بخَلْعِهِ بدِيرِ الجماجم عبد الله بن ذؤاب السلمي
وعمير بن تبحان ، وكان اجتماعهم على خَلْعِهِ بالجماجم أجمع من الخَلْعِ
بفارس .

فقال عبدُ الله ومحمدُ للحجاج : شَأْنُكَ بعسكرِكَ وجُنْدِكَ ،
واعملْ برأيِكَ ، فإننا قد أمرنا أن نسمع لك ونُطِيع ، وكانا يسلمان
عليه بالإمرة وبسَلَمَ عليهما بالإمرة .

قال : ولما اجتمع أهلُ العراق على خَلْعِ عبد الملك قال ابنُ الأشعث :
أَلَا إِنَّ بَنِي مروان يَعيِّرُونَ بالزُّرقاء ، والله مالهم نَسَبٌ أَصَحُّ منه ،
إِلَّا أَنَّ بَنِي العاص ^(١) أَغْلَجَ من أَهْلِ صَفُورِيَّة ^(٢) ، فإن يكن هذا
الأمرُ في قريش فَمَنْ قُوتُ ^(٣) بَيْضَةُ قريش ، وإن يك في العرب
فأنا ابنُ الأشعث ، ومدَّ بها صوته حتى سمعه الناس .

(١) في الطبري : أَلَا أَنَّ بَنِي أَبِي العاص .

(٢) صفورية : كورة وبلد من نواحي الأردن بالشام قرب طبرية (المرصد) .

(٣) في الكامل : فَمَنْ ، وفي الطبري : فَمَنْ قُوت . وقوت البيضة : انفلت عن

وبرزوا للقتال ، فجعل الحجاجُ على ميمنته عبد الرحمن بن سفيان الكلابي ، وعلى ميسرته عُمارة بن تميم اللخمي ، وعلى خيلهِ سُفيان ابن الأبرد الكلابي ، وعلى رجاله عبد الله^(١) بن حبيب الحكمي . وجعل ابنُ الأشعث على ميمنته الحجاج بن جارية^(٢) الخنعمي . وعلى ميسرته الأبرد بن قرّة التميمي ، وعلى خيله عبد الرحمن ابن العباس^(٣) بن ربيعة الهاشمي ، وعلى رجاله محمد بن سعد ابن أبي وقاص ، وعلى مُجنّيته^(٤) عبد الله بن رزّام الحارثي ، وجعل على القراء زحر^(٥) بن قيس الجعفي ، وفيهم سيفيد بن جُبَيْر بن هشام الشعبي ، واسمه عامر بن شراحيل ، وأبو البَخْتَرِي الطائي ، وعبد الرحمن ابن أبي لَيْلَى .

وأخذوا في القتال [في كل يوم]^(٦) ، وأهل العراق تأتيهم موادّهم من الكوفة وسواها ، وهم في خضْبٍ . وأهل الشام في ضيق^(٧) شديد ، قد غَلَّتْ عندهم الأسعار ، وفَقِدَ اللحم ، حتى كانوا في حصارٍ . وهم على ذلك يُغَادُونَ القتال ويرأون^(٨) .

فعبأ الحجاج في بعض الأيام لكتيبة القراء ثلاث كتائب : وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمي ، فقام^(٩) جبلة بن زحر

(١) في الطبري : عبد الرحمن بن حبيب .

(٢) في الكامل : حارثة . (٣) في الطبري : ابن عباس

(٤) في ك : والطبري : محففته . وانثبت في الكامل أيضا .

(٥) في الكامل : جبلة بن زحر . والمثبت في ك : د . والطبري .

(٦) زيادة في ك .

(٧) في الكامل : في ضنك . (٨) في الطبري : ويرأونهم .

(٩) في الكامل : فعبا ابن جبلة - تحريف ، صوابه في د ، والطبري .

في القراء ، وحرصهم على القتال ، وذم أهل الشام ، وسماهم المحلّين
المحدثين المبتدعين الذين جهلوا الحقّ فلا يعرفونه ، وعملوا بالعُدوّان
فلا ينكرونه في كلام كثير قاله . وقال أبو البخترى : أيها الناس ،
قاتلوهم على دينكم ودنياكم .

وقال الشعبي : أيها الناس قاتلوهم قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من
قتالهم : فوالله ما أعلم على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور في
حكم منهم .

وقال سعيد بن جبير نحو ذلك .

وقال جبلة : احملوا حَمَلَةً صادقةً ولا تردّوا وجوهكم عنهم .
فحملوا عليهم فأزالوا الكتائب عن مواقعها وفرّقوها وتقدّموا حتى
واقعوا صفّهم ، فأزالوه عن مكانه ؛ ثم رجعوا فوجدوا جبلة بن زحر
قتيلاً .

وكان سبب قتله أن أصحابه لما حملوا على أهل الشام وفرّقوهم
وقف لأصحابه ليرجعوا إليه ، فافتترقت فرقة من أهل الشام ، فنظروا
إليه ، فقال بعضهم لبعض : احملوا عليه مادام أصحابه مشاغِلين
بالقتال ، فحملوا عليه فلم يزل^(١) ، وحمل عليهم فقتل ؛ قتله الوليد
ابن نُحيث^(٢) الكلبي ، وجيء برأسه إلى الحجاج ، فبشّر أصحابه
بقتله ، فلما رجع أصحاب جبلة ورأوه قتيلاً سقط في أيديهم ؛
وظهر الفشل في القراء [وناداهم أهل الشام : يا أعداء الله ، قد هلكتم
وقتل طاغيتكم]^(٣) - وقدم عليهم بسطام بن مضقلة بن هُبيرة

(١) في الكامل : فلم يول .

(٢) الضبط في الطبري ، والقاموس (نحت) .

(٣) زيادة في د ، والكامل .

الشيباني ، ففر حوا به ، وقالوا : تقوم مقام جبلة ، وكان قدومه من الرى ، فجعله عبد الرحمن على ربيعة ، فدخل عسكر الحجاج ، فأخذ من نساء أصحابه ثلاثين امرأة فأطلقهن ، فقال الحجاج : منعوا نساءهم لو لم يردوهن لسببت نساءهم إذا ظهرت عليهم .

قال : وخرج عبد الله بن رزام الحارثى يطلب^(١) إلى المبارزة ، فخرج إليه رجل من عسكر الحجاج فقتله عبد الله ، فعل ذلك ثلاثة أيام . فلما كان فى اليوم الرابع خرج فقالوا : جاء لا جاء الله به ! فقال الحجاج للجراح : اخرج إليه . فخرج ، فقال له عبد الله : ما جاء بك ؟ ويحك يا جراح ! وكان له صديقاً . فقال : ابتليت بك . قال : فهل لك فى خير ؟ قال الجراح : ما هو ؟ قال : أنهزم لك فترجع إلى العجاج وقد أحسنت عنده وحيدك ، وأخيل أنا مقالة الناس فى انهزامى حباً لسلامتك ، فإنى لا أحب قتل مثلك من قومى . قال : افعل .

فحمل الجراح عليه فاستطرد له ، وحمل عليه الجراح بجدة^(٢) يريد قتله ، فصاح بعبد الله غلامه وقال : إن الرجل يريد قتلك . فعطف عبد الله على الجراح فضربه بعمود على رأسه فصرعه ، وقال له : يا جراح ، بئسما جزيتنى ! أرذت بك العافية ، وأرذت قتلى . انطلق فقد تركك للقرابة والعشيرة .

قال : ودام القتال بينهم بديري الجماجم إلى آخر المدة التى ذكرناها .

(١) فى الكامل : فطلب .

(٢) فى ك : فجره . والنبى فى ك ، والكامل . وفى الطبرى : حملة يجد لا يريد .

إلا قتله .

فلما كان يوم الهزيمة اقتتلوا أشدَّ قتالٍ ، واستظهر أصحابُ
عبد الرحمن على أصحابِ الحجاج ، واستعلَوْا عليهم ، وهم آمنون
أنَّ ينهزموا ، فبينما هم كذلك إذ حمل سُفَيَّان بن الأبرد وهو على
مِمْنَةٍ الحجاج على الأبرد بن قُرَّة التميمي ، وهو على ميسرة
ابن الأشعث ، فانهزم الأبردُ بالناس من غير قتالٍ ، فظنَّ الناس أنَّ
الأبرد قد صُوِّلِحَ على أن ينهزمَ بالناس ، فلما انهزم تقوَّضت الصفوفُ ،
وركب الناس بعضهم بعضا ، وصعد عبد الرحمن [بن محمد] ^(١)
المنبر ينادي الناس : إلى عباد الله ؛ فاجتمع إليه جماعة ، فثبت حتى
دنا أهل الشام ، فقاتل من معه ، ودخل أهل الشام العسكر ، فأتاه
عبدُ الله بن يزيد بن المغفل الأزدي ، فقال له : انزل ، فإني أخاف
عليك أن تؤسر ، ولعلك إذا انصرفت أن يجتمع ^(٢) لك جمعٌ
يُهْلِكهم الله به .

فنزل وانهزم هو ومن معه لا يَلُوون على شيء . ودخل الحجاجُ
الكوفة ، وعاد محمد بن مروان إلى الموصل ، وعبد الله بن عبد الملك
إلى الشام ، وأخذ الحجاج يُبَايع الناس ، وكان لا يبَايع أحدا
إلا قال له : أتشهد أنك كفرت ؟ فإن قال نعم بآيعة ، وإلا قتله .
فأتاه رجل من خثعم كان قد اعتزل الناس جميعاً ، فسأله عن حاله
فأخبره باعتزاله ، فقال له : أنت متريص : أتشهد أنك كافر !
فقال : بشئ الرجل أنا إذا ؛ أعْبُدُ الله ^(٣) ثمانين سنة ثم أشهد
على نفسي بالكُفْر .

(١) زيادة في الطبري .

(٢) في الطبري : أن نجتمع لهم جمعا . وفي ك : أن نجتمع لك جمعا .

(٣) في الطبري : إن كنت عبت الله ...

قال : إِذَا أَقْتَلْتُكَ ، قال : وَإِنْ قَتَلْتَنِى ، فقتله . فما بقى أحدٌ من أهل الشام والعراق إِلَّا رحمه .

وقتل كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ وكان خصيصاً بعلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضى الله عنهما ، وأتى بآخر بعده ، فقال الحجاج : أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر : فقال له الرجل : أتخادعنى ^(١) عن نفسى ، أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون . فضحك الحجاج وخلق سبيله .

قال : وأقام الحجاج بالكوفة شهراً ، وأنزل أهل الشام بيوت أهل الكوفة مع أهلها ، وهو أول من أنزل الجند فى بيوت غيرهم ، واستمرت هذه القاعدة بعده .

قال : وكان الحجاج لما نهزم الناس أمر منادياً فنادى : مَنْ لَحِقَ بِقُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ فَهُوَ أَمَانُهُ ^(٢) . وكان قد ولّاه الرى : فلحق به ناس كثير منهم الشعبي ، فذكره الحجاج يوماً بعد الفراغ من أمر ابن الأشعث ، فتبيل له : إنه لحق بقُتَيْبَةَ بالرّى ؛ فكتب إلى قُتَيْبَةَ يأمره بإرساله .

قال الشعبي : فلما قدمت على الحجاج لقيت يزيد بن أبي مسلم وكان صديقاً لى ، فقال : اعتذر مهما ^(٣) استطعت . وأشار بمثل ذلك لإخوانى ونصحتائى .

فلما دخلت على الحجاج رأيت غير ما ذكروا ^(٤) ، فسلمت عليه بالإمرة ، وقات : أيها الأمير ، إن الناس قد أمرونى أن أعتذر

(١) فى الطبرى : أخادعى . (٢) فى الكامل : آمن .

(٣) فى الطبرى : ما استطعت من عذر .

(٤) فى الطبرى : غير ما رآوا لى .

بما يعلمُ اللهُ أنه غَيَّرُ الحق ، وإنيُّمُ اللهُ لا أقولُ في هذا المقامُ إلا الحق :
 قد واللهُ تَمَرَّدْنَا ^(١) عليك وحرَّضْنَا عليك ، وجهدْنَا ، فما كُنَّا بالأقوياء
 الفَجَرَةَ ولا بالأتقياء البرَّة ، ولقد نصرك الله علينا ، وأظفرك بنا ،
 فإن سَطَوْتَ فبِذُنُونِنَا ، وما جرت إليه أيدينا ، وإن عَفَوْتَ عَنَّا فبحلمك .
 وبعد فالحجةُ لك علينا .

فقال الحجاج : أنت واللهُ أحبُّ إليَّ قولاً من يدخلُ علينا يقطُرُ
 سَيْفُهُ من دماننا ثم يقول : ما قلتُ ولا شهدتُ ، قد أمنتُ يا سَعْيِي .
 كيف وجدتَ الناسَ بعدْنَا ، فقلت : أصلح الله الأمير ، اكتحلْتُ
 بَعْدَكَ السهر ، واستوعرتُ الجَنَابَ ، وفقدتُ صالحَ الإخوان ،
 ولم أجِدْ من الأمير خَلْفًا . قال : انصرف يا سَعْيِي . فانصرفت .

نعود إلى بقية أخبار عبد الرحمن بن الأشعث :

ذكر الواقعة بمسكن ^(٢)

قال : ولما انهزم عَبْدُ الرَّحْمَنِ من دَيْرِ الجماجم أتى البَصْرَةَ ،
 فاجتمع إليه من المنهزمين جَمْعٌ كثير ، فاجتمعوا بمسكن ، وبأيعُوه
 على الموت ، وخذلَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ على أصحابه ، وجعل القتال من وجه
 واحد ، وقدم إليه خالد بن جرير بن عَبْدِ اللَّهِ من خُرَّاسان ، وأتاه
 الحجاجُ ، فاقتتلوا خمسة عشر يوماً من شعبان أَشدَّ قِتَالٍ ، وبات
 الحجاجُ يحرِّضُ أصحابه ، فلما أصبحوا باكَرُوا القِتَالَ ، واشتدَّتْ

(١) في الكامل : مردنا عليك . وفي الطبري : سودنا .

(٢) مسكن -- بالفتح ثم السكون وكسر الكاف ونون . ويقال له مسكن
 بفتح الكاف ، وهو موضع من أو انا على نهر دجيل عند دير الخالتيق (المراصد) .

الحربُ ، فانهزم ابن الأشعث وَمَنْ معه ، وقتل عبد الرحمن بن أبى ليلى الفقيه ، وأبو البَحْتَرى الطائى ، ومشى بِسُطَّام بن مَضْلَة بن هُبَيْرَة فى أربعة آلاف فارس من شُجْعَانِ أَهْلِ الكوفةِ والبَصْرة ، وكَسَرُوا جُفُونُ سَيُوفِهِمْ ، وحملوا على أَهْلِ الشام ، فكشفوهم مِرَارًا ، فدعا الحجاجُ الرُّمَّةَ فرمومهم ، وأحاط بهم الناسُ ، فقتلوهم إِلَّا قَلِيلًا . ومضى ابْنُ الأشعث إلى سجستان .

وقد قيل فى هزيمة ابن الأشعث بِمَسْكِنٍ أَنَّهُ اجتمع هو والحجاج ، وكان العُسْكَرَانِ بَيْنَ دِجْلَةَ وَالسَّيْبِ ^(١) والكَرْخِ ^(٢) ، فاقتتلوا شهرًا أو دونه ، فَأَتَى شيخ فدلَّ ^(٣) الحجاجَ على طريقٍ من وراء الكَرْخِ ^(٢) فى أَجْمَةٍ وضحضاح من الماء ، فأرسل معهم أربعة آلاف ، فسار بهم ، ثم قاتل الحجاجُ أَصْحَابَ عبد الرحمن ، فانهزم الحجاجُ فعبر السَّيْبَ ، ورجع ابْنُ الأشعث إلى عَسْكَرِهِ آمِنًا بعد أن نَهَبَ عَسْكَرَ الحجاج ، فَأَمِنَ أَصْحَابُهُ ، وألقوا السلاحَ . فلما كان نصف الليل لم يشعروا إِلَّا وقد أخذهم السيفُ مِنْ تِلْكَ السَّرِيَّةِ ، ففرق من أَصْحَابِ عبد الرحمن أَكْثَرُ مِمَّنْ قُتِلَ ، ورجع الحجاجُ على الصوت يقتل مَنْ وَجَدَ ، فكان عِدَّةٌ من قُتِلَ أربعة آلاف ، منهم عبد الله بن شداد ابن الهاد ، وبِسُطَّامِ بْنِ مَضْلَةَ ، وعمر بن ضُبَيْعَةَ الرقاشى ، وبِشْر ابن المنذر بن الجَارُود ، وغيرهم .

(١) السيب - بالكسر ثم السكون : نهر بالبصرة .

(٢) فى ك : الكرخ - تحريف .

(٣) فى ك : يدل .

ذكر مسير عبد الرحمن الى رتبيل

وما كان من أمره وأمر أصحابه

قال : ولما انهزم عَبْدُ الرَّحْمَنِ من مَسْكَن سار إلى سَجِسْتَانَ فَاتَّبَعَهُ الْحِجَااج ابْنَهُ مُحَمَّدًا وَعُمَارَةَ بْنَ نَعِيمِ اللَّخْمِيِّ ، وَعُمَارَةَ عَلَى الْجَيْشِ ، فَأَدْرَكَهُ عُمَارَةُ بِالسُّوسِ (١) ، فَقَاتَلَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ انْهَزَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَمَنْ مَعَهُ ، وَسَارُوا حَتَّى بَلَغُوا نَيْسَابُورَ (٢) ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْأَكْرَادُ ، فَقَاتَلَهُمْ عُمَارَةُ قِتَالًا شَدِيدًا عَلَى الْعَقَبَةِ ، فَجُرِحَ عُمَارَةُ وَكَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَانْهَزَمَ عُمَارَةُ وَتَرَكَ لَهُمْ (٣) الْعَقَبَةَ ، وَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَتَّى أَتَى كِرْمَانَ وَعُمَارَةَ يَتَّبِعُهُ ، فَلَمَّا وَصَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَيْهَا لَقِيَهِ عَامِلُهُ وَقَدْ هَيَّأَ لَهُ مَنْزِلًا (٤) ، فَنَزَلَ . ثُمَّ رَحَلَ إِلَى سَجِسْتَانَ فَأَتَى زَرْنِجَ (٥) وَفِيهَا عَامِلُهُ فَأَغْلَقَ بَابَهَا . وَمَنَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ دُخُولِهَا ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا أَيَّامًا لِيَفْتَحَهَا فَلَمْ يَصِلْ إِلَى ذَلِكَ : فَسَارَ إِلَى بُسْتِ (٦) ، وَكَانَ قَدْ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عِيَاضُ بْنُ هِمْيَانَ بْنِ (٧) هِشَامِ السَّدُوسِيِّ الشَّيْبَانِي . فَاسْتَقْبَلَهُ فَأَنْزَلَهُ . فَلَمَّا غَفَلَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ قَبِضَ عَلَيْهِ عِيَاضُ ، وَأَوْثَقَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ (٨) عِنْدَ الْحِجَااج .

وكان رُتْبِيلُ مَلِكُ التُّرْكِ قَدْ سَمِعَ بِمَدَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ

(١) السوس : بلدة بما وراء النهر (المراسد) .

(٢) في الكامل : سابور . (٣) في ك : ونزل بهم العقبة .

(٤) في د : نزلا .

(٥) زرنج - بنتج أوله وثانيه ونون ساكنة وجيم : مدينة هي قصبة سجستان (المراسد) .

(٦) بست - بالضم : مدينة بين سجستان وغزني وهرات من البلاد الحارة كثيرة الأنهار والبساتين (المراسد) .

(٧) هذا بالأصل د ، وفي الكامل . وفي الطبري : أبو هشام بن عياض السدوسي

(٨) في الطبري : بها .

ليستقبله لما كان قد تقرر بينهما من العهود والمواثيق كما تقدم .
فلما بلغه أن عياضاً قد قُبِض عليه نزل على بُسْت : وبعث إلى
عياض يتهدده بالقتل إن هو لم يُطْلَقه ، فاستأمنه عياض ، وأطلق
عبد الرحمن ، ثم سار عبد الرحمن مع رُتَيْبِل إلى بلاده ، فأنزله
وأكرمه وعظمه ، وكان ناسٌ كثير من أصحاب عبد الرحمن ممن انهزم
من الرُّعُوس وقادة الجيوش الذين لم يقبلوا أمان الحجاج ، ونصبوا
له العداوة في كل موطن قد بعثوا يستدعونهم ويخبرونه أنهم على قصد
خراسان ليقتلوا بمن بها من عشائهم ، فأتاهم ابنُ الأشعث . وكان
عبدُ الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدِ المطلب يُصَلِّي
بهم إلى أن قدم ابنُ الأشعث . فلما قدم عليهم ساروا كلهم ففتحو
زَرْجِج ، وسار نحوهم عُمارة بن عِم في أهل الشام ؛ فقال أصحابُ
عبد الرحمن له : اخرج بنا عن سجستان إلى خراسان . فقال : إن
بها يزيد بن المهلب ، وهو رجُلٌ شجاع ، ولا يترك لكم سلطانه ،
ولو دخلناها لقاتلنا وتبعنا ^(١) أهلُ الشام ، فيجتمع علينا أهلُ
خراسان وأهلُ الشام . فقالوا : لو دخلنا خراسان لكان من يتبعنا أكثر
ممن يقاتلنا . فسار معهم حتى بلغوا حرّاة ، فهرب من أصحابه عبيد
الله بن عبد الرحمن بن سمرّة القرشي في ألفين . فقال لهم عبد الرحمن :
إني كنت في مأمن وملجأ ، فجاءتني كتبكم أن أقبل : فإن أمرنا واحد ،
فاجتمعنا نقاتل علونا . فأتيتكم فرأيتم أن أمضى إلى خراسان ، و [زرعتم] ^(٢)
أنكم مجتمعون لي ^(٣) ولا تتفرقون ، وهذا عبيد الله قد صنع

(٢) من الكامل .

(١) في الكامل : وتبعنا .

(٣) في الكامل : إلى .

ما رأيْتُمْ ، فاضنَعُوا ما بَدَا لَكُمْ ، أما أنا فمُنْصَرِفٌ إلى صاحبي الذي أتيت
ن عنده .

فتفرَّق منهم طائفةٌ وبقي معه طائفةٌ ، وبقي عظم العسكر مع
عبد الرحمن ^(١) بن العباس [فبايعوه ^(٢)] ، فأتوا هَرَاةَ ، فلقوا بها
الرقاد ^(٣) الأزدي فقتلوه ، فسار إليهم يزيد بن المهلب .

وقيل : لما انهزم ابنُ الأشعث من مَسْكِنِ أُمِّ عُبَيْدُ اللهِ بن عبد الرحمن
ابن سَعْمَةَ هَرَاةَ ، وأتى عبد الرحمن بن عباس سجستان ، فاجتمع
معه قُلُوبُ ابنِ الأشعث . فساروا إلى ^(٤) خُرَاسان في عشرين ألفًا ، فنزل
هَرَاةَ : ولقي الرقاد [بن عبيد العتكي] ^(٥) بها فقتلوه ، فأرسل إليه
يزيد بن المهلب وهو عاملُ خراسان يقول : قد كان لك في البلاد
مُتَمَسِّعٌ ، مَنْ ^(٦) هو أهون مني شَوْكَةً ، فارتحل إلى بلد ليس [لي] ^(٧)
فيه سلطان ، فإني أكره قتالَكَ ، وإن أردتَ مَالًا أرسلتُ إليك .
فأعاد الجوابَ : إنا ما نزلنا لمحاربةٍ ولا لمقام ، ولكن أردنا أن نربيع ،
ثم نرحل عنك ، وليستَ بيننا إلى المالِ حاجة .

ثم أقبل عبد الرحمن بن العباس على الجَبَايةِ ، وبلغ ذلك يزيد
ابن المهلب ، فقال : مَنْ أراد أن يُربيع ثم يرحل لم يَجِبِ الخراجَ ،

(١) في الطبري : فوثبوا إلى عبد الرحمن .

(٢) زيادة في الكامل .

(٣) في ك : الرقاد بن عبيد العتكي . ورقاد - كغراب : كما في الفاموس .

(٤) في د : فساروا . وفي الكامل : سار .

(٥) زيادة في الطبري .

(٦) في الطبري : ومن ... وفي الكامل : وقد كان لك في البلاد ممتنع .

(٧) ساقط في ك .

وسار نحوه ، وأعاد مُراسَلَتَه يقول : إنك قد أَرَحْتَ وسمَنْتَ وجيبتَ الخراج ، فلك ما جَبِيتَ وزيادة ، فاخْرُجْ عَنى ، فإنى أَكْرَهُ قِتَالَكَ ، فإنى إِلَّا القتال .

وكتبَ جُنْدَ يزيد يَسْتَمِيلُهُمْ ويدعوهم إلى نَفْسِهِ ، فعلم يزيد بذلك : فقال : جلَّ الأمرُ عن العِتَابِ ، ثم تقدَّم إليه فقاتله ، فلم يكن بينهما ^(١) كثيرُ قتال ، حتى تفرَّق أصحاب عبد الرحمن عنه ، وصبر وصبرت معه طائفةٌ ، ثم انهزموا .

وأمر يزيدُ أصحابَه بالكفِّ عن اتباعهم ، وأخذ ما كان فى عسكرهم ، وأسرُوا منهم أسرى ، منهم محمد بن سَعْد بن أبى وقاص ، وعمر ابن موسى بن عبِيد الله بن معمر ، وعيَّاش ^(٢) بن الأسود بن عوف الزُّهْرى ، والهلِقَام بن نُعَيْم بن القَعْقَع بن معبد بن زُرارة ، وفَيْرُوز ابن حصين ، وأبو العِلْج ^(٣) مولى عبِيد الله بن معمر : وسوار ابن مروان ، وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خلف الخُزاعى ، وعبد الله بن فضالة الزُّهْرانى الأزدي ، ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسُّنْدِ ، وأتى ابنُ سَمُرَةَ مَرُو ، وانصرف يزيد بن المهلب إلى مَرُو : وبعث الأسرى إلى الحجاج مع سَبْرَةَ بن نجدة ^(٤) إِلَّا عبد الرحمن ابن طلحة فإنه أطلقه .

وكان سبب إطلاقه أن حبيب بن المهلب قال لأخيه يزيد لما أراد

(١) فى الكامل : بينهم .

(٢) فى الكامل : وعيَّاش .

(٣) فى الكامل : وأبو الفلج .

(٤) فى الطبرى : مع سبرة بن نجف . وفى الكامل : مع سبرة ونجدة .

أَنْ يُسِيرَ الْأَسْرَى : بِأَيِّ وَجْهِ تَنْظُرُ إِلَى الْيَانِيَةِ ، وَقَدْ بَعُثْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ طَلْحَةَ ؟ فَقَالَ يَزِيدُ : إِنَّهُ الْحِجَااجُ ، فَلَا تَتَعَرَّضُ ^(١) إِلَيْهِ . قَالَ : وَطُنَّ نَفْسُكَ عَلَى الْعَزَلِ ، وَلَا تَرْسِلْ بِهِ ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : أُلْزِمَ الْمُهَلَّبُ فِي مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ بِمِائَةِ أَلْفٍ ، فَأَدَّاهَا طَلْحَةُ عَنْهُ ، فَأَطْلَقَهُ يَزِيدُ ، وَلَمْ يَرْسِلْ أَيْضًا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قُضَّالَةَ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَزْدِ ، وَأَرْسَلَ الْبَاقِيْنَ .

فلما قدموا على الحجاج أحضر فيروز : فقال له الحجاج : أبا عثمان ، مَا أَخْرَجَكَ مَعَ هَؤُلَاءِ ؟ فَوَاللَّهِ مَا لَحُمْتُكَ مِنْ لَحْمِهِمْ : وَلَا دَهْنُكَ مِنْ دِمَائِهِمْ . قَالَ : فِتْنَةُ عَمَّتِ النَّاسَ . قَالَ : اكْتُبْ لِي أَمْوَالَكَ . قَالَ : اكْتُبْ يَا غُلَامُ أَلْفَ أَلْفٍ وَأَلْفَى أَلْفٍ ، فَذَكَرَ مَا لَا كَثِيرًا . فَقَالَ الْحِجَااجُ : أَيْنَ هَذِهِ الْأَمْوَالُ ؟ فَقَالَ : عِنْدِي . قَالَ : فَأَدَّاهَا . قَالَ : يَا أَبَا أَيْمَنٍ عَلَى كَيْفٍ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لَتُؤَدِّيَنَهَا ثُمَّ لَأَقْتُلَنَّكَ . قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ كَيْفِي وَمَالِي . فَأَمَرَ بِهِ فَتُحَى ، ثُمَّ أَحْضَرَ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَقَالَ : يَا ظِلَّ الشَّيْطَانِ ، أَعْظَمَ النَّاسَ رِييَهَا وَكِبَرًا ، تَأْبَى بَيْعَةَ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَتَتَشَبَّهُ بِالْحُسَيْنِ وَابْنِ عَمْرِو ، ثُمَّ صِرْتُ مُؤَدَّنًا ^(٢) . وَجَعَلَ يَضْرِبُ رَأْسَهُ بِعَمُودٍ ^(٣) فِي يَدِهِ حَتَّى أَذْمَاهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُقُتِلَ .

ثم دعا بعمر بن موسى ، فقال : يَا عَبْدَ الْمَرْأَةِ : تَقُومُ بِالْعَمُودِ عَلَى

(١) نِي د : وَلَا . وَفِي الطَّبْرِيِّ : وَالْكَامِلُ : وَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ .

(٢) نِي الطَّبْرِيِّ : مُؤَدَّنًا لِابْنِ كَنَازِ عَبْدِ بَنِي نَصْرٍ - يَعْنِي عَمْرَ بْنَ أَبِي الصَّلَاتِ .

(٣) نِي الطَّبْرِيِّ وَالْكَامِلِ : بِعَمُودٍ .

رأس (١) ابن الحائك - يعنى ابن الأشعث وتشربُ معه فى الحمام (٢).
فقال : أصلح الله الأمير ، كانت فتنة شملت البر والفاجر ،
فدخلنا فيها : وقد أمكنك الله منّا ، فإن عفوتَ فيفضلك وحلوك ،
وإن عاقبتَ عاقبتَ ظلمةَ مُذنبين .

فقال الحجاج : إنها شملت الفجار ، وعوفى منها الأبرار :
أما اعتراك فعمى أن ينفعك ، فرجا (٣) الناس السلامة . ثم أمر به
فقتل .

ثم دعا بالهلقام بن نعيم ، فقال له : احسب (٤) أن ابن الأشعث
طلب ما طلب ، ما الذى أملت أنت معه ! قال : أملتُ أن يملك فيولّىنى
العراق كما ولّاك عبدُ الملك إياه ، فأمر به فقتل . ودعا عبد الله بن عامر ،
فلما أتاه قال له : يا حجاج ، لا رأت عينك الجنة إن أقلت (٥)
ابنُ المهلب بما صنع ، قال : وما صنع ؟ قال :

لأنه كاس (٦) فى إطلاقِ أمرته وقاد نخوك فى أغلالها مُضراً
وقى يقومك ورد الموتِ أمرته وكان قومك أذنى عنده خطراً
فأطرق الحجاج ، ووقرت فى قلبه ، وقال : ما أئتت وذلك ؟
ثم أمر به فقتل .

(١) فى الكامل : على رأسك ابن الحائك . والمنتب فى الطبرى أيضا .

(٢) فى الطبرى : وتشرب معه الشراب فى حمام .

(٣) فى ك : ورجا .

(٤) فى الكامل : أحيت - تحريف .

(٥) فى الطبرى : أقلت . وفى الكامل : إن أقلت ، قال : جرى الله ابن المهلب
خيبراً بما صنع .

(٦) كاس : انقلب (اللسان) . والبيتان فى الطبرى ، والكامل .

ثم أمر بفيروز فعُذِّب : فلما أَحَسَّ بالموت قال للموَكَّلِ بعدَّابه :
 إِنَّ النَّاسَ لَا يَشْكُرُونَ أَنِي قَدْ قُتِلْتُ ، وَلَوْ دَانِعُ وَأَمْوَالُ عِنْدَ النَّاسِ
 لَا تَوَدُّ إِلَيْكُمْ أَبَدًا ، فَأَظْهَرَنِي ^(١) لِلنَّاسِ لِيَعْلَمُوا أَنِي حَيٌّ ، فَيُؤْتُوا الْمَالَ .

فَأَعْلَمَ الْحِجَااجُ بِقَوْلِهِ ، فَقَالَ : أَظْهَرُوهُ ^(٢) . فَأُخْرِجَ إِلَى بَابِ
 الْمَدِينَةِ ، فَصَاحَ فِي النَّاسِ : مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي ، وَمَنْ أَنْكَرَنِي
 فَأَنَا فِيروز بن حُصَيْنٍ ، إِنْ لِي عِنْدَ أَقْوَامٍ مَالًا ، فَمَنْ كَانَ لِي عِنْدَهُ
 شَيْءٌ فَهُوَ لَهُ ، وَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ : فَلَا يُوَدُّ أَحَدٌ دِرْهَمًا ، لِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ
 الْغَائِبَ ، فَأَمَرَ بِهِ الْحِجَااجُ فَقُتِلَ .

وَأَمَرَ بِقَتْلِ عَمْرِ بْنِ ^(٣) قَرَّةِ الْكِنْدِيِّ ، وَكَانَ شَرِيغًا ، وَقَتْلَ أُعْثَى
 هَمْدَنٍ : وَأَتَى بِأَبِي بَيْرِينَ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا ، إِنْ لِي عِنْدَكَ
 يَدًا . قَالَ : وَهِيَ ؟ قَالَ : ذَكَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَوْمًا أَمْرًا بِهَرَجٍ فَتَبَيَّنَتْهُ .
 قَالَ : مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : هَذَا الْأَمِيرُ الْآخِرُ . فَسَأَلَهُ الْحِجَااجُ فَصَدَّقَهُ .
 فَقَالَ لَهُ الْحِجَااجُ : فَلَمْ لَمْ تَفْعَلْ كَمَا فَعَلَ ؟ قَالَ : وَبِئْسَ الصَّدَقُ
 عِنْدَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَعْنَى الْبُغْضِ لَكَ وَلِقَوْمِكَ . قَالَ : خَلُّوا
 عَنْ هَذَا لِفِعْلِهِ . وَعَنْ هَذَا لَصِدْقِهِ .

(١) فِي الطَّبْرِيِّ : فَأَظْهَرُونِي .

(٢) فِي كُ : أَظْهَرَهُ .

(٣) فِي الْكَامِلِ : بَيْنَ أَبِي قَرَّةٍ .

وأما ابن الأشعث فإنه سار إلى رُبَيْل ، فأقام عنده : فكتب إليه الحجاج : أن ابْتَعْهُ إِلَىَّ وَإِلَّا فوالذى لا إلهَ غيره لأَوْطِئُ أَرْضَكَ أَلْفَ أَلْفِ مَقَاتِلٍ ، وكان مع عبد الرحمن رجل من تميم اسمه عُبَيْد ابن سبيع ^(١) التميمى ، وكان رسولَه إلى رُبَيْل . فقال القاسم بن محمد ابن الأشعث لأخيه عَبْدُ الرَّحْمَنِ : إني لا أَمْنُ غَدْرَ هذا التميمى فاقفاه . فخافه عُبَيْد على نفسه ، فوشى به إلى رُبَيْل ، وخوفه الحجاج ، ودعاه إلى الغَدْرِ بَابْنِ الْأَشْعَثِ ، وقال له : أنا آخِذُكَ من الحجاج عهداً لِيَكْفَنَ ^(٢) عن أَرْضِكَ سَبْعَ سَنِينَ ، على أن تَدْفَعَ إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فأجابه إلى ذلك .

فخرج عُبَيْد إلى عُمارة سراً فذكر ذلك له ، فكتب عُمارة إلى الحجاج بذلك . فأجابه إليه ، وبعث رُبَيْلَ بِرَأْسِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وذلك في سنة [٨٨٥] خمس وثمانين .

وقيل : إن عَبْدَ الرَّحْمَنِ كان قد أصابه السِّل فمات ففُطِعَ رُبَيْلَ رَأْسَهُ .

وقيل : إن رُبَيْلَ لما صالح عُمارة بن تميم اللخمي عن ^(٣) ابن الْأَشْعَثِ كتب عُمارة إلى الحجاج بذلك ، فأطلق له خَراجَ بِلَادِهِ عَشْرَ سَنِينَ .

(١) في الطبرى : عبيد بن أبى سبيع .

(٢) في ذ : ليكفن . وفي الطبرى : ليكفن الخراج ...

(٣) في الكامل : علي .

فَأَرْسَلَ رُتَبِيلَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَثَلَاثِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فَحَضَرُوا عَنْدهُ ،
فَقَبَضَهُمْ وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى عُمَارَةَ ، فَأَلْقَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَفْسَهُ مِنْ سَطْحِ
قَصْرِ فَمَاتَ ، فَاحْتِزَّ رَأْسُهُ ، وَسِيرَهُ إِلَى الْحِجَاجِ ، وَسِيرَهُ الْحِجَاجُ
إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ عِرَارِ بْنِ عَمْرِو بْنِ شَأْسَ ، وَكُتِبَ مَعَهُ كِتَابًا ،
فَجَعَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَقْرَأُ كِتَابَ الْحِجَاجِ ، فَإِذَا شَكَّ فِي شَيْءٍ سَأَلَ
عِرَارًا عَنْهُ فَيُخْبِرُهُ بِهِ ، وَكَانَ عِرَارٌ أَسْوَدَ اللَّوْنِ ، فَعَجِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ
مِنْ بَيَانِهِ وَفَصَاحَتِهِ مَعَ سَوَادِهِ ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَمَثَلَ (١) :

وَأَنَّ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أَحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنْطِقِ الْعَمَمِ

فَضَحِكَ عِرَارٌ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا لَكَ تَضَحِكُ ؟ فَقَالَ :
أَتَعْرِفُ عِرَارًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَأَنَا هُوَ . فَضَحِكَ
عَبْدُ الْمَلِكِ ثُمَّ قَالَ : حَظٌّ وَافِقٌ حِكْمَةٍ . وَأَحْسَنُ جَائِزَتِهِ ، وَسِرُّهُ .

وَرَوَى أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ بِسَنَدٍ رَفَعَهُ إِلَى الْعُتْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ (٢) :
كَتَبَ الْحِجَاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ كِتَابًا يَصِفُ لَهُ فِيهِ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَمَا أَلْفَاهُمْ
عَلَيْهِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ وَمَا يَكْرَهُهُ (٣) مِنْهُمْ ، وَعَرَّفَهُ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ
رَبَّنَ التَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ ، وَيَسْتَأْذِنُهُ أَنْ يُودَعَ قُلُوبُهُمْ مِنَ الرِّهْبَةِ
مَا يَخْشَوْنَ بِهِ إِلَى الطَّاعَةِ ، وَدَعَا رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِهِ كَانَ يَأْتِسُّ بِهِ ،
فَقَالَ لَهُ : انْطَلِقْ بِهَذَا الْكِتَابِ ، وَلَا يَصِلَنَّ مِنْ يَدِكَ إِلَّا إِلَى يَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
فَإِذَا قَبَضَهُ فَتَكَلَّمْ عَلَيْهِ .

(١) وَاللِّسَانُ - عَمَمٌ .

(٢) فِي اللِّسَانِ : فَإِنَّ ... ذَا الْمَنْكَبِ الْعَمَمِ . وَمَنْكَبٌ عَمَمٌ : طَوِيلٌ .

(٣) الْاِسْتِيعَابُ : ١١٨٠

(٤) فِي الْاِسْتِيعَابِ : وَمَا يَكْرَهُهُ .

ففعّل الرجل ذلك ، فجعل^(١) عبد الملك كلّما شكّ في شيء يستفهمه^(٢) ، فوجده أبلغ من الكاتب^(٣) ، فقال [عبد الملك]^(٤) :
وإن عراراً إن يكن غير واضح ... البيت .

فقال [له]^(٥) الرجل : يا أمير المؤمنين ، أتدري من يخاطبك ؟
قال : لا . قال : أنا عرار ، وهذا الشعر لأبي ، وذلك أن أُمّ ماتت
وأنا مُرضع ، فتزوج أبي امرأة فكانت تُسى^(٦) ، ولايتي ، فقال أبي :
فإن كنت مني أو^(٧) تُريدن صُحبي

فكوني له كالشمس رُبّت به الأدم
ولاً فيبيري سبّر ركب ناقية

تبسم خبتا ليس في سيره أمم
أرادت عراراً بالهوان ومن بُرد
عراراً لعنري بالهوان لقد^(٨) ظلم

وإن عراراً إن يكن غير واضح
فإنني أحبّ الجون ذا المنطق العمم

ولما جرى بالرأس إلى عبد الملك أرسله إلى أخيه عبد العزيز بمصر ،
فقال بعض الشعراء :

(١) في الاستيعاب : وجعل : (٢) في الاستيعاب : استفهمه .

(٣) في الاستيعاب : الكاتب .

(٤) زيادة في الاستيعاب . (٥) ساقط في ك .

(٦) في ك : تنسى — تحريف .

(٧) في ك : إذ .

(٨) في د : فقد . والمثبت في الاستيعاب أيضا .

هيهات موضعٌ جُئِي مِنْ رَأْسِهَا
رَأْسَ مِصْرَ وَجُئِي بِالرُّحْجِ (١)

وقيل : إن هلاك عبد الرحمن كان في سنة [٨٤٤ هـ] أربع وثمانين .
ولنرجع إلى تنمة حوادث السنين :

وفي سنة (٨١ هـ) إحدى وثمانين :

حج بالناس سليمان [بن عبد الملك] (٢) .

سنة (٨٢ هـ) اثنتين وثمانين :

في هذه السنة كانت وفاة المغيرة بن المهلب بخراسان في شهر
رجب منها ، وكان أبوه قد استخلفه على عَمَلِهِ .

ذكر وفاة المهلب بن أبي صرة

وصيَّته لبنيه وولاية ابنه يزيد خراسان

وفي هذه السنة تُوفِّي المهلب بن أبي صَفْرَةَ بِمَرَوْ الرُّوذ بالشَّوْصَة
وقيل بالشَّوْكَه (٣) ، وأوصى إلى حبيب ابنه فصلَّى عليه ، وقال لبنيه :
إني قد استخلفتُ عليكم يزيد فلا تخالفوه . فقال ابنه المفضل :
لو لم تقدمه لقدمناه ، وأحضر ولده فأوصاهم ، وأحضر سيَّهما معزومة
فقال : أتَكْسِرُونَهَا مجتمعة ؟ قالوا : لا . قال : أفَتَكْسِرُونَهَا منفردة ؟
قالوا : نعم . قال : فهكذا الجماعة . ثم قال : أوصيكم بتقوى الله ،
وصلة الرحم ، فإنها تنسيء في الأجل وتثري المال ، وتكثر العدد ،

(١) رخيخ — بنشديد تانيه ، وقيل بإسكانه ، وآخره جيم : كورة من أعمال
سجستان ، ومدينة من نواحي كابل (المراصد) .

(٢) ساقط من ك .

(٣) في الطبري : أصابته الشوصة : وقوم يقولون الشوكة . والشوصة : وجع
في البطن أوريج تعقب في الأضلاع : أو ورم في حجابها من داخل (القاموس) .

وأنهاكم عن القطيعة؛ فإنها تُعْقِبُ النار والذلة والقلّة ، وعليكم بالطاعة والجماعة ، ولتكنّ فعالكم أفضل من مقالكم ^(١) ، واتّقوا الجواب وزلّة اللسان ، فإن الرجل يزل قدمه فينتعش ^(٢) ، ويزل لسانه فيهلك ، واغرفوا لمن يغشاكم حقّه ، فكفى يغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له ، وآثروا الجود على البخل ، وأخْبُوا العرب ^(٣) ، واصنعوا المعروف ^(٤) ، فإن الرجل من العرب تعدّه العدة فيموت دونك ، فكيف بالصنيعة عنده ! وعليكم في الحرب بالتؤدة ^(٥) والمكيدة ، فإنهما ^(٦) أنفع من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، فإن أخذ الرجل ^(٧) بالحزم فظفر قيل : أتى الأمر من وجهه فظفر فحمد ، فإن لم يظفر [بعد الأناة] ^(٨) قيل : ما فرط ولا ضيّع ، ولكن القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وآداب ^(٩) الصالحين ، وإياكم وكثرة الكلام في مجالسكم . ومات رحمه الله . فكتب ابنه يزيد إلى الحجاج يعلمه بوفاته ، فأقره على خراسان .

• • •

وفيهما عزل عبْدُ الملك أبان بن عثمان عن المدينة في جمادى الآخرة ، واستعمل عليها هشام بن إسماعيل المخزومي .

(١) في الطبرى : من قواكم .

(٢) في ك : فينتجش . والمثبت في الكامل والطبرى .

(٣) في الكامل : العرف . والمثبت في الطبرى .

(٤) في الطبرى : العرف . (٥) في الطبرى : بالأناة .

(٦) في الطبرى والكامل : فإنها . (٧) في الطبرى : رجل .

(٨) زيادة من الطبرى . (٩) في الطبرى والكامل : وأدب .

وحجَّ بالناس أباَن بن عثمان .

سنة (٨٣ هـ) ثلاث وثمانين :

ذكر خبر عمر بن أبي الصلت

وخلَّعه الحجاج بالرى وما كان من أمره

قال : لما ظفر الحجاج بابن الأشعث لحق خلق كثير من المنهزمين بعمر بن أبي الصلت ، وكان قد غلب على الرى فى تلك الفتنة ، فلما اجتمعوا بالرى أرادوا أن يحفظوا عند الحجاج بأمر يَمْنَحُون به عن أنفسهم عشرة ^(١) الجمال : فآشأروا على عمر بخلع الحجاج وقتيبة ، فامتنع ، فوضعوا عليه أباه : أبا الصلت ، وكان به باراً ، فآشأر بذلك عليه وألزمه به ، وقال : يا بنى ، إذا سار هؤلاء تحت لوائك لا أبالى أن تُقتل غداً . فلما قارب قُتَيْبَة الرى استعد لقتاله ، فالتقوا ، واقتتلوا ، فغدر أصحاب عمر به وأكثرهم من تميم ، فانهزم ولحق بطبرستان ، فأواه الأصبهذ ^(٢) وأكرمه وأحسن نزله ، فقال عمر لأبيه : إنك أمرتني بخلع الحجاج وقتيبة فأطعُتك وكان خلاف رأيي ، ولم أحمد رأيك ، وقد نزلنا هذا الأصبهذ فدعني حتى آتُب إليه ^(٣) فأقتله . وأجلس على مملكته ، فقد علمت الأعاجم أنني أشرف منه . فقال أبوه : ما كنت لأفعل هذا برجل ^(٤) أو أنا وأكرمنا وأنزلنا . فقال عمر : أنت أعلم ، وسترى .

ودخل قُتَيْبَة الرى ، وكتب إلى الحجاج بانهزام عمر إلى طبرستان . فكتب الحجاج إلى الأصبهذ ^(٢) أن ابعتهم أو برعوسهم ^(٥) ، وإلا فقد

(١) فى ك : عيرة . والمثبت فى د ، والكامل .

(٢) فى د ، والكامل : عليه .

(٣) وناج العروس .

(٤) فى الكامل : بالرجل . (٥) فى الكامل : بها أو برعوسها .

بَرِئْتَ مِنْكَ الذَّمَّةُ ، فصنع لهم الأَصْبَهْذَ طعاماً وأحضرهم ، فقتل عمر ،
وبعث أباه أَسِيرًا . وقيل : قتلهم وبعث برعوسهم . والله أعلم .

ذكر بناء مدينة واسط

وفيهما بَنَى الحجاج مدينة واسط ، وسبب ذلك أنه ضربَ البَغْتِ
على أهل الكوفة إلى خُرَّاسان وعسكر بحمامِ عمر ، وكان فتى من
أهل الكوفة حديث عهد بعُرس [بابنة عم له] ^(١) ، فانصرف من
العسكر إلى ابنة عمه ، فطُرق ^(٢) عليه الباب طرْقاً شديداً ، فإذا سكران
من أهل الشام ، فقالت المرأة لبُعْلِها : لقد لقينا من هذا الشامى
شراً يفعلُ بنا كلَّ ليلة ما ترى - يُريد المَكْرَوه ، وقد شكَّوْته إلى مشيخة
أصحابيه . فقال : ائذنى له ، فأذِنْتُ له . فلما دخل قتلَه زَوْجُها .

فلما أذن الفَجْرُ خرج إلى العسكر وقال لابنة عمه : إذا صليتِ
الفَجْرَ فابعثى إلى الشاميين ليأخذوا صاحبَهُم ، فإذا أحضروك إلى ^(٣)
الحجاج فاصدقْيه الخبرَ على وجهه ، ففعلتْ ، وأحضرت إلى الحجاج ،
فأخبرته فصدقها ، وقال للشاميين : خُذُوا صاحبَكُمْ لا قودَ له
ولا عَقْل ، فإنه قَبِيل ^(٤) الله إلى النار . ثم نادى منادٍ : لا ينزلنَّ أحدٌ
على أحدٍ ، وبعث رواداً يرتاحون له منزلاً ، وأقبل حتى نزل بموضع ^(٥)
واسط ، وإذا راهبٌ قد أقبل على حمارٍ ، فلما كان بموضع واسط
بَالَ الحِمَارُ ، فنزل الراهبُ فاحتفر ^(٦) ذلك البَوْلَ ورماه في دجلة

(١) زيادة في الطبرى .

(٢) في الطبرى والكامل : فطرق الباب طارق .

(٣) في الكامل : عند . (٤) في الكامل : قتل .

(٥) في د : والكامل : موضع . (٦) في ك : فاحتفن .

والحجاجُ ينظرُ إليه ، فاستحضره وقال له : ما حَمَلَكَ على ما صنَعْتَ ؟ قال : نجدُ في كتبنا أنه يُبْنَى في هذا الموضع مسجد يُعْبَدُ الله فيه ما دام في الأرض أحدٌ يوحدُ الله .

فاختطَّ الحجاج مدينة واسط وبني المسجد في ذلك الموضع .

وحجَّ بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل .

سنة (٨٤ هـ) أربع وثمانين :

في هذه السنة قتل الحجاج أيوب بن القُرَيْبَةِ (١) ، وكان مع ابنِ الأشعث ، فلما هُزِمَ التحق أيوب بحوشب بن يزيد عامل الحجاج على الكوفة ، فاستحضره الحجاج وقتله . وحجَّ بالناس هشام بن إسماعيل .

سنة (٨٥ هـ) خمس وثمانين :

ذكر عزل يزيد بن المهلب عن خراسان

وولاية أخيه المفضل

وفي هذه السنة عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن خراسان ، وكان سبب عزله أنَّ الحجاج وقد إلى عبد الملك فمرَّ في طريقه براهبٍ ، فقيل له : إنَّ عنده عِلْماً ، فأحضره الحجاج ، وسأله : هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه ونحن ؟ قال : نعم . قال : فمُسَمَّى أو موصوفاً ؟ قال : كلُّ ذلك نجده موصوفاً (٢) بغير اسم ومُسَمَّى بغير صفة (٢) . قال : فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجده في زماننا ملك أفرع من يقيم لسبيله يُضْرَع . قال : ثم

(١) الضبط في المشتبه :

(٢) في الطبرى : كل ذلك موصوف ، واسم بغير صفة .

من^(١) ؟ قال : اسم رجل يقال له الوليد ، ثم رجل اسمه اسم نبي يُفْتَحُ به على الناس . قال : [أتعرفى ؟ قال : قد أخبرت بك . قال : أفتعلم ما ألي ؟ قال : نعم]^(٢) . قال : أفتعلم من يلى بعدى ؟ قال : نعم ، رجل يقال له يزيد ، قال : أفتعرف صفته ؟ قال : يَقدِر غَدْرَةً ، لا أعرف غير هذا .

فوقع فى نفسه أنه يزيد بن المهلب ، ثم سار وهو وجل من قول الراهب . فلما عاد كتب إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ، ويخبره أنهم زُبَيْرية .

فكتب إليه عبد الملك : إني أرى طاعتهم لآل الزبير نقصاً لآل المهلب ؛ بل وفاءهم لهم يذعهم إلى الوفاء لى . فكتب إليه الحجاج يخوفه غدره .

فكتب إليه : إنك قد أكثرت فى يزيد وآل المهلب قسم رجلاً يصلح لخراسان . فسمى له قتيبة بن مسلم ، فكتب إليه أن وكله . فكرة الحجاج أن يكتب إليه بعزله ، فكتب إليه يأمره أن يستخلف أخاه الفضل ويُقْبَلَ إليه .

فاستشار يزيد حُصَيْن^(٣) بن المنذر الرقائى : فقال له : أقم واغتل ، واكتب إلى أمير المؤمنين ليقررك ، فإنه حسن الرأي فيك . فقال له يزيد : نحن أهل قد بُورِكَ لنا فى الطاعة ، وأنا أكره الخِلاف . وأخذ يتجهز فأبطأ .

(١) فى الطبرى : ثم من يليه . (٢) من الطبرى .

(٣) فى الكامل : حُصَيْن بالخاء المهملة المضمومة والضاد المعجمة المفتوحة وآخره نون . وفى ك : حُصَيْن بالضاد المهملة — تحريف .

فكتب الحجاج إلى الفضل: إني قد وليتُك خراسان ، فجعل الفضل يستحثُّ يزيد ، فقال له [يزيد] ^(١) : إنَّ الحجاج لا يقركُ بعدي ، وإنما دعاه إلى ما صنع مخافة أن أمتنع عليه ، ومستعلم .

وخرج يزيد في شهر ربيع الآخر سنة [٨٨٥هـ] خمس وثمانين ، وأقرَّ الحجاجُ أخاه الفضل تسعة أشهر ، ثم عزله ، واستعمل قتيبة على ما نذكره ، وسار يزيد بن المهلب فكان ^(٢) لا يمرُّ بتبلد إلا قرش أهلها الرباحين .

ذكر أخبار موسى بن عبد الله بن خازم

واسنيائه على ترمذ ^(٣)

وما كان من حروبه مع العرب والترك وخبر مَقَاتِلِهِ

كان موسى بن عبد الله قد استولى على ترمذ ، وأخرج ترمذ شاه عنها ، وسبب ذلك أن أباه عبد الله قتل من قتل من بني تميم بخراسان ^(٤) كما تقدّم ذكر ذلك في أثناء أخبار عبد الله ابن الزبير تفرّق عنه أكثر من كان معه منهم ، فخرج إلى نيسابور ، وخاف بني تميم على ثقله بمرو ، فقال لابنه موسى : خذ ثقتي واقطع

(١) زيادة في الطبري .

(٢) العبارة في الكامل: فكتب إليه الحجاج أن أقدم ، فصار إليه ، فكان لا يمر...

(٣) في المراسد: الناس يختلفون في هذا الاسم والمعروف أنه بكسر التاء والميم . وأهل المدينة متداول على لسانهم بفتح التاء وكسر الميم ، وبعضهم يقول بضمها ، وهي مدينة من أمهات المدن المشهورة راقية على جيحون شرقيه .

(٤) في الطبري : بفرتي . وفي ياقوت : فرتي : قصر بمرو الروز .

نَهَرَ بَلَّخَ حَتَّى تَلْتَجَى^(١) إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ أَوْ إِلَى حِصْنٍ تَكُونُ^(٢) فِيهِ .

فرحل موسى عن مَرَوْ في عشرين ومائتي فارس ، واجتمع إليه
تتمة أربعمائة ، وانضوى^(٣) إليه قوم من بنى سُليم^(٤) ،
فَأَتَى زُمُ^(٥) ، فقاتله أهلها ، قظفر بهم ، وأصاب مالا ، وقطع
النهر . فَأَتَى بُخَارَى فَسَأَلَ صَاحِبَهَا أَنْ يَلْجَأَ إِلَيْهِ ، فَأَبَى وَخَافَهُ .
[وقال : رجل فانك]^(٦) فلا آمنه ، ووصله ، وسار فلم يَأْت
ملكا يَلْجَأُ إِلَيْهِ إِلَّا كَرِهَ مَقَامَهُ عِنْدَهُ .

فَأَتَى سَمَرَقَنْدَ ، فَأَكْرَمَهُ مَلِكُهَا طَرَحُونُ وَأَذِنَ لَهُ فِي الْمَقَامِ بِهَا ،
فَأَقَامَ بِهَا مَا شَاءَ اللَّهُ . وَكَانَ لِأَهْلِ الصُّغْدِ مَائِدَةٌ تُوضَعُ فِي كُلِّ عَامٍ
مَرَّةً ، عَلَيْهَا خُبْزٌ وَلَحْمٌ وَخَلٌّ وَإِبْرِيْقٌ شَرَابٌ ، يَجْعَلُونَ ذَلِكَ لِفَارِسِ
الصُّغْدِ فَلَا يَقْرُبُهُ غَيْرُهُ ، فَإِنْ أَكَلَ مِنْهُ بَارِزَةُ الْفَارِسِ : فَأَيُّهُمَا
قَتَلَ صَاحِبَهُ كَانَتِ الْمَائِدَةُ لَهُ ، وَكَانَ الْفَارِسُ الْمَشَارَإِلِيَّةَ ، فَرَأَاهَا
رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ مُوسَى ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟ فَأُخْبِرَ ، فَأَكَلَ مَا عَلَيْهَا .
وَجَاءَ الْفَارِسُ مُغْضَبًا ، فَقَالَ : يَا أَعْرَابِي ، بَارِزَتْنِي ، فَبَارِزَهُ فَقَتَلَهُ
صَاحِبُ مُوسَى : فَقَالَ مَلِكُ الصُّغْدِ : أَنْزَلْتُكُمْ وَأَكْرَمْتُكُمْ فَقَتَلْتُمْ

(١) فِي الطَّبْرِي : تَلَجَأَ .

(٢) فِي الطَّبْرِي وَالْكَامِلُ : تَقِيْمُ فِيهِ .

(٣) فِي الْكَامِلِ : وَانْضَمَّ .

(٤) فِي الطَّبْرِي : قَوْمٌ مِنَ الصَّعَالِيكِ .

(٥) زَمُ - بَضْمُ أَوَّلِهِ وَتَشْدِيدُ ثَانِيهِ : قِيلَ : هِيَ بَثْرٌ لِبْنِي سَعْدٍ . وَقِيلَ : مَاءُ
ابْنِي عَجَلٍ فِيمَا بَيْنَ أَدْنَى طَرِيقِ الْكُوفَةِ إِلَى مَكَّةَ وَالْبَصْرَةِ (الْمُرَاصِدُ) .

(٦) سَاقَطَ فِي كَ .

فارسي ، فلولا أني أمنتك وأصحابك لقتلتك ^(١) ، اخرجوا عن بلدي .

فخرجوا ، فأتى موسى كش ، فصعف صاحبها عنه ، فاستنصر طرخون فاتاه ، فقاتله موسى وقد اجتمع معه سبع مائة فارس يوماً حتى أمسوا وتحاجزوا ، ثم اتفقوا أن يرتجل موسى عن كش ؛ فسار فأتى ترمذ وبها حصن يُشرف على جانب النهر ، فنزل موسى خارج الحصن وسأل ترمذ شاه ^(٢) أن يدخله الحصن فأتى ، فأهدى له موسى ولا طفه حتى أنس به ، وصارت بينهما مودة ، وتصيّد معه ، وصنع صاحب ترمذ ^(٣) طعاماً ، وأحضر موسى لياكل معه ، وشرط ألا يحضر إلا في مائة من أصحابه ، فاختر موسى مائة منهم ، فدخلوا الحصن وأكلوا ، فلما فرغوا قال له ترمذ شاه : اخرج قال : لا أخرج حتى يكون الحصن بيني أو قبري ، وقائلهم فقتل منهم عدة وهرب الباقون ، واستولى موسى عليها ، وأخرج ترمذ شاه منها ، ولم يفرض له ، ولا لأصحابه .

فأتوا الترك يستنصرونهم على موسى ، فلم ينصروهم ، وقالوا : لا نقاتل هؤلاء .

وأقام موسى بتيرمذ ، وأتاه جمع من أصحاب أبيه فقوى بهم ، فكان يغير على ما حوله .

(١) في د ، والطبري : لقتلتكم .

(٢) في الطبري : فنزل موسى على بعض دهاقين الترمذ .

(٣) في الطبري : صاحب الترمذ .

وولى بُكَيْر بن وَسَّاج^(١) خراسان فلم يعرض له ، ثم قدم أُمَيَّة^(٢) .
فسار يُرِيدُهُ ، فخالفه بُكَيْر ، فرجع على ما تقدم^(٣) ، ثم وجَّه
أُمَيَّة رجلاً من خُزَاعَة في جَمْع كثير لِقِتَالِ موسى ، فجاء إلى
تِيرْمِذ وحصره ، فعاد أهلُ تِيرْمِذ إلى الترك ، واستنصروهم وأعلموهم
أنه قد غَزَاه قَوْمٌ من العَرَب وحَصَرُوهُ ، فسارت التُّرك في جَمْع
كثير^(٤) إلى الخَزَاعِي فَأَطَافَ بِمُوسَى العَرَبُ^(٥) والترك ،
فكان يقاتِلُ الخَزَاعِي أَوَّلَ النهار والتُّرك آخرَ النهار ، فقاتلهم شَهْرَيْنِ
أو ثلاثة .

ثم أَرَادَ أَنْ يُبَيِّتَ الخَزَاعِي ، فَبَقِيَ لَهُ عمرو بن خالد بن حُصَيْنِ
الْكَلَابِي : بَيَّتَ العجم ، فَإِنَّ العَرَبَ أَشَدَّ حَذَرًا وَأَجْرًا^(٦) على الليل ،
فَوَافَقَهُ .

وَأَقَامَ حَتَّى ذَهَبَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ ، وَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَالَ لِعَمْرُو
ابن خالد : اخْرُجْ بَعْدَنَا أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ [مِنْ] ^(٧) قَرِيبًا ، فَإِذَا
سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَكَبِّرُوا .

ثُمَّ سَارَ حَتَّى ارْتَفَعَ فَوْقَ عَسْكَرِ التُّرك وَرَجَعَ إِلَيْهِمْ ، وَجَعَلَ أَصْحَابَهُ
أَرْبَاعًا ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ أَصْحَابُ الْأَرْضَادِ قَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟
قَالُوا : عَابِرُونَ سَبِيلَ . فَلَمَّا جَاوَزُوا الرِّصْدَ حَمَلُوا عَلَى التُّرك وَكَبُرُوا

(١) في الطبري : وشاح .

(٢) في الكامل : ثم قدم أُمَيَّة فسار بنفسه يريد بخالفة بكير .

(٣) في الطبري : فرجع إلى مرو .

(٤) في د : كثير .

(٥) في الطبري : الترك والخزاعي .

(٦) في د : وأجرا . (٧) من الطبري .

فلم يشعر الترك إلا بوقع السيوف فيهم ، فثاروا ^(١) يقتل بعضهم بعضاً وولوا . فحوى موسى ومن معه عسكرهم ، وأصابوا سلاحاً كثيراً وماً ، وأصيب من أصحاب موسى ستة عشر رجلاً ، وأصبح الخزاعي وأصحابه وقد كسرهم ذلك ، وخافوا مثلها ، فقال عمرو بن خالد لموسى : إنا لا ^(٢) نظفر إلا بكيدة ، ولهؤلاء أمداد تأتيهم : فدعنى آت به لعل أصيب فرصة فأقتل الخزاعي ، فاضربنى . فقال موسى : تتعجل الضرب ، وتتعرض للقتل ؟ قال : أما التعرض للقتل فإنا كل يوم متعرض له ، وأما الضرب فما أيسره فى حُب ^(٣) ما أريد . فضربه موسى خمسين سوطاً ، فخرج حتى أتى عسكر الخزاعي مستأمناً ، وقال : أنا رجل من أهل اليمن كنت مع عبد الله بن خازم ، فلما قُتل أتيت ابنته فكنت معه ، وإنه اتهمنى وقال : قد تعصبت لعدونا ، وأنت عين له ، ولم آمن القتل ، فهربت منه .

فأمنه الخزاعي ، وأقام معه ، فدخل يوماً فلم يره عنده أحداً ولا معه سلاحاً ، فقال له كالناصرح : أصلح الله الأمير ، إن مثلك فى مثل هذا الحال لا ينبغى أن يكون بغير سلاح . قال : إن معى سلاحاً ، ورفع طرف فراشه ، فإذا سيف منتضى ، فأخذه عمرو فضرب به الخزاعي حتى قتله ، وخرج فركب فرسه وأتى موسى .

وتفرق ذلك الجيش ، وأتى بعضهم موسى مستأمناً فأمنه ، ولم يوجه إليه أمية أحداً .

(١) فى الكامل : فساروا .

(٢) فى الطبرى : إنك لا نظفر .

(٣) فى الطبرى والكامل : فى جنب .

وعزل أمية ، وقدم المهلب [أميرا]^(١) ، فلم يعرض لموسى ، وقال
لبنيه : إياكم وموسى ، فإنكم لانتزألون ولأه خراسان مادام هذا الشط^(٢)
بمكانه ، فإن قُتل فأول طالع عليكم أمير خراسان من قيس .

فلما مات المهلب وولى يزيد لم يعرض^(٣) إليه أيضا ، وكان المهلب
قد ضرب حرث بن قُطبة الخزاعى ، فخرج هو وأخوه ثابت إلى
موسى ، فلما ولى يزيد بن المهلب أخذ أموالهما ، وقتل أخاهما لأمهما
الحارث بن مُنقذ ، فخرج ثابت إلى طرخون ، فشكا إليه ما صنع
به يزيد ، وكان ثابت محبوباً إلى الترك بعيد الصوت فيهم^(٤) ،
فغضب له طرخون ، وجمع له نيزك والسبل وأهل بخارى والصغانيان ،
فقدموا مع ثابت إلى موسى ، واجتمع لموسى أيضا قُلُ عبد الرحمن
ابن العباس من هراة وقُلُ عبد الرحمن بن الأشعث من العراق ،
ومن ناحية كابل ، [وقوم من بنى نعيم ممن كان يقتاتل ابن خازم
فى الفتنة من أهل خراسان]^(٥) ، فاجتمع معه^(٦) ثمانية آلاف .

فقال له ثابت وحرث : يسر بنا حتى نقطع النهر ونخرج يزيد
عن خراسان ونوليكَ .

فهم أن يفعل ، فقال له أصحابه : إن أخرجت يزيد عن

(١) زيادة من الطبرى والكامل .

(٢) الشط : التقيل البطن والقليل شمر اللحية والحاجبين . وفى الكامل : الشط . وفى
القاموس : الشط - ككتف : الأحمق فى عمله ، والضعيف والثقل .

(٣) فى الكامل : لم يتعرض أيضا لموسى . وفى الطبرى : لم يتعرض له .

(٤) فى ك : منهم .

(٥) زيادة من الطبرى .

(٦) فى الطبرى : واجتمع إلى موسى .

خراسان تولى ثابت وأخوه خراسان وغلبا عليها ، فامتنع من المسير ، وقال لثابت وحريث : إن أخرجنا يزيد قديم عامل لعبد الملك ، ولكننا نخرج عمال يزيد من وراء النهر ، وتكون [هذه الناحية] ^(١) لنا ، فأخرجوا عماله ، وجبوا الأموال ، وقوى أمرهم ، وانصرف طرخون ومن معه ، واستبد ثابت وحريث بتدبير الأمر ، وليس لموسى إلا اسم الإمرة . فقبيل موسى : اقتل ثابتاً وحريثاً ، واستقل بالأمر ، فإنه ليس لك من الأمر شيء . وألح أصحابه عليه في ذلك حتى هم بقتلهما . فبينما هم في ذلك إذ خرج عليهم الهياطة والتبّت والترك في سبعين ألف مقاتل غير الأتباع ومن ليس هو كامل السلاح .

فخرج موسى وقتلهم فيمن معه ، ووقف ملك الترك على تل في عشرة آلاف في أكمل عُدّة ، وقد اشتد القتال ، فقال موسى لأصحابه : إن أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشيء ، فقصدهم ^(٢) حريث بن قُطبة وقتلهم حتى أزالهم عن التل ، ورُمى حريث بنشابة في جبهته ، وتحاجزوا وبقيتهم موسى ، فحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل إلى شمع ^(٣) ملكهم ، فوجأ رجلاً منهم بقبعة ^(٤) سيفه ، قطع فرسه فاحتمله الفرس فألقاه في نهر بلخ فغرق وقُتل من الترك خلق كثير ، ونجا من نجا منهم يسر ، ومات حريث بيومين ^(٥)

(١) من الطبرى .

(٢) في الطبرى : قصدهم .

(٣) في ك : سمعة . والنتب في الطبرى والكامل أيضا .

(٤) قبعة السيف - كسفية : ماعلى طرف مقبضه من فضة أو حديد .

(٥) في الطبرى والكامل : بعد يومين .

ورجع موسى وحمل معه الرؤوس ، فبنى منها جَوْسَقَيْنِ ، وقال أصحاب موسى : قد كُفينا أمر حُرَيْث فاكْفِنَا أمر (١) ثابت ، فأبى ، وبلغ ثابتاً بغض ذلك فُدس (٢) محمد بن عبد الله الخزاعى على موسى ، وقال : إياك أن تتكلم بالعربية ، فإن (٣) سألوك فقل : أنا من سبى (٤) الباميان ، ففعل ذلك ، وتلطَّف حتى اتصل بموسى وصار يخدمه (٥) وينقل إلى ثابت خبرهم ، فحزب ثابت . وألحَّ القوم على موسى ، فقال لهم ليلة : قد أكثرتم على ، وفيما تريدون هلاككم ، فعلى أى وجه تقتلونهم ولا أغدر به (٦) . فقال له أخوه نوح : إذا أناك غداً عدلنا به إلى بغض الدور فضربنا عنقه قبل أن يصل إليك . فقال : والله إنه لهلاككم ، وأنتم أعلم .

فخرج الغلام فأخبر ثابتاً فخرج من ليلته في عشرين فارساً ومضى ، وأصبحوا فلم يجدوه ولا الغلام ، فعلموا أنه كان عينا له ، ونزل ثابت بحشورا (٧) ، واجتمع إليه خلق كثير من العرب والعجم ، فأتاه موسى وقاتله فتحصن ثابت بالمدينة ، وأتى طرخون مبعوثاً له ، فرجع موسى إلى ترمذ ، وأقبل ثابت وطرخون ومعهما أهل بخارى ، ونسف وكش (٨) ، فاجتمعوا في ثمانين ألفاً ، فحاصروا

(١) في الطبرى : فأرحنا من ثابت . (٢) في ك : قدم - تحريف .

(٣) في د : وإن ..

(٤) في ك : بنى . والباميان : بكسر الميم وياء وألف وتون : بلدة وكورة في الجبال

بين بلخ وغزنة (المراد) .

(٥) في ك : بخدمته .

(٦) في الكامل : ولا أغدر به .

(٧) في ك : وترك ثابت محسورا . وفي الطبرى : حشورا . وفي الكامل : بحشورا .

(٨) في الطبرى : كس - بالسین المهمله . وقد تقدم تعليقنا فيها .

موسى حتى جهد هو وأصحابه ، فقال يزيد بن ^(١) هذيل : والله لأقتلن ثابتاً أو لأموتن ، فخرج إلى ثابت فاستأمنه ، فقال له ظهير : أنا أعرف بهذا منك ، ما أتاك ^(٢) إلا بغدرة ، فاحذره . فأخذ ابنه : قدامة ، والضحاك رهنًا ، فكانا في يد ظهير ، وأقام يزيد يلتمس غرة ثابت ، فلم يقدر على ما يريد حتى مات ابن لزياد القصير الخزاعي ، فخرج ثابت إليه ليعزيه [ومعه ظهير ورهط من أصحابه ، وفيهم يزيد بن هذيل] ^(٣) وهو بغير سلاح ، وقد غابت الشمس ، فدنا يزيد من ثابت فضربه على رأسه [فعض السيف برأسه] ^(٤) ، فوصل إلى الدماغ وهرب ، فسلم . فأخذ طرخون قدامة والضحاك ابني يزيد فقتلها ، وعاش ثابت سبعة أيام ، ومات .

وقام بنأمر العجم بعد موت ثابت طرخون ، وقام ظهير بنأمر أصحاب ثابت [فقاما قياما ضعيفا] ^(٥) ، فانتشر أمرهم ، وأجمع موسى على بنياتهم ، فأخبر طرخون بذلك فضحك ، وقال : موسى يعجز أن يدخل متوضأه فكيف يبيتنا ، لا يحرس الليلة أحد .

فخرج موسى في ثمانمائة ، وجعلهم أرباعا ، وبيتهم فكانوا لا يمرون بشيء إلا صرعوه ^(٦) من الرجال والدواب وغيرها ، فأرسل طرخون إلى موسى : أن كفت أصحابك ، فإننا نرحل إذا أصبحنا ، فرجع موسى وارتحل ^(٧) طرخون والعجم جميعا .

(١) في الطبرى : هزبل .

(٢) في الطبرى : إن هذا لم يأتك إلا بغدرة .

(٣) زيادة في الطبرى .

(٤) في د : إلا ضربه .

(٥) في ك : ورحل .

فلما عزل يزيد بن المهلب وولى المفضل أراد أن يحظى عند الحجاج
بقِتال موسى ، فسير إليه عثمان بن مسعود فى جيش ، وكتب إلى أخيه
مدرك بن المهلب وهو ببلخ يأمره بالمسير معه ، فعبّر النهر فى خمسة
عشر ألفاً ، وكتب إلى السبل وإلى طرخون فقدموا عليه ، فحصبوا
موسى وضيقوا عليه ، فمكث شهرين فى ضيق ، وقد خندق عثمان عليه ،
وحفر البيات ، فقال موسى لأصحابه : اخرجوا بنا ، حتى متى نصير^(١) ؟
فاجعلوا يومكم معهم إما ظفرتهم وإما قتلهم ، واقصِدُوا الترك .

فخرجوا وخلف النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم فى المدينة ،
وقال له : إن قتلت فلا تدفن المدينة إلى عثمان ، وادفعها إلى مدرك
ابن المهلب ، وخرج وجعل ثلث أصحابه بإزاء عثمان ، وقال : لا تقاتلوه^(٢)
إلا إن قاتلكم ، وقصد طرخون وأصحابه فصدقوهم القتال ، فانهزم
طرخون ، واستولى موسى على عسكره ، وزحفت^(٣) الترك والصغد ،
فحالوا بين موسى والحصن ، فقاتلهم ، فعمقوا^(٤) فرسه فسقط :
فقال لمولى له : احملنى . فقال : الموت كبريه ، ولكن ارتد ف ، فإن
نجونا نجونا جميعاً ، وإن هلكنا هلكنا جميعاً .

فارتد ف ، فلما نظر إليه عثمان حين وتب قال : وثبة موسى ورب
الكعبة ، وقصده وعمّرت فرسه ، فسقط هو ومولاه فقتلوه ، ونادى
منادى عثمان : من لقيتموه فخذوه أسيراً ، ولا تقتلوا أحداً ، فقتل ذلك

(١) فى ك : تصبروا .

(٢) فى الطبرى : لا تهاجموه إلا أن يقاتلكم .

(٣) فى ك : ورجعت . وفى الطبرى : وكسرت .

(٤) فى الطبرى : فعمّره فرسه .

اليوم من الأسرى خَلَقًا كثيرًا من العرب خاصة ، فكان يقتل العربي ويضرب المولى وَيُطْلِقُهُ ، وكان الذي أجهز على موسى واصل ابن طَيْسَلَةَ (١) الْعَثْرِي ، وسَلَّمَ النَضْرَ المَدِينَةَ إلى مُدْرِك فسَلَّمَهَا مُدْرِك إلى عِثَانَ ، وكتب المفضل إلى الحجاج بِقَتْلِ موسى فلم يَسْرَهُ ذلك ، لَأَنَّهُ مِنْ قَيْس .

وكان مقتل موسى في سنة [٨٨٥هـ] خمس وثمانين ، وكان مقام موسى بالحصن أربع عشرة سنة . وقبل خمس عشرة سنة .

ذكر وفاة عبد العزيز بن مروان

وولاية عبد الله بن عبد الملك مصر والبيعة للوليد وسليمان

ابن عبد الملك بولاية العهد

كانت وفاته بمصر في جمادى الأولى سنة [٨٨٥هـ] خمس وثمانين ، وكان عَبْدُ الْمَلِكِ أَرَادَ أَنْ يَخْلَعَهُ مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْد ، وَيُبَايِعَ لَابْنِهِ الْوَلِيدَ ، فَنَهَاها قَبِيصَةُ بْنُ ذُوَيْبٍ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : لَا تَفْعَلْ ، وَلَعَلَّ الْمَوْتَ يَأْتِيهِ ، فَكَفَّ عَنْهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَنَفْسُهُ تَنَازَعَتْ إِلَى خَلْعِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَوْحُ بْنُ زُرَيْبٍ ، وَكَانَ أَجَلَ النَّاسِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ خَلَعْتَهُ مَا انْتَطَحَ فِيهَا عَنَزَانٌ بِوَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُجِيبُكَ إِلَى ذَلِكَ . قَالَ : نَصَبِاحٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَتَفَعَّلَ .

وَنَامَ رَوْحٌ عِنْدَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا قَبِيصَةُ بْنُ ذُوَيْبٍ وَهُمَا نَائِمَانِ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَى حِجَابِهِ أَلَّا يَحْجُبُوا قَبِيصَةَ عَنْهُ ، وَكَانَ

(١) الضبط من الطبري ، والقاموس .

إليه الخاتم والسكّة، والأخبار تأتيه قبل عبد الملك ، فلما دخل سلم عليه ، وقال : آجرك الله فى عبد العزيز أخيك ! قال : هل توفى ؟ قال : نعم . فاسترجع ، ثم أقبل على رّوح ، وقال : كفانا الله ^(١) ما نريد . وكان هذا مخالفا لك يا قبيصة . وضّم عبد الملك عمّل عبد العزيز إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك : وأمر بالبيعة لابنائه : الوليد ، وسليمان ، فبايعهما الناس ، وكتب بذلك إلى الأمصار ، وكان على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومى ، فدعا الناس إلى البيعة : فأجابوا إلا سبيد بن المسيّب ، فإنه أبى ، وقال : لا أبايع وعبد الملك حى ، فضربه هشام ضرباً مبرحاً ، وطاق به وهو فى ثبّان ^(٢) . شعر حتى بلغ رأس الثنية [التى يقتلون ويصلبون عندها] ^(٣) ، ثم رده وجبسه .

فبلغ ذلك عبد الملك ، فقال : قبح الله هشاماً ، إنما كان ينبغي له أن يدعو إلى البيعة ، فإن أبى أن يبايع يضرب عنقه أو يكف عنه . وكتب إليه يلوّمه ويقول : إن سعيداً ليس عنده شقاق ولا خلاف ؛ وقد كان سعيد امتنع أيضاً من بيعة ابن الزبير ، وقال : لا أبايع حتى يجتمع الناس ، فضربه جابر بن الأسود عامل ابن الزبير ستيين سوطاً .

فكتب ابن الزبير إلى جابر يلوّمه ، وقال : مالنا ولسعيد ! دعه ، لا تعرض له .

وحجّ بالناس فى هذه السنة هشام بن إسماعيل .

(١) فى الكامل والطبرى : ما كنا نريد .

(٢) الثبان — كرمات : من أويل صفر يستر العورة المغاظة .

(٣) من الكامل .

سنة (٨٦ هـ) ست وثمانين :

ذكر وفاة عبد الملك بن مروان

كانت وفاته بدمشق في منتصف شوال سنة [٨٦هـ] ست وثمانين ، وكان يقول : أخافُ الموتَ في شهر رمضان ، فيه وُلدت ، وفيه قُطِمت ، وفيه جمعت القرآن ، وفيه بايع لي الناس ، فمات في شوال حين أُمِنَ الموتُ في نفسه ، واختلف في عمره من ثلاث وستين سنة إلى سبع وخمسين .

وصلى عليه ابنه وليُّ عهده الوليد .

وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً ، خلص له الأمرُ منها بعد مقتل عبد الله بن الزبير ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال ، ودُفِنَ بدمشق خارج باب الجابية .

قيل : ولما اشتدَّ مَرَضُهُ نهاه بعضُ الأطباء أن يشرب الماء ، وقال : إن شَرِبَ الماء مات ، فاشتدَّ عَطَشُهُ ، فقال : يَا وَلِيد ، اسقني ماء . قال : لا أُعِينُ عليك . فقال لابنته فاطمة : اسقيني ، فمنعها الوليد . فقال : لتدعني أو لأخلعنك . فقال : لم يَبْقَ بعد هذا شيء ، فسقته فمات .

ودخل عليه الوليد وابنته فاطمة عند أسه تبكى ، فقال : كيف أمير المؤمنين ؟ قال : هو أصلح مما كان . فلما خرج قال عبد الملك ^(١) :
ومستخبر عنا يريد بنا ^(٢) الردى ومُستخبراتِ والدموعُ سواجِم

(٢) في الكامل : يريد لنا .

(١) والكامل : ٤ - ١٠٣

ذكر وصيته بنيه عند موته .

قال (١) : وأوصى بنيه عند موته ، فقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإنه أزين حلية وأحصن كهف ، ليُعْطِفَ الكبيرُ منكم على الصغير ، وليعرف الصغير حقَّ الكبير . وانظروا مسلمة فاضدروا عن رأيي ، فإنه تائبكم الذى تَقْرُونَ (٢) : ومجنكم الذى عنه تَرْمُونَ ، وأكرموا الحجاج فإنه الذى وطألكم التائب (٣) ودوخ لكم البلاد ، وأذل لكم الأعداء ، وكونوا بى أم بررة . لا تدب بينكم العقارب ، وكونوا فى الحرب أحرارا ، فإن القتال لا يقرب ميتة ، وكونوا للمعروف منارا ، فإن المعروف يبقى أجره وذخره وذكره ، وضنوا مغروفكم عند ذوى الأحساب ، فإنهم أضون له وأشكر لما يؤتى إليهم منه ، وتعدوا (٤) ذنوب أهل الذنوب ، فإن استقالوا فاقبلوا ، وإن عادوا فانتقموا .

ذكر أولاده وأزواجه

كان له : الوليد ، وسليمان ، ومروان الأكبر - درج ، وعائشة ، أم هؤلا . ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة (٥) . وبزید ومروان (٦) ومعاوية آ درج ، وأم كلثوم ، أمهم عائكة ابنة

(١) الكامل : ٤ - ١٠٣ ، ومروج الذهب : ٢ - ١٥٤

(٢) فى الطبرى : تقرون عنه . وفى الكامل : تقرون . وفرالدابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سنها .

(٣) فى مروج الذهب : وطألكم هذا الأمر .

(٤) فى الكامل : وتعدوا . وتعبد الشيء : ستره .

(٥) فى ك : خزيمه . والمثبت فى الطبرى والكامل .

(٦) لعله الأصغر كما فى العقد القرئى : ٤ - ٤٢٠

يزيد بن معاوية [(١)] : وهشام أمه (٢) أم هشام بنت هشام
ابن إسماعيل بن هشام بن الوليد (٣) بن المغيرة المخزومية ، واسمها
عائشة ، وأبو بكر ، وهو بكار ، أمه عائشة بنت موسى بن طلحة
ابن عبيد الله ، والحكم - درج ، أمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان ،
وفاطمة ، أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام
ابن المغيرة ، وعبد الله (٤) ومسلمة والمنذر وعنيسة ومحمد وسعيد
الخير [وقبيصة (٥)] لأمهات أولاد ، وكان له من النساء [سوى من ذكرناه] (٦)
شُقراء بنت حلبس الطائي ، وأم أبيها ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

ذكر شيء من أخباره وعماله

قالوا : كان عبدُ الملك بن مروان عاقلاً حازماً أديباً لبيباً عالماً ،
قال أبو الزناد : كان فقهاء المدينة أربعة : سعيد بن المسيّب ، وعروة
ابن الزبير ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان . وقال الشعبي
رحمه الله : ما ذا كُرتُ أحداً إلا وجدتُ لي الفضل عليه ، إلا عبد الملك ،
فإنّي ما ذا كُرتُه حديثاً إلا زادني فيه ، ولا شعراً إلا زادني فيه ، قالوا :
وكان مجباً للفخر والبذخ ، وكثرت الشعراء على أيامه ، وكان
من فحول شعرائه جرير والفرزدق والأخطل وكثير .

وكان عبدُ الملك مُقدِّماً على سَفك الدماء ، وكذلك كانت عماله :
فكان الحجاج بالعراق ، والمهلب بن أبي صُفرة بخراسان ، وهشام

(١) ساقط في ك (٢) في الطبري والكامل : وأمه .

(٣) في د : والمغيرة .

(٤) في الكامل : عبد الملك . والثبت في الطبري أيضا .

(٥) ساقط في الطبري و الكامل .

ابن إسماعيل المخزومى بالمدينة ، وعبد الله ولده بمصر ، وموسى
ابن نصير اللخمي بالغرب ، ومحمد بن يوسف أخو الحجاج باليمن ،
ومحمد بن مروان بالجزيرة ؛ وما منهم إلا من هو ظالم غشوم جائر .
وكان نقش خاتمة : آمنت بالله مخلصا .

وكتابه : روح بن زنباع ، ثم قبيصة بن ذؤيب ، وغيرهما .
قاضيه : أبو بشر الخولاني ، وعبد الله بن قيس .
حاجبه : يوسف مولا .

الأمراء بمصر وقضاتها

أقرَّ عبدُ الملك أخاه عبد العزيز على إمارة مصر إلى أن مات ،
فولى ابنه عبد الله . وكان القاضى بمصر عابس إلى أن مات ، فولى
عبدُ العزيز بشير بن النضر بن بشير المزني ، ثم مات فولَّاهَا عبد
الرحمن بن حجر الخولاني . ثم صرفه وولى يونس الحضرمي ،
ثم صرفه وولى عبد الرحمن بن معاوية بن خديج القضاء والشرطة ،
فلما ولى عبد الله بن عبد الملك أقرَّ عبد الرحمن على القضاء ثم صرفه
وولى عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل ابن حسنة ثم عزله ،
وولى عبد الواحد بن عبد الرحمن بن خديج .

قال : وعبد الملك أول من غدر في الإسلام : حين قتل عمرو بن سعيد
الأشدق .

وهو أول من نقل الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية .
وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء ، وكان الناس من قبله
يراجعونهم .

وهو أول من نهى عن الأمر بالمعروف ، فإنه قال في خطبته بعد

قتل ابن الزبير : ولا يأمرني أحدٌ بتَقْوَى الله تعالى بعد مقامى هذا
إلا ضربت عنقه . (١) (٢) (٣) (٤) ٩٨

ذكربيعة الوليد بن عبد الملك

هو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه ولادة بنت العباس بن جزء ، وقد تقدم ذِكْرُ نسبها ، وهو السادس من ملوك بني أمية . بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه ، وذلك في يوم الخميس النصف من شوال سنة ست وثمانين . قال : ولما دُفِنَ أبوه عبد الملك انصرف عن قبره فدخل المسجد ورقى المنبر فخطب الناس ، وقال : إنا لله ، وإنا إليه راجعون ، والله المستعان على مُصِيبَتِنَا بِمَوْتِ أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أَنْعَمَ علينا من الخلافة . قَوْمُوا فبَايَعُوا ، فكان أول مَنْ عَزَى نفسه وهنأها : وكان أول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلولى وهو يقول (١) :

الله أعطاك التى لا فَوْقَهَا وقد أَرَادَ الْمُلْحِدُونَ عَوْقَهَا
عَنكَ ، وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا سَوْقَهَا إِلَيْكَ حَتَّى قَلَدُوكَ طَوْقَهَا
وبايعه ، وقام (٢) النَّاسُ للبيعة (٣) .

وقد قيل : إِنَّ الوليدَ لَمَّا صعد المنبر حمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أيها الناس ، لَا مُقَدِّمَ لِمَا أَخَّرَ اللهُ ، وَلَا مُؤَخَّرَ لِمَا قَدَّمَ ، و [قد] (٤)
كان من قضاء الله وسابقِ عِلْمِهِ ، وما كتب على أنبيائه وحَمَلَةِ عَرْشِهِ

(١) والطبرى : ٦ - ٤٢٣ ، والكامل : ٤ - ١٠٥ .

(٢) في الطبرى : ثم تتابع الناس على البيعة .

(٣) في ك ، والكامل : لبيعته .

(٤) ساقط في ك .

الموت ، وقد صار إلى منازل الأبرار ولئى هذه الأمة بالذى يحق لله عليه فى الشدة على المذنب ^(١) واللى لأهل الحق والفضل ، وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام وأعلامه ^(٢) ؛ من حج البيت ، وغزو الثغور ، وشن الغارة على أعداء الله ، فلم يكن عاجزاً ولا مفرطاً .
أبها الناس ، عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة ، فإن الشيطان مع الفرد .
أبها الناس ، من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ،
ومن سكنت مات بدائه ، ثم نزل .
ولنبداً من أخبار الوليد بالغزوات والفتوحات ، ثم نذكر الحوادث على حكم السنين :

ذكر الغزوات والفتوحات

اللى اتفقت فى خلافة الوليد بن عبد الملك
ولنبداً من ذلك بأخبار قتيبة بن مسلم وما فتحه من البلاد :

ذكر ولاية قتيبة بن مسلم خراسان

وغزواته وفتوحاته

فتح قتيبة بن مسلم فى مدية ولايته خراسان من بلاد ما وراء النهر :
الصغانيان ^(٣) ، وآخرون ، وكاسان ^(٤) ، وأورشنت ، وهى من قرغانة

(١) فى الطبرى والكمال : المريب . وفى العقد الزمرد : الذى كان عليه من الشدة على المريب ، والذين على أهل الفضل والدين .

(٢) فى ك : وإعلامه .

(٣) بالفتح وبعد الألف نون ثم ياء مثناة ، وآخره نون ، والمعجم يقولون : جفانيان : ولاية عظيمة بما وراء النهر (المرصد) .

(٤) كاسان — بالسين المهملة : مدينة كبيرة فى أول بلاد تركستان وراء نهر سيحون وراء الشاش (ياقوت) .

وأخسيبكت^(١)، وهى مدينة فرغانة القديمة، ويبيكنند^(٢). ويُبخارى ،
والطالقان^(٣). والفارياب^(٤) والجوزجان ، وشومان^(٥) وكش^(٦) ،
ونسف ، ورام جرد ، وسمرقند ، والشاش^(٧) وفرغانة : ومدينة كاشغر .
وكان أول ما بدأ به قتيبة أنه لما قدم خرأسان أميراً للحجاج ، وذلك

فى سنة [٨٨٦] ست وثمانين قدمها والمفضل بن المهلب يحرض الجند
للغزاة ، فخطب قتيبة الناس ، وحشهم على الجهاد ، ثم عرضهم : وسار بهم .
فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلغ وساروا معه ، وقطع النهر
فتلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح^(٨) من ذهب : ودعاه
إلى بلاده ، فمضى معه فسلمها إليه ، لأن ملك أخرون وشومان
كان يسئء جواره ، ثم سار قتيبة منها إلى أخرون وشومان وهما من

(١) بالفتح ثم السكون وكسر السين المهلبة وباء ساكنة وكاف وئاء مثله .
وبعضهم يقول : بالئاء المثناة وهو أولى من المثلة : مدينة بما وراء النهر ، فصبة فرغانة
(المرصد) .

(٢) بيكنند - بالكسر . وفتح الكاف وسكون التوب : بلد بين بخارى وجيجون
(المرصد) .

(٣) الطالقان - بلام مفتوحة : بلدتان إحداها بخراسان : والأخرى كورة
وبلدة بين فروزين وأبهر (المرصد) .

(٤) الفارياب - بكسر الفاء ثم ياء مثناة من تحت وآخره باء : مدينة مشهورة
بخراسان قرب بلخ (ياقوت) .

(٥) شومان - بالضم والسكون وآخره نون : بلدة بالصغانيان . بما وراء جيجون
(المرصد) .

(٦) كش - بكسر أوله وتشديد ثانيه ، قال ابن ماكولا : بقوله العرافيون
وغيرهم - كس - بفتح الكاف ، وربما صحفه بعضهم وقاله بالثين المعجمة ، وهو
خطأ ، وهى مدينة كبيرة تقارب سمرقند (المرصد) .

(٧) شاش : آخره شين معجمة : قرية بالرى وبلدة بما وراء النهر ، ثم وراء
سيحون (المرصد) . (٨) فى الكامل : ومفتاح .

طَخَارِسْتَان ، فصالحه ملكها على قُتَيْبَةٍ أَدَاها إِلَيْهِ ، فَقَبِلَهَا قُتَيْبَةٌ . ثُمَّ انصرف إلى مَرُو ، واستخلف على الجُنْد أخاه صالح بن مسلم ففتح صالح بعد رجوع قُتَيْبَةٍ كاشان وأورشت ، وهى من فرغانة ، وفتح أخْيَيْبِكْت وهى مدينة فرغانة القديمة .

وقيل : إن قُتَيْبَةَ قَدِمَ خُرَاسَانَ فى سنة [٨٨٥] خمس وثمانين . فعرض الجُنْد فغزاه آخرون وشُومَان ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَرُو . وقيل : إنه لم يَغْزَاهُ فى هذه السنة ، ولم يقطع النهر بسبب بُلُخ : فَإِنَّ بَعْضَهَا كَانَ مَنْتَقِضًا عَلَيْهِ ، فَحَارَبَهُمْ وَسَبَى مِنْهُمْ ، ثُمَّ صَالَحَهُمْ فَأَمَرَ بِرَدِّ السَّبْيِ .

ذكر قُتَيْبَةِ وَنِيزَك

قال : لَمَّا صَالَحَ قُتَيْبَةَ مَلِكُ شُومَانَ كَتَبَ إِلَى ^(١) نِيزَك طَرَخَانَ صَاحِبِ بَاذَغِيسَ فى إِطْلَاقِ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَتَهَدَّدُهُ ، فَخَافَهُ نِيزَكُ ، فَأَطْلَقَهُمْ ، وَبِعَثَ بِهِمْ إِلَيْهِ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ قُتَيْبَةَ مَعَ سَلِيمِ النَّاصِحِ مَوْلَى عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ يَدْعُوهُ إِلَى الصِّلَاحِ وَإِلَى أَنْ يُوْثِقَهُ ، فَصَالَحَهُ ^(٢) نِيزَكُ لِأَهْلِ بَاذَغِيسَ عَلَى أَلَايَدِ خَلْفَاءِ قُتَيْبَةَ .

ذكر غزوة بِيكَنْدٍ وَفَتْحَهَا

وَغَزَا قُتَيْبَةَ بِيكَنْدَ فى سنة [٨٨٧] سبع وثمانين ، وهى أَذْنَى مَدَائِنِ بُخَارَى إِلَى النَّهْرِ ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِمْ اسْتَنْصَرُوا الصُّقْدَ وَاسْتَمْلَوْا مِنْ حَوْلِهِمْ . فَأَتَوْهُمْ فى جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَأَخَذُوا الطَّرِيقَ عَلَى قُتَيْبَةَ فَقَاتَلَهُمْ ^(٣)

(١) بفتح النون فى د، وكسرهما فى الطبرى .

(٢) فى الطبرى والكامل : فصالحه أهل باذغيس .

(٣) فى الطبرى : فلم ينفذ لقُتَيْبَةَ رسول ، ولم يصل إليه رسول ، ولم يجر له خبر شهرين .

شهرين في كل يوم ، ثم انهزم الكفار إلى المدينة ، فتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، وتحصن من دخل المدينة منهم بها ، فأمر قتيبة بهدم سورها ، فسأله الصلح ، فصالحهم ، واستعمل عليهم^(١) عاملاً وارتحل عنهم . فلما سار خمس فراسخ نقضوا [الصلح]^(٢) وقتلوا العامل ومن معه . فرجع قتيبة فنقب السور فسقط ، فسأله الصلح فأبى ، ودخلها عنوة ، وقتل من كان بها من المقاتلة ، وكان فيمن أخذ من المدينة رجل أعور ، وهو الذي استجاش الترك على المسلمين : فقال لقتيبة : أنا أفدى نفسي بخمسة آلاف حريرة قيمتها ألف ألف ، فاستشار قتيبة الناس ، فقالوا : هذا^(٣) زيادة في الغنائم ؛ وما عسى أن يبلغ من كئيد هذا ؟ قال : والله لا يروغ بك مسلم^(٤) أبداً ، وأمر به فقتل ، وأصابوا فيها من الغنائم والسلاح وآنية الذهب والفضة . لا يخصى ، ولا أصابوا بخراسان مثله .

ولما فرغ قتيبة من فتح بيكنند رجع إلى مرو .

ذكر غزو نومشكت وراميشنة وصلح أهلها

وقتل الترك والصغد وأهل فرغانة

وفي سنة [٨٨٨هـ] غزا قتيبة نومشكت^(٥) ، فتلقات أهلها ، فصالحهم ، ثم سار إلى راميشنة^(٦) ، فصالحه أهلها ، وانصرف

(١) في الطبري : رجلا من بني فتية . (٢) زيادة في الكامل .

(٣) في الكامل : هذه . (٤) في الطبري : لا تروغ بك مسلحة .

(٥) الضبط في الطبري . د .

(٦) في الطبري : راميشنة . وفي المراصد وياقوت : راميشن : قرية ببخارى .

عنهم وزحف إليه التركُ ومعهم الصُّغد وأهل قَرْغَانَة في مائى ألف .
 ملكهم كوربغانو ^(١) . ابن أخت ملك الصِّين ، فاعترضوا المسلمين ؛
 فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم أخا قُتَيْبَة وهو على الساقة وبينه وبين
 قُتَيْبَة وأوائل العسكر ميل ، فقاتلهم عبد الرحمن ومن معه ، وأرسل
 إلى أخيه ، فرجع بالمسلمين ، وقد أشرف الترك على الظهور على
 عبد الرحمن ومن معه ، فلما رأى المسلمون قُتَيْبَة طابت نفوسهم ،
 وقويت ، وقاتلوا إلى الظهر ، فانهزم الترك ومن معهم وكان نيزك
 يومئذ مع قُتَيْبَة ، فأبلى بلاءً حسناً ، ورجع قُتَيْبَة بعد الهزيمة إلى مرو .

ذكر غزو بخارى وفتحها

كانت غزوة بخارى في سنة [٨٨٩] تسع وثمانين ، والفتح
 في سنة [٨٩٠] تسعين ؛ وذلك أن الحجاج بن يوسف كتب
 إلى قُتَيْبَة يأمره بقصد وردان خذاه ^(٢) ، فعبر النهر من زم ^(٣) ، فلقى
 الصُّغد وأهل كِس ونَسَف في طريق المفازة ، فقاتلوه ، فظفر بهم .
 ومضى إلى بخارى ، فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان ، فلقوه في جمع
 كثير ، فقاتلهم يومين وليلتين ، فظفر بهم ، وغزا وردان ^(٤)
 خذاه ملك بخارى فلم يظفر منه بشيء ، فرجع إلى مرو . وكتب
 إلى الحجاج بخبره ، فكتب إليه الحجاج أن صورها . فبعث إليه

(١) في ك : كوربغانون . وفي الكامل : كور نعاون . وفي نظري : كور مغانود

والنبت في د .

(٢) الصُّبْح في د : ونظري .

(٣) زم : موضع ببلاد بني ربيعة . وقبل ببلاد قيس بن ثعلبة .

بصورتها ، فكتب إليه أن تُبْ إلى الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ مما كان منك وأثرها
من مكان كذا وكذا .

[قيل^(١)] : وكتب إليه أن كُش بكس ، وانسِف نسفاً ، ورِدْ وِرْدَان ،
وإياك والتحويط ، ودغنى من بُنيَات^(٢) الطريق .

فخرج قتيبة إلى بخارى في سنة [٨٩٠] تسعين ، فاستجاش
وَرْدَان خُدَّاه الصُّغْد والترك وَمَنْ حوله ، فَأَتَوْهُ^(٣) وقد سبق إليها قُتَيْبَةُ
وحصرها^(٤) . فلما جاءتهم أمدادهم خرجوا إلى المسلمين يقاتلونهم ،
فقال الأزد : اجعلونا نَاحِيَةً ، وغلُّوا بيننا وبين قتالهم ، فقال
قُتَيْبَةُ : تقدّموا ، فتقدّموا ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزم الأزدُ ،
حتى دخلوا العسكر ، وركبهم المشركون حتى حطموهم ، وقاتلت
مُجَنَّبَتَا المسلمين الترك حتى رُدُّوهم إلى مواقعهم ، فوقفت الترك على
نَشْرٍ ، فقال قُتَيْبَةُ : مَنْ يُزِيلُهُمْ عن هذا الموقف ! فلم يقم^(٥) لهم
أحدٌ من العرب ، فَأَتَى بنى تميم ، فقال لهم : يوم^(٦) كأيامكم .
فأخذ وكيع اللواء ، وقال : يا بنى تميم ، أتسلموننى اليوم ؟
قالوا : لا ، يا أبا المَطَّرَف^(٦) ، وكان هُزَيْم^(٧) بن أبي طَحْمَةَ^(٨)
على خَيْلِ تميم ، ووَكِيع رأسهم . فقال : يا هُزَيْم^(٧) قَدِّمْ خَيْلَكَ ، ورفع إليه

(١) من الطبرى . (٢) في ك : ثبات الطريق .

(٣) في الطبرى : فَأَتَوْهُمْ ... محصرهم .

(٤) في الطبرى : عليهم . (٥) في الكامل : يوما .

(٦) في الكامل والطبرى : مطرف .

(٧) بالراى في ك . د . وفي الطبرى : هريم - بالراء - والمثبت في تاج

العروس .

(٨) في د ، ك : طاحية . والمثبت في الطبرى والكامل . وتاج العروس - طحم .

الرأية ، وتقدم هُزَيْمٌ ، وتقدم وكيع في الرِّجَالَة ^(١) ، وكان بينهما وبين الترك نَهْرٌ ، فأمر وكيع هُزَيْمًا بَقَطْعِهِ إِلَيْهِمْ ، فعبره في الخيل ، وانتهى وَكَيْعٌ إِلَى النهر ، فعمل عليه جسراً من خَشَبٍ ، وقد لأَصْحَابِهِ : مَنْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الْمَوْتِ فَلْيَعْبِرْ ، وَإِلَّا فَلْيَثْبِثْ مَكَانَهُ . فلم يعبُرْ معه إِلَّا ثَمَانِيَةُ رَجُلٍ ^(٢) . فلما عبر بهم قال لَهُزَيْمٌ : إِنِّي مُطَاعِنُهُمْ فَاشْغَلْهُمْ عَنَّا بِالْخَيْلِ ، وحمل عليهم حتى خالطهم ، وحمل هُزَيْمٌ فِي الْخَيْلِ فطاعنهم ^(٣) ، وقتلهم المسلمون حتى حَذَرُوهُمْ عَنِ النَّهْرِ ، ثم عبر النَّاسُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ انْهِزَامِ التُّرْكِ ، وناذى قُتَيْبَةُ : مَنْ أَتَى بِرَأْسِ فُلَةٍ مَائَةٍ ، فَأُتِيَ بِرُءُوسٍ كَثِيرَةٍ ، وَجُرِحَ خَاقَانُ وَابْنُهُ ، وفتح اللهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

قال : ولما أَوْقَعَ قُتَيْبَةُ بِأَهْلِ بَخَارَى هَابَهُ الصُّغْدُ ، فَرَجَعَ طَرْخُونُ مُلْكُهُمْ وَمَعَهُ فَارِسَانٌ ، فَدَنَا مِنْ عَسْكَرِ قُتَيْبَةَ ، فَطَلَبَ رَجُلًا يَكَلِّمُهُ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ قُتَيْبَةُ حَيَّانَ ^(٤) النَّبِطَى ، فَطَلَبَ الصَّلْحَ عَلَى فِئَةٍ يُوقِيهَا إِلَيْهِمْ . فَأَجَابَهُ قُتَيْبَةُ إِلَى مَا طَلَبَ ، وَصَالَحَهُ ، وَرَجَعَ طَرْخُونُ إِلَى بِلَادِهِ : وَرَجَعَ قُتَيْبَةُ وَمَعَهُ فَيْزَكٌ .

(١) في الطبرى : الرجال .

(٢) في الطبرى : راجل .

(٣) في د : والكامل : فطاعنهم .

(٤) في الكامل : حيان — بالخاء المهملة وَاِيَاءِ الْمَشْدُودَةِ تَحْتِهَا نَقَطَتَانِ . وَآخِرُ

ذكر غدر نيزك وفتح الطالقان

وما كان من خبر نيزك إلى أن قتل

قال : ولما رجع قتيبة عن بخارى ومعه نيزك وقد خاف ^(١) لما رأى من الفتوح ، فقال لأصحابه : أنا مع هذا ولست آمنه ، فلو استأذنته ورجعت كان الرأي . قالوا : افعل . فاستأذن قتيبة ، فأذن له وهو بآمل ، فرجع يريد طخارستان ، وأسرع السير حتى أتى النوبهار ^(٢) ، وقال لأصحابه : لا شك أن قتيبة قد قدم على إذنه لى ، وسيبعث إلى المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسى ، فكان كما قال : ندم قتيبة ، وبعث إلى المغيرة يأمره بحبس نيزك ، فتبعه المغيرة ، فوجده قد دخل شعب خلطم ^(٣) ، فرجع المغيرة ، وأظهر نيزك الخلع ، وكتب إلى أصفهذ بلخ وإلى باذان ^(٤) ملك مرو الروذ وإلى ملك الطالقان وإلى ملك الفارياب ^(٥) وإلى ملك الجوزجان يدعوهم إلى خلع قتيبة ، فأجابوه ، وواعدهم الربيع أن يجتمعوا ويغزوا قتيبة .

وكتب إلى كابُل شاه يستظهر به ، وبعث إليه بثقله وماله ، وسأله أن يأذن له إن اضطر أن يأتيه ، فأجابه إلى ذلك ، وكان خبغويه ^(٦) ملك طخارستان ضعيفاً ، فأخذه نيزك ، فقيده بقيد من ذهب لئلا يخالف عليه ، وكان خبغويه ^(٦) هو الملك ونيزك عنده ، فاستوثق منه ،

(١) في د : والكامل : وقد حاف لما يرى . وفي الطبري : وقد ذعره ما قد رأى .

(٢) بالضم ثم السكون ، وباء موحدة مفتوحة ، وهاء وألف وراء : في موضعين

أحدهما قرب الرى . ونوبهار أيضا يلخ (المراد) .

(٣) خلطم : بلدة بنواحي بلخ (المراد) . (٤) في الطبري : باذام .

(٥) في ك : القاريات . وقد تقدم ضبطها .

(٦) كتب في دسرة خبغويه : ورة : خيغونه . وفي ك : جنغويه ، وفي الطبري جيغويه .

وأخرج عامل قتيبة من بلاد جيعويه ، وبلغ قُتَيْبَةَ خلعه ، وقد
نفرقَ الجندُ ، فبعث أخاه عبد الرحمن في اثني عشر ألفاً إلى البربروقان^(١) ،
وقال : أقيم بها ولا تحدث شيئاً ، فإذا انقضى الشتاء [فعسكر] و^(٢)
سرنحو طخارستان ، فسار ، فلما كان آخر الشتاء كتب قُتَيْبَةَ إلى نيسابور
وغيرها من البلاد لتقدم عليه الجنود ، فقدموا . فسار نحو الطالقان :
وكان ملكها قد خلع وطابق نيزك على الخلع ، فأتاه قُتَيْبَةَ ، فأوقع بأهل
الطالقان ، فقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، وصلب منهم سباطين أربعة
فراسخ في نظام واحد ، واستعمل أخاه عمرو^(٣) بن مسلم .

وقيل : إن ملك الطالقان لم يحارب قُتَيْبَةَ ، فكف عنه ، وكان بها
لصوص ، فقتلهم قُتَيْبَةَ وصلبهم ، ثم سار قُتَيْبَةَ إلى الفارياب في سنة
[٥٩١ هـ] إحدى وتسعين ، فخرج إليه ملكها مُقِرّاً مُدْعِئاً ، فقبل
منه ولم يقتل بها أحداً ، واستعمل عليها رجلاً من باهلة^(٤) ، وبلغ
ملك الجوزجان خبرهم ، فهرب إلى الجبال ، وسار قُتَيْبَةَ إلى الجوزجان ،
فلقيه أهلها^(٥) سامعين مطيعين ، فقبل منهم ولم يقتل بها أحداً ،
واستعمل عليها عامر بن مالك الحماني ، ثم أتى بلخ فلقيه أهلها ،
فلم يقيم إلا يوماً واحداً ، وسار يتبع أخاه عبد الرحمن إلى شغب

(١) قرية من نواحي بلخ (المراصد) .

(٢) زيادة في الطبرى .

(٣) في الكامل : عمر . والمثبت في الطبرى أيضا .

(٤) في الكامل : من أهله .

(٥) في الكامل : أهله .

خُطِمَ ، ومضى نَيْرُكُ إلى بَغْلان^(١) ، وخُطِفَ مقاتلته على فَمِ الشُّعْبِ
ومضابقيه يَمْتَعُونَ ، ووضَعَ مقاتلته في قَلْعَةٍ حَصِينَةٍ مِنْ وِراءِ الشُّعْبِ ،
فَأَقَامَ قُتَيْبَةَ أَبَامًا لَا يَقْدِرُ عَلَى دُخُولِهِ ، وَلَا يَعْرِفُ طَرِيقًا يَنْسَلِكُهُ إِلَى
نَيْرُكُ إِلَّا الشُّعْبُ أَوْ مَفَازَةٌ لَا تَقْدِرُ الْعَسَاكِرُ عَلَى قَطْعِهَا ، فَأَتَاهُ إِنْسَانٌ
فَاسْتَأْمَنَهُ عَلَى أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى مَدْخَلِ الْقَلْعَةِ الَّتِي مِنْ وِراءِ الشُّعْبِ ،
فَأَمَّنَهُ قُتَيْبَةُ ، وَبَعَثَ مَعَهُ رَجَالًا ، فَأَنْتَهَى بِهِمْ إِلَى الْقَلْعَةِ ، فَطَرَقُوهُمْ
وَهُمْ آمِنُونَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ ، وَهَرَبَ مَنْ بَقِيَ وَمَنْ كَانَ فِي الشُّعْبِ ،
فَدَخَلَ قُتَيْبَةُ الشُّعْبَ ، فَأَتَى الْقَلْعَةَ وَمَضَى إِلَى سَمِينْجَانِ^(٢) ، فَأَقَامَ
بِهَا أَبَامًا ثُمَّ سَارَ إِلَى نَيْرُكُ ، وَقَدَّمَ أَخَاهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَارْتَحَلَ نَيْرُكُ
مِنْ مَنَزِلِهِ فَقَطَعَ وَادِي قَرْغَانَةَ ، وَوَجَّهَ ثَقْلَهُ وَأَمْوَالَهُ إِلَى كَابُلِ شَاهٍ ،
وَمَضَى حَتَّى نَزَلَ الْكُرُزَ^(٣) ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَّبِعُهُ ، وَنَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
وَأَخَذَ بِمُضَابِقِ الْكُرُزِ ، وَنَزَلَ قُتَيْبَةُ عَلَى فَرَسَيْنِ مِنْ أَخِيهِ ، وَتَحَصَّنَ
نَيْرُكُ بِالْكَرُزِ ، وَلَيْسَ لَهُ^(٤) إِلَّا مَسَلِكٌ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ
لَا تُطِيقُهُ الدَّوَابُ ، فَحَصَرَهُ قُتَيْبَةُ شَهْرَيْنِ حَتَّى أَقْلَ مَا فِي يَدِهِ نَيْرُكُ
مِنَ الطَّعَامِ ، وَأَصَابَهُمُ الْجُدْرَى . وَخَافَ قُتَيْبَةُ الشِّتَاءَ ، فَدَعَا سُلَيْمًا
النَّاصِحَ ، فَقَالَ : انْطَلِقْ إِلَى نَيْرُكُ ، وَاحْتَلِ لِنَاتِيهِ بِهِ بِغَيْرِ أَمَانٍ ،
فَإِنْ أَعْيَاكَ^(٥) وَأَبَى فَأَمَّنْهُ .

(١) بَغْلان - آخره نُونٌ : بِلْدَةُ بَنُو أَحْمَدِ بَلُخِ . (المراسد) .

(٢) بِكْسَرَتَيْنِ وَنُونٌ سَاكِنَةٌ ثُمَّ جِيمٌ وَآخِرُهُ نُونٌ : بِلْدَةٌ مِنْ طَخَارِسْتَانَ وَوِراءِ

بَلُخِ (المراسد) .

(٣) الَّذِي فِي يَاقُوتَ : كُرُزْبَانٌ : بِلْدَةٌ فِي الْجَبَلِ قَرِيبَ الطَّاهَرِثَانِ . وَالْمُنْبَتُّ فِي كُلِّ الْأَصُولِ .

(٤) فِي دَ : وَالطَّبْرِي : وَلَيْسَ إِلَيْهِ مَسَلِكٌ إِلَّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ .

(٥) فِي الْكَامِلِ : احْتَالَ .

فخرج إليه ، وأخذ معه أطعمةً وأخيصة كثيرة ، وأتى نَيْرَك ، فقال له : إنك أسأت إلى نفسك^(١) وغدرت. قال نَيْرَك : فما رأى ؟ قال : أرى أن تأتية ، فإنه ليس ببارح ، وقد عزم على أن يشترو مكانه ، هلك أو سلم . قال نَيْرَك : فكيف آتية على غير أمان . قال : ما أظنه يؤمنك لما فى نفسه عليك ، لأنك قد ملأته غيظًا ، ولكنى أرى ألا يعلم حتى تضع يدك فى يده ، فإنى أرجو أن يستحى ويغفؤ . قال : إن نفسى تأبى هذا . فقال سليم : ما أتيتك إلا لأشير عليك بهذا ، ولو فعلت لرجوت أن تسلم ويعود حالك عنده ، فإذا أبيت فإنى منصرف . وقدم الطعام الذى معه ، ولا عهد لهم بمثله ، فانتبهه أصحاب نَيْرَك ، فسأه ذلك ، فقال له سليم : أنا لك من الناصحين ، أرى أصحابك قد جُهدوا ، وإن طال بهم الحصار لم آمنهم أن يستأمنوا بك . فأت قتيبة . فقال : لا آمنه على نفسى ، ولا آتية إلا بأمان ، وإن ظننى أنه يقتلنى ، وإن أمننى ، ولكن الأمان أعذر لى . فقال سليم : قد أمنك ؛ أفنتهمنى ؟ قال : لا . وقال له أصحابه : اقبل قول سليم . فخرج معه ومع خبغويه^(٢) وصُول طرخان خليفة جبغويه ، وخنس^(٣) طرخان صاحب شرطنه وشقران^(٤) ابن أخى نَيْرَك ، فلما خرجوا من الشَّعب حالت خيل قتيبة بين أصحاب نَيْرَك وبين الخروج ، فقال نَيْرَك : هذا أول الغلر . فقال سليم : تخلُّف هؤلاء عنك خير لك . وأقبل سليم ونيرك ومن معه حتى دخلوا على قتيبة ، فحبسهم .

(١) فى الكامل : إلى قتيبة .

(٢) انظر الهامش السابق رقم ٦ صفحة ٢٨٩

(٣) فى الكامل : وحبس . والمثبت فى الطبرى أيضا .

(٤) الضبط فى الطبرى .

وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك ، واستخرج قتيبة مافي الكُرُز من مَنَاع ، وأتاه كتابُ الحجاج بعد أربعين يأمره بقتل نيزك ، فدعا قتيبةُ الناس ، واستشارهم ، فاختلفوا ، فقال ضمرار ابن حصين : إني سمعتك تقول : أعطيتُ الله عهدًا إن أمكنك منه أن تقتله ، فإن لم تفعل فلا ينصرك الله عليه أبدًا . فدعا نيزك ، فضرب رقبته بيده ، وأمر بقتل صول وابن أخى نيزك ، وقتل من أصحابه سبعمائة . وقيل اثني عشر ألفًا ، وصلب نيزك وابن أخيه ، وبعث برأيه إلى الحجاج ، وأخذ الزبيرُ مولى عباس الباهلي خُفًا لنيزك فيه جوهر ، فكان أكثر مَنْ في بلاده مالا وعقارًا من ذلك الجوهر ، وأطلق قتيبة جبعويه ^(١) ومن عليه ، وبعث به إلى الوليد ، فلم يزل بالشام حتى مات .

ولما قُتل نيزك رجع قتيبة إلى مرو ، وأرسل ملكَ الجوزجان يطلب الأمان ، فأمنه على أن يأتيه ، فطلب رهنا [يكونون في يده] ^(٢) ويعطى رهائن ، فأعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن حبيب الباهلي ، وأعطى ملكَ الجوزجان رهائن من أهل بيته ، وقدم على قتيبة ، ثم رجع فمات بالطالقان ، فقال أهل الجوزجان : إنهم أسموه فقتلوا حبيبًا . وقتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده .

(١) انظر الهامش السابق ، صفحة ٢٨٩

(٢) من الطبرى .

ذكر غزوة شومان

وَكشَّ وَنَسَفَ وَفَتَحَ ذَلِكَ .

وفى سنة [٥٩١هـ] إحدى وتسعين سار قُتَيْبَةُ إلى شومان فحصرها ، وكان سبب ذلك أَنَّ مَلِكَهَا طَرَدَ عَامِلَ قُتَيْبَةَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ قُتَيْبَةُ رَسُولَيْنِ : أَحَدُهُمَا مِنَ الْعَرَبِ اسْمُهُ عِيَّاشُ ، وَالْآخَرُ مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ يَدْعُوَانِهِ ^(١) إِلَى أَنْ يُوَدَّى مَا كَانَ صَالِحَ عَلَيْهِ ، فَقَدَمَا شُومَانُ ، فَخَرَجَ أَهْلُهَا إِلَيْهِمَا ، فَرَمَوْهُمَا . فَاَنْصَرَفَ الْخُرَاسَانِيُّ وَقَاتَلَهُمْ عِيَّاشُ فَقَتَلُوهُ ، وَوَجَدُوا بِهِ سِتْنِينَ جِرَاحَةً ، وَبَلَغَ قُتَيْبَةُ قَتْلَهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ ، فَلَمَّا أَتَاهَا أَرْسَلَ صَالِحُ بْنُ مُسْلِمٍ أَخُو قُتَيْبَةَ إِلَى مَلِكِهَا ، وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ ، بِأَمْرِهِ بِالطَّاعَةِ ، وَيُضْمَنُ لَهُ رِضًا قُتَيْبَةَ إِنْ رَجَعَ إِلَى الصَّلَاحِ ، فَأَبَى وَقَالَ لِرَسُولِ صَالِحٍ : أَتَخَوِّفُنِي مِنْ قُتَيْبَةَ وَأَنَا أَمْنَعُ الْمُلُوكَ حِضْنًا ؟ فَأَتَاهُ قُتَيْبَةُ وَقَدْ تَحَصَّنَ بِبَلَدِهِ فَنَصَبَ ^(٢) عَلَيْهِ الْمِجَانِيْقَ ، وَرَمَى الْحِضْنَ فَهَشِمَهُ . فَلَمَّا خَافَ الْمَلِكُ أَنْ يَظْهَرَ قُتَيْبَةُ عَلَيْهِ جَمَعَ مَا كَانَ بِالْحِضْنِ مِنْ مَالٍ وَجَوْهَرٍ ، وَرَمَى بِهِ فِي بَاشِرٍ فِي الْقَلْعَةِ لَا يُدْرِكُ قَعْرُهَا ، ثُمَّ فَتَحَ الْقَلْعَةَ ، وَخَرَجَ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، وَأَخَذَ قُتَيْبَةُ الْقَلْعَةَ عَنُودًا ، فَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ وَسَبَى النَّرِيَّةَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى كِشٍّ وَنَسَفَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى بُخَارَى .

وقيل : إِنَّهُ سَارَ إِلَى الصُّغْدِ ، فَلَمَّا رَجَعَ عَنْهُمْ قَالَتِ الصُّغْدُ لَطَرُخُونُ : إِنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِالذَّلِّ وَاسْتَطِيتَ الْجَزِيَّةَ ، وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا فَيْدِكَ . فَحَبَسُوهُ وَوَلَوْا غَوْرَكَ ^(٣) فَقَتَلَ طَرُخُونُ نَفْسَهُ .

(١) فى الكامل : يدعوان ملك شومان .

(٢) فى الكامل والطبرى : فوضع . (٣) انضبط فى الطبرى .

ذكر صلح خوارزم شاه وفتح خام جرد

وفي سنة [٥٩٣هـ] ثلاث وتسعين صالح قتيبة خوارزم شاه ،
وسبب ذلك أن [ملك] ^(١) خوارزم كان ضعیفاً ، فغلبه أخوه
خُرّزاذ على أمره ، وكان أصغر منه ، فكان إذا بلغه أن عند أحد
ممن هو منقطع إلى الملك جارية أو مالا أو دابة أو بيتاً أو أخناً أو امرأة
جميلة أرسل إليه ، وأخذته منه ، فلا يمتنع عليه أحد : ولا الملك ^(٢) ،
فإذا قيل للملك قال : لا أقوى عليه .

فلما طال عليه ذلك كتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلمها
إليه ، واشترط عليه أن يدفع إليه أخاه وكل من يضاده ليحكم فيه ^(٣)
بما يرى ، ولم يطلع أحداً من مرازبته على ذلك . فأجابته قتيبة إلى ما طلب ،
وتجهز للغزو ، وأظهر أنه يريد الصفد ، وسار من مرو وجمع خوارزم
شاه أجناده ودهاقنته ^(٤) . فقال : إن قتيبة يريد الصفد ، وليس
بغازيكم ، فاهلموا نتنعم في ربيعنا هذا ، فأقبلوا على الشرب والتنعم
فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزاراسب ^(٥) ، فقال خوارزم شاه
لأصحابه : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن نُقاتله . قال : لكني لا أرى

(١) ساقط في الكامل .

(٢) في الطبري : ولا يمنعه الملك .

(٣) في الكامل : فيهم .

(٤) في الطبري : ودهاقنته . وكلاهما جمع دهقان (القاموس) .

(٥) قلعة حصينة ومدينة جيدة الماء محيط بها كالجزيرة ، وهي من نواحي خوارزم

(المراصد) .

ذلك ، لأنه قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشدَّ شوكةً ، ولكن أصرف بشىء أخرجه ^(١) إليه .

فأجابوه إلى ذلك ، فسار خوارزم شاه إلى مدينة الفيل من وراء النهر ، وهى أحصن بلاد ، وقُتِيبة لم يعبر النهر ، فأرسل إليه خوارزم شاه ، فصالحه على عشرة آلاف رأس ، وعين متاعاً [على] ^(٢) أن يعينه على خام جرد ، فقبل قُتِيبة ذلك .

وقبل : صالحه على مائة ألف رأس ، وبعث قُتِيبة أخاه عبد الرحمن إلى [ملك] ^(٣) خام جرد ، وكان يغازى ^(٤) خوارزم شاه ، فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه ، وقدم بأربعة آلاف أسير ، فقتلهم ، وسلم قُتِيبة إلى خوارزم شاه أخاه ومن كان يخالفهم ، فقتلهم ، ودفع أموالهم إلى قُتِيبة . والله أعلم .

ذكر فتح سمرقند

قال : فلما قبض قُتِيبة صلح خوارزم قام إليه المُجشَّر بن مُزاحم السلمى فقال له : سر ^(٥) الآن إن أردت الصغد يوماً من الدهر ، فإنهم آمنون من أن تأتيتهم عامك هذا ، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام . قال : أشار عليك بهذا أحد ؟ قال : لا . قال : فسمعه منك أحد ؟ قال : لا . قال : والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك .

(١) فى د : والكامل : أؤديه إليه . وفى الطبرى : تؤديه .

(٢) من الطبرى والكامل .

(٣) من الطبرى .

(٤) فى الطبرى : وكان يعادى .

(٥) فى الكامل : مرا .

فلما كان القَدُّ من يومٍ كلامه له أَمْرٌ قُتَيْبَةُ أَخَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَمَسَارَ
 فِي الْفُرْسَانَ وَالرُّمَّةَ ، وَقَدَّمَ الْأَثْقَالَ إِلَى مَرَوْ ، فَمَسَارَ يَوْمَهُ ، فَلَمَّا أَمْسَى
 كَتَبَ إِلَيْهِ قُتَيْبَةُ : إِذَا أَصْبَحْتَ فَوَجِّهْ الْأَثْقَالَ إِلَى مَرَوْ ، وَسِرْ
 فِي الْفُرْسَانَ وَالرُّمَّةَ نَحْوَ الصُّغْدِ ، وَاكْتُمِ الْأَخْبَارَ ، فَإِنِّي بِالْأَثْرِ .

فَفَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَا أَمَرَهُ ، وَخَطَبَ قُتَيْبَةُ النَّاسَ ، وَقَالَ لَهُمْ :
 إِنَّ الصُّغْدَ شَاغِرَةٌ ^(١) بِرِجْلِهَا ، وَقَدْ نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا ، وَصَنَعُوا
 مَا بَلَغَكُمْ ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنَّ تَكُونُ خَوَارِزْمُ وَالصُّغْدُ كَقَرِيبَةِ وَالنُّضِيرِ .

ثُمَّ سَارَ فَأَتَى الصُّغْدَ ، فَبَلَغَهَا بَعْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ ،
 وَقَدَّمَ مَعَهُ أَهْلَ خَوَارِزْمَ وَبُخَارَى ، فَقَاتَلُوا شَهْرًا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ وَهُمْ
 مُحْصَرُونَ .

وَخَافَ أَهْلُ الصُّغْدِ طَوْلَ الْحَصَارِ ، فَكَتَبُوا إِلَى مَلِكِ الشَّاشِ وَأَخْشَادِ ^(٢)
 وَخَاقَانَ وَفَرَّغَانَةَ : إِنَّ الْعَرَبَ إِنْ ظَفِرُوا بِنَا أَتَوْكُمْ بِمِثْلِ مَا أَتَوْنَا [بِهِ] ^(٣) ،
 فَانْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ ، وَمَهْمَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ قُوَّةٍ فَابْذُلُوهَا . فَنَظَرُوا وَقَالُوا :
 إِنَّمَا نُوَفِّي مِنْ سِيفِلَتِنَا وَإِنَّهُمْ ^(٤) لَا يَجِدُونَ كَوُجْدِنَا ، فَانْتَحَبُوا
 مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ النَّجْدَةِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمَرَاذِبَةِ وَالْأَسَاوِرَةِ وَالْأَبْطَالِ ،
 وَأَمَرُوهُمْ أَنْ يَأْتُوا عَسْكَرَ قُتَيْبَةَ ، فَيَبِيتُوهُ ، وَوَلَّوْا عَلَيْهِمْ ابْنًا لَخَاقَانَ ،
 فَسَارُوا .

(١) لم تختص من غارة أحد لحاوها (الفامرس) .

(٢) بالذال المعجمة في الطبري ، والمثبت في الكامل أيضا .

(٣) ساقط من ك .

(٤) في الكامل : فإينهم .

وبلغ قُتَيْبَةُ الْخَبَرُ فانتخب من عَسْكَرِهِ مائَةً ، وقيل ستمائة من أهل التَّجْدَةِ والشَّجَاعَةِ ، وأعلمهم الخبر ، وأمرهم بالمسير إليهم ، فصاروا ، وعليهم صالح بن مسلم ، فنزلوا على قَرْسَخَيْنِ من العسكر على طريق الْقَوْمِ ، فجعل صالح له كَمِينَيْنِ ^(١) . فلما مضى نِصْفُ اللَّيْلِ جاءهم عدوهم ، فلما رأوا صالِحًا حملوا عليه ، واقتتلوا فشدَّ الكَمِينَانِ عن يمينٍ وشمالٍ ، فقتلهم المسلمون ، وأسرُوا منهم ، ولم يُقْلِتْ منهم إِلَّا الشَّريِدَ ، واحتَرَوْا على سِلَاحِهِمْ وَأَسْلَاحِهِمْ . وسُئِلَ بَعْضُ الْأَسْرَى عَنِ الْقَتْلِ فَقَالُوا : مَا قَتَلَمُ إِلَّا ابْنَ مَلِكٍ أَوْ عَظِيمًا أَوْ بَطَلًا ، إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيُعَذَّ ^(٢) بِمِائَةِ رَجُلٍ .

ونصب قُتَيْبَةُ الْمَجَانِيْقُ على سَمَرْقَنْدَ ، ورماهم فثلمه ثُلْمَةً ^(٣) . ثم أمر قُتَيْبَةُ النَّاسَ بِالْجَدِّ فِي الْقِتَالِ ، وَأَنْ يَبْلَغُوا ثُلْمَةَ الْمَدِينَةِ ، ففعلوا ، وحملوا وقد تترسُّوا حتى بلغوا الثُّلْمَةَ ، ووقفوا عليها ، فرماه الصُّغْدُ بِالنَّشَابِ ، فلم يبرحوا ، فأرسلوا إلى قُتَيْبَةَ أَنْ انْصَرَفَ عَنَّا الْيَوْمَ حَتَّى نَصَالِحَكَ غَدًا . فقال : لَا نَصَالِحُهُمْ إِلَّا وَرَجَالُنَا عَلَى الثُّلْمَةِ .

وقيل : بل قال : جَزَعَ الْعَبِيدُ ! انصرفوا على ظَفَرِكُمْ . فانصرفوا ، فصالحهم من الْعَدِّ على أَلْفِ وَمِائَتِي أَلْفِ مِثْقَالٍ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَأَنْ يُعْطَوْهُ تِلْكَ السَّنَةَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ رَأْسٍ ^(٤) ، وَأَنْ يُخْلَوْا الْمَدِينَةَ

(١) في الطبرى : كميناً في موضعين .

(٢) في الطبرى : ليعذب بمائة .

(٣) في د : فثلمت . وفي الطبرى : فثلم فيها ثلثة .

(٤) في الكامل : فارس .

لِقُتَيْبَةَ ، فلا يكون لهم فيها مقاتل ، فيبنى فيها مسجداً فيصلى فيه ويخطب ويتغذى ويخرج .

فلما تم الصلحُ بَنَى المسجد ودخلها قُتَيْبَةُ في أربعة آلاف انتخبهم : فدخل المسجد ، فصلى فيه ، وخطب وأكل طعاماً ، ثم أرسل إلى الصغد يقول : من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذ : فإني لستُ خارجاً منها ، ولستُ أخذ منكم إلا ما صالحكم عليه ، غير أن الجند يقيمون فيها .

وقيل : إنه شرط عليهم في الصلح مائة ألف رأس ^(١) وبيوت النيران وحليّة الأصنام . فقبض ذلك ، وأتى بالأصنام ، فأخذ ما عليها : وأمر بها فأحرقت ، فوجد من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مثقال ، وأصاب بالصغد جارية من ولد يزدجرد ، فأرسلها إلى الحجاج . فأرملها الحجاج إلى الوليد ، فولدت له ابنة يزيد بن الوليد . ثم رجع قُتَيْبَةُ إلى مرو ، واستعمل على سمرقند إياس بن عبد الله على الحرب . وجعل على الخراج عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى مسلم ^(٢) .

ذكر غزو الشاش وفرغانة

وفي سنة [٨٩٤] أربع وتسعين قطع قُتَيْبَةُ النهر وقرض على أهل بخارى وكش ونسف عشرين ألف مقاتل ، فساروا معه .

(١) في ك : فارس .

(٢) في الطبري : مولى بني مسلم .

فوجههم إلى الشاش ، وتوجهه إلى قرغانة فأى خُجَنْدَة^(١) فجمع له أهلها ،
ولقوه ، واقتتلوا مراراً ، كل ذلك يكون الظفر للمسلمين . ثم إن
قُنْبِيبة أئى كاسان^(٢) مدينة قرغانة ، وأتاه الجنود الذين وجههم
إلى الشاش وقد فتحوها وأحرقوا أكثرها ، وانصرف إلى مرو .
وقال سَحْبَان^(٣) يذكر قتالهم بخُجَنْدَة^(٤) :

وسل^(٥) الفوارس فى خُجَنْدَة تحت مُرهفَةِ العوالى
هل كنتُ أجمعهم إذا هزوا وأقْدِمُ فى قتالِ
أم كنتُ أضربُ هامةً إلِى هاتى^(٦) وأضيرُ للعوالى
هذا وأنت قريعُ قَيْسٍ س كلُّها ضنخُ النوالِ
وفضلتُ قَيْسًا فى الندى وأبوك فى الحجاجِ الخوالى
ولقد تبينَ عدلُ حُكْمِكِ فيهمو فى كلِّ مالٍ^(٧)
تمتُ مروءتكم ونا غى^(٨) عِزُّكم غلبَ الجبالِ

(١) با انضم ثم الفتح ونون ثم دال مهملة : بلدة مشهورة بما وراء النهر على نهر
سبحون (المراد) .

(٢) بالنسبة للمهملات ، والشين المعجمة .

(٣) فى الطبرى : وقال سحبان وائل .

(٤) والطبرى : ٦ - ٤٨٤

(٥) فى الكامل : فصل .

(٦) فى الكامل : العاتى .

(٧) فى الكامل : حال .

(٨) فى ك : وباغى . والثبيت فى الطبرى أيضا .

ذكر فتح مدينة كاشغر (١)

وفي سنة [٨٩٦ هـ] ست وتسعين سار قتيبة من مرو وحمل مع الناس عيالهم ليضعهم بسمرقند ، ومضى إلى فرغانة وبعث جيشا مع كثير ابن فلان إلى كاشغر (١) ، فغنم وسبي سبيا ، فغنم أعناقهم ، وأوغل حتى بلغ قرب الصين ، فكتب إليه ملك الصين أن ابعت إلى رجل شريفا يخبرني عنكم وعن دينكم ، فانتخب قتيبة عشرة لهم جمال وألستة وبأس وعقل وصلاح (٢) ، فأمر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخبز والوشى وغير ذلك ، وخيول حسنة ، وكان عليهم (٣) هبيرة بن مشمرج (٤) الكلابي ، وقال لهم قتيبة : إذا دخلتم عليه فأعلموه أنني قد خلقت أنني لا أنصرف حتى أطا بلادهم ، وأختم ملوكهم ، وأجزي خراجهم .

فساروا [وعليهم هبيرة] (٥) ، فلما قدموا دعاهم ملك الصين فلبسوا ثيابا بيضا تحتها الغلائل ، وتطيّبوا ، ولبسوا النعال والأردية ، ودخلوا عليه وعنده عظماء قومه ، فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحد ممن عنده ، فنهضوا .

فقال الملك لمن حضره : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قوما ما هم إلا نساء . ما بقى منا أحد إلا انتشر ما عنده .

(١) كاشغر : بالقاء الساكنين والثين المعجمة والغين المعجمة أيضا وراء مدينة قرى ورساتين ، وهي في وسط بلاد الترك .

(٢) في ك : وسلاح .

(٣) في ك : منهم .

(٤) في الطبري : المشمرج .

(٥) من الكامل .

فلما كان الغد دعاهم فلبسوا الوثى وعمائم الخز والمطارف ، وغدوا عليه . فلما دخلوا قيل لهم : ارجعوا . وقال لأصحابه : كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا : هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك .

فلما كان اليوم الثالث دعاهم فلبسوا ^(١) سلاحهم . ولبسوا البيض والمغافر ، وأخذوا السيوف والرماح والقيى ، وركبوا . فنظر إليهم ملك الصين ، فرأى مثل الخيل ^(٢) ؛ فلما دنوا ركزوا رماحهم ، وأقبلوا مشمريين . فقيل لهم : ارجعوا ، فركبوا خيولهم [وأخذوا رماحهم] ^(٣) ، ودفعوا خيلهم ، كأنهم يتطاردون . فقال الملك لأصحابه : كيف ترونهم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء .

فلما أمسى بعث إليهم أن ابعثوا إلى زعيمكم ، فبعثوا إليه هبيرة ابن مشمرج ، فقال له : قد رأيتم عظم ملكى ، وأنه ليس أحد يمنعكم منى ، وأنتم فى يدى بمنزلة البيضة فى كفى . وإنى سائلكم عن أمر ، فإن لم تصدقنى قتلنكم . قال : سل . قال : لِمَ صنعتم بزيكُم الأول والثانى والثالث [ما صنعتم] ^(٤) ؟ قال : أما زيننا الأول فليأيننا فى أهلنا . وأما الثانى فزيّنا إذا أتينا أمراءنا ، وأما الثالث فزيّنا لعدونا . قال : ما أحسن ما دبّرتم دبركم ، فقولوا لصاحبكم ينصرف . فإنى قد عرفت قلة أصحابه ، ولا بعثت إليكم من يهلككم . قال ^(٥) :

(١) فى الطبرى والكامل : فشدوا .

(٢) فى الطبرى ، والكامل : أمثال الجبال مقبلة .

(٣) ساقط من ك .

(٤) فى الكامل : قالوا .

وكيف يكون قَلِيلُ الْأَصْحَابِ مَنْ أَوَّلُ خَيْلِهِ فِي بِلَادِكَ وَآخِرُهَا فِي مَنَابِتِ
الزَيْتُونِ . وَأَمَّا تَخْوِيفُكَ إِيَّانَا بِالْقَتْلِ فَإِنَّ لَنَا آجَالًا إِذَا حَضَرَتْ فَأَكْرَمُهَا
الْقَتْلُ ، وَلَسْنَا نَكْرَهُهُ وَلَا نَخَافُهُ ، وَقَدْ حَلَفَ صَاحِبُنَا أَلَّا يَنْصَرِفَ
حَتَّى يَطَّأَ أَرْضَكُمْ ، وَيَخْتَمَ مُلُوكَكُمْ ، وَتُعْطَى (١) الْجِزْيَةُ . قَالَ :
فَإِنَّا نُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ ، وَنَبْعَثُ لَهُ بِتُرَابٍ مِنْ أَرْضِنَا ، فَيَطْوُهُ ، وَنَبْعَثُ
إِلَيْهِ بِنَعْصِ أَيْمَانِنَا فَيَخْتَمُهُمْ ، وَنَبْعَثُ إِلَيْهِ بِجِزْيَةٍ يَرْضَاهَا . فَبِعَثَ
إِلَيْهِ بَهْدِيَّةً وَأَرْبَعَةَ غِلْمَانٍ مِنْ أَبْنَاءِ مُلُوكِهِمْ ، وَبِتُرَابٍ مِنْ أَرْضِهِ :
وَأَعَادَهُمْ (٢) وَأَحْسَنَ جَوَائِزَهُمْ . فَقَدِمُوا عَلَى قُتَيْبَةَ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ ،
وَوُطِئَ الشَّرَابُ ، وَخَتَمَ الْغِلْمَانُ ، وَرَدَّهُمْ ، فَقَالَ سَوَادَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
السَّمْلُولِيُّ (٣) :

لَا عَيْبَ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ بَعَثْتَهُمْ لِلصَّيْنِ أَنْ سَلَكَوا طَرِيقَ الْمَنْهَجِ
كَسَرُوا الْجَفُونَ عَلَى الْقَدَى خَوْفَ الرَّدَى حَاشَا الْكَرِيمِ هُبَيْرَةَ بْنِ مُشَرَّجٍ
أَذَى رَسَائِلِكَ الَّتِي اسْتَرْعَيْتَهُ (٤) فَاتَاكَ مِنْ حَنْثِ الْيَمِينِ بِمُخْرِجِ

هذه غزوات قتيبة وفنوحاته .

وَكَانَ قُتَيْبَةُ إِذَا رَجَعَ مِنْ غَزَاتِهِ كُلِّ سَنَةٍ اشْتَرَى اثْنَيْ عَشَرَ
فَرَسًا [مِنْ جِيَادِ الْخَيْلِ] (٥) وَاثْنَيْ عَشَرَ هَجِيئًا ، فَتَتَخَذُمُ إِلَى وَقْتِ
الْغَزْوِ ، فَإِذَا تَأَهَّبَ لِلْغَزْوِ ضَمَّرَهَا ، وَكَانَ يَحْمِلُ عَلَيْهَا الطَّلَاعَ ،
وَكَانَ لَا يَجْعَلُ الطَّلَاعَ إِلَّا فَرَسَانِ النَّاسِ وَأَشْرَاقَهُمْ ، وَيَجْعَلُ مَعَهُ مِنْ

(١) فِي الْكَامِلِ : وَتُعْطُوا .

(٢) فِي الطَّبَرِيِّ : ثُمَّ أَجَازَهُمْ فَأَحْسَنَ جَوَائِزَهُمْ .

(٣) وَالطَّبَرِيُّ : ٥٠٣-٦ .

(٤) فِي الْكَامِلِ : اسْتَدْعَيْتَهُ . (٥) فِي الطَّبَرِيِّ :

العجم مَنْ يَسْتَنْصَحُهُ . وإذا بَعَثَ طَلِيعَةً أَمَرَ بِلَوْحٍ فَنُقِشَ ثَمَّ شِقُّهُ
نِصْفَيْنِ ، وجعل شِقَّةً عِنْدَهُ ، وأعطى نِصْفَهُ للطلِيعَةِ : ويأمرهم
أَنْ يَذْفِنُوهُ فى مَوْضِعٍ يَصِفُّهُ لَهُمْ مِنْ شَجَرَةٍ أَوْ مَخَاصِيٍّ أَوْ غَيْرِهَا ،
ثُمَّ يَبْعَثُ بَعْدَ الطَّلِيعَةِ مَنْ يَسْتَخْرِجُهُ لِيَعْلَمَ أَصْدَقَتِ الطَّلِيعَةُ أَمْ لَا .
ولنذكر من الغزوات والفتوحات فى أيام الوليد خلاف ما ذكرنا :

ذكر فتح السند وقتل ملكها

وما يتَّصِلُ بذلك من أخبار العمال عليها

وفى سنة [٨٨٩] تسع وثمانين قُتِلَ محمد بن القاسم بن محمد
ابن الحكم بن أبى عقيل الثقفى داهر^(١) بن صَصَّة ملك السند ،
وملك بلاده ، وكان الحجاجُ قد استعمله على ذلك الثغر وسير معه
سنة آلاف مقاتل ، وجهزه بجميع ما يَحْتَاجُ إليه حتى المسالُ والإبر
والخيوط ، فصار [محمد]^(٢) إلى مُكْرَانَ ، وأقام بها أياماً . ثم
أتى قَنْزَبُورَ ففتحها ثم سار إلى أرمائيل^(٣) فقدمها يوم جُمعة ،
ووافته سفنٌ كان حَمَلَ فيها السلاحَ والرجالَ والأدَاةَ : فأنزل
النَّاسَ منازلَهُمْ وَخَنَدَقَ ونصب عليها مِنْجَنِيْقًا يقال له العروس
كان يمدُّ به خمسمائة رجل ، وكان بالديبيل بُدٌّ^(٤) عظيم عليه

(١) داهر - كهاجر : ملك للدليل قتله محمد بن القاسم الثقفى (القاموس) .
وفى ك : داهر - تحريف .

(٢) من الكامل . . .

(٣) فى ك : ديبيل . وأرمائيل - بفتح أوله ثم السكون وهمزة مكسورة وباء
خالصة ساكنة ولام : مدينة كبيرة بين مكران والديبل من أرض السند .

(٤) البد - بالغم . وفى فتوح البلدان (٥٣٥) : كل شيء أعظموه من
طريق العبادة فهو عندهم بد .

دَقْل عَظِيم ، وعلى الدَّقْل رَايَةً حمراء إذا هبَّ الرِّيحُ أَطَافَتْ بِالْمَدِينَةِ ،
والبُذْ : صنم في بناء عظيم بأَعْلَاهُ منارةٌ عظيمة مرتفعة ، والدَّقْل في رَأْسِ
الْمَنَارَةِ . فرمى الدَّقْل بِحَجَرٍ (١) العروس فكسره فتطير الكفارُ بذلك
وأعظموه ، ثم فتحها محمدٌ عنوةً بعد قتالٍ ، وقتلَ فيها ثلاثة
أيام ، وهرب عاملُ دَاهِرٍ عنها ، وأنزلها محمدٌ أربعةَ آلاف
من المسلمين ، وبنى جامعها ، وسار إلى البيرون (٢) ، وكان
أهلها قد بعثوا إلى الحجاج وصالحوه ، فلقوا محمدًا بالبيرة ،
وأدخلوه مدينتهم ، ثم سار عنها ، وجعل لا يمر بمدينة إلا فتحها
حتى عبرَ نهرًا دون مِهْرَانِ فصالحه أهل سربيدس (٣) ، ووظف
عليهم الخراج ، وسار إلى سِهْيَانِ (٤) ففتحها ، ثم أتى نهر مِهْرَانِ
فنزَلَ به ، وبلغ خبره دَاهِرًا فاستعدَّ لِمُحَارَبَتِهِ . وبعث محمدٌ
جيشًا إلى سدوسان (٥) ، فطلب أهلها الأمانَ والصلحَ فأمَنَهم ،
ووظف عليهم الخراج ، ثم عبر نهر مِهْرَانِ مما يلي بلاد راسل (٦)
الملك على جسرٍ عقَّده ، هذا ودَاهِرٌ مستخفٌ به ، فلقبه محمدٌ
وَمَنْ معه وهو على قِيلٍ ، والفيلة حوله ومعه الذكَاكِرَةُ (٧) ،

(١) في فتوح البلدان : ونصب منجنيقًا تعرف بالعروس (٥٣٥).

(٢) في ك : التبروذ . والمثبت في الكامل ، وفتوح البلدان .

(٣) في د : سربندس . والمثبت في الكامل وفتوح البلدان (٥٣٦)

(٤) في ك : سِهْيَان . والمثبت في الكامل وفتوح البلدان (٥٣٦) .

(٥) في الكامل : سدوسان : والمثبت في الفتوح أيضًا .

(٦) في الفتوح : مما يلي بلاد راسل ملك قصة من الهند .

(٧) في الكامل وفتوح البلدان : الذكَاكِرَةُ .

فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وترجل داهر ، وقاتل فقتل عند المساء ،
وانهزم الكفار وقاتلهم المسلمون كيف شاعوا ، وقال قائلهم ^(١) :
الخيَلُ تشهدُ يوم داهرَ والقنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مُحَمَّدٍ
أنتى فرَجَتْ الجَمْعَ غيرَ مُعَرِّدٍ ^(٢) حتى علوتُ عظيمهم بمهندٍ
فتركتهُ تحت العجاجِ مُجَنِّداً ^(٣) متعفَّرَ الخَدَّينِ غيرَ مؤدِّ
قال : ولما قُتِلَ داهرُ تغلبَ محمدُ على بلاد السند وفتح راوَر ^(٤)
عنوةً ، وكان بها امرأةٌ لداهرَ ، فخافت أن تؤخذ فأحرقت نفسها
وجواريرها وجميعَ مالها . ثم سار إلى برهمنا باد ^(٥) العتيقة ،
وكان المنهزمون من الكفار قد لجئوا إليها ، ففتحها عنوة بعد
قتال ، وقتل بها بشراً كثيراً ، وسار يريد الرور ^(٦) وبغورور ،
فلقبهم أهل ساوندري ^(٧) ، فطلبوا الأمان فأمنهم واشترط عليهم
ضيافة ^(٨) المسلمين ، ثم أسلم أهلها بعد ذلك ، ثم تقدم إلى
بسمد ^(٩) فصالحه أهلها ، وسار إلى الرور ^(١٠) ، وهى من مدائن

(١) الأبيات في فتوح البلدان : ٥٣٧ ، والكامل : ٤ - ١١١

(٢) في ك : معدد .

(٣) في فتوح البلدان : مجدلا .

(٤) بتكرير الراء وفتح الواو : مدينة كبيرة بالسند (ياقوت) . وفي ك : زاوَر

نحرف

(٥) في ك : ترهمنا باد . والمثبت في الفتوح أيضاً .

(٦) في ك : الدور . والصواب في الكامل وياقوت . والرور - برامين مهملتين :
ناحية من نواحي الأهواز ، وناحية بالسند تقرب من المائتان وهى على شاطئ نهر
مهران (ياقوت) .

(٧) هذا الضبط في الفتوح أيضاً .

(٨) في الفتوح : ضيافة المسلمين ودلائهم .

(٩) وفتوح البلدان . وفي ك : تمدد .

السند على جبل، فحاصروهم شهوراً فصالحوه، وسار إلى السكة^(١) [فتفتحها، ثم قطع نهر بياس^(٢) إلى الملتان، فقاتله أهلها وانهزموا، فحضرهم، وجاء إنسان فدلّه على قطع الماء الذي يدخل المدينة، فقطعه فعطشوا وألقوا بأيديهم، ونزلوا على حكمه، فقتل المقاتلة وسبي الذرية وسدنة البلد، وهم ستة آلاف، وأصابوا ذهباً كثيراً، فجمع في بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية أذرع يلقى إليه من كوة في وسطه، فسميت الملتان فرج بيت الذهب، والفرج: الثغر، وكان يد الملتان تهدى إليه الأموال من كل مكان ويخرج^(٣) إليه من البلاد، ويخلقون عنده رعوّسهم ولجّاهم، ويزعمون أن صنمه هو أيوب النبي عليه الصلاة والسلام.

وعظمت فتوحاته، فنظر الحجاج في النفقة على ذلك الثغر، فكانت ستين ألف ألف درهم، وتظر إلى^(٤) الذي حُمل إليه منه فكان مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف، فقال: ربخنا ستين ألف ألف، وأدر كنا شأرتنا ورأس دأهر.

قال: واستمر محمد بن القاسم بالهند إلى أن مات الحجاج في سنة [٩٥هـ] خمس وتسعين، فأتاه الخبر وهو بالملتان فرجع إلى الرور والبغور^(٥)، فأعطى الناس، ووجه إلى البيهكمان^(٦)

(١) في الفتوح: وهي مدينة دون بياس.

(٢) نهر عظيم بالهند مقصاه إلى المولتان (ياقوت):

(٣) في الفتوح: ويحج إليه السند فيطوفون به (٥٣٨).

(٤) في الكامل: في قنوج البلدان: وبغور:

(٦) البيهان: من بلاد السند والهند تنسب إليها السيوف البيهانية (ياقوت).

وفي ك: السلطان.

جيشًا ، فأعطوا الطاعة من غير قتال ؛ وسالاه أهل مشرشت (١) .
ثم أتى محمد الكيرج ، فخرج إليه دَوهر فقاتله فانهزم دَوهر .
وقيل : بل قُتل ، فنزل أهل المدينة على حكم محمد ، فقتل المُقاتلة ،
وسبى الذرية ؛ فقال شاعرهم :

نحن قتلنا داهرا ودوهــــــــــــرا والخيل تردى منسراً فمسنرا (٢)

قال : ولما مات الوليد بن عبد الملك ووئى سليمان عزل مُحمَّد بن
القاسم عن السند ، واستعمل يزيد بن أبى كبشة السكسكى على السند ،
فأخذ محمداً وقيدَهُ وحمله إلى العراق ، فقال متمثلاً (٣) :

أضاعُونى وأتى قَتَى أضاعُوا ليوم كريمة ويسادِ ثَغَر
فبكى أهل السند .

ولما وصل إلى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط
فقال (٤) :

فلئن ثَوَّيتُ بواسط وبأرضها رَهَنَ الحديد مُكْبَلًا مغلولا
فلرب قَيْنَةٍ (٥) فارس قد رُعْتُها ولرب قِرْنٍ قد تركتُ قَيْنِيلا
قال : فعذبُهُ صالح فى رجالٍ من آل أبى عقيل حتى قتلهم ،
فقال حمزة بن بيض يرثى محمداً (٦) :

(١) فى الفتح : مرست . وفى الكامل : مرشت .

(٢) فى ك : ميسرا فميسرا . والمثبت أيضاً فى الكامل وفتح البلدان .

(٣) فى اللسان : وأشد العرجى .

(٤) الشعر فى فتح البلدان : ٥٣٩

(٥) فى الفتح : فتية .

(٦) والفتح : ٥٤٠ ، والكامل : ٤ - ١٣٤

إن المروءة والسماحة والنسبى لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة ياقرب ذلك سُودداً من مولد

قال : وأما يزيد بن أبي كَبْشَة فإنه مات بعد مقدمه إلى السند
بثمانية عشر يوماً ، فاستعمل سليمان على السند حبيب بن المهلب ،
فقدم السند وقد رجع الملوك إلى ممالكهم ، ورجع حيسبة ^(١) بن داهر
إلى برهمنا باذ ، فنزل حبيب على شاطئ مهران ، وحارب قوماً
فظفر بهم .

ثم مات سليمان ، وولى عمر بن عبد العزيز ، فكتب إلى الملوك يدعُوهم
إلى الإسلام والطاعة على أن يملكهم ، ولَهُمْ ما للمساكين وعليهم
ما عليهم ، فأسلم حيسبة ^(١) والملوك ، وتسموا بأسماء العرب ، وكان
عمرو بن مسلم الباهلى عامل عمر على ذلك الثغر ، ففزا بعض الهند
فظفر بهم ، ثم ولى الجُنَيْد بن عبد الرحمن السند أيام هشام بن عبد
الملك ، فأتى شطراً مهران فمنعه حيسبة بن داهر من العبور ، وأرسل
إليه : إني قد أسلمتُ وولّاني الرجل الصالح بلاوى : ولست
أمكنك . فأعطاه رهناً ، وأخذ منه رهناً على خراج بلاوى : ثم تراء
الرهون وكفر حيسبة ، وحارب .

وقيل : لم يحارب ، وإنما الجُنَيْد تجنّى عليه ، فأتى الهند ، فجمع
جمعاً وأعد السفن ، واستعد للحرب ، فسار إليه الجُنَيْد في السفن ،
فالتقوا ، فأسر حيسبة فقتله الجُنَيْد ، وهرب حصّة بن داهر ، وهو

(١) الميثاق دءك . وفي الكامل : حيسبة . وفي الفتوح (صفحة ٥٤٠) : حيسبة .

يريد أن يمضى إلى العراق فيشكو غدر الجنيد ، فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده فى يده فقتله .

وغزا الجنيد الكبيرج ؛ وكانوا قد نقضوا ، فظفر ودخل المدينة فغم وسبى ، ووجه العمال إلى المرد^(١) والمبتدل ودفن^(٢) ، ووجه جيشا إلى أزين^(٣) فأغاروا عليها ، وخرقوا ربضها ، وفتح الجنيد البيلمان ، وحصل^(٤) عنده سوى ما حمله^(٥) أربعون ألف ألف ، وحمل مثلها .

وفى أيامه خرج المسلمون عن بلاد الهند . ثم ولى الحكم بن عوام^(٦) الكلبي ، وقد كفر أهل الهند إلا أهل قصّة^(٧) ، فبنى مدينة سماها المحفوظة ، وجعلها مأوى للمسلمين ، وكان معه عمرو بن محمد بن القاسم فأغزاه من المحفوظة ، فقدم عليه وقد ظهر أمره ، فبنى مدينة وسماها المنصورة ، واسترجع^(٨) ما كان غلب عليه العدو ، ثم قتل الحكم ، فكان العمال يقاتلون العدو ، ويفتتحون ما تيسر لهم لضعف الدولة الأموية ، ثم جاءت الدولة العباسية فكان من أمر السند ما ذكره إن شاء الله تعالى ، وإنما ذكرنا أخبار السند ههنا لتكون متسقة ، فلنرجع إلى تيمّة الغزوات فى أيام الوليد بن عبد الملك :

-
- (١) فى فتوح البلدان : مرد .
 (٢) مندل - بالفتح : بلاد بالهند (ياقوت) . والدنج - يفتح أوام وإسكان تانيه بعده نون مفتوحة وجيم : من بلاد الهند (ياقوت) .
 (٣) فى ك : أرين . والمثبت فى الكامل ، وفتح البلدان (٤٤١) .
 (٤) فى ك : وجمل .
 (٥) فى الفتوح : سوى ما أعطى زواره .
 (٦) فى فتوح البلدان : حوارة . والمثبت فى ك . والكامل .
 (٧) فى ك : فضة . والمثبت فى د ، والكامل ، وياقوت .
 (٨) فى الكامل : واستخلص .

ذكر الغزوات الى بلاد الروم وما فتح منها

وغزوات الصوائف على حُكم السنين

في سنة [٥٨٦هـ] ست وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك [أرض] (١)

الروم . وغزا أيضاً في سنة [٥٨٧هـ] سبع وثمانين ، فقتل منهم عدداً كثيراً يسوسنة من ناحية المصيصة (٢) وفتح حصوناً .

وقيل : إن الذي غزا في هذه السنة هشام بن عبد الملك ، ففتح حصن

بولق ، وحصن الأخرم ، وحصن بولس وقممق ، وقتل من المستعربة نحواً من ألف مقاتل ، وسبى ذريتهم ونساءهم . والله أعلم .

ذكر فتح طوانة (٣) وغيرها من بلد الروم

وفي سنة [٥٨٨هـ] ثمان وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس

ابن الوليد بلد الروم ، وكان الوليد قد كتب إلى صاحب أرمينية

يأمره أن يكتب إلى ملك الروم يعرفه أن الخزر وغيرهم من ملوك

جبال أرمينية قد أجمعوا على قصد بلاده ففعلوا ذلك ، وقطع

الوليد البعث على أهل الشام إلى أرمينية ، فتجهزوا ، وساروا نحو

الجزيرة ، ثم عطفوا منها إلى بلاد الروم فاقتتلوا هم والروم ، فانهزم

الروم ، ثم رجعوا فانهزم المسلمون ، وبقي العباس في نفر ، فنادى :

يا أهل القرآن ، فاقبلوا جميعاً ، فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة (٣) ،

وحصرهم المسلمون وفتحوها في جمادى الأولى منها .

(١) زيادة في د .

(٢) المصيصة - بالفتح ثم الكسر والتشديد وياء ساكنة وصاد أخرى . كنا

ضبطه الأزهرى ، وغيره من اللغتين بتشديد الصاد الأولى . وتفرد الجوهري

وخاند الفارابي بأن قال : المصيصة بتخفيف الصادين . والأول أصح .

(٣) طوانة - بضم الطاء وبعد الألف نون : بلد يمتلئ بالمصيصة .

ثم غزا مسلمة [والعباس] ^(١) الروم في سنة [٨٨٩] تسع وثمانين ،
فافتح مسلمة حصن ^(٢) سورية ، وافتتح العباس أذرولبة ^(٣) ، ولقى
من الروم جمعا فهزمهم ^(٤) .

وقيل : إن مسلمة قصد عمورية ، فلقى بها جمعا كثيرا من الروم
فهزمهم ^(٥) ، وافتتح هرقلية ^(٦) وقمولية ^(٧) . وغزا العباس الصائفة
من ناحية البذندون ^(٨) ، وغزا مسلمة الترك من ناحية أذربيجان ،
ففتح حصونا ومدائن هناك ، وذلك في سنة [٨٨٩] تسع وثمانين أيضا .
وغزا مسلمة الروم في سنة [٨٩٠] تسعين ، ففتح الحصون الخمسة
التي بسورية .

وغزا العباس حتى بلغ أرزن ^(٩) وبلغ سورية .

وفي سنة [٨٩١] إحدى وتسعين غزا عبد العزيز بن الوليد
الصائفة ، وكان على ذلك الجيش مسلمة بن عبد الملك .

وغزا مسلمة الترك في هذه السنة من ناحية أذربيجان حتى بلغ
البياب ، وفتح مدائن وحصونا ، ونصب عليها المجانيق . وغزا مسلمة
أرض الروم في سنة [٨٩٢] اثنتين وتسعين ، ففتح حصونا ثلاثة ،
وجلا أهل سوسنة إلى بلاد الروم .

(١) ساقط من د .

(٢) في الكامل : عمورية . وفي البداية والنهاية : سورية وعمورية .

(٣) والكامل ، والطبرى . وفي ياقوت ، والبكرى ، وفتوح البلدان : درولية .

(٤) في ك : فهزمهم . (٥) في الطبرى : هرقلية .

(٦) في الطبرى : قمودية . وفي الكامل : قمونية .

(٧) الضبط في الطبرى . وفي الكامل : البذندون . وفي ك : انتد ندون .

(٨) أرزن : مدينة مشهورة قرب خلاط ، ولها قلعة حصينة . وكانت من أمر
نواحي أرمينية . وأرزن الروم : بلدة أخرى من بلاد أرمينية (ياقوت) .

وفيهما كان فتح الأندلس على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير
على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار المغرب ، وغُزِيَتْ جزيرة
سرْدَانِيَّة وسنذكر ذلك [أيضاً] ^(١) إن شاء الله .

وغزا العباس الروم في سنة [٩٣] ثلاث وتسعين ، ففتح
سَبَسْطِيَّة ^(٢) المرزبانين .

وغزا مروان بن الوليد الروم فبلغ خَنْجَرَة ^(٣) ، وغزا مسلمة ففتح
مَاسِيَّة ^(٤) وحِصْنَ الحديد . وغزاة مِنْ ناحية مَلَطِيَّة .

وغزا العباسُ بْنُ الوليد الروم ففتح أَنْطَاكِيَّة في سنة [٩٤]
أربع وتسعين . وغزا العباس في سنة [٩٥] خمس وتسعين ، ففتح
هَرَقْلَةَ وغيرها ، وفيها قُتِلَ الوَصَّاحِي بِأَرْضِ الروم ونحو أَلْف رَجُلٍ
معه .

انتهت الغزوات في أيام الوليد بن عبد الملك . فلنذكر خلاف ذلك
من الحوادث على حُكْم السنين : (١) (١) (١)
ذكر الحوادث الكائنة في أيام الوليد بن عبد الملك
خلاف ماقدمناه

سنة (٨٦ هـ) ست وثمانين :

في هذه السنة حبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب بن أبي
صُفْرَة ، وعزَّل حبيب بن المهلب عن كِرْمَان وعبد الملك عن شرطته .

(١) زيادة في د .

(٢) هذا مع الضبط في ك . وفي ياقوت : هي مدينة قرب سميساط . وفي الطبري :
سمسطية .

(٣) خنجرة : ناحية من بلاد الروم (ياقوت) .

(٤) في الطبري : ماسة . وفي الكامل : ماسية .

وحج بالناس هشام بن إسماعيل المخزومى .

سنة (٨٧ هـ) سبع وثمانين :

فى هذه السنة عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن المدينة لسبع ليالٍ خلون من شهر ربيع الأول ، واستعمل عمر بن عبد العزيز ، فقدمها فى الشهر ، وثقله على ثلاثين بغيراً ، فنزل دار مروان ، وأحسن السيرة فى الناس ، واستعان بفقهاء المدينة ، وحرّضهم على أن يبلغوه ما يبلغهم من أخبار عماله ، وأن يعيّنوه على الحق ، وقال : إني أريد ألا أقطع أمراً دونكم .

وحج عمر بالناس فى هذه السنة ، وكان على قضاء المدينة أبو بكر ابن عمرو بن حزم ، وعلى قضاء البصرة عبد الله بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهم .

سنة (٨٨ هـ) ثمان وثمانين :

ذكر عمارة مسجد النبى

صلى الله عليه وسلم والزيادة فيه

فى هذه السنة كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فى شهر ربيع الأول يأمره بإدخال حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، وأن يشتري ما فى نواحيه حتى يكون مائتى^(١) ذراع ، ويقول له : قدّم القليلة إن قدرت ، وأنت تقدر لمكان أخوالك ، فإنهم لا يخالفونك : فمن أبى منهم فقوموا ملكه قيمة عدل ، وأهدم عليهم ، وأدفع الأثمان إليهم ، فإن لك فى عمر وعثمان رضى الله عنهما أسوة .

فأحضرهم عمر وأقرأهم الكتاب ، فأجابوا إلى أخذ الثمن ،

(١) فى الكامل : فى مائتى ذراع .

فأعطاهم إياه ، وهَدَمَ الحُجْرَ ، وأرسل الوليد الفعلة من الشام ، وبعث إلى ملك الروم يُعلمه أنه قد هدم مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليعمره ، فبعث إليه الروم مائة ألفٍ مثقال من ذَهَبٍ ومائة عامل ، وبعث إليه من الفُسَيْفِساءِ بأربعين جَمَلاً . فبعث الوليدُ بذلك إلى عُمر بن عبد العزيز ، وحضر عُمرٌ ومعه الناس ، فوضعوا أساسه .

وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز في تسهيل البناء وحفر الآبار ، وأمره أن يعمل الفَوَّازَةَ بالمدينة ، فعملها وأجرى ماءها ، وكتب إلى البُلْدَانِ جميعها بإصلاح الطُّرُق وعمل الآبار .

وفيها منع الوليد المُجْدِّمِينَ من الخروج على الناس ، وأجرى لهم الأرزاق .

وحجَّ بالناس عمر بن عبد العزيز ، ووصل جماعة من قريش ، وساق معه بُدْنًا ، وأحرم من ذِي الْحُلَيْفَةِ ، فلما كان بالتَّنْعِيمِ أَخْبَرَ أَنَّ مَكَّةَ قَلِيلَةُ الْمَاءِ ، وَأَنَّهُمْ يَخَافُونَ عَلَى الْحَاجِّ الْعَطْشَ . فقال عُمرُ : تَعَالَوْا نَدْعُوا اللَّهَ تَعَالَى ، فَدَعَاوَدَعَا مَعَهُ النَّاسُ ، فَمَا وَصَلُوا إِلَى الْبَيْتِ إِلَّا مَعَ الْمَطَرِ ، وَسَالَ الْوَادِي ، فَخَافَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ شِدَّتِهِ ، وَمُطِرَتْ عَرَفَةَ وَمَكَّةَ ، وَكَثُرَ الْخَضْبُ . وقيل : لَمَّا حَجَّ هَذِهِ السَّنَةَ عُمَرُ بْنُ الْوَلِيدِ . [وَاللَّهُ أَعْلَمُ (١)] .

سنة (٨٩ هـ) تسع وثمانين :

ذكر ولاية خالد بن عبد الله القسرى مكة

وما خطب الناس [به] ^(١) وقاله

وفى هذه السنة ولى خالد بن عبد الله القسرى ، فخطب أهلها فقال :
أيها الناس ، أيها أعظم ، أخليفة الرجل على أهله أو رسوله إليهم؟ والله
لو لم تعلموا من فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة
والسلام استسقاها فسقاها ملحاً أجاباً ، واستسقاها الخليفة فسقاها عذباً
فُراتاً ، يعنى بالملح زمزم ، وبالماء الفُرات بشراً حفرها الوليد بشنية طوى
فى ثنية الحجون ، فكان ماؤها عذباً ، وكان ينقل ماءها ويضعه فى حوض
إلى جنب زمزم ليُعرف فضلُه على زمزم ، فغارت البئر وذهب ماؤها .
وقيل : كانت ولاية خالد فى سنة [٨٩١] إحدى وتسعين . وقيل
سنة أربع .

وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن عبد العزيز .

سنة (٩٠ هـ) تسعين :

ذكر هرب يزيد بن المهلب وإخوته

من يسجن الحجاج

فى هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وإخوته ، وكان الحجاج
قد خرج إلى رُمّة متقبّذاً ^(٢) للبعث ، لأنّ الأكراد كانوا قد غلبوا
على فارس ، وأخرج معه يزيد بن المهلب وإخوته ، وجعل عليهم مثل
الخنذق ، وجعلهم فى قسطنطية قريب منه ، وجعل عليهم الحرس من أهل

(١) زيادة فى د .

(٢) الضبط فى ياقوت . وهى موضع من أرض دستوا : بلدة فى فارس .
وقيل : بالأهواز .

الشام ، وطلب منهم ستة آلاف ألف ، وعذبهم ؛ فكان يزيد يصير صبرا حسنا ، فكان ذلك مما يعيظُ الحجاج ، فقيل له : إنه رُمي في ساقه بنشابة فثبتت نصلها فيه فهو لا يمسه شيء إلا صاح ، فأمر أن يعذب في ساقه ، فعذب ، فصاح ، فسمعه أخته هند ، وكانت عند الحجاج فصاحت ، فطلقها الحجاج ، ثم كف عنهم وجعل يستأدى^(١) منهم المال ، فصنع يزيد للحرس طعاما كثيرا وأمر لهم بشراب ، فسقوا ، واشتغلوا^(٢) ، فليس يزيد ثياب طبائخه وخرج ، وقد جعل له لحيه بيضاء ، فرآه بعض الحرس ، فقال : كأن هذه مشية يزيد ، فلحقه فرأى لحيته بيضاء ، فتركه ، وعاد وخرج المفضل ولم يفتن له ، وكذلك عبد الملك ، فجاءوا إلى سفن معدة فركبوا ، وساروا ليلتهم . ولما أصبح الحجاج وعلم بهم الحرس رفعوا أمرهم إليه ففرغ ، وظن أنهم قصدوا^(٣) خراسان فتنقذ : فبعث إلى قتيبة يأمره بالجد والاحتياط .

ولما دنا يزيد وإخوته من البطائح استقبلتهم خيل قد ضمرت وأعدت لهم ، فركبوا ومعهم ذليل من كلب ، فأخذوا على السماوة إلى الشام ، فأتى الحجاج الخبر ، فكتب إلى الوليد يعلمه . وسار يزيد حتى قدم فلسطين ، فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي ، وكان كريما على سليمان بن عبد الملك ، فجاء وهيب إلى سليمان فأعلمه بحال يزيد وإخوته ، وأنهم قد استعادوا به من الحجاج . قال : فأتني

(١) في الطبري : يستأديهم .

(٢) في الطبري : فكانوا متشغلين .

(٣) في د : يقصدون . وفي الكامل : يفسدون .

هم ، فإنهم آمنون لا يوصل ^(١) إليهم وأنا حتى . فجاء بهم إليه
فكانوا عنده فى مكان آمن .

وكتب الحجاج إلى الوليد : إن آل المهلب تخافوا ما لله ^(٢) الله
وهربوا منى ، ولحقوا بسليمان .

فلما علم أنهم عند أخيه سكن بعض ما به ، وكتب إليه سليمان :
إن يزيد عندى وقد أمنتته ، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف ، لأن الحجاج
أغرمه ثلاثة آلاف ألف ، والذى بقى عليه أنا أوديه .

فكتب الوليد : والله لا أؤمته حتى تبعث به إلى ...

فكتب سليمان : لئن بعثت به إليك لأجيشن معه .

فكتب إليه : والله لئن جئتنى لا أؤمته . فقال يزيد بن المهلب :
أرسلنى إليه ، فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة ، واكتب
معى بالطف ما قدرت عليه . فأرسله ، وأرسل معه ابنه أيوب .
وكان الوليد قد أمره أن يبعث به مقيداً . فقال سليمان لابنه : إذا
دخلت على أمير المؤمنين فادخل أنت ويزيد فى سلسلة . ففعل ذلك ،
فلما رأى الوليد ابن أخيه فى سلسلة قال : لقد بلغنا من سليمان .

ودفع أيوب كتاب أبيه إلى عمه ، وقال : يا أمير المؤمنين ،
لا تخف ذمة أبى ، وأنت أحق من منعها ، ولا تقطع من رجاء من رجا
السلامة . فى جوارنا لمكاننا منك ، ولا تبذل من رجاء العز فى الانقطاع
إلينا لعزنا بك .

(١) فى الكامل : لا يوصل .

(٢) فى الكامل : أمان الله .

فقرَّ الوليدُ كتابَ سليمان فإذا هو يستعطفه ويشفع فيه ، ويضمنُ
إيصالَ المال .

فقال : لقد شققنا على سليمان .

وتكلم يزيد واعتذر ، فأمنه الوليدُ ، وردّه إلى سليمان ، وكتب
إلى الحجاج : إني لَم أَصِلْ إلى يزيد وأهله لمكانهم من سليمان ، فاكفُفْ
عنهم ، وكان أبو عُبَيْنَةَ بن المهلب عند الحجاج عليه ألف ألف ،
فتركها له ، وكَفَّ عن حبيب بن المهلب ، وكان يُعَذَّبُ بالبصرة ،
وأقام يزيد عند سليمان في أرغلٍ عيش ، وكان لا تَصِلُ إليه هديةٌ
إِلَّا بعث بنصفها إلى يزيد ، ولا تعجبه جارية إلا بعث بها إليه ، وكان
يزيدُ إذا أتته هدية بعث بها إلى سليمان .

وفي هذه السنة استعمل الوليد قُرَّةَ بنَ شريك على مِصر ، وعزل
أخاه عَبْدَ اللَّهِ عنها .

وفيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، فأهداه
ملكهم إلى الوليد .

وحج بالناس عمر بن عبد العزيز .

وفيها مات أَتَمُّ بن مالك رضى الله عنه الأنصارى . وقيل : سنة
[٩٢هـ] اثنتين وتسعين ، وكان عمره سِتًّا وتسعين سنة ، وقيل
مائة وست سنين .

سنة (٩١ هـ) احدى وتسعين :

في هذه السنة حجَّ الوليدُ بن عبد الملك بالناس ، فلما قدم
المدينة دخل المسجد ينظر إلى بنائه ، فأخرج الناس منه ، ولم يبق

غَيْرُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، لَمْ يَجْسُرْ ^(١) أَحَدٌ مِنَ الْحَرَسِ أَنْ يَخْرِجَهُ ، فَقِيلَ لَهُ ^(٢) [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] : لَوْ قُتِمَتْ . فَقَالَ : لَا أَقُومُ حَتَّى يَأْتِيَ الْوَقْتُ الَّذِي كُنْتُ أَقُومُ فِيهِ . قِيلَ لَهُ : فَلَوْ سَلَّمْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ . قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : فَجَعَلْتُ أَغْدِلُ بِالْوَلِيدِ فِي تَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ لئَلَّا يَرَاهُ ، فَالْتَفَتَ الْوَلِيدُ إِلَى الْقَيْلَةِ ، فَقَالَ : مَنْ ذَلِكَ الشَّيْخُ : أَهُوَ سَعِيدٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . وَمِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا ، وَلَوْ عَلِمَ بِمَكَانِكَ لَقَامَ فَسَلَّمَ عَلَيْكَ .

فَقَالَ الْوَلِيدُ : قَدْ عَلِمْتَ حَالَهُ ، نَحْنُ ^(٣) نَأْتِيهِ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ ؟ فَوَاللَّهِ مَا تَحَرَّكَ سَعِيدٌ . فَقَالَ : بِخَيْرٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، فَكَيْفَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ وَكَيْفَ حَالُهُ ؟ فَانصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ : هَذَا بَقِيَّةُ النَّاسِ . وَقَسَمَ الْوَلِيدُ بِالْمَدِينَةِ رَقِيقًا ^(٤) كَثِيرًا وَأَنْبِيَةً مِنْ ذَهَبٍ وَفُضَّةٍ وَأَمْوَالًا ، وَصَلَّى بِالْمَدِينَةِ الْجُمُعَةَ ، وَخَطَبَ الْخُطْبَةَ الْأُولَى جَالِسًا وَالثَّانِيَةَ قَائِمًا .

وَفِيهَا عَزَلَ الْوَلِيدُ عَامِلَهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ عَنِ الْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَةَ . وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا أَخَاهُ مُسْلِمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَغَزَا التُّرُكَ كَمَا تَقْدُمُ .

سنة (٩٢ هـ) اثنتان وتسعين :

فِي هَذِهِ السَّنَةِ حَجَّ بِالنَّاسِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَ مِنَ الْغَزَوَاتِ وَالْفَتْوحَاتِ مَا تَقْدُمُ ذَكَرَهُ .

(١) فِي الطَّبْرِيِّ : مَا يَجْتَرِءُ .

(٢) لَيْسَ فِي د .

(٣) فِي د : وَنَحْنُ .

(٤) فِي الْكَامِلِ : دَقِيقًا . وَالْمَبْنِيُّ فِي الطَّبْرِيِّ أَيْضًا .

سنة (٩٣ هـ) ثلاث وتسعين :

ذكر عزل عمر بن عبد العزيز

في هذه السنة عزل الوليدُ عُمَرُ بن عبد العزيز عن الحجاز والمدينة ، وكان سببُ ذلك أنَّ عُمَرَ كتب إلى الوليد يُخبره بعُنفٍ لحجَّاجٍ وظُّلمِهِ ، فبلغ ذلك الحجَّاج ، فكتب إلى الوليد : إنَّ مَنْ عِنْدِي مِنَ الْمُرَاقِ ^(١) وأهل الشقاق قد جَلَوْا عن الْعِرَاقِ ولحقُوا بالمدينة ومكة ، وإن ذلك وَمَنْ .

فكتب إليه الوليدُ يستشيرهُ فيمَنْ يُولِّيهِ المدينة ومكة ، فأشار بهخالد بن عبد الله القسري وعثمان بن حيَّان ، فولى خالداً مكة وعثمان المدينة ، فلما قدم خالد مكة أخرج مَنْ بها من أهل العراق كرهاً ، وتهذَّ مَنْ أنزل عِرَاقياً أو أجره داراً . وقيل : كان ذلك قبل هذا التاريخ . والله أعلم .

وفيها كتب الوليد إلى عمر قبل عزله يأمره أن يضرب خُبَيْب ^(٢) ابن عبد الله بن الزُبَيْر ، ويصُوبَ على رأسه ماءً بارداً ، فضربه خمسين سَوْطاً . وصبَّ على رأسه ماءً بارداً في يومٍ ثلثٍ ، ووقفه على باب المسجد ، فمات من يومه .

وحج بالناس عبد العزيز بن الوليد .

(١) في الطبري : من مراف أهل المدينة .

(٢) يضم الخاء المعجمة وباءين موحدتين بينهما ياء تحتها نقطتان (انكامل :

سنة (٩٤ هـ) اربع وتسعين :

ذكر مقتل سعيد بن جبير

[رضى الله عنه] (١)

فى هذه السنة قتلَ الحجاجُ بن يوسفَ سَعِيدَ بن جُبَيْر ، وهو أبو عبد الله سعيد بن جُبَيْر بن هشام الأسدى مولى بنى والهة : بَطْنُ من بنى أسد بن خزيمه .

وكان سببَ قتلِهِ خروجُهُ مع عبد الرحمن بن [محمد بن] (٢) الأَشْعث ، وكان الحجاجُ قد جعله على عطاء الجُنْدِ حين وجَّهَ عبدَ الرحمنَ لقتالِ رُثَيْبِيل ، فلما خلع عبد الرحمن الحجاج وعبد الملك كان سَعِيدُ من خلع ، فلما هُزِمَ عبدُ الرحمن هرب سَعِيدُ إلى أصبهان : فكتب الحجاجُ إلى عاملها يأمره بإرساله ، فتحرَّجَ العاملُ من ذلك ، وأرسل إلى سَعِيدٍ يُعَرِّفُهُ أن يفارقَ البلد ، فخرج إلى أَذْرَبِيجَانَ ثم خرج إلى مكة ، فكان بها حتى قدم خالدُ بن عبد الله مكة ، وأخرج أهلَ العراق إلى الحجاج ، فأخذ سَعِيدَ فيمن أخذ ، وسيره إلى الحجاج مع حَرَسِيَّين ، فانطلق أحدهما لحاجته فى بعض الطريق وبقي الآخر فنام واستيقظ . فقال لسعيد : إني أبرأ إلى الله مِنْ دَمِكَ ، إني رأيتُ فى منامى قاتلاً يقول لى : ويلك ا تبرأ إلى الله مِنْ دَمِ سَعِيدِ بن جُبَيْر ، فاذهب حيث شئت ، فإني لا أطلبك ، فأبى سَعِيدُ ذلك ، ورأى الحَرَسِيَّ ذلك ثلاث مرات وهو يكرِّر القول على سَعِيدٍ فى الذهاب فلا يفعل . ثم قدم الكوفة فأدخل على الحجاج ، فلما رآه قال : لعنَ الله ابنَ النصرانية - يعنى خالد بن عبد الله ،

(١) ساقط فى د . (٢) من الكامل والطبرى .

أما كنت أعرف مكانه ، بلى والله والبيت الذى كان فيه بمكة : ثم أقبل عليه وقال : يا سعيد ، ألم أشركك فى أمانتى ^(١) ؟ ألم أستعملك ؟ قال : بلى . قال : فما أخرجك على ؟ قال : إنما أنا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب مرة . فطابت نفس الحجاج ، ثم عاوده فى شئ ، فقال : إنما كانت بيعته ^(٢) فى عنقى . فغضب الحجاج وانتفخ . وقال : يا سعيد ، ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها ، وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين [عبد الملك] ^(٣) ؟ قال : بلى . قال : ثم قدمت الكوفة واليا فجذت البيعة فأخذت بيعتك ثانيا ؟ قال : بلى . قال : فنكشت بيعتين لأمير المؤمنين ، وتوفى بواحدة للحائك ابن الحائك ، والله لأقتلن . قال : إني إذا لسعيد كما سمعتنى أمى ، فأمر به فضربت رقبتة . فلما سقط رأسه هل ثلاثا ، أفصح ^(٤) بمره ^(٥) ولم يفصح بمرتين ، والتبس عقل الحجاج فجعل يقول : قيودنا قيودنا ، فظنوا أنه يريد القيود ، فحفظوا ^(٥) رجلى سعيد من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود . وكان الحجاج إذا نام يراه فى منامه يأخذ بجميع ثوبه ، فيقول : يا عدو الله ، فم قتلتنى ، فيقول : مالى ولسعيد بن جبير مالى ولسعيد بن جبير أيكورها .

(١) فى الكامل : إمانتى .

(٢) فى د ، والكامل : بيعة .

(٣) زيادة فى د .

(٤) فى ك : مرة .

(٥) فى د : حفظوا .

آ وفيها كانت الزلازلُ بالشامَ فدَامَتْ أربعين يوما ، فخرِبت البلادُ ، و كان معظم ^(١) ذلك بأنطاكية .

ذكر وفاة زين العابدين على بن الحسين

ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ونبذة من أخباره

كانت وفاته بالمدينة فى أول سنة [٥٩٤هـ] أربع وتسعين . وقيل فى سنة اثنتين . وقيل سنة ثلاث . وقيل سنة تسع وتسعين . وقيل سنة مائة . حكى هذا الاختلاف أبو القاسم بن عساكر فى تاريخ دمشق ، واقتصر ابنُ الأثير الجزرى على سنة أربع وتسعين دون غيرها . وكان رَحِمَهُ اللهُ يُكْنَى أبا عبد الله ، ويقال أبو محمد ، ويقال أبو الحسن ، ويقال أبو الحسين زين العابدين . ومولده سنة [٥٣٣هـ] ثلاث وثلاثين ، وأمه أم ولد اسمها غزالة [خلف عليها بعد الحسين زين مولى الحسين ، فولدت له عبد الله بن زيند . وقال إسماعيل بن موسى السدى : عبد الرحمن بن حبيب أخو على ابن الحسين لأبيه] ^(٢) ، وكان رحمه الله ثقة ورعا مأمونا كثير الحديث من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة .

حكى أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه عن الزهرى ، قال : شهدتُ على بن الحسين يوم حمله عبدُ الملك بن مروان من المدينة إلى الشام ، فأوقفه حديداً : ووكل به حُفَاظاً فاستأذنتهم ^(٣) فى التسليم عليه والتوديع له فأذنوا لى فدخلتُ عليه ، وهو فى قبة

(١) فى الكامل : عظم .

(٢) من د .

(٣) فى ك : فاستأذنتهم .

والقيود في رجليه والغُلُّ في يديه ، فسكنت^(١) وقلت : وَدِدْتُ أَنَّى
مَكَانَكَ وَأَنْتَ سَلِيمٌ . فقال : يَا زُهْرَى ، أَوْ تَظُنُّ هَذَا مِمَّا تَرَى عَلَى
وَفِي عُنُقِي . أَمَا إِنِّي لَوْ شِئْتُ مَا كَانَ . ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَيْهِ مِنَ الْغُلِّ
وَرَجَلَيْهِ مِنَ الْقَيْدِ .

ثُمَّ قَالَ : يَا زُهْرَى ، جُرْتُ مَعَهُمْ عَلَى هَذَا مَنَزَلَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ .
فَمَا لَبِشْنَا إِلَّا أَرْبَعَ لَيَالٍ حَتَّى قَدِمَ الْمُوَكَّلُونَ بِهِ بِطَلْبُونِهِ بِالْمَدِينَةِ ،
فَمَا وَجَدُوهُ ، فَكُنْتُ فِيمَنْ سَأَلَهُمْ عَنْهُ ، فَقَالَ لِي بَعْضُهُمْ : إِنَّا نَرَاهُ
مَتَّبِعًا ، إِنَّهُ لَنَازِلٌ - وَنَحْنُ حَوْلَهُ لَا نَنَامُ فَرَصْدَهُ - إِذَا أَصْبَحْنَا ،
فَمَا وَجَدْنَاهُ إِلَّا حَدِيدَهُ .

قَالَ الزُّهْرَى : فَقَدِمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى عَبْدِ الْمَالِكِ فَسَأَلَنِي عَنْ عَلِيٍّ
ابْنِ الْحُسَيْنِ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ لِي : إِنَّهُ قَدْ جَاءَ نِي فِي يَوْمٍ فَقَدَهُ
الْأَعْرَابُ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : أَنَا وَأَنْتَ ! فَقُلْتُ : أَقِمَّ عِنْدِي .
فَقَالَ : لَا أَحِبُّ ، فَخَرَجَ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ امْتَلَأْتُ نَوْبِي مِنْهُ خَيْفَةً .
قَالَ الزُّهْرَى : فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ عَلِيٌّ بَنُ
الْحُسَيْنِ حَيْثُ تَظُنُّ ، إِنَّهُ لَمُشْغُولٌ بِنَفْسِهِ . فَقَالَ : نَعَمْ .

وَقِيلَ : وَقَعَ حَرِيقٌ بِالْمَدِينَةِ فِي بَيْتِ فِيهِ عَلِيٌّ ابْنُ الْحُسَيْنِ ، فَجَعَلُوا
يَقُولُونَ : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، النَّارُ ! فَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ حَتَّى أَطْفَأَتْ
فَقِيلَ لَهُ : مَا الَّذِي أَلْهَاكَ عَنْهَا ؟ قَالَ : أَلْهَانِي عَنْهَا النَّارُ الْآخَرَى .
وَقِيلَ : كَانَ إِذَا مَشَى لَا تَجَاوِزُ يَدُهُ فَخَلِيهِ ، وَلَا يَخْطُرُ بَيْنَهُ .
وَكَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَخَذَتْهُ رَعْدَةٌ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ :
مَا تَذَرُون بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ أَقُومُ وَمَنْ أُنَاجِي .

(١) فِي د : فِي كَيْت .

قيل : وكان إذا توضأ اصفرَّ فيقول له أهله : ما هذا الذى يَغْتَاذُكَ عند الوضوء ؟ فيقول : تَذَرُون بَيْن يَدَى مَنْ أريد أقوم ؟ وعن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ : حَجَّ عَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ ، فلما أحرَمَ وامْتَوَتْ بِهِ راحِلَتُهُ اصفرَّ لَوْنُهُ وانتفض ، ووقع عليه الرعدة ، ولم يستطع أن يُلَبِّى . فقيل له : مالك لا تُلَبِّى ؟ فقال : أخشى أن أقول لَبَّيْكَ ، فيقول لى : لا لَبَّيْكَ . فقيل له : لا بُدَّ مِنْ هَذَا . فلما لَبَّى غَضِبَ عَلَيْهِ ، وسقط مِنْ راحِلَتِهِ ، فلم يَزَلْ يَغْتَرِيهِ ذَلِكَ حَتَّى قَضَى حُجَّه . وقيل : كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُصَلِّى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَبْلَةٌ أَلْفَ رَكْعَةٍ إِلَى أَنْ مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وكان يُسَمَّى بِالْمَدِينَةِ زَيْنَ الْعَابِدِينَ لعبادته . وقيل : لأنه قاسمُ اللَّهِ مَالَهُ مَرَّتَيْنِ ، وكان يحمل الخُبْزَ بِاللَّيْلِ عَلَى ظَهْرِهِ يَتَبَّعُ بِهِ الْمَسَاكِينَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، ويقول : إِنْ الصَّدَقَةُ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ تَطْفَأُ غَضَبَ الرَّبِّ .

وَأَعْتَقَ غُلَامًا أَعْطَاهُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَأَلْفَ دِينَارٍ . قيل : وسكيت جاريةً عَلَيْهِ الْمَاءُ لِيَتَهَيَّأَ لِلصَّلَاةِ ، فسقط الإبريق مِنْ يَدَيْهَا عَلَى وَجْهِهِ ، فشجَّه ، فرفعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا ، فقالت : إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ^(١) : « وَالْكَافِرِينَ الْقَاطِعِينَ » . قال : قد كَطَمْتَ عَيْظِي . قالت ^(١) : « وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ » . قال : قد عفا اللَّهُ عَنْكَ . قالت ^(١) : وَاللَّهِ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » . قال : اذهبي فَأَنْتِ حُرَّةٌ .

قيل ^(١) : وأذنب له غلام ذنباً استحق منه العقوبة ، فأخذ السوط .
فقال الغلام : « قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ » ،
وما أنا كذلك ، إني لأرجو رحمة الله ، وأخاف عذابه ، فألقى
السوط ، وقال : أنت عتيق .

وقيل : حج هشام بن عبد الملك في زمن عبد الملك أوفى زمن
الوليد ، فلما طاف جهده أن يستلم الحجر فلم يطق لزحام الناس عليه ،
فأنصب له منبر ، وجلس ينظر إلى الناس ، إذ أقبل علي بن الحسين
رضي الله عنه من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً ، فطاف بالبيت ،
فكان كلما بلغ الحجر تنحى الناس له حتى يستلمه . فقال رجل
من أهل الشام : من هذا الذي قد هابه الناس هذه المهابة ؟ فقال هشام :
لا أعرفه - مخافة أن يرغب الناس فيه ، وكان حوله وجوه أهل
الشام ، والفرزدق الشاعر ، فقال الفرزدق : لكنني أنا أعرفه ،
فقال أهل الشام : من هذا يا أبا فراس ؟ فزيره هشام ، وقال :
لا أعرفه . فقال الفرزدق : بل تعرفه ، ثم أنشد مشيراً إليه ^(١) :

[هذا سليل حسين وابن فاطمة

بنيت الرسول الذي انجابت به الظلم] ^(٢)

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والحل والخمر

هذا ابن خبير عباد الله كلهم

هذا النقي النقي الطاهر العلم

(١) والأغاني : ١٤ - ٧٥ : واخسن والمساوي : ٣٣١

(٢) زيادة في د .

اللهُ شَرُّهُ قَدْماً وَفَضْلُهُ
 جرى بذلك له في لَوْحِهِ الْقَلَمُ
 [فليس قولك مَنْ هذا بَضَائِرُهُ
 العرب تعرف من أَنْكَرْتَ والعجم (١)
 كلتا يديه غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
 يَسْتَوِي كِفَانٌ وَلَا يَمُرُّهُمَا عِلْدَمٌ (٢)
 حَمَالٌ أَثْقَالٌ أَقْوَامٌ إِذَا فُلِدِحُوا
 حَلُّوا الشَّامِلُ تَحْلُو عَنْدَهُ نَعَمٌ
 لَا يَخْلِفُ الْوَعْدَ مِيمُونَ نَقِيبَتُهُ
 رَحْبُ الْفِنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يَغْتَرُّ
 مِنْ مَغْشَرِ حُبِّهِمْ دِينَ وَيَغْضُهُمْ
 كُفْرٌ وَقَرِيبُهُمْ مَنْجَى وَمُغْتَصَمٌ
 إِنْ عُدَّ أَهْمَلُ التُّقَى كَانُوا أَعْمَتُهُمْ
 أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمُ
 لَا يَسْتَنْطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ غَايَتِهِمْ
 وَلَا يَدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا
 هُمُ الْغِيُوثُ إِذَا مَا أَرْزَمَتْ أَرْزَمَتْ
 وَالْأَسَدُ أَسَدُ الشَّرِّ وَالْبِئْسَ مُحْتَلِمٌ

(١) زيادة في د .

(٢) في هامش د : حاشية :

هم البرية بالإحسان فانتشعت عنه الفيانة والإملاق والعدم
 مهل الخليفة لا تخشى بـ وادره يزينة اثنان : حسن الخلق والكرم

لَا يَنْقُصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مَنْ أَكْفَهُمْ
 سِيَّانَ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا
 يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَالْبَلَاءُ بِحَبْهِمْ
 وَيُسْتَرَدُّ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنِّعَمُ
 مُتَدَمِّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
 فِي كُلِّ أَمْرٍ وَمَخْتَوْمٌ بِهِ الْكَلِمُ
 يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحُلُّ الذَّلَّ (١) سَاحَتَهُمْ
 خَيْمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالنِّدَى هُمْ
 أَيْ الْخَلَائِقُ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
 لِأَوَّلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ نِعَمٌ
 مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَشْكُرْ أَوَّلِيَّةَ ذَا
 فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا بَابُهُ الْأَمَمُ

قال : فغضب هشام لذلك وتنقص عليه يومه ، وأمر بحبس
 الفرزدق بعُسفان بين مكة والمدينة ، وبلغ ذلك على بن الحسين
 رضى الله عنه ، فبعث إليه بائني عشر ألف درهم ، وقال : اعذر
 أبا فراس ، لو كان عندنا أكثر من هذا لو صلناك بها ، فردها
 الفرزدق ، وقال : ما قلت الذى قلت إلا غضباً لله ولرسوله ،
 وما كنت لأرزا عليها شيئاً ، فردها عليه ، وقال : بخمى عليك
 إلا قبلتها ، فقد علمت أننا أهل بيت إذا أنفذنا أمراً لا نرجع فيه ،

وقد رأى الله مكانك ، وعلم نيتك ، والجزاء عليه تعالى . فقبلها .
وجعل الفرزدق يَهْجُو هِشَامًا ، فكان مما هجاه به (١) :

أَتَحْسِبُنِي (٢) بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْبَيْتِ إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوَى مُنِيبُهَا
يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيْدٍ وَعَيْنِينَ حَوْلًا وَبَادِ عُيُوبُهَا
وكان على بن الحسين يقول : لقد استرقك بالود من سبقك
بالشكر .

ولما حضرته الوفاة أوصى ألا يؤذِنُوا به أحداً ، وأن يكفَّن
في قُطْنٍ ، ولا يجعلوا في حَنَوطِهِ مِسْكَاً ، ودُفِنَ بالبقيع رحمه الله
ورضى عنه .

ومات أيضاً في هذه السنة عُروة بن الزبير رضى الله عنهما ،
وسعيد بن المسيَّب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث
ابن هشام .

وحجَّ بالناس مسلمة بن عبد الملك . وقيل عبد العزيز بن الوليد .
وفيها استقضى الوليدُ على الشام سليمان بن حبيب .

سنة (٩٥ هـ) خمس وتسعين :

ذكر وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي

وشىء من أخباره

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل
ابن عامر بن مسعود بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف
ابن ثقيف ، كانت وفاته في شوال سنة [٩٥ هـ] خمس وتسعين ،

(٢) في الديوان : تردى .

(١) ديوانه : ١٦

وقيل لخمسة بقين من شهر رمضان من السنة ، وله من العمر أربع وخمسون ، وقيل ثلاث وخمسون .

روى أن عمر بن عبد العزيز ذكر عنده ظلم الحجاج وبغره من ولاية الأمصار في أيام الوليد بن عبد الملك ، فقال عمر بن العزيز : الحجاج بالعراق ، والوليد بالشام ، وقرة بن شريك بمصر : وعثمان بالمدينة ، وخالد بمكة ، اللهم قد امتلأت ظلماً وجوراً ، فأرح الناس . فلم يخن غير قليل حتى توفي الحجاج وقرة في شهر واحد ، ثم تبعهم الوليد ، وعزل عثمان بن حيان ، وخالد بن عبد الله القسري . واستجاب الله لعمر .

وما أشبه هذه القصة بقصة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما بلغه أن زياد ابن أبيه كتب إلى معاوية يقول : إني قد ضبطت العراق بشماله ويمينه فارغة . فقال ابن عمر : اللهم أرحنا من يزيد ، وأرح أهل العراق من شماله . فاستجاب الله له .

وكان من خبر وفاة زياد ما ذكرناه .

وكانت ولاية الحجاج العراق عشرين سنة ، ولما حضرته الوفاة استخلف على الصلاة ابنه عبد الله ، وعلى حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كبشة ، وعلى الخراج يزيد بن أبي مسلم ، فأقرهم الوليد بعده .

وكان الحجاج من أفصح الناس . قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحجاج ومن الحسن ، وقد ذكرنا من كلامه عند مقدمه الكوفة ما يدل على فصاحته .

ومن أخباره أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ بِقَتْلِ أَسْلَمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكْرِيِّ لَشَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ ، فَأَحْضَرَهُ الْحِجَاجُ ، فَقَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ غَائِبٌ وَأَنْتَ حَاضِرٌ ، وَاللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ ^(١) : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبِيٍّ فَتَبَيَّنُوا... الآية. والذي بَلَغَهُ عَنِ فَبَاطِلٍ ^(٢) . فَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي أُعُولُ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ امْرَأَةً ، وَهُنَّ بِالْبَابِ ، فَأَحْضَرَهُنَّ ، وَكَانَ فِي آخِرِهِنَّ جَارِيَةٌ قَارِبَتْ عِشْرِينَ سَنِينَ . فَقَالَ لَهَا : مَنْ أَنْتِ مِنْهُ ؟ قَالَتْ : ابْنَتُهُ ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ ^(٣) :

أَحْجَاجُ لَوْ ^(٤) تَشْهَدُ مَقَامَ بَنَاتِهِ وَعَمَاتِهِ يَنْدُبُنَّهُ اللَّيْلَ أَجْمَعًا
أَحْجَاجُ لَا ^(٥) تَقْتُلْ بِهِ إِنْ قَتَلْتَهُ ثَمَانًا وَعِشْرًا وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا
أَحْجَاجُ مَنْ هَذَا يَقُومُ مَقَامَهُ عَلَيْنَا فَمَهْلًا أَنْ تَرُدَّنَا تَضَعُضُهَا
أَحْجَاجُ إِمَّا أَنْ تَجُودَ بِزِعْمَةٍ عَلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ تُقَتِّلَنَا مَعًا
فَبَكَى الْحِجَاجُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَعْنَتُ الدَّهْرَ عَلَيْكَ وَلَا زِدْتُكَ تَضَعُضًا .

وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِخَبَرِهِ وَخَبَرَ الْجَارِيَةِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :
إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ فَأَحْسِنْ صِدْقَتَهُ وَتَفَقَّدْ ^(٥) الْجَارِيَةَ .
فَفَعَلَ .

(١) سورة الحجرات ، آية ٦

(٢) في الكامل : باطل

(٣) الشعر في الكامل : ٤ - ١٣٣

(٤) في الكامل : لم .

(٥) في ك : ونفذ .

قال عاصم بن بهدلة : سمعتُ الحجاج يقول : اتَّقُوا اللَّهَ ما استطَعْتُمْ ، هذا والله مثنوية ، واسمعوا وأطيعوا وأنفِقُوا خيراً لأنفسكم ليس فيه مثنوية ، والله لو أمرتكم أَنْ تَخْرُجُوا من هذا الباب فخرجتم من هذا لحُلَّتْ لِي دِمَاؤُكُمْ ، ولا أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أمِّ عبد - يعني ابن مسعود - إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، ولأَحْكُمُهَا من المصحف ولو بضلع خنزير .

قال الأوزاعي : قال عُمر بن عبد العزيز : لو جاءت كلُّ أمةٍ بخبيثتها وجئنا بالحجاج لقلبناهم .

قال الحسن : سمعتُ علياً يقول على المنبر : اللهم ائتمنتهم فخانوا ، ونصحتهم فغشوني ، اللهم فسلط عليهم غلامٌ ثقيف يحكم في دماهم وأموالهم بحكم الجاهلية ، فوصفه . قال الحسن : هذه والله صِفةُ الحجاج .

قال حبيب بن أبي ثابت : قال علي رضي الله عنه لرجل : لا تموت حتى تُذرك فتى ثقيف . قيل : يا أمير المؤمنين ، ما فتى ثقيف ؟ قال : ليَقَالَ لَهُ يوم القيامة : اكْفَيْنَا زاويةً من زوايا جهنم ، رجل يملك عشرين سنة أو بضعا وعشرين ، فلا يدعُ لله مَعْصِيَةً إِلَّا ارتكبها ، حتى لو لم يبق إِلَّا مَعْصِيَةٌ واحدة وبينها وبينه بابٌ مغلَقٌ لكسره . حتى يرتكبها ، يقتل ^(١) من أطاعه بمن عصاه .

وقيل : أحصى مَنْ قتلته الحجاج صَبْرًا فكانوا مائة ألف وعشرين ألفًا .

(١) في الكامل : يقتل بمن أطاعه من عصاه .

وقيل : إن الحجاج مرَّ بخالد بن يزيد بن معاوية وهو يخطر في شَيْئِهِ ، فقال رجل لخالد : مَنْ هذا ؟ فقال خالد : بَخ بَخ ! هذا عمرو ابن العاص . فسمِعَهَا الحجاجُ فرجع ، وقال : والله ما يسرُّني أن العاص والدي ^(١) ، ولكني ابنُ الأشياخ من ثقيف ، والعقائل من قريش ، وأنا الذي ضربت ^(٢) بسيفي هذا مائة ألف كلَّهم يشهدُ أن أباك كان يشربُ الخمر ويُضْمِرُ الكفر . ثم ولي ، وهو يقول : بَخ بَخ عمرو بن العاص ! فقد أقرُّ على نفسه مائة ألف قتيل على ذَنْبٍ واحد . وحجَّ بالناس في هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك .

سنة (٩٦ هـ) ست وتسعين :

ذكر وفاة الوليد بن عبد الملك

وشيء من أخباره وسيرته وأولاده وعماله

كانت وفاته بدَيْر ^(٣) مُرَّان في النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة . ودَيْرُ مُرَّان كان بجبل قاسيُون بظاهر دمشق ، وهو الآن مدرسة وتربةٌ منسوبة إلى الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن العادل ابن أيوب . كانت مدة خلافته تسع سنين وثمانية أشهر . ودُفِن خارج الباب الصغير بدمشق . وقيل في مقابر القَرَادِيس ^(٤) . وصلى عليه عُمرُ بن عبد العزيز . ولما دُفِن في حُفْرته جُمِعَتْ ركبته إلى عنقه ، فقال ابنه : عَاشَ أبي ؟ فقال له عمر بن عبد العزيز - وكان فيمن

(١) في الكامل : ولدني .

(٢) في ك : يضرب .

(٣) دير مران - بضم الميم . ثنية المر : بالقرب من دمشق (ياقوت) .

(٤) القفراديس : موضع بقرب دمشق (ياقوت)

دفنه : عُوْجِلَ والله أبوك . وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وستة أشهر . وقيل سبعا وأربعين . وقيل ثمانيا وأربعين . والله أعلم .

وكان أسمر اللون ، جميل الوجه ، أفطس الأنف . وقيل . كان سائل الأنف جدا وبوجه آثار جذرى .

وكان نقش خاتمه : يا وليد ، إنك ميت .

وكان له من الأولاد تسعة عشر ذكرا ، وعدهم بعض المؤرخين عشرين ، وهم : يزيد ، وإبراهيم - وليا الخلافة ، والعباس فارص بن مروان ، وعمر قحط بنى مروان ، وعبد العزيز ، وبشر ، وصدقة ، ومحمد ، وتمام ، وخالد ، وعبد الرحمن ، ومبشر ، ومسرور ، وأبو عبيدة ، ومنصور ، ومروان ، وغنبة ، وعمرو ، وروح ، ويحيى ، هؤلاء الذكور ، سوى البنات .

كتابه : قرّة بن شريك ، ثم قبيصة بن ذؤيب ، ثم الضحاك ابن يزيد ، ثم يزيد بن أبى كبشة ، ثم عبد الله بن بلال .
قضاته : عبد الله بن بلال ، وسليمان بن حبيب .

حجابه : خالد ، وسعيد مولياه .

الأمراء بمصر : أخوه عبد الله ، ثم قرّة بن شريك .

قاضيها : عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة^(١) ، ثم صرفه قرّة وولى عياض بن عبد الله ، ثم وليها عبد الملك بن رقاعة بعد وفاة قرّة .
وكان عماله على الأمصار من ذكرناهم .

قال : وكان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام من أفضل

(١) هذا بالأصول .

خلفائهم^(١) ، وله آثارٌ حسنة ومبان عظيمة ، وفتح في أيامه بلاد الأندلس وما وراء النهر وبلاد الهند .

[قال]^(٢) : وكان الوليد يمرُّ بالبَقَال فيقف عليه ، ويأخذ منه حُرْمَةً بَقْلٍ ، فيقول : بكم هذه ؟ فيقول : بفلس . فيقول الوليد : زد فيها .

وبنى جامع دمشق في سنة [٨٦هـ] ست وثمانين ، وهدم كنيسة النصراني التي كانت إلى جانبه ، وتُعرف بماريو حنا ، وزادها فيه .

وقيل : كان في الجامع وهو يُبْنَى اثنا عشر ألف مرخم . وتوفى الوليد ولم يتم بناؤه ، وكان الفراغ منه في أيام سليمان أخيه .

وقيل : إن جُمْلَةَ ما أنفق عليه أربعمائة صندوق ، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار ، وكان فيه سِتّائة سلسلة من الذهب للقناديل ، ولم تطق الناس الصلاة فيه لكثرة شعاعه ، فدخلت حتى اسودّت ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز جعلها في بيت المال ، وعوّضها بالحديد . وأمر الوليد ببناء جامع البيت المقدس في سنة [٨٨هـ] ثمان وثمانين . قيل : وحجّ الوليد بالناس ثلاث^(٣) حجج : سنة ثمان وثمانين ، وسنة إحدى وتسعين ، وسنة أربع وتسعين .

قال : وكان الوليد أراد أن يخلع أخاه سليمان ، ويباع لوكّده عبد العزيز ، فأبى سليمان ، فكتب إلى عمّاله ، ودعا الناس إلى خلعِهِ ، فلم يُجبِهِ إلى ذلك إلا الحجاج وقتيبة وخوَص من الناس .

(١) في الطبري : خلافتهم .

(٢) من ك .

(٣) في ك : ثمانى .

فكتب الوليدُ إلى سليمان يأمره بالقدوم عليه ، فأبطأ ، فعزَمَ على
المسير إليه ليخلعه ، وأخرج خيمةً فمات قبل أن يسير إليه .

قال : وكان الوليدُ لَخَانًا لا يُحْسِنُ العربية ، فعاتبه أبوه ، وقال :
إنه لا يلى العرب إلا من يُحْسِنُ كلامهم ؛ فجمع النُحَاة ، ودخل بيتًا
فلم يخرج منه ستة أشهر ، ثم خرج وهو أَجْهَلُ منه يومَ دَخَلَ ، فقال
عبد الملك : قد أعذر . والله سبحانه وتعالى أعلم .
٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦

ذكر بيعة سليمان بن عبد الملك

هو أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه
ولادة أم أخيه الوليد ، وهو السابع من ملوك بنى أمية . بُيِعَ له يوم
السبت للنصف من جمادى الآخرة ، وهو يوم وفاة أخيه الوليد ، وكان
إذ ذاك بالرملة ، وكان الوليد قد أراد خلعه من ولاية العهد ، فمات
قبل أن يُتِمَّ له ما أراد من ذلك .

ولنذكر الحوادث الكائنة في أيامه على بحكم السنين :

ذكر قتل قتيبة بن مسلم

وفي هذه السنة قُتِلَ قَتَيْبَةُ بن مسلم الباهلى بخراسان ، وكان
سبب ذلك أنه أجابَ الوليدَ إلى خلْعِ سليمان كما ذكرنا ، فلما أفضت
الخلافة إلى سليمان خشي قَتَيْبَةُ أن سليمان يستعملُ يزيد بن المهلب
على خراسان ، فكتب قَتَيْبَةُ إلى سليمان كتابًا يهينه بالخلافه ويذكر

بلاغه وطاعته لعبد الملك والوليد ، وأنه له على مثل ذلك إن لم يَنْزِلْهُ
عن خُرَّاسان .

وكتب إليه كتاباً آخر يُعَلِّمُهُ فيه يَفْتُوحُهُ ومَكَائِنُهُ ، وعِظَمَ قَدْرُهُ
عند ملوك العجم ، وَهَيَّبَتْهُ فِي صُدُورِهِمْ ، وَبَدَمَ آلَ الْمُهَلَّبِ ، وَيَخْلِفُ
بِاللهِ لئن استعمل يزيد على خراسان ليُخْلَعَهُ .

وكتب كتاباً ثالثاً فيه خَلَعُهُ ، وبعث الكتب مع رجل من أهله ،
وقال له : ادفع الكتاب الأول إليه ، فإن كان يزيدُ حاضراً فقرأه
ثم ألقاه إليه فاذقْ إليه هذا الثاني . فإن قرأه ودفعه إلى يزيد فاذقْ
إليه الثالث ، وإن قرأ الأول ولم يَدْفَعْهُ إلى يزيد فاحبس الكتابين عنه .
فقدم رسولُ قَتَيْبَةَ ، فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب ،
فدفع إليه الكتاب الأول ، فقرأه وألقاه إلى يزيد ، فدفع إليه الثاني ،
فقرأه وألقاه إليه ، فأعطاه الثالث ، فقرأه وتغير^(١) لونه وختمه
وأمسكه بيده . فقيل^(٢) : كان فيه : لو لم^(٣) تفرقني على ما كنت
عليه وتؤمنني لأخْلَعَنَّكَ ، ولأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلاً وَرَجُلًا^(٤) .

ثم أمر سليمان بإنزال رسول قَتَيْبَةَ ، ثم أحضره ليلاً وأعطاه دنانير
وعَهْدَ قَتَيْبَةَ على خُرَّاسان وسير معه رسولا ، فلما كانا^(٥) بحُلُوان
بلغهما خلق قَتَيْبَةَ ، فرجع رسولُ سليمان ، وكان قَتَيْبَةُ لما هَمَّ بخلق
سليمان استشار إخوته فقال عبد الرحمن : اقطع بعثاً [فوجَه]^(٦)

(١) في د : وتمعر . وفي الطبري : فتمعر . وتمعر وجهه : تغير .

(٢) في د : قيل . وفي ك : وقيل .

(٣) في الكامل ، والطبري : لئن لم .

(٤) في الكامل : رجلاً وخيلاً .

(٥) في ك : كان . (٦) من الطبري .

فيه كلُّ من تخافه ، ووجه قوماً إلى مَرُو ، وَيسرُ حتى تنزل
 سمرقند ، وقل لمن معك : مَنْ أحبُّ المقام فله المِواساة ، ومن
 أراد الانصراف فغيرُ مستكره ، فإنه لا يُقيم عندك إلا مُناصح . وقال له
 أخوه عبد الله : اخلعه مكانك فلا يختلف عليك رجُلان . فوافقه وخلع
 سلمان ، ودعا الناس إلى خلعه فلم يُجبه أحد ، فغضب ، وقال :
 لا أعزُّ الله من نصرتم ، والله لو اجتمعتم على عز ما كسرتم قرننا ،
 وسبهم طائفة طائفة وقبيلة قبيلة ، وذكر مساوئهم ومعائبهم ، ونزل ؛
 فغضب الناس واجتمعوا على خلعه قتيبة وخِلافه ، وكان أول من تكلم
 فى ذلك الأزد ، فاتوا حُصَيْن^(١) بن المنذر ، فقالوا : إن هذا قد خلع
 الخليفة ، وفيه فسادُ الدِّينِ والدنيا ، وقد شتمنا فما ترى ؟ فأشار عليهم
 أن يأتوا وكيع بن أبى سُود التميمى ، ويقدموه لرياسته فى قومه ،
 فاتوه وسألوه أن يلى أمرهم ، ففعل .

وكان بخراسان يومئذ من أهل البصرة والعالية من المقاتلة
 تسعة آلاف ، ومن بكر سبعة^(٢) آلاف ، ورئيسهم حُصَيْن
 ابن المنذر ، ومن تميم عشرة آلاف وعليهم ضمرار بن حُصَيْن ،
 ومن عبْد القيس أربعة آلاف وعليهم عبد الله بن حوذان^(٣) ،
 ومن أهل الكوفة سبعة آلاف وعليهم جهم بن زحر . ومن الموالى
 سبعة آلاف وعليهم حيَّان النبلى مولى بنى شيبان ، وهو من الديلم
 وقيل من خراسان ، وإنما قيل له النبلى للكنية .

(١) بضاد معجمة (الكامل : ٤ - ١٤٠) ،

(٢) فى : ستة آلاف . والمثبت فى د ، والكامل ، والطبرى .

(٣) فى الكامل ، والطبرى : علوان .

فأرسل حَيَّانَ إِلَى وَكَيْعٍ يَقُولُ: إِنَّ أَنَا كَفَفْتُ عَنْكَ وَأَعْنَتُكَ تَجْعَلُ
لِي الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ مِنْ نَهْرٍ يَلْخُ أَخْذُ خَرَّاجِهِ مَا دُمْتُ حَيًّا ، وَمَا دُمْتُ أَمِيرًا !
قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ حَيَّانُ لِلْعَجَمِ : هَؤُلَاءِ يَقَاتِلُونَ عَلَى غَيْرِ دِينٍ ، فَدَعُوهُمْ
يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . ففعلوا .

وقيل لقتيبة : إِنَّ وَكَيْعًا يَبَايِعُ النَّاسَ ، فَدَسَّ عَلَيْهِ خِرَارَ بَنِّ سَنَانِ
الضَّبِّيِّ ، فَبَايَعَهُ سِرًّا ، فَظَهَرَ أَمْرُهُ لِقَتَيْبَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَدْعُوهُ ، فَجُودَهُ
قَدْ طَلَى رِجْلَيْهِ بِمَغْرَةٍ ^(١) ، وَعَلَّقَى عَلَى سَاقِهِ ^(٢) خَرَزًا ، وَعِنْدَهُ رَجُلَانِ
يَرْقِيَانِ رِجْلَهُ . فَقَالَ لِلرَّسُولِ : قَدْ تَرَى مَا يَرْجُلِي . فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَ
قَتَيْبَةَ ، فَأَعَادَهُ إِلَيْهِ يَقُولُ : لَتَأْتِيَنِي بِهِ مَحْمُولًا ، فَأَتَاهُ فَقَالَ :
لَا أَسْتَطِيعُ . فَقَالَ قَتَيْبَةُ لِصَاحِبِ شَرْطَتِهِ : انْطَلِقْ إِلَى وَكَيْعٍ فَأَتِنِي بِهِ ،
فَإِنَّ أَبِي فَاضْرِبُ عُنُقَهُ ، وَوَجْهَهُ مَعَهُ خِيَلًا .

وقيل : أَرْسَلَ إِلَيْهِ شُعْبَةُ ^(٣) بَنُّ ظَهِيرِ التَّمِيمِيِّ . فَقَالَ لَهُ وَكَيْعٌ :
يَا ابْنَ ظَهِيرٍ ، لَبِثْتُ قَلِيلًا تَلْحَقُ الْكَتَائِبَ . وَلَيْسَ سِلَاحُهُ ، وَنَادَى فِي
النَّاسِ ، فَأَتَوْهُ ، وَرَكِبَ فَرَسَهُ ، وَخَرَجَ ، فَأَتَاهُ النَّاسُ أَرْسَالًا ،
وَاجْتَمَعَ إِلَى قَتَيْبَةَ أَهْلُ بَيْتِهِ وَخَوَاصُّ أَصْحَابِهِ وَثِقَاتِهِ ، مِنْهُمْ إِيَّاسُ
ابْنُ بِيْهَسَ بْنِ عَمْرٍو ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ قَتَيْبَةَ ، وَدَعَا قَتَيْبَةَ بِبِرْدَوْنَ لَهُ
مُدْرَبٍ لِيَرْكَبَهُ ، فَاسْتَعْصَبَ عَلَيْهِ حَتَّى أَغْيَاهُ ، فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِهِ
وَقَالَ : دَعُوهُ ، فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ يَرَادُ .

وَجَاءَ حَيَّانُ فِي الْعَجَمِ وَقَتَيْبَةَ وَاجِدًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ آخِرُ

(١) المغرة - و تحرك : طين أحمر .

(٢) في الكامل : على رأسه . والمثبت في ك ، والطبرى .

(٣) ك : سعيد . والمثبت في د ، والكامل ، والطبرى .

قتيبة : احمِلْ عليهم . فقال حيَّان : لم يَأْتِ بَعْدُ . وقال حيَّان لابنه : إذا رأيتنى قد حولت قلنسوتى وملت نحو عسكر وكيع فمِلْ بمن ملك من العجم إلى . فلما حول حيَّان قلنسوته مالت الأعاجم إلى عسكر وكيع فكبروا وهاجوا ، فقتل عبد الرحمن أخو قتيبة ، وجاء الناس حتى بلغوا فسطاط قتيبة ، فقطعوا أطنابَه ، وجرح قتيبة جراحات كثيرة ، فقال جهنم بن ^(١) زحر بن قيس لسعد : انزل فحز رأسه ، فنزل وشنق الفسطاط ، واختز رأسه ، وقتل معه من أهله وإخوته : عبد الرحمن ، وعبد الله ، وصالح ، وحُصَيْن ، وعبد الكريم : بنو مسلم ^(٢) . وقتل كثير ابنه ، وكان عِدَّةٌ من قتل مع قتيبة من أهله أحد عشر رجلا ، فأرسل وكيع إلى سليمان برأسه ورؤوس أهله .

ولما قتل قال رجل من خراسان : يامعشر العرب : قتلتم قتيبة ، والله لو كان متا فمات لجعلناه فى تابوت ، فكنا نستمفتح به إذا غزونا . وقال عبد الرحمن بن جُمَانَةَ الباهلى يَرْتَى قتيبة ^(٣) :

كَأَنَّ أَبَا حَفِصٍ قَتِيْبَةً لَمْ يَسِرْ بجيش إلى جيش ولم بغل ونبرا
ولم تخفق الرايات والجيش حوله وقوف ولم تشهد له الناس عسكرا
دعته المتايا فاستجاب ليربسه وراح إلى الجنات عفا ^(٤) مظهر
فما رزى الإسلام بعد محمد بثل أبى حفص فبكىه ^(٥) غيرها
وعبهر : أم ولد له .

(١) فى د : زحر بن قيس . والمثبت فى الكامل ، والطبرى . وقد ضبطت الراى فى د بالضم .

(٢) فى ك : ومسلم . والمثبت فى الكامل ، والطبرى .

(٣) والطبرى : ٦ - ٥٢١ ، والكامل : ٤ - ١٤٢ .

(٤) فى الكامل : عفوا .

(٥) فى ك : فنيكه . والمثبت فى الكامل والطبرى .

ووصل خبر مقتله إلى الشام في اليوم الثاني من مقتله .
 قال شيوخ من عسان : كنا بشنية العقاب ^(١) إذا نحن برجل معه عصا
 وجراب ، فقلنا : من أين أقيمت ؟ قال : من خراسان . قلنا ؟ هل كان بها من
 خبر ؟ قال : نعم ، قُتل بها قتيبة بن مسلم أمير ، فمجبنا من قوله . فلما رأى
 إنكارنا قال : أين تروى الليلة من إفريقية ^(٢) ؟ وتركنا ومضى ،
 فاتبعناه على خيولنا فإذا به يسبق الطرف . وثنية ^(٣) العقاب في مرج
 دمشق على نصف مرحلة منها .

• • •

وفي هذه السنة عزل سليمان بن عبد الملك عثمان بن حبان عن المدينة
 لسبع بقين من شهر رمضان ، واستعمل عليها أبا بكر بن محمد
 ابن عمرو بن حزم ، وكان عثمان قد عزم على أن يجلد أبا بكر هذا
 ويخلق لحيشته من الغد ، فلما كان الليل جاء البريد إلى أبي بكر يتأمره
 وعزل عثمان وحده وتقييده .

وعزل سليمان أيضا يزيد بن أبي مسلم عن العراق ، واستعمل
 يزيد بن المهلب ، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج ، وأمره
 ببسط العذاب على آل أبي عقيل ، وهم أهل الحجاج ، فكان يغلبهم ،
 ويولي غنائبهم عبد الملك بن المهلب .

وحج بالناس أبو بكر بن محمد وهو أمير المدينة ، وكان على
 مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أميد ^(٤) وعلى حرب العراق

(١) ثنية العقاب — بالضم : هي ثنية مشرق على غوة دمشق . وثنية العقاب :
 بالفتور الشامية قرب المصيبة (المراضة) .

(٢) هذا في ك : د .

(٣) بفتح الهزة وكسر السين (الكامل : ٤ - ١٤٣) .

وصلاتها يزيد بن المهلب ، وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن .
وعلى البضرة سفيان بن عبد الله الكندي من قبل يزيد ، وعلى قضائها
عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى ،
وعلى حرب خراسان وكيع بن أبي سود^(١) .

وفيها مات شريح القاضى ، وقيل سنة [٨٩٧] سبيع وتسعين .
وله مائة وعشرون سنة ، ومحمود بن لبيد الأنصارى وله صُحبة .
سنة (٩٧ هـ) سبيع وتسعين :

ذكر ولاية يزيد بن المهلب خراسان

فى هذه السنة استعمل سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب
على خراسان مضافةً إلى العراق ، وكان سبب ذلك أن سليمان لما ولى
يزيد بن المهلب العراق فوُض إليه الحرب والخراج والصلاة بها ،
فنظر يزيد لنفسه ، فرأى أن الحجاج قد أخرب العراق ، وأنه إن
أخذ الناس بالخراج وعذبهم عليه صار عندهم مثل الحجاج ، وأنه متى
لم يفعل ذلك ويأت سليمان بمثل ما كان الحجاج يأتى به لم يقبل منه ،
فأشار على سليمان أن يوكل صالح بن عبد الرحمن مولى تميم الخراج ،
فولاه الخراج وسيره قبل يزيد ، فنزل واسطا . ولما قدم يزيد خرج
الناس يتلقونه ، ولم يخرج صالح حتى قرب يزيد ، فخرج وبين
يديه أربعمائة من أهل الشام ، فلقى يزيد وسائره ، ولم يمكنه من
شئ ، وضيق عليه ، فضجر يزيد من ذلك ، فدعا عبد الله بن الأَهمس ،
وقال له : إني أريدك لأمر أهمنى ، وأحب أن تكفينيه . قال : أفعل .

(١) فى ك : أسود بحريف .

قال : أنا فيما ترى من الضيقي ، وقد ضجرت منه ، وخراسان شاعرة
فهل من حيلة ؟ قال : نعم ، سرخني إلى أمير المؤمنين .

فكتب يزيد إلى سليمان وأعلمه بحال العراق ، وأثنى على ابن الأهم
وذكر علمه بها ، وسيره على البريد ، فأثنى ابن الأهم سليمان فقال له :
إن يزيد كتب إلى يذكر علمك بالعراق ، فكيف ^(١) علمك بخراسان ؟
قال : أنا أعلم الناس بها ، ولدت بها وتنشأت ، ولى بها وبأهلها خبر .
قال : فأشّر على برجل أوليه خراسان . قال : أمير المؤمنين أعلم بمن
يريد ، فإن ذكر منهم أحداً أخبرته برأى فيه ، فسمي رجلاً من
قريش ، فقال : ليس من رجال خراسان . قال : فبعد الملك بن المهلب .
فقال : لا يصح ، فإنه يضيق عن هذا ، وليس له مكر أبيه
ولا شجاعته ^(٢) ، حتى ذكر رجالا ، وكان آخر من ذكر وكيع
ابن أبي سود ، فقال : يا أمير المؤمنين ، وكيع رجل شجاع صارم
رئيس ومقدام ، وما أحد أوجب شكرا ولا أعظم عندي يداً من وكيع ،
لقد أدرك بشأري وشفأني من عدوي ، ولكن أمير المؤمنين أعظم حقا ،
والنصيحة له تلزمني ، إن وكيعاً لم يجتمع له مائة عنان قط إلا حدث
نفسه بغثرة ، خامل في الجماعة ، نابه ^(٣) في الفتنة .

قال : فغن لها ويحك ! قال : رجل أعلمه لم يسمه أمير المؤمنين .
قال : فمن هو ؟ قال : لا أذكره حتى يضمن لي أمير المؤمنين ستر
ذلك ، وأن يجيرني منه إن علم . قال : نعم ، قال : يزيد بن المهلب .

(١) في د : وكيف .

(٢) في الكامل : ولا شجاعة أخيه .

(٣) في الكامل : ثابت .

قال : العراق أحبُّ إليه من خراسان ؟ قال : قد علمت يا أمير المؤمنين ، ولكن تُكرِّهُهُ فيستخلفُ على العراق [رجلاً] ^(١) ويسير هو إلى خراسان . قال : أصبنتُ الرأى .

فكتب عهدَ يزيد على خراسان ، وسيره مع ابن الأَهم ، فأتى يزيد ، فأمر بالجهاز للمسير من ساعته ، وقدم ابنه مخلصاً إلى خراسان من يومه ، ثم سار يزيد بعده ، واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحكيم ، وعلى البصرة عبد الله بن هلال الكلبي ، وجعل أخاه مروان بن المهلب على حوائجه وأموره بالبصرة ، واستخلف على الكوفة حرملة بن عمير اللخمي أشهراً ، ثم عزله ، وولى يشير بن حيان النهدي ، وكانت قيس تزعم أن قتيبة لم يُخلع ، فأمر سليمان يزيداً أن يسأل عن ذلك . فإن أقامت قيس البيئة أن قتيبة لم يُخلع فنقيد وكيما به ، فلما وصل مخلص بن يزيد مرواً أخذهُ وكيح ^(٢) فحبسه وعذبه ، وعذب أصحابه قبلَ قدوم أبيه ، فكانت ولاية وكيح خراسان تسعة أشهر أو عشرة أشهر ، ثم قدم يزيد خراسان فأذى ^(٣) أهل الشام وقوماً من أهل خراسان ، فقال نهار ابن تويسعة رحمه الله ^(٤) :

وما كنّا نؤمل من أميرٍ كما كنّا نؤمل من يزيدٍ
فأخطأَ ظننا قيسَـ وقدنّا زهيدنا في معاشره الزهيدِ
إذا لم يُعطينا نصفاً أميرٌ مشيننا نحوه مشى الأسودِ

(١) من الطبرى .

(٢) ك : أخذ وكيما . والمثبت فى الكامل .

(٣) فى الطبرى : فأذى .

(٤) والطبرى : ٦ - ٥٢٨ ، والكامل : ٤ - ١٤٦ .

فمَهْلًا يابزِيدَ أُنْبَإِ إلَيْنَا وَدَعْنَا مِنْ مُعَاثِرَةِ الْعَبِيدِ
نَجَى^(١) وَلَا^(٢) نَرَى إِلَّا صُدُودًا عَلَى أَنَّا نَسْلُمُ مِنْ بَعِيدِ
وَنَرْجِعُ خَائِبِينَ بِلَا قَوْلٍ فَمَا بَالُ التَّجَهُمِ وَالصُّدُودِ

وفي هذه السنة جَهَزَ سُلَيْمَانُ الْجِيُوشَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَاسْتَعْمَلَ
ابْنَهُ دَاوُدَ عَلَى الصَّائِفَةِ ، فَافْتَتَحَ حَصْنَ الْمَرْأَةِ .

وَفِيهَا غَزَا مُسْلِمَةُ أَرْضَ الْوَضَّاحِيَّةِ ، وَفَتَحَ الْحِصْنَ الَّذِي فَتَحَهُ
الْوَضَّاحُ .

وَغَزَا عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الرُّومَ فِي الْبَحْرِ فَشَتَّابَهَا . وَحَجَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
بِالنَّاسِ .

وَفِيهَا عَزَلَ دَاوُدُ بْنُ طَلْحَةَ^(٣) الْحَضْرَمِيَّ عَنْ مَكَّةَ ، فَكَانَ عَمَلُهُ عَلَيْهَا
سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَوَلِيَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ .
سَنَةِ (٩٨ هـ) ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ :

ذِكْرُ مُحَاصَرَةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعَثَ سُلَيْمَانُ الْجِيُوشَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَعَ أَخِيهِ
مُسْلِمَةَ بَعْدَ أَنْ سَارَ سُلَيْمَانُ إِلَى دَابِقَ^(٤) ، وَكَانَ مَلِكُ الرُّومِ قَدْ مَاتَ ،
فَجَاءَ أَلْيُونُ مِنْ أَذْرَبِيجَانٍ إِلَى سُلَيْمَانَ ، وَأَخْبَرَهُ بِوَفَاتِهِ ، وَضَمَّنَ لَهُ
فَتَحَ الرُّومِ ، فَبِعِثَ مَعَهُ مُسْلِمَةُ ، فَسَارَ هُوَ وَأَلْيُونُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ أَرْضِ
الرُّومِ أَمَرَ كُلُّ فَارِسٍ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ مِئَتِينَ مِنْ طَعَامٍ ، فَلَمَّا أَتَاهَا أَمَرَ

(١) فِي الْكَامِلِ : نَجِيبٌ .

(٢) فِي الطَّبَرِيِّ : فَلَا تَرَى .

(٣) فِي الطَّبَرِيِّ : عَزَلَ سُلَيْمَانَ طَلْحَةَ بْنُ دَاوُدَ .

(٤) دَابِقُ : مَدِينَةُ فِي أَقْصَى فَارِسَ (الْبَكْرِيُّ) .

بالقاء ذلك ، فصار مثل الجبال ، وقال مسلمة لمن معه : لا تأكلوا منه شيئاً وأغبروا^(١) فى أرضهم وازرعوا ، وعمل بيوتا من خشب فشتا فيها وصاف وزرع الناس ، فلما^(٢) كثر عندهم الطعام أقام مسلمة قاهرا للروم معه أعيان الناس ، فأرسل الروم إلى مسلمة يُعطونه عن كل رأس ديناراً فلم يقبل : فقالت الروم لأليون : إن صرفت عنا المسلمين ملككناك ، فاستوثق منهم ، وأتى مسلمة فقال له : إن الروم قد علموا أنك لا تصدقهم القتال ، وأنت تطاولهم ما دام الطعام عندك ، فلو أحرقتهم أعطوا ما بأيديهم ، فأمر مسلمة بالطعام فحرق ، فقوى الروم وضاق المسلمون حتى كادوا يهلكون ، ودأبوا على ذلك حتى مات سليمان .

وقيل : إن أليون إنما خدع مسلمة بأن سأل أن يدخل من الطعام إلى الروم ما يعيشون به ليلة [واحدة]^(٣) ، ليصدقوا أن أمره وأمر مسلمة واحد ، وأنهم فى أمان من السبى والخروج من بلادهم ، فأذن له فى ذلك . وكان أليون قد أعد السفن والرجال فنقلوا تلك الليلة الطعام كله ، وأصبح أليون محارباً ، ولقى الجند ما لم يلقه أحد^(٤) ، حتى أن كان الرجل ليخاف أن يخرج من العسكر وخذه ، وأكلوا اللدواب والجلود وأصول الشجر والورق ، وسليمان مقيم بدائق ووقع^(٥) الشتاء فلم يقدر أن يمدهم حتى مات .

(١) فى د : وأغبروا .

(٢) فى د : ولما .

(٣) زيادة فى د .

(٤) فى الكامل : ما لم يلقه جيش آخر .

(٥) فى الكامل : ودخل .

وفي هذه السنة بايع سُلَيْمَان لابْنَهُ أَيُوبَ بولاية العهد .

وفيهما فتحت مدينة الصفالبة .

وفيهما غزا الوليد بن هشام وعُمَرُو بن قيس ، فَأُصِيبَ نَاسٌ من أهل أنطاكية ، وَأَصَابَ الوليدُ ناساً من ضواحي الرُّومِ ، وَأَسْرَ بَشَرًا كَثِيرًا .

ذكر فتح قهستان^(١) وجرجان وطبرستان

في هذه السنة غزا يزيدُ بن المهلب جُرجانَ وطبرستان .

وكان سبب اهتمامِهِ بها أَنَّ يَزِيدَ لما كان عند سُلَيْمانَ بالشام في حياة الوليد ، فكان كلما فتح قَتَبَةً فَتَحًا يقول سُلَيْمانُ ليزيد : أَلَا تَرَى إِلَى مَا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى قَتَبَةٍ ! فيقول يزيد : مَا فَعَلْتُ جُرجَانَ الَّتِي قَطَعْتُ الطَّرِيقَ ، وَأَفْسَدْتُ قَوْمِيسَ وَتَيْسَابُورَ ، ويقول : هذه الفتوح ليست بشيء ، الشَّأْنُ فِي ^(٢) جرجان .

وكان سعيد بن العاص قد صالح أَهْلَ جُرجَانَ ، فكانوا يَجْبُونَ أحيانًا مائة ألف ، وأحيانًا مائتي ألف ، وأحيانًا ثلاثمائة ألف ، وربما منعوا ذلك ، ثم أظهروا الامتناع وكفروا فلم يُعْطَوْا خراجًا ، ولم يَأْتِ جُرجانَ بَعْدَ سعيد أحد ، و [قد] ^(٣) منعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك أحدُ طريقَ

(١) هذا بالأصول . وفي الطبري : دهستان . وفي ياقوت : قوهستان - بضم أوله ثم السكون ثم كسر الهاء وسين مهمله وتاء مثناة من فوق وآخره نون . والمشهور بهذا الاسم أحد أطراف بلاد العجم متصل بنو احى هراة ثم يمتد من الجبال طويلاً حتى يتصل بقرب نهاوند وهمذان وبروجرد ، وهذه الجبال كلها تسمى بهذا الاسم .

(٢) في الكامل : هي . والمثبت في الطبري أيضاً .

(٣) ليس في د .

خراسان إلا على فارس وكرمان .

فلما ولى سليمان يزيد خراسان لم يكن له همة غير جرجان ، فسار إليها في مائة ألف سوى الموالى والمتطوعة ، ولم تكن جرجان يومئذ مدينة ، إنما هي جبال ومخارم وأبواب يقوم الرجل على باب منها فلا يقدر عليه أحد ، فابتدأ يقهستان^(١) فحاصرها ، وكان أهلها طائفة من الترك ، فقاتلهم قتالا شديداً ، واشتدت الحرب ، وقطع عنهم الميرة ، فبعث نفعانها ، واسمه صول^(٢) يطلب من يزيد الأمان لنفسه وأهله وماله ، ويسلم إليه المدينة بما فيها ، فأمته ووفى له ، ودخل المدينة فقتل بها أربعة عشر ألف تركى صبراً ، وأخذ ما قبيها من الكنوز والسبي وغير ذلك ، ثم خرج حتى أتى جرجان فهابه أهلها ، وأتوه وصالحوه ، فأجابهم إلى ذلك ، وصالحهم ، فقطع في طبرستان ، فسار إليها فصالحه أصبهذا^(٣) على سبعمائة ألف^(٤) ، وقيل خمسمائة ألف وأربعمائة وقرزغفران ، أو قيمته من العين ، وأربعمائة رجل على كل رجل منهم ترس وطبلسان ، ومع كل رجل جام من فضة وسرقة حرير وكسوة ، فأرسل من يقبض ذلك وانصرف إلى جرجان . [والله أعلم^(٥)]

(١) فى الطبرى : دهستان ، ونظر الخامس السابق رقم ١ صفحة ٣٤٩

(٢) الضبط فى د .

(٣) أصبهنهما فى الطبرى ، وقد تقدم كما أثبتناه .

(٤) فى الطبرى : حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف نقداً وماتى ألف وأربعمائة حمار وفرة زعفراناً وأربعمائة رجل على رأس كل رجل برنس ، على البرنس طيلسان وجام من فضة وسرقة حرير (٦-٥٣٦) .

(٥) ماقط فى د .

ذكر فتح جرجان الفتح الثاني وانشاء مدينتها

قال^(١) : ولما سار يزيد إلى طبرستان غدر أهل جرجان ، فعاد إليهم وعاهد الله إن ظفر بهم لا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدماهم ويأكل من ذلك الطحين ، فحصرهم سبعة أشهر وهم يخرجون إليه يقاتلون^(٢) ويرجعون ، فبينما هم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان بتصيد ، وقيل من طبرستان ، فأبصر وغلاً في الجبل فتبعه فلم يشعر حتى هجم على عسكرهم ، فرجع يزيد أصحابه ، وجعل يُحرق قباة ويغمد على الشجر علامات ، فأتى يزيد فأخبره فضمن له يزيد دية إن ذلهم على الحصن ؛ فانتخب معه ثلاثمائة رجل ، واستعمل عليهم ابنه خالد ، وقال له : إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت ، وإياك أن أراك عندي مهزوماً ، وضم إليه جهنم بن زحر ، وقال للرجل : متى تصل^(٣) ؟ قال : غداً العصر . قال يزيد : سأجهد على مناصحتهم^(٤) عند الظهر . فساروا ، فلما كان الغد وقت الظهر أحرق يزيد كل حطب كان عندهم ، فصار مثل الجبال من النيران ، فنظر العدو إلى النار ، فها لهم ذلك ، فخرجوا إليهم ؛ وتقدم يزيد إليهم ، ودهمهم ابنه بمن معه قبيل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه ، ويزيد يقاتلهم من هذا الوجه ، فما شعروا إلا والتكبير^(٥) من ورائهم ، فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم ، وركبهم المسلمون ؛ فأعطوا بأيديهم ، ونزلوا على حكم يزيد ، فسبى

(٢) في الكامل : فقاتلونه .

(١) والكامل : ٤ - ١٤٩

(٤) في الطبري : مناعتهم .

(٣) في الكامل : تصلون .

(٥) في الكامل : بالتكبير .

ذراهم ، وقتل مقاتلتهم ، وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره ، وقاد منهم اثني عشر ألفا إلى وادى جرجان فقتلهم ، وأجرى الماء على الدم ، وعليه أرحاء ، ليطحن بدماهم ليبراً يمينه ، فطحن وخبز وأكل .

وقيل : قتل منهم أربعين ألفاً ، وبني مدينة جرجان ، ولم تكن بُنيت قبل ذلك مدينة ، ورجع إلى خراسان ، واستعمل على جرجان جهم بن زخر الجمفى ، وكتب إلى سليمان بالفتح وعظمه ^(١) عنده ، وأخبره أنه قد حصل عنده من الخمس ستائة ألف ألف ، فقال له كاتبه - المغيرة بن أبى قرّة مولى بنى تميم ^(٢) : لا تكتب بتسمية المال ، فإنك من ذلك بين أمرين : إما استكثره فأمرك بحمله ، وإما سحّته به نفسه فأعطاكه فتكلفته الهدية : فلا يأتية من قبلك شيء إلا استقله ، فكأنى بك قد استغرقت ما سميت ولم يقع منه موقعا ، ويبقى المال الذى سميت مخلصاً فى دواوينهم ، فإن ولى وال بعده أخذك به ، وإن ولى من يتحامل عليك لم يرض بأضعافه ، ولكن اكتب سلّه ^(٣) القدوم وشافيه بما أضبت فهو أسلم .

فلم يقبل منه ، وكتب ^(٤) ، فكان من أمره فى ذلك ما نذكره فى أخبار عمر بن عبد العزيز .

(١) فى الكامل : بعظمه ... ويخبره .

(٢) فى الكامل : مولى بنى سدوس .

(٣) فى الكامل : فسله القدوم . وفى الطبرى : وسله .

(٤) فى الكامل والطبرى : وأمضى الكتاب .

وقيل : كان المبلغ أربعة آلاف ألف ، والله تعالى أعلم .

• • •

وفيهما توفي أبوب بن سليمان بن عبد الملك ، وهو ولي العهد .

وفيهما غزا داود بن سليمان أرض الروم ؛ ففتح حصن المرأة مما يلي ملطية .

وفيهما كانت الزلازل في الدنيا كثيرة ، ودامت ستة أشهر .

وحج بالناس عبد العزيز بن عبد الله أمير مكة .

سنة (٩٩ هـ) تسع وتسعين :

ذكر وفاة سليمان بن عبد الملك

وشيء من أخباره وعمله

كانت وفاته يوم الجمعة لعشر ماضين من صفر من السنة بدائية^(١) من أرض قنشرين بذات الجنب ، وله خمس وأربعون سنة . وكانت مدة خلافته سنين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ؛ وكان طويلاً أبيض ، جميل الوجه ، فصيح اللسان ، مُعْجِباً بنفسه ، يتوقى سفك الدماء . وكان أكولاً نكاحاً ، وكان حسن السيرة ، وكان الناس يقولون : سليمان مفتاح الخير ، ذهب عنهم الحجاج ، وولى سليمان ، فأطلق الأسارى ، وأخلى السجون ، وأحسن إلى الناس ، واستخلف عمر بن عبد العزيز . ويقال : إنه فعل في يوم واحد أكثر مما فعل عمر بن عبد العزيز جميع عمره ، وذلك أنه أعتق سبعين ألف مملوك ومملوكة ، وكساهم .

ومن أعظم بركاته أنه جعل عمر بن عبد العزيز ولي عهده . وحكى

(١) بكسر الباء ، وقلدروى بفتحها ، وآخره قاف : قرية قرب حلب ، (باقوت) .

أنه لبس يوما حُلَّةً خضراء وعمامةً خضراء ، ونظر في المرأة ، فقال :
أنا الملك الفقى ، فما عاش جمعة .

وقيل : كتلت له جاريةً معها امرأة ، فدعاها يوما فجاءته بها ، فنظر
وجهه ، ونظرت الجارية إليه ، فقال لها : ما تنتظرين ؟ قالت ^(١) :

أَنْتَ نِعَمُ ^(٢) الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غير أنْ لَابْقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ عابَهُ النَّاسُ غيرَ أَنَّكَ قَاتِي ^(٣)

وانصرفت ، فاستدعاها فجاءت بالمرأة ^(٤) فسأَلها عن البيتين ،
فقالت : والله ما جئتك اليوم ، فعلم أنه نعى .

وقيل : إنه شهد جنازةً بدأبتْ فدفُنت في حَجَلٍ ، فجعل سليمان
يأخذ من تلك التُّرْبَةِ ، ويقول : ما أحسن هذه وأطيبها ! فما أتى عليه
جمعة حتى دُفِنَ إلى جَنْبِ ذَلِكَ الْقَبْرِ .

وقيل : إنه كان له من الأولاد الذكور أربعة عشر .

وكان نقشُ خاتمه : آمَنتُ بالله مُخْلِصًا .

وكتابه : يزيد بن المهلب ، ثم المفضل ^(٥) بن المهلب عم عبد العزيز

ابن الحارث بن الحكم .

قاضيه : محمد بن حزم .

حاجبه : أبو عبيدة ^(٦) مولاه .

الأمير بمصر : عبد الله بن رفاعة .

(١) والطبرى : ٦ - ٥٤٧ . والكامل : ٤ - ١٥١

(٢) في الطبرى : خير المتاع . (٣) في الطبرى ، والكامل :

ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس ...

(٤) في ك : المرأة . (٥) في ك : المفضل .

(٦) في ك : أبو عبيد .

قاضيها من قبله : عبد الله بن عبد الرحمن ، وهو متولى بيت المال ،
ثم رد القضاء إلى عياض بن عبد الله من قبل سليمان بن عبد الملك .

ذكربيعة عمر بن عبد العزيز

هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وأمه
أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو الثامن
من ملوك بني أمية ، بويع له بدابق يوم الجمعة بعد وفاة سليمان لعشر
خلون من صفر سنة [٩٩هـ] تسع وتسعين .

قال : وكان سليمان لما مرض بدابق عهد في كتاب كتبه لبعض
بنيه وهو غلام لم يبلغ الحلم ، فدخل عليه رجاء بن حيوة ، فقال له :
يا أمير المؤمنين ، إنه ^(١) مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف
على الناس ^(٢) الرجل الصالح . فقال سليمان : أنا أمتخير الله ،
وأنتظر . ومكث يوماً أو يومين ثم حرق ^(٣) الكتاب ، ودعا رجاء ،
فقال : ما ترى في ولدي داود ؟ فقال رجاء : هو غائب بالقسطنطينية ،
ولم يُدر ^(٤) أحيى هو أم لا ؟ قال : فما ترى في عمر بن عبد العزيز ؟
قال رجاء : أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً . قال سليمان : هو على
ذلك ، ولئن وليته ولم أول أحداً سواه لتكونن فتنة ولا يتركونه أبداً
عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده .

(١) في الكامل : إن ...

(٢) في الطبرى : على المسلمين .

(٣) في الكامل والطبرى : وخرق .

(٤) في د : ندر . وفي الكامل : ولا تدرى . وفي الطبرى : وأنت لا تدرى

أحي هو أوميت .

فَأَمْرَ سُلَيْمَانَ أَنْ يُجْعَلَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعْدَ عُمَرَ . وَكَانَ يَزِيدُ غَائِبًا فِي الْمَوْسَمِ .

فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ سُلَيْمَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي ، وَمِنْ بَعْدِكَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَلَا تَخْتَلَفُوا ، فَيُطَمَعَ فِيكُمْ .

وَوَخَّمَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ جَابِرٍ ^(١) صَاحِبِ شَرْطَتِهِ ، فَقَالَ : اذْعُ أَهْلَ بَيْتِي ، فَجَمِعَهُمْ كَعْبٌ ، ثُمَّ قَالَ سُلَيْمَانُ لِرَجَاءِ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِمْ : اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا إِلَيْهِمْ ، وَمُرَّهُمْ أَنْ يُبَايَعُوا مَنْ وَلَّيْتُ فِيهِ ، فَفَعَلَ ، وَبَايَعُوا رَجُلًا رَجُلًا ، وَلَمْ يَعْلَمُوا مَنْ فِي الْكِتَابِ .

قَالَ رَجَاءٌ : فَاتَّانَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ : أَخْشَى أَنْ يَكُونَ هَذَا أَسْنَدٌ إِلَى مَنْ هَذَا الْأَمْرُ شَيْئًا ، فَأَتَشَدُّكَ اللَّهُ إِلَّا أَعْلَمْتَنِي إِنْ كَانَ قَدْ وَفَعَ حَتَّى أَسْتَعْفَى قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ حَالٌ لَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ فِيهَا . قَالَ رَجَاءٌ : فَقُلْتُ : مَا أَنَا مَخْبِرُكَ ^(٢) . فَذَهَبَ عَنِّي غَضَبَانِ .

وَلَقِيْنِي هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ : إِنْ لِيَ حَرَمَةٌ وَمَوَدَّةٌ قَدِيمَةٌ فَأَعْلَمْنِي هَذَا الْأَمْرَ ؛ فَإِنْ كَانَ إِلَى غَيْرِي تَكَلَّمْتُ ، وَلِلَّهِ عَلَى آلَا أَذْكُرُكَ . قَالَ : فَأَبَيْتُ أَنْ أَخْبِرَهُ . قَالَ ^(٣) : وَدَخَلْتُ عَلَى سُلَيْمَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ فَنَعَضْتُهُ وَسَجَّيْتُهُ ، وَأَغْلَقْتُ الْبَابَ ، وَأَرْسَلْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ جَابِرٍ ^(٤) : فَجَمَعَ أَهْلَ بَيْتِ سُلَيْمَانَ فِي مَسْجِدِ دَابِقَ ، فَقُلْتُ : بَايِعُوا ! فَقَالُوا :

(١) فِي الطَّبْرِيِّ : حَامِدٌ . وَالتَّبَثُ فِي الْكَامِلِ ، د ، ك .

(٢) فِي د : بِمَخْبِرِكَ . (٣) قَالَ : أَيْ رَجَاءُ .

(٤) فِي الطَّبْرِيِّ : حَامِدٌ .

قد بايعنا مرة . قلت : وأخرى ، هذا عهد من أمير المؤمنين ، فبايعوا الثانية . قال رجاء : فلما بايعوا بعدي موته رأيت أني قد أحكمت الأمر فقلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، فاسترجعوا ، وقرأت الكتاب ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز قال هشام : لا نبايعه والله أبدا . قلت : أضرب والله عنقك . قم وبايع . فقام يجر أرجليه .

قال رجاء : وأجلست عمر على المنبر وهو يسترجع لما وقع فيه ، وهشام يسترجع لما أخطأه ، فبايعوه .

قال : ولما دُفِن سليمان أتى عمر بمراكب الخلافة ، فقال : دأبني أرفق ^(١) لي ، وركب دأبته ، ثم أقبل سائرا ، فقيل له : منازل ^(٢) الخلافة ؟ فقال : فيها عيال سليمان ، وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا . قال : وبلغ عبد العزيز بن الوليد سوكان غائباً سوفاة سليمان ولم يشعر بعمر ^(٣) ، فدعا لنفسه ، فبلغه بيعة عمر ، فأقبل حتى دخل عليه ، فقال له عمر : بلغني أنك بايعت من قبلك ، وأردت دخول دمشق . قال : نعم ، وذلك أنه بلغني أن سليمان ما عقد لأحد فخضت على الأموال أن تنتهب . فقال [له] ^(٤) عمر : لو بايعت وقمت بالأمر لم أنازعك فيه . فبايعه عبد العزيز .

قال : ولما استقرت البيعة لعمر قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك : إن أردتني ^(٥) فرددي ما معك من مالٍ وحليٍّ وجوهرٍ إلى بيت المال ،

(١) في الطبري والكامل : أوفق لي .

(٢) في الكامل : أمتزل الخلافة . وفي الطبري : منزل الخلافة .

(٣) في الكامل : ولم يعلم ببيعة عمر . (٤) ليس في د .

(٥) في الكامل : إن أردت صحتي .

فإنه للمسلمين ، وإنى لا أجتمع أنا وأنت وهو فى بيت واحد ،
فردته جميعه . فلما توفى عمر وولّى أخوها يزيد رده عليها فلم تأخذه ،
وقالت : ما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً ، فقرقه يزيد على أهله .

قال : وكان [من] ^(١) أول ما ابتدأ به عمر بن عبد العزيز
أن ترك نسباً على بن أبى طالب رضى الله عنه على المنابر ، وكان يسب
فى أيام بنى أمية إلى أن ولى عمر فترك ذلك ، وأبد له بقول الله عز وجل ^(٢) :
« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » . فحل ذلك عند الناس محلاً
حسناً ، وأكثروا مذح عمر بسببه ، فكان من مدحه كثير عزة بقوله ^(٣) :

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف برئيساً ولم تتبع مقالة مجرم
تكلمت بالحق المبين وإنما تبين آيات الهدى بالتكلم
فصدقت ^(٤) معروف الذى قلت بالذى فعلت فأضحى راضياً كل مسلم
ألا إنما يكفى الفتى بعد زيفه من الأود البادى ^(٥) يقاف المقوم

وفيهما وجه عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره
بالقول منها بمن معه من المسلمين ، ووجه لهم خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً .
وفيهما أغارت الترك على أذربيجان . فقتلوا من المسلمين جماعة ،

(١) زيادة من د .

(٢) سورة النحل ، آية ٩٠

(٣) الشعر والشعراء : ٤٨٣ ، والكامل : ٤ - ١٥٤

(٤) فى الكامل : وصدقت . وفى الشعر والشعراء : وصدقت بالفعل المقال مع

الذى أنبت ...

(٥) فى ك : النادى .

فوجه عمر حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الترك ، ولم يُفْلِتْ منهم إلا اليسير ، وقدم على عمر منهم بخمسين أسيراً .

وفيها عزل عمر يزيد بن المهلب عن أعماله ، وجه إلى البصرة عدى بن أرطاة الفزاري ، وجعل على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب العدوي ، وضم إليه أبا الرثاد ، واستعمل على خراسان الجراح بن عبد الله الحكي .

وحج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكان عامل المدينة ، وكان العامل على مكة عبد العزيز بن [عبد الله بن خالد ، وعلى الكوفة عبد الحميد] ^(١) ، وعلى القضاء بها [عامر الشعبي ، وكان على البصرة عدى من أرطاة ، وعلى القضاء ^(٢)] الحسن بن أبي الحسن البصري ، ثم استعفى علياً فأعفاه ، واستعفى إياس بن معاوية .

سنة مائة للهجرة :

ذكر خروج شوذب الخارجي

في هذه السنة خرج شوذب واسمه بسطام من بني يشكر في جُوخَى وكان في ثمانين رجلاً ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد عامله بالكوفة ألا يحركهم حتى يسفكوا الدماء أو يفسدوا في الأرض ، فإن فعلوا وجه إليهم رجلاً صليبا حازماً في جُند .

فبعث عبد الحميد محمد بن جرير بن عبد الله البجلي في ألفين ، وأمره أن يفعل ما كتب ^(٣) به عمر ، وكتب عمر إلى بسطام

(١) في ك : عبد العزيز بن أرطاة . والزيادة في الكامل ، والطبرى .

(٢) الزيادة من الكامل والطبرى .

(٣) في الكامل : وأمره بما كتب به عمر . وفي الطبرى : وأمره بما أمره به عمر .

يسأل^(١) عن مخرجه ، فقدم كتاب عمر عليه ، وقد قدم [عليه]^(٢) محمد ، فكان فى كتاب عمر : بلغنى أنك خرجت غَضَبًا لله ولرسوله ، ولست بذلك أوّل منى ، فهلم إلى أناظرك ، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس ، وإن كان فى يدك نظرنا فى أمرك .

فكتب إليه^(٣) بسطام : قد أنصفت ، وقد بعثت إليك برجلين يُدارسانك وينظرانك . وأرسل إليه موثى حبشياً لبني شيبان اسمه عاصم ، ورجلاً من بني يشكر ، فقدم على عمر بخنصرة^(٤) ، فقال لهما : ما أخرجكما هذا المخرج ؟ وما الذى نقمتم ؟ قال عاصم : ما نقمنا سييرتك ، إنك لتتحرى العدل والإحسان ، فأخبرنا عن قبامك بهذا الأمر ؛ عن رضامن الناس ومشورة ، أم ابتزتم^(٥) أمرهم ؟ فقال عمر : ما سألتهم الولاية عليهم ، ولا غلبتهم عليها ، وعهد إلى رجل كان قبلى ، فقممت ، ولم يُنكر على أحد ولم يكرهه غيركم ، وأنتم تروون^(٦) الرضا بكل من عدل وأنصف من كان من الناس ، فأنزلوني^(٧) ذلك الرجل ، فإن خالفت الحق وزغت^(٨) عنه فلا طاعة لى عليكم . قالأ : بيننا وبينك أمر واحد . قال : ما هو ؟ قالأ : رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسبيتها مظالم ، فإن كنت على هدى وهم على

(١) فى د ، والطبرى : يسأله .

(٢) ريادة فى الكامل والطبرى .

(٣) فى ك : فقال له . والمثبت فى د ، والكامل . وفى الطبرى : وكتب .

(٤) خنصرة : بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين (ياقوت) .

(٥) فى ك : ابتلستم .

(٦) فى ك : ترجون .

(٧) فى الكامل : فأنزركونى .

(٨) فى الكامل : ورغبت .

ضلالة فألغتهم وإبرأ منهم . فقال عمر : قد علمت أنكم لم تخرجوا طلباً للدين ، ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم طريقها ، إن الله عز وجل لم يبعث رسوله لغائاً . وقال إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه ^(١) : « فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . وقال الله عز وجل ^(٢) : « أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْبَدَهُ » . وقد سميت أعمالهم ظلماً ، وكفى بذلك ذمّاً ونقصاً ، وليس لعن أهل الذنوب فريضة لأبد منها ، فإن قلتم إنها فريضة فأخبرني متى لعنت فرعون ؟ قال : ما أذكر متى لعنته . قال : أقيسك ألا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق وشرهم ، ولا يسغني ألا لعن أهل بيتي وهم مُصلون صامون ؟

قال عاصم : أما هم كفار بظلمهم ؟ قال : لا ، لأنهم ول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى الإيمان ، فكان من أقربيه وبشرائه قبل منه ، فإن أحدث حدثاً أقیم عليه الحد . فقال عاصم : إن رسول الله دعا الناس إلى توحيد الله تعالى والإقرار بما أنزل من عنده . قال عمر : فليس أحد منهم يقول : لا أعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن القوم أسرفوا على أنفسهم على علمهم ^(٣) أنه محرم عليهم ، ولكن غلب عليهم الشقاء .

قال عاصم : فإبرأ مما خالف عملك ورد أحكامهم .

قال عمر : أخبراني ^(٤) عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، أليسا على الحق ؟ قال : بلى . قال : أتعلمان أن أبا بكر حين قاتل أهل

(١) سورة إبراهيم ، آية ٣٦ . (٢) سورة الأنعام ، آية ٩٠ .

(٣) في الكامل : على علم منهم .

(٤) في ك : أخبرني .

الرَّدَّة سَفَكَ دِمَاءَهُمْ ، وَسَبَى الذَّرَارِي ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ ؟ قَالَا : نَعَمْ .
 قَالَ : أَتَعْلَمَانِ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَدَّ السَّبَايَا بَعْدَهُ إِلَى عَشَائِرِهِمْ
 بِفِئْدَةٍ ؟ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : فَهَلْ بَرِئَ عُمَرُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ؟ قَالَا : لَا .
 قَالَ : أَتَتَبَرَّعُونَ أَنْتُمْ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ؟ قَالَا : لَا . قَالَ : فَأَخْبِرَانِي
 عَنْ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ وَهُمْ أَسْلَافُكُمْ ، هَلْ تَعْلَمَانِ (١) أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ
 خَرَجُوا فَلَمْ يَسْفِكُوا دَمًا ، وَلَمْ يَأْخُلُوا مَالًا ، وَأَنَّ مَنْ خَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ
 أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَتَلُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خُبَّابٍ وَجَارِيَتَهُ وَهِيَ حَامِلٌ ؟ قَالَا : نَعَمْ .
 قَالَ : فَهَلْ بَرِئَ مَنْ لَمْ يَقْتُلْ مِمَّنْ قَتَلَ ؟ قَالَا : لَا . قَالَ : أَتَتَبَرَّعُونَ
 أَنْتُمْ مِنْ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ؟ قَالَا : لَا . قَالَ : أَفَيَسْمَعُكُمْ أَنْ تَتَوَلَّوْا
 أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَهْلَ الْكُوفَةِ وَأَهْلَ الْبَصْرَةِ وَقَدْ عَلِمْتُمْ اخْتِلَافَ أَعْمَالِهِمْ ،
 وَلَا يَسْمَعُنِي إِلَّا الْبَرَاءَةُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، وَالَّذِينَ وَاحِدٌ ؟ فَانْقُوا اللَّهَ ، فَإِنَّكُمْ
 جُهَالٌ تَقْبَلُونَ مِنَ النَّاسِ مَارِدٌ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَتَرُدُّونَ عَلَيْهِمْ مَا قَبِلَ ، وَيَأْمَنُ عِنْدَكُمْ مَنْ خَافَ عِنْدَهُ ، وَيَخَافُ
 عِنْدَكُمْ مَنْ آمَنَ عِنْدَهُ ، فَإِنَّكُمْ يَخَافُ عِنْدَكُمْ مَنْ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ
 إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَكَانَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمِنٌ وَحَقَّنَ دَمَهُ وَمَالَهُ ، وَأَنْتُمْ تَقْتُلُونَهُ وَيَأْمَنُ عِنْدَكُمْ
 سَائِرُ أَهْلِ الْأَدْيَانِ ، فَتَحْرُمُونَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ .

قَالَ الْيَشْكُرِيُّ : أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَلِيَ قَوْمًا وَأَمْوَالَهُمْ فَعَدَلَ فِيهَا ثُمَّ
 صَيَّرَهَا بَعْدَهُ إِلَى رَجُلٍ غَيْرِ مُأْمُونٍ ، أَتَرَاهُ أَدَّى الْحَقَّ الَّذِي يَلْزُمُهُ اللَّهُ
 عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَرَاهُ قَدْ سَلِمَ ؟ قَالَ عُمَرُ : لَا . قَالَ : أَتَقْتَسِلُ هَذَا الْأَمْرَ
 إِلَى يَزِيدٍ مِنْ بَعْدِكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَقُومُ قِيَمَةً بِالْحَقِّ . قَالَ : إِنَّمَا وَلَّاهُ

غيرى ، والمسلمون أَوْلَى بما يكون منهم فيه بَعْدِي . قال : أفترى ذلك من صُنْع من ولَّاهُ حقًا ؟ فبكى عمر ، وقال : أَنْظِرَانِي ثَلَاثًا ^(١) .

فخرجوا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ عادوا إِلَيْهِ ، فقال عاصم : أشهد أنك على حق . فقال عمر لِلشَّعْبِ : ما تقول أنت ؟ قال : ما أَحْسَنَ ما وَصَفْتَ ، ولكنى لا أَفْتَاتُ على المسلمين بِأَمْرِ ، أعرض عليهم ما قلت وأعلم حاجتهم . فأما عاصم فأتاه عند عُمَرَ ، فأمر له بالعطاء فتوفى بعد خمسة عشر يومًا ، فكان عمر يقول : أهلكنى أمرُ يزيد ، وَخُصِمْتُ فيه ، فَاسْتَغْفَرَ الله . فخاف بنو أمية أن يخرج ما بأيديهم وأن يُخلع يزيد من ولاية العهد ، فوضعوا على عمر من مَقَاهِ سُمًّا . فلم يلبث بعد ذلك إِلَّا ثَلَاثًا حتى مرض ومات ، رحمه الله تعالى .

هذا ومحمد بن جرير مقابل الخوارج لا يتعرض إليهم ولا يتعرضون إليه ، فلما مات عمر ووُيِّى يزيد كان ما نذكره في أخبار يزيد .



وفي هذه السنة عزل عُمَرُ يزيد بن المهلب عن خراسان وأحضره وطالبه بالمال الذى كان كتب به إلى سليمان واعتقله بِحِصْنِ حَلَب ، واستعمل على خراسان الجراح بن عَبْدِ الله الْحَكَمِي ، ثم عزله ، واستعمل عَبْدُ الرحمن بن نعيم الْقَشِيرِي .

وفيهما كان ابتداء خروج شيعة بنى العباس على ما نذكره في أخبار الدولة العباسية إن شاء الله تعالى .

وفيهما أمر عُمَرُ بن عبد العزيز أهل طُرُنْدَةَ ^(٢) بالقول عنها إلى مَلَطِيَّة ، وطُرُنْدَةُ ^(٢) أَوْغُلُ ^(٣) في البلاد الرومية بثلاث

(١) أى طلب تأخير الأمر في المناظرة لضيقة بالأمر (بين السطور في نسخة د) .

(٢) طُرُنْدَةُ : من ملطية على ثلاث مراحل داخلة في بلاد الروم (ياقوت) .

وفي ك : طربة - تحريف . (٣) في الكامل : واغلة .

مراحل ، وكان عَبْدُ اللَّهِ بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة [٨٨٣هـ] ثلاث وثمانين ومَلْطِيَّة يومئذ خراب ، وكان يأتِيهم جند من الجزيرة يقيمون عندهم إلى أن ينزل الثلج ويعودون إلى بلادهم ، فلم يزالوا كذلك إلى أن ولى عمر ، فأمرهم بالعود إلى مَلْطِيَّة وأخلى طُرُنْدَةَ خوفاً على المسلمين من العلو ، وأخرب طُرُنْدَةَ ، وامتعمل على مَلْطِيَّة جفونة بن الحارث أحد بني عامر بن صعصعة .

وفيها كتب عمر إلى ملوك السند يدعُوهم إلى الإسلام ، فأسلم من ذكرنا منهم على ما سبق ذكر ذلك .

وفيها استعمل عمر بن عبد العزيز عمر بن هُبيرة الفَزَارِي على الجزيرة .

وفيها مات أَبُو الطُّفَيْل عامر بن واثلة الليثي بمكة ، وهو آخر من مات من الصحابة ، ومولده عام أحد .

وحج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

• • •

سنة (١٠١ هـ) احدى ومائة :

في هذه السنة هرب يزيد بن المهلب من جنس عمر بن عبد العزيز ، وذلك أنه لما اشتد مَرَضُ عمر بن عبد العزيز عمل يزيد في الهرب مخافة يزيد بن عبد الملك لإساءة [كانت] ^(١) مَدَتْ منه في حقّه أيام سليمان ، فأرسل ابن المهلب إلى مواليه فأعدوا له خَيْلاً وإِبلًا ، وواعدتهم مكاناً يأتِيهم فيه ، وأرسل إلى عامل حَلَب وإلى الحُرَّاس مალًا ، وقال : إنَّ أمير المؤمنين قد ثَقُلَ في مرضه ، وليس يُرَجَى ،

(١) زيادة في د .

وإن ولي يزيد سفلك دمي ، فأخرجوه ، فهرب وقصد البصرة ، وكتب إلى عمر كتاباً يقول : إني والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبتك ولكنني خفت أن يلى يزيد فيقتلني دسراً قتله .

فورد الكتاب وبه رمق ، فقال رضى الله عنه : اللهم إن كان يزيد يريد^(١) بالله لمين ، وما فالحقه به وهضه فقد هاضنى ، ثم كان من أمر ابن المطلب ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز

رضى الله عنه وشيء من أخباره وسيرته رحمه الله تعالى

كانت وفاته رحمه الله بخناصرة لست بقين من شهر رجب سنة [٨١٠] إحدى ومائة ، وكانت شكواه عشرين يوماً ، وقيل له [فى مرضه]^(٢) : لو تداويت ! فقال^(٣) : لو كان دواى فى مسج أذنى مامسختها ، نغم المذهب إليه ربى . ودفن^(٤) بدَيْر سمعان من أرض حمص .

وقيل : به توفى ، وكان عمره تسعا وثلاثين سنة وأشهرًا [وقيل أربعين سنة وأشهرًا]^(٥) .

وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً . وكان أبيض نحيفاً حسن الوجه ، وهو أشج بنى أمية ، رحمه

(١) فى الطبرى : إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شراً ...

(٢) من د .

(٣) فى د : قال .

(٤) بفتح الدال وكسرهما (ياقوت) .

دَابَّةً فَشَجَّته ، وهو غلام ، فدخل على أمه فضمتها إليها ولامت أباه
حيث لم يجعل معه حاضناً (١) . فقال لها عَبْدُ الْعَزِيزِ : اسكنى
يا أم عاصم ، فطوبى له إن كان أشجع بنى أُمِّيَّة .

وكان عَبْدُ اللَّهِ بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما يقول : ياليت
شِعْرى ، من هذا الذى من ولدِ عُمَرُ فى وَجْهِهِ علامةٌ يَمْلَأُ الدنيا عدلاً ؛
فكان عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ لَأَنَّ أُمَّهُ ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

ذكر نبذة من سيرته رضى الله عنه

كان رَحِيمُهُ الله ورضى عنه قد بَثَّ الْعَدْلَ وَنَشَّرَهُ فى الدنيا واقتصر
من دُنْيَاهُ على سَدِّ الْخَلَّةِ (٢) حتى إنَّ مُسْلِمَةَ بِنَ الْمَلِكِ عَادَةَ فى مَرَضٍ
مَوْتِيَةٍ ، فرأى عليه قَمِيصًا دَنِيْسًا (٣) ، فقال لأُخْتَهُ فاطمة ، وهى زَوْجَةُ
عمر : اغسلوا ثيابَ أمير المؤمنين . فقالت : نَفْعُلُ . ثم عاده فرأى
الثَّوبَ بحاله ، فقال : أَلَمْ أَمُرْكُمْ أَنْ تَغْسِلُوا قَمِيصَهُ . فقالت : والله
أَلَهُ غَيْرُهُ . وَكَانَتْ نَفَقَتُهُ فى كلِّ يَوْمٍ دِرْهَمَيْنِ .

قال : ولما ولى الخلافة أُنَاهُ أَصْحَابُ مَرَاكِبِ الْخِلاَفَةِ يَطْلُبُونَ
عَلَفَهَا ، فَأَمَرَ بِهَا فَبَيِّعَتْ ، وجعل ثمنها فى بَيْتِ الْمَالِ ، وقال : بغلتى
هذه تكفينى .

قال : ولما ولى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أَيُّهَا النَّاسُ ،

(١) فى الطبرى : بخادما ولا خاضنا .

(٢) الخلة : الحاجة .

(٣) فى الكامل : وسخا .

من صحبنا فليصحبنا لخمس^(١) ، وإلا فلا يقربنا : يَرْفَعُ إلينا حاجة مَنْ لا يستطيع رَفْعَهَا ، وَيُعِيننا على الخير بجهده ، ويدلُّنا على ما لا نَهْتَدِي إليه مِنَ الْخَيْرِ ، ولا يَغْتَابِنُ أَحَدًا ، ولا يعترض فيما لا يَنْعِبُهُ .

فانقشع الشعراء والخطباء ، وثبت عنده الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يَسْعُنَا أَنْ نَفَارِقَ هَذَا الرَّجُلَ حَتَّى يَخَالَفَ قَوْلَهُ فِعْلُهُ .

ولما وَلَّى أَحْضَرَ قَرِيبًا ووجوه الناس فقال : إِنْ فَذَكَ^(٢) كَانَتْ بَيْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [فكَانَ]^(٣) يَضَعُهَا حَيْثُ أَرَاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ وَلَّيَهَا أَبُو بَكْرٍ كَذَلِكَ ، وَعُمَرُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ أَقْطَعَهَا مَرْوَانَ . ثُمَّ لَمَّا صَارَتْ لِي ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ مَالِي أَعْوَدُ عَلَيْهَا ، وَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ رَدَدْتُهَا عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال : فَبَيَّسَ النَّاسُ مِنَ الظُّلْمِ .

وَأَخَذَ مِنْ أَهْلِهِ مَا بِأَيْدِيهِمْ ، وَسَمَّى ذَلِكَ مَظَالِمَ ، فَفَرَزَعَ بَنُو أُمَيَّةَ إِلَى عَمَّتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ مَرْوَانَ فَأَتَتْهُ ، فَقَالَتْ [لَهُ]^(٤) : تَكَلَّمْ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال : إِنْ اللَّهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً^(٥) ، ثُمَّ اخْتَارَ لَهُ مَا عِنْدَهُ ، وَتَرَكَ لِلنَّاسِ نَهْرًا شَرِبْتُهُمْ سِوَاءَ ، ثُمَّ وَلَّى أَبُو بَكْرٍ فَتَرَكَ النَّهْرَ عَلَى حَالِهِ ، ثُمَّ وَلَّى عُمَرُ فَعَمِلَ عَمَلَهُمَا ، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ النَّهْرُ يَسْتَقِي مِنْهُ يَزِيدُ .

(١) في الكامل : بخمس .

(٢) فذَكَ : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة ، أفاءها الله

على رسوله في سنة سبع صلحا (ياقوت) .

(٣) من الكامل .

(٤) من يد .

(٥) في الكامل : إلى الناس رحمة ولم يبعثه عذابا .

ومروان ، وعبد الملك ابنه ، والوليد وسليمان ابناً عبد الملك ، حتى أفضى الأمر إلى ، وقد يمسّ النهر الأعظم ، فلن يروى ^(١) أصحابه حتى يعود إلى ما كان عليه .

فقالت : حسيك [قد أردت كلامك ^(٢)] ، فأما إذا كانت مقاتلك هذه فلا أذكر شيئاً أبداً ، ورجعت إليهم فأخبرتهم بكلامه .
وقد قيل : إنها قالت له : إن بنى أمية كذا وكذا - ذكرت إنكارهم ليقوله بهم - فلما تكلم بهذا قالت له : إنهم يُحذرونك يوماً من أيامهم ، فغضب وقال : كل يوم أخافه غير يوم القيامة ، فلا أمتنى ^(٣) الله شره .

فرجعت إليهم فأخبرتهم وقالت : أنتم فعلتم هذا بأنفسكم ، تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب ، فجاء يشبه جدّه ، فسكّوا .

قالت فاطمة امرأة عمر : دخلت عليه في مُصَلَّاهُ ودموه تجرى على لحيته ، فقلت : أحدث شيء ؟ قال : إني تقلدتُ أمرَ أمّة محمد صلى الله عليه وسلم ، فتفكرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع والعارى ^(٤) والمظلوم والمقهور ^(٥) ، والغريب والأسير ، والشيخ الكبير وذى العيال الكثير والمال القليل وأشباهم في أقطار الأرض ، فعلمتُ أن ربى سيسألنى عنهم يوم القيامة ، وأن خصمى دونهم محمد صلى الله

(١) في الكامل : فلم يرو .

(٢) من الكامل .

(٣) في الكامل : فلا أمنت شره .

(٤) في الكامل : والغاى .

(٥) في الكامل : والمظلوم المقهور .

عليه وسلم ، فخشيتُ ألا تثبت حُجَّتِي عند الخصومة ، فرحمت نفسي فبكِيتُ .

وكتب إلى عماله نسخة واحدة : أما بعد فإن الله عز وجل أكرم بالإسلام أهله ، وشرفهم وأعزهم ، وضرب الذلَّة والصغار على من خالفهم ، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس ، فلا تؤلِّين أمر^(١) المسلمين أحداً من أهل ذمتهم وخراجهم ، فتنبسط عليهم أيديهم وألسنتهم فتذلهم بعد أن أعزهم الله ، وتُهينهم بعد أن أكرمهم الله ، وتعرضهم لكَيْدِهِم والاستطالة عليهم ، ومع هذا فلا يؤمن غشهم لإيائهم ، فإن الله عز وجل يقول^(٢) : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْمُرُونَكُمْ بِمَا أَنْتُمْ بآثَارِهِ عَلَى حَيْثُ أَنْتُمْ وَلَا يُنَادِيكُمْ بِإِغْوَاؤِ اللَّهِ وَالْعَظِيمِ » . وقال تعالى^(٣) : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » . والسلام .

وكتب لما ولي الخلافة إلى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، وهو إذ ذاك يلى العراق وخراسان :

أما بعد فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله ، أنعم الله عليه ثم قبضه ، واستخلفني وبزيد بن عبيد الملك من بعدى إن كان ، وإن الذي ولاني الله من ذلك وقد رلى ليس على بهيئ ، ولو كانت رغبتي في اتخاذ أزواج واعتقاد^(٤) أموال لكان في الذي أعطاني الله من ذلك ما قد بلغ في أفضل ما بلغ بأحد من خلقه ، وأنا أخاف فيما ابتليت به حساباً شديداً

(١) في الكامل : أمور .

(٢) سورة آل عمران ، آية ١١٨

(٣) سورة المائدة ، آية ٥١

(٤) في الكامل : أو اعتقال . والمثبت في الطبري أيضاً .

ومسألة غليظة إلا ما عافى^(١) الله ورحم ، وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك .

فلما قرأ الكتاب قيل له : لست من عماله ، لأن كلامه ليس ككلام من مضى من أهله .

وكتب إلى عبد الرحمن بن نعيم :

أما بعد فاعمل عمل من يعلم أن الله لا يضلح عمل المفسدين .

وكتب إلى سليمان بن أبي السرى : أن اعمل خانات ، فمن مر بك من المسلمين فاقرؤهم يوماً وليلة ، وتعهدوا دوابهم . ومن كانت به علة فاقرؤهم يومين وليلتين ، وإن كان منقطعا [به]^(٢) فأبلغه بلده .

فلما أتاه كتاب عمر قال له أهل سمرقند : إن قتيبة ظلمنا وغدر بنا ، وأخذ بلادنا ، وقد أظهر الله العدل والإنصاف فأذن لنا فليقدم منا وقد على أمير المؤمنين ، فأذن لهم ، فوجهوا وقد إلى عمر ، فكتب إلى سليمان : إن أهل سمرقند شكوا ظلماً وتحاءلاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم ، فإذا أتاك كتابى فأجلس لهم القاضى فليُنظر في أمرهم ، فإن قضى لهم فأخرج العرب إلى معسكرهم كما كانوا قبل أن يظهر عليهم قتيبة .

فأجلس لهم سليمان جميع بن حاصر القاضى ، فقضى أن تخرج العرب إلى معسكرهم ويتأيدوهم على سواء ، فيكون صلحا جديداً

(١) في الكامل : ما عفا .

(٢) زيادة في د .

أَوْ ظَفَرًا عَنُوءَةً . فَقَالَ أَهْلُ الصُّغْد : تَرَضَى بِمَا كَانَ وَلَا نَحْدُثُ شَيْئًا^(١)
وَتَوَاصَوْا بِذَلِكَ .

وَكُتِبَ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيد : أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ
وَشَدَّةٌ وَجُورٌ فِي أَحْكَامِ اللَّهِ ؛ وَسُنَّةٌ خَبِيثَةٌ سَنَّهَا عَلَيْهِمْ عُمَالُ السُّوءِ ،
وَإِنْ قَوَامَ الدِّينِ الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ ، فَلَا يَكُونُنَّ [شَيْءٌ] ^(٢) أَهَمُّ إِلَيْكَ
مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا قَلِيلَ مِنَ الْإِثْمِ ^(٣) ، وَلَا تَحِيلُ خَرَابًا عَلَى عَامِرٍ ،
وَتُخَذُّ مِنْهُ مَا أَطَاعَ ؛ وَأَصْلِحْهُ حَتَّى يَغْمُرَ ، وَلَا يُؤْخَذَنَّ مِنَ الْعَامِرِ إِلَّا وَظِيفَةُ
الْخَرَجِ فِي رِفْقٍ وَتَسْكِينٍ لِأَهْلِ الْأَرْضِ ، وَلَا تَأْخُذَنَّ أَجُورَ الضَّرَابِيِّينَ
وَالْهَدَبَةِ النُّورُوزِ وَالْمَهْرَجَانِ ؛ وَلَا تَغْنِ الصُّحُفَ وَلَا أَجُورَ الْفُيُوجِ ^(٤)
وَلَا أَجُورَ الْبَيْوَتِ ؛ وَلَا دَرَاهِمَ النِّكَاحِ ؛ وَلَا خَرَجَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ
الْأَرْضِ ، فَاتَّبِعْ فِي ذَلِكَ أَمْرِي ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ مِنْ ذَلِكَ مَا وَلَّيَ اللَّهُ ،
وَلَا تَعْجَلْ دُونِي بِقَطْعٍ وَلَا صَلْبٍ حَتَّى تَرَاجَعْنِي فِيهِ ، وَانْظُرْ مَنْ أَرَادَ
مِنَ الدَّرِيَّةِ أَنْ يَحِجَّ فَعَجِّلْ لَهُ مَائَةَ لِيَحِجَّ بِهَا . وَالسَّلَامُ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ [عَلِيٍّ] ^(٥) الْبَاقِرُ : إِنْ لِكُلِّ قَوْمٍ نَجِيبَةٌ ، وَإِنْ
نَجِيبَةٌ بَنَى أُمِيَّةَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أُمَةً وَحْدَهُ .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ : أَتَيْنَا عُمَرَ نَعْلَمُهُ ؛ فَلَمْ نَبْرَحْ حَتَّى تَعْلَمُنَا مِنْهُ ^(٦) .

(١) فِي د : حَدَّثَا وَتَرَاضُوا . وَفِي الطَّبْرِيِّ . وَلَا يَجِدُ حَرْبًا وَتَرَاضُوا بِذَلِكَ .
وَفِي الْكَامِلِ : وَلَا نَحْدُثُ حَرْبًا وَتَرَاضُوا ...

(٢) مِنْ د ، وَالْكَامِلُ .

(٣) فِي الْكَامِلِ : فَلَا تَحْمِلْهَا قَلِيلًا مِنَ الْإِثْمِ .

(٤) الْفُيُوجُ : الْفُجِجُ : الْمُطْمَئِنُّ مِنَ الْأَرْضِ (الْقَامُوسُ) .

(٥) زِيَادَةٌ فِي د .

(٦) فِي ك : بِهِ .

وقيل لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : ما كان بدءُ إنباتك ؟
قال : أردتُ ضَرْبَ غلام لى ، فقال لى : اذكر ليلةً صبيحتها يوم القيامة .
وقال عمر : ما كنتُ منذ علمتُ أنَّ الكذب يضرُّ أهله .

وأخباره رضى الله عنه فى الخير والعدلِ كثيرة لو استقصيناها
أو أوردنا ما طالعناه منها لطلالولخرج عن قاعدة هذا التاليف ، وناهيك
بها سيرةٌ ضُرب بها المثلُ فى العدلِ والإحسان منذ كانت إلى يومنا هذا .
وكان له من الأولاد الذكور أربعة عشر وخمس بنات .

كُتبه : رجاء بن حيوة الكندى ؛ وابن أبى رقة (١) .

قاضيه : عبد الله بن سعد الأبلج .

حجابه : جيش ، ومزاحم ، مؤلفاه .

الأمير بمصر : أيوب بن شُرْحبيل .

وأقر على القضاء عياض بن عبد الله ، ثم صرفه بآبى مسعود عبد الله بن
خُذافة .

وكان نقش خاتمه رضى الله عنه : « عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله » .

٥٦ ذكر بيعة يزيد بن عبد الملك

هو أبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه عاتكة
بنت يزيد بن معاوية ، وهو التاسع من ملوك بنى أمية : بويع له يوم
الجمعة لخمسة بقين من شهر رجب سنة [١٠١هـ] إحدى ومائة بعد وفاة

عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ وَذَلِكَ بِعَهْدٍ مِنْ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذَكَرُ ذَلِكَ .

قِيلَ : وَلَمَّا احْتَضَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيلَ لَهُ : اكْتُبْ إِلَى يَزِيدَ فَأَوْصِهِ بِالْأُمَّةِ . قَالَ : بِمَاذَا أَوْصِيهِ ؟ إِنَّهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ .

ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ فَاتَّقِ يَا يَزِيدُ الصَّرْعَةَ بَعْدَ الْفَقْلَةِ ، حِينَ لَا تُقَالُ الْعَثْرَةُ ، وَلَا تُقَدَّرُ عَلَى الرَّجْعَةِ ، إِنَّكَ تَتْرَكَ مَا تَتْرَكَ لِمَنْ لَا يَحْمَدُكَ ، وَتَصِيرُ إِلَى مَنْ لَا يَعْدُرُكَ . وَالسَّلَامُ .

فَلَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ نَزَعَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ [عَنْ الْمَدِينَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ الْفَيْهَرِيَّ عَلَيْهِمَا ؛ فَأَرَادَ مَعَارَضَةَ ابْنِ حَزْمٍ] ^(١) فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهِ سَبِيلًا حَتَّى شَكَا عُمَانَ بْنَ حَيَّانَ إِلَى يَزِيدَ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ ابْنِ حَزْمٍ ، وَأَنَّهُ ضَرَبَهُ حَدِيثَيْنِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُقَيِّدَهُ مِنْهُ .

فَكَتَبَ يَزِيدُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ كِتَابًا : أَمَّا بَعْدُ فَانْظُرْ فِيمَ ضَرَبَ ابْنُ حَزْمٍ ابْنَ حَيَّانَ ، فَإِنْ كَانَ ضَرَبَهُ فِي أَمْرٍ بَيْنَ أَوْ أَمْرٍ مُخْتَلَفٍ فِيهِ فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ .

فَأَرْسَلَ ابْنُ الضَّحَّاكِ إِلَى ابْنِ حَزْمٍ فَأَحْضَرَهُ ؛ وَضَرَبَهُ حَدِيثَيْنِ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ ، وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ ، وَعَمَدَ يَزِيدُ إِلَى كُلِّ مَا فَعَلَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّا لَمْ يُوَافِقْ هَوَاهُ ، فَردَهُ ، وَلَمْ يَخَفْ شَتَاةَ عَاجِلَةٍ وَلَا إِثْمًا آجِلًا .

(١) ساقط في ك .

ذكر مقتل شوذب الخارجى

وهزيمته بجيوش يزيد قبل ذلك

واسم شوذب بسطام .

قد ذكرنا خروجه فى أيام عمر بن عبد العزيز رحمه الله ووصول
رُئيِّله إلى عمر ، وما كان بينهما من المناظرة ، وخروج محمد بن جرير
ابن عبد الله البجلي إليهم فى ألفين وموآدعتهم إلى أن يعود رسولاً
شوذب من عند عمر ؛ فلما مات عمر بن عبد العزيز أحبَّ عبد الحميد
ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وهو الأمير على الكوفة ، أن
يَحْظَى عند يزيد بن عبد الملك ؛ فكتب إلى محمد بن جرير يأمره
بمناجزة^(١) شوذب ، فلما رآه يستعدُّ للحرب أرسل إليه يقول :
ما أعجلكم قبل انقضاء المدة .

فأرسل إليه محمد : إنه لا يسعنا ترككم على هذه الحال .

فقال الخوارج : ما قتل هؤلاء هذا إلا وقد مات الرجل الصالح ،
فاقتتلوا ، فأصيب من الخوارج نفرٌ ، وقُتِل أكثر^(٢) أهل الكوفة ،
وانهزم من بقى منهم نحو الكوفة ، وتبعهم الخوارج حتى بلغوا الكوفة ،
ثم رجعوا إلى مكانهم .

ثم وجه يزيد بن عبد الملك تميم بن الحباب فى ألفين
فقاتلوه ، فقتل^(٣) ، وقُتِل أكثر أصحابه ، ولجأ من بقى منهم إلى
الكوفة ، والتحق بعضهم بيزيد ، فأرسل إليهم يزيد نجدة بن الحَكَم
الأزدى فى جمع ، فقتلوه وهزموا أصحابه .

(١) فى الطبرى : بمحاربة . (٢) فى الكامل : الكثير .

(٣) فى الكامل : قتلوه وقتلوا أصحابه .

وأقام شوذب بمكانه ^(١) حتى دخل مسلمة بن عبد الملك الكوفة ، فشكا إليه أهل الكوفة مكان شوذب وحثروه أمره ، فأرسل إليه مسلمة سعيد بن عمرو الحرثي . في عشرة آلاف ، فقال شوذب لأصحابه : من كان منكم يريد الشهادة فقد جاءته ، ومن كان يريد الدنيا فقد ذهب . فكسروا أعماد سيوفهم وحملوا فكشفوا سعيداً وأصحابه مراراً حتى خاف سعيد رحمه الله الفضيحة ، وكان فارساً شجاعاً ، فوبخ ^(٢) أصحابه ، وقبّح عليهم الفرار ، فحملوا فقتلوا بسطاماً ومن معه من الخوارج .

ذكر الغزوات والفتوحات

في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

ذكر غزوة الترك

وفي سنة [١٠٢ هـ] اثنتين ومائة كانت الحرب بين المسلمين

والترك عند قصر الباهلي .

وقيل : كان سبب ذلك أن عظماء الدّهّاقين أراد أن يتزوج امرأة من باهلة كانت في ذلك القصر ، فأبت فاستجاش الترك ، فجمعهم خاقان ووجههم إلى الصفد ، فساروا وعليهم كورصول حتى نزلوا يقصر الباهلي ، ورجوا أن ينسبوا من فيه ، وكان فيه مائة أهل بيت بتركاريهم ، وكان على سمرقند بومذاك عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير من قبل سعيد بن عبد العزيز عامل خراسان ، فكتب أهل القصر إليه ، وخافوا أن يبطيء عنهم المدد ، فصالحوا الترك على أربعين ألفاً وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة ، وانتدب ^(٣) عثمان الناس ، فانتدب المسيب

(١) في الكامل : وأقام الخوارج مكانهم .

(٢) في الطبري : فلمر . (٣) في الكامل : وندب .

ابن بشر الرياحى ، وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل ، وعليهم
شُعْبَةُ بن ظهير ، وكان على سمرقند قَبْلَ عثمان ، فلما عَسَكُرُوا قال لهم
المسيب : إنكم تُقَدِّمون على حَلْبَةِ التُّرك عليهم خافان ، واليَومُض إن
صَبَرْتُمُ الجنة ، والعِقَابُ إن قَرَرْتُمُ النارُ ، فمن أراد الغزو والصبر
فليَقْدِم .

فَرَجَعَ عنه أَلْفٌ وثلاثمائة ، فلما سار فرسخًا [آخر] ^(١) : فقال
مثل ذلك ، فاعتزله أَلْفٌ ، ثم سار فرسخًا آخر فقال مثل ذلك ، فاعتزله
أَلْفٌ ، وبقي في سبعمائة ، فسار حتى بَقِيَ على فَرَسَخَيْنِ من التُّرك :
فَأَتَاهُ الْخَبْرُ أَنَّ أَهْلَ الْقَصْرِ قد صالحو التُّرك على أربعين ألفًا ، وأَعْظَوْهم
سبعة عشر رجلًا رهينة ، وأنه لما بلغهم مَسِيرُ المسلمين قتلوا الرهائنَ
وَأَهْمُ اتَّعَلُّوا القتالَ غدا .

فَبِعَثَ الْمَسِيبُ رَجُلَيْنِ إِلَى أَهْلِ الْقَصْرِ يُعَلِّمُهُم بِقُرْبِهِ ، ويستمهلهم
يوما وليلة ، فَأَتَيَا الْقَصْرَ فِي لَيْلَةٍ مَظْلَمَةٍ وقد أَجَرَتِ ^(٢) التُّركُ الماءَ في
نواحي القصر ، فليس يَصُلُّ إِلَيْهِ أَحَدٌ . فَلَمَّا دَنَوْا من القصر صاح بهم
الرَّيْنَةُ فاستنصتاه ، وقالاه : اذْعُ لَنَا عَبْدَ الْمَلِكِ بنِ دِقَار ، قَدْ عَاه :
فَأَعْلَمَاهُ قُرْبَ الْمَسِيبِ ، [وأمراه بالصَّبْرِ غدا ، ورجعا إِلَى الْمَسِيبِ] ، ^(٣)
فَبَايَعَ أَصْحَابَهُ عَلَى الْمَوْتِ ، فَبَايَعُوهُ ، وسار حتى بَقِيَ ^(٤) بينه وبين
الْقَصْرِ نِصْفُ فَرَسَخٍ ، فلما أَمْسَى أَمَرَ أَصْحَابَهُ بالصَّبْرِ ، وقال : لِيَكُنْ

(١) ليس في د .

(٢) في الكامل : أخذت .

(٣) ليس في ك .

(٤) في د . صار .

شِعَارُكُمْ : يا محمد ، ولا تتبعوا مُؤَلِّيَا ، وعليكم بالدوابِّ فاعقروها
فإنها إذا عُقِرَتْ كانت أهدأ عليهم منكم ، وسار بهم ليلاً فَوَاقَى عَشْكَرَ
الترك وقتَ السُّحر ، فخالطهم المسلمون ، وعَقَرُوا الدواب ، فانهزمت
الترك ، ونادى منادى المسيب : لا تتبعوهم ، فإنهم لا يَذْرون من الرُّعب
أَتَبِعْتُوهم أم لا .

وأمر أصحابه أن يَقْصِدُوا القَصْرَ ويَحْمِلُوا ما فيه من المالِ وَمَنْ
بالقصر ، مَنْ يَعْجِزُ عن المشي ، ففعلوا ، ورجع إلى سَمَرْقَنْدَ ، ورجع
التركُ من الغد ، فلم يروا بالقصر أحداً ، ورأوا قَتْلَاهِم ، فقالوا : لم يكن
الذين أَتَوْنا من الإنس . والله أعلم .

ذكر غزو الصفد

وفي سنة [١٠٢هـ] اثنتين ومائة أيضاً عبر سعيد النهر ، وغزا
الصفد ، وكانوا نقضوا العهد ، وأعانوا الترك على المسلمين ، فلحقه
الترك وطائفة من الصفد ، فهزمهم المسلمون وساروا حتى انتهوا إلى واد
بينهم وبين المرج ، فقطعه بعضهم وقد أكمُن^(١) لهم الترك ، فلما أجازهم
المسلمون خرجوا عليهم ، فانهزم المسلمون حتى انتهوا إلى الوادي ، ثم
جاء الأمير وبقية الجيش فانهزم العدو .

وفيها غزا عمر بن هُبَيْرَة الروم من ناحية أرمينية ، وهو على الجزيرة
قَبْلَ أن يَلِيَ العراق ، فهزمهم ، وأسروهم خلقاً كثيراً . وقيل^(٢) سبع مائة
أسير .

(١) في ك : كمن .

(٢) في الكامل : وقتل . وفي الطبري : قتل .

وغزا عباس بن الوليد بن عبد الملك الروم ، فافتتح دلسه ^(١) ،
وغزا أيضا في سنة ثلاث ومائة ، ففتح مدينة يقال لها رسله ^(٢) .

ذكر الوقعة بين سعيد الحرشى ^(٣)

أمير خراسان وبين الصفد

وفى سنة [١٠٤هـ] أربع ومائة غزا سعيد الحرشى ، فقطع النهر
وسار فنزل قصر الرّيح على فرسخين من الدّبوسية ^(٤) ، وكان الصفد
لما بلغهم عزّل سعيد بن عبد العزيز عن خراسان واستعمال الحرشى
خافوه على أنفسهم ، فأجمع عظمائهم على الخروج من بلادهم ، فقال لهم
ملكهم : أقيموا واحملوا له خراج ما مضى ، واضمنوا له خراج ما بأتى ،
وعمارة الأرض ، والغزو معه إن أراد ذلك ، واعتذروا بما كان منكم ،
وأعطوه رهائن . قالوا : نخاف ألا يقبل ذلك منا ، ولكننا نأتى خجندة ^(٥)
فنتستجير بملكها ، ونرسل إلى الأمير فنسأله الصفح عما كان منا .
فوافقهم .

فخرجوا إلى خجندة ، وأرسلوا إلى ملك فرغانة يسألونه أن يمنّهم ،
وينزلهم مدينته ، فأراد أن يفعل فنهته أمه ، وقالت له : فرغ لهم
رُستاقا يكونون فيه ، فأرسل إليهم : سموا رُستاقا تكونون فيه حتى تُفرغه
لكم ، وأجلوني أربعين يوما .

(١) هذا فى ك ، د .

(٢) والطبرى : ٦ - ٦١٩

(٣) بالحاء المهملة المفتوحة والشين المعجمة (الباب) .

(٤) بليدة من أعمال الصفد مما وراء النهر (ياقوت) .

(٥) بضم أوله وفتح ثانيه ونون ثم دال مهملة : بلدة مشهورة مما وراء النهر

على شاطئ سيحون (ياقوت) .

فاختاروا شُعْبَ عَصَامَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَاهِلِي ، فقال : نعم ،
وليس على عقد ولا جوار حتى تدخلوه ، وإن أنتمكم العربُ قبل دخوله
لم أمنعكم . فرضوا ، وفرغ لهم الشُّعْب .

فلما انتهى الحرثي إلى قَصْرِ الرِّيحِ أتاه ابنُ عمِ ملكِ قَرْعَانَةَ فقال
له : إنَّ أهل الصُّفْدِ بِخُجَنْدَةَ ، وأخبره خبرهم ، وقال : عاجِلْهُمْ قبل
أن يصلُوا إلى الشُّعْبِ ، فليس لهم علينا جِوَارٌ حتى يمضي الأجل .

فوجه معه عبد الرحمن القُشَيْرِيُّ أو زياد^(١) بن عبد الرحمن في جماعة ،
ثم ندم^(٢) بعدما فصلوا ، وقال : جاعني عِلْجٌ لا أَعْلَمُ صَدَقَ أم كَذَبَ ،
فَقَرَّرْتُ بِجَنْدٍ من المسلمين .

فارتحل في أثرهم حتى نزل أُشْرُو مَنَّةَ^(٣) ، فصالحهم بشيء
يسير ، ثم سار مُسْرِعًا حتى لحق القُشَيْرِيُّ ، وساروا حتى انتهوا إلى
خُجَنْدَةَ ، فنزل عليهم وأخذ في التَّأَهُبِ . وكان الذين بِخُجَنْدَةَ قد حَفَرُوا
خَنْدَقًا في رِضْفِهِمْ وراءَ الباب ، وغطَّوه بقَصَبٍ وتُرابٍ ، وأرادوا إذا
التقوا إن انهزموا دخلُوا مِنَ الطَّرِيقِ^(٤) ، ويُشكِلُ على المسلمين فيسقطون
في الخَنْدَقِ . فلما خرجوا قاتلوهم فانهزموا وأخطأوا^(٥) هم الطريقَ
فسقطوا في الخَنْدَقِ ، فأخرج منهم المسلمون أربعين رجلاً ، وحصرهم
الحرثي ، ونصب عليهم المجانيق .

فأرسلوا إلى ملكِ قَرْعَانَةَ : إنك قد غدرتَ [بنا] ^(٦) ، وسألوه

(١) في الكامل : وزياد . (٢) في الطبري : ثم ندم على ما فعل .

(٣) بالضم ثم السكون وضم الراء وواو ساكنة وسين مهملة مفتوحة ونون وهاء :
بلدة كبيرة بما وراء النهر بين سيحون وسمرقند (ياقوت) .

(٤) في الطبري : إن انهزموا أن يكونوا عرفوا الطريق

(٥) في الكامل : وأخطأهم . وفي الطبري : وأخطوهم .

(٦) من الكامل والطبري .

أن ينصرهم ، فقال : قد أتوكم قبل انقضاء الأجل ، ولستم في جورى ، فطلبوا الصلح ، وسألوا الحرثى أن يؤمنهم ويردّهم إلى الصغد ، فاشتراط عليهم أن يردّوا ما في أيديهم من نساء العرب وذراريهم ، وأن يؤدوا ما كسروا من الخراج ، ولا يقتالوا أحداً ، ولا يتخلف منهم بخجندة أحد ، فإن أحدثوا حدّثاً حلت دماؤهم .

فخرج إليهم الملوك والتجار من الصغد ، ونزل عظماء الصغد على الجند الذين يعرفونهم ، ونزل كارزنج على أيوب بن حسان ^(١) ، وبلغ الحرثى أنهم قتلوا امرأة من كان في أيديهم ، فقال [لهم] ^(٢) : بلغنى أن ثابتاً الإشتيخينى قتل امرأة ، فجحدوا . فسأل حتى استصح الخبر ، فأحضر ثابتاً وقتله ، فلما بلغ ^(٣) كارزنج ذلك خاف أن يقتل فأرسل إلى ابن أخيه ليأتيه بسرّاويل ، وكان قد قال لابن أخيه : إذا طلبتُ سراويل فاعلم أنه القُتل . فبعث به إليه ، وخرج واعترض الناس فقتل ناساً ، وانتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود فقتله ثابت ، وقتل الصغد مائة وخمسين رجلاً كانوا عندهم من أسرى المسلمين ، فأمر الحرثى بقتل الصغد بعد عزل التجار عنهم ، فقاتلهم الصغد بالخشب ، ولم يكن لهم سلاح ، فقتلوا عن آخرهم ، وكانوا ثلاثة آلاف ، وقيل سبعة آلاف ، واصطفى الحرثى أموال الصغد وذراريهم ، وأخذ من ذلك ما أعجبه ، وقسم ما بقى ، وفتح المسلمون حصناً يطيف به وادى الصغد من ثلاث جهات صلحاً على ألا يتعرض لنسائهم وذراريهم ، ففعلوا .

(١) فى الطبرى والكامل : أيوب بن أبى حسان . والثبت فى ك ، د .

(٢) من الطبرى .

(٣) فى الكامل : سمع .

وسار الحرثي إلى كَسْ (١)، فصالحوه على عشرة آلاف رأس. وقيل : ستة آلاف رأس ، وولى الحرثي نصر بن سيار قبض صلح كَسْ (١) ، واستعمل سليمان بن أبي السري على كَسْ ، ونسف - حرثها وخراجها . وكانت خُزَارُ (٢) منيعة ، فأرسل الحرثي إليها المُسرِبِلَ بْنَ الخُرَيْتِ الناجي ، وكان صديقاً للملكها ، واسم ملكها سُبَغْرِي (٣) ، فأخبر الناجي الملك بما صنع الحرثي بأهل خُجَنْدَة ، وخوفه . قال : فما ترى ؟ قال : أرى أن تَنْزِلَ بِأَمَانٍ ، فصالحهم فأمنوه وبلادهم ، ورجع الحرثي إلى مرو ومعه سُبَغْرِي (٣) فقتله وصلبه ومعه أمانه .

ذكر ظفر الخزر بالمسلمين

وفي سنة [١٠٤هـ] أربع ومائة دخل جيش المسلمين إلى بلاد الخزر ، من أرمينية ، وعليهم ثُبَيْتُ النَّهْرَانِي (٤) ، فاجتمعت الخزر في جَمْعٍ كثيف ، وأعانهم قفجلق وغيرهم من الترك ، فلقوا المسلمين بمكان يُعْرَفُ بِمَرْجِ الحِجَارَةِ ، فافتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل من المسلمين خلقٌ كثير ، واحتوت الخزر على عسكرهم ، وغنموا مافيهم ، وأقبل المنهزمون [إلى الشام] (٥) ، فقدموا على يزيد ، فوبَّخَهُمْ عَلَى الهَزِيمَةِ ، فقال ثُبَيْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا جِئْتُ عَنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ ، وَلَقَدْ لَصِقْتُ الْخَيْلَ بِالْخَيْلِ وَالرَّجُلَ بِالرَّجُلِ ، وَلَقَدْ طَاعَنْتُ حَتَّى انْقَصَفَ رُمْحِي ، وَضَارِبْتُ حَتَّى انْقَطَعَ سَيْفِي ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ .

(١) سبق أنها بالثين أيضاً .

(٢) موضع بقرب آسف ذكره ياقوت بضم أواه وآخره راء مهملة . وفي ك :

خزائن .

(٣) في الطبري : سبغري ، والضبط في د .

(٤) والكامل : ٤ - ١٨٦

(٥) زيادة في الكامل .

ذكر فتح بلنجر وغيرها (١)

قال : لما تمت الهزيمة المذكورة على المسلمين طمع الخزّ في البلاد . فجمعوا وحشدوا ، فامتعمل يزيد بن عبد الملك الجراح بن عبد الله الحكيمى على أرمينية ، وأمه بجيش كثيف ، وأمره بغزو الخزّ وغيرهم من الأعداء وقصد بلادهم ، فسار الجراح وتسامعت به الخزّ فعادوا حتى نزلوا بالباب والأبواب ، ووصل الجراح إلى بردعة (٢) ، فأقام بها حتى استراح هو ومن معه ، وسار نحو الخزّ فعبير (٣) نهر الكر ، فبلغه أن بعض من معه كتب إلى ملك الخزّ يخبره بمسير الجراح إليه ، فأمر الجراح منادياً فنادى فى الناس : إن الأمير مقيم ها هنا عدة أيام ، فاستكثروا من الميرة .

فكتب ذلك الرجل إلى ملك الخزّ يخبره أن الجراح مقيم ، ويشير عليه بترك الحركة لئلا يطمع المسلمون فيه ، ثم أمر الجراح بالرحيل ليلاً ، وسار مجداً حتى انتهى إلى مدينة الباب أو الأبواب (٤) ، فلم ير الخزّ ، فدخل البلد ، وبث سراياه للنهب والغارة ، فغنموا وعادوا ، وسار الخزّ إليه ، وعليهم ابن ملكهم فالتقوا عند نهر الران (٥) ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزمهم المسلمون وتبعوهم يقتلون ويأسرون ، فقتل منهم خلق كثير ،

(١) بفتحين وسكون وجيم مفتوحة ، وراء ، مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب (ياقوت) .

(٢) فى الكامل : بردعة . وفى ياقوت . بردعة ، وقد رواه أبو سعد بالدال المهملة والعين مهملة عند الجميع : بلد فى أقصى أذربيجان .

(٣) فى الكامل : فعبير بهم نهر الكر . (٤) من الكامل .

(٥) الران : مدينة بين مراغة وزنجان ، قال ياقوت . وفى المدينة نهر من شرب منه آمن الحصاة أبداً . ثم قال : وعندى أن الران وأران واحدة ، وهى ولاية واسعة من نواحي أرمينية .

وغنم المسلمون جميع ما معهم ، وساروا حتى نزلوا على حصن يعرف بالحُصَيْن ، فنزل أهلُه بالأمان على مالٍ يحملونه ، فأتَّجَّابهم ونقلهم عنه ، ثم سار إلى مدينة بُرْغَر^(١) فأقام عليها ستة أيام ، وجَدَّ في قتالِ أهلها ، فسألوا الأمانَ فأمنهم وتسلمَ حصنُهم ونقلهم منه .

ثم سار إلى بَلَنْجَر وهو حصنٌ مشهورٌ مِن إِيْصُونِهِمْ : فنزلَه ، وقاتل عليه قتالاً شديداً ، وملك الحصنَ عنوةً ، وغنم المسلمون ما فيه ، فأصاب الفارس ثلاثمائة دينار ، وكانوا بضعة وثلاثين ألفاً ، وأخذ الجراح أولاد صاحب بَلَنْجَر وأهله ، وأرسل إليه فأحضره وردَّ إليه أمواله وأهله وحصنه ، وجعله عَيْنًا للمسلمين ؛ ثم سار عن بَلَنْجَر فنزل على حصن الويندر^(٢) ، وبه نحو أربعين ألف بيت من الترك ، فصالحوا الجراح على مالٍ يؤدُّونه ، ثم نجَّع أهلُ تلك البلاد ، وأخذوا الطرق على المسلمين ، فكتب صاحب بَلَنْجَر إلى الجراح يُخْبِرُهُ بذلك ، فعاد مُجِداً حتى وصل إلى رُسْتاقِ سِلَى^(٣) ، وأدركهم الشتاء ، فاقام المسلمون به ، وكتب الجراح إلى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله عليه وبجموع الكفار ، ويسأله المدد ، فوعده بانفاذِ العساكر ، فمات قبل ذلك ، فأقر هشام الجراح على عمله ، ووعده المدد .

هذا ما كان من الغزوات والفتوحات في أيام يزيد بن عبد الملك ،

فلنذكر حوادث السنين في أيامه .

(١) بالغين المجمة المفتوحة والراء : على ساحل بحر متصل بجليج القسطنطينية

(٢) باقوت ، وني د : برغو . وني : الكامل : يرغو .

(٣) هذا في د ، والكامل .

(٣) سلى - بكسر أوله وفتح اللام وتشديد هاء قصر الألف . وعن محمد بن موسى :

سلى - بالضم وفتح اللام : جبل بمناذر من أعمال الأهواز . (ياقوت) . وني الكامل : مى .

تمة سنة (١٠١ هـ) احدى ومائة :

ذكر استيلاء يزيد بن المهلب بن أبى صفرة

على البصرة وخلعه يزيد بن عبد الملك

قد ذكرنا حرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وأنه إنما حرب خوفاً من يزيد بن عبد الملك لمنافرة كانت بينهما .

وقيل : كان السبب الذى أوجب كراهة يزيد بن عبد الملك فى يزيد بن المهلب أن ابن المهلب خرج يوماً من الحماة فى أيام سليمان وقد تضمخ بالغالية ، فاجتاز بيزيد بن عبد الملك وهو إلى جانب عمر ابن عبد العزيز ، فقال يزيد بن عبد الملك : قبح الله الدنيا ! لوددت أن مثقال الغالية بألف دينار ، فلا يناله إلا كل شريف ، فقال ابن المهلب : بل وددت أن الغالية فى جبهة الأسد فلا ينالها إلا لى . فقال له يزيد بن عبد الملك : والله لئن وليت يوماً لأقتلنك . فقال ابن المهلب : والله لئن وليت هذا الأمر وأنا حى لأصربن وجهك بمائة ألف سيف .

وقيل : كان السبب أن يزيد بن المهلب كان قد هذب أصحابه يزيد بن عبد الملك ، وكان سليمان بن عبد الملك لما ولى الخلافة طلب آل عقيل فأخذهم وسلمهم إلى ابن المهلب ليخلص الأموال منهم ، فبعث ابن المهلب إلى البلقاء من أعمال دمشق وبها خزائن الحجاج ابن يوسف وعياله ، فنقلهم وما معهم إليه ، وكان فيمن أتى به أم الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك .

وقيل : بل أخت لها - فعذبها ، فأقى يزيد بن عبد الملك إلى ابن المهلب فى منزله ، فشفع فيها ، فلم يشفعه ، فقال : الذى قررتم عليها أنا أحمله ؛

فلم يقبل منه ، فقال لابن المهلب : أما والله لئن وليتُ من الأمر شيئاً لأقطعنك عضواً . فقال ابنُ المهلب : وأنا والله لئن كان ذلك لأرميَنَّك بمائة ألف سيف .

فحمل يزيد بن عبد الملك المال ^(١) عنها ، وكان مائة ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك . والله أعلم .

قال : فلما ولي يزيد بن عبد الملك كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وإلى عدى بن أرطاة ، يُعرفهُما هرب يزيد ، ويأمرهما بالتحرز منه ، وأمر علياً أن يأخذ من بالبصرة من آل المهلب ويحبسهم ، فقبض عليهم وفيهم الفضل وحبيب ومروان بنو المهلب ، وأقبل يزيد بن المهلب نحو البصرة ، وقد جمع عدى بن أرطاة الجنود ، وخندق على البصرة ، وندب الناس ، وجاء يزيد في أصحابه ^(٢) والذين معه ، فالتقاه ^(٣) أخوه محمد بن المهلب فيمن اجتمع إليه من أهله وقومه ومواليه ، فمرَّ بجموع عدى ، فجعل لا يمرُّ بخيلٍ من خيل عدى إلا تنحوا عن طريقه ، وأقبل حتى نزل داره ، واختلف الناس إليه ، فبعث إلى عدى أن ابعث إلى إخوتي وأنا أصالحك على البصرة وأخليك وإياها حتى آخذ لنفسى من يزيد ما أحب . فلم يقبل منه ، وأخذ يزيد بن المهلب يُعطي من أتاه قطع الذهب والفضة ، فمال الناس إليه ، وكان عدى لا يُعطي إلا درهمين درهمين ، ويقول : لا يحل أن أعطيكم من بيت المال درهما إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ، ولكن تَبَلَّغوا هذه حتى يأتى الأمر ، فقال الفرزدق ^(٤) :

(١) في الكامل : ما كان عليها .

(٢) في د ، والكامل : في أصحابه الذين معه .

(٣) هذا في د ، ك .

(٤) والطبري : ٦ - ٥٨١ ، وديوانه : ١٥٦ .

أَظُنُّ رِجَالَ الدَّرَهْمِيِّينَ تَقْوُدُهُمْ^(١) إِلَى الْمَوْتِ أَجَالَ لَهُمْ وَمَصَارِعُ
وَأَكْبَسَهُمْ مَنْ قَرَّ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ^(٢) وَأَيَقَنَ أَنَّ الْمَوْتَ لَابَدُ وَإِقْبَعُ

وخرج يزيد حين اجتمع الناس له حتى نزل جبانة بنى بشكر
وهو المنصف^(٣) فيما بينه وبين القصر ، فلقبه قيس وقيم وأهل
الشام ، فاقتتلوا هنيئة وانهزموا ، فتبعهم يزيد وأصحابه حتى دنا
من القصر ، وخرج إليهم على نفسه فقتل من أصحابه وانهزم
هو^(٤) ، وقصد قتل آل المهلب الذين في حبسه ، فأغلقوا الباب
ومنعوا عن أنفسهم حتى أدركهم يزيد ، ونزل في دار مالم^(٥)
ابن زياد بن أبيه ، وهى إلى جنب القصر ، ونصب السلايم ، وفتح
القصر ، وأتى يعلى بن أوطاة فحبسه ، وقال : لولا حبسك إخوانى
لما حبستك ، وأخرج إخوانه وهرب بوجوه أهل البصرة ، فلحقوا
بالكوفة ، وكان يزيد قد بعث حميد بن عبد الملك بن المهلب إلى يزيد
ابن عبد الملك فى طلب الأمان ، فعاد بما طلب ومعه خالد القسرى وعمرو
ابن يزيد الحكيمى ، فوجد المغيرة بن زياد وقد قر من يزيد
ابن المهلب ، فأخبرهم الخبر ، فعادوا إلى يزيد بن عبد الملك ومعهم
حميد ، وأرسل يزيد بن عبد الملك إلى أهل الكوفة يثنى عليهم ويعدهم

(١) فى الطبرى : يسوقهم .

(٢) فى الطبرى : فأحزمهم من كان .

(٣) فى الكامل : النصف .

(٤) فى الكامل : وانهزم أصحاب على .

(٥) فى الكامل : ساجان . والمثبت فى الطبرى أيضاً

الزيادة ، وأرسل^(١) أخاه مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد ، في سبعين ألف مقاتل من أهل الشام والجزيرة .

وقيل : كانوا ثمانين ألفاً ، فساروا إلى العراق حتى بلغوا الكوفة فنزلوا بالثخيلة^(٢) ، واستوثق أمر البصرة لابن المهلب ، وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرمان ، ثم سار يزيد من البصرة ، واستعمل عليها أخاه مروان ، وأتى واسطا ، وأقام عليها أياما يسيرة إلى أن دخلت سنة [١٠٢هـ] اثنتين ومائة ، فسار عنها .

واستخلف عليها ابنه معاوية ، ونزل^(٣) عنده بيئت المال ، وقدم أخاه عبد الملك نحو الكوفة ، فاستقبله العباس بن الوليد واقتتلوا ، فظفر عبد الملك أولا ، ثم كانت الهزيمة عليه ، فعاد بمن معه إلى أخيه ، وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات إلى الأنبار ، وعقد عليها جسرا فعبروا ، حتى نزل على ابن المهلب ، والتحق بابن المهلب^(٤) ناس كثير من الكوفة والشام ، وأحصى ديوانه مائة ألف وعشرين ألفاً ، فقال : لوددت أن لي بهم من بخراسان من قومي .

ثم قام في أصحابه وحرّضهم على القتال ، وكان اجتماع ابن المهلب ومسلمة ثمانية أيام ، فلما كان يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة مضت من صفر سنة [١٠٢هـ] اثنتين ومائة خرج مسلمة في جنوده حتى قرب من ابن المهلب ، والتقوا واقتتلوا ، فانهزم أصحاب ابن المهلب ،

(١) في د . وجهر .

(٢) موضع قرب الكوفة على سمت الشام (ياقوت) .

(٣) في الكامل : وجعل .

(٤) في الكامل : وأتى إلى ابن المهلب .

فترجل وبقي في جماعة من أصحابه وقد استقَتَلَ وهو يتقدم ، فكلما مرَّ بخَيْل كشفها أو جماعة من أهل الشام عَدَلُوا عنه ، وأقبل نحو مسلمة لا يُريدُ غيره ، فلما دَنَا منه أَدْنَى فَرَسه ليركب ، فعطف عليه أهل الشام ، فقتل يزيد والسَّمِيدُ (١) ومحمد بن المهلب ، وكان رجلٌ من كَلْب يقال له القَحْل (٢) بن عِيَّاش لما نَظَرَ إلى يزيد قال : هذا والله يزيد ، والله لأقتلنه أو ليقتلني ، فمَنَ يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصِلَ إليه ، فحمل معه ناسٌ ، فاقتتلوا ساعة ، وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلاً وعن القَحْل (٢) بآخِرِ رَمَقٍ ، فأوماً إلى أصحابه يريهم مكان يزيد وأنه هو الذي قَتَلَهُ ، وأنَّ يزيد قتله ، وأتى مولى لبني مرةً برأس يزيد إلى مسلمة ، فقبل له : أَنْتَ قَتَلْتَهُ ؟ قال : لا ، فبعث مسلمة بالرأس إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد ابن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط .

وقيل : بل قتله الهذيل بن زُفر بن الحارث الكلابي ، ولم ينزل لأخذ رأسه أَنْفَةً .

قال : ولما قُتِلَ يزيد كان المفضل بن المهلب يقاتِلُ أهلَ الشام وهو لا يَدْرِي بِقَتْلِ أخيه ولا بهزيمة الناس ، فأتاه آتٍ وقال له : ما تصنع وقد قُتِلَ يزيد وحبيب ومحمد ، وانهمز الناس منذ طويل ؟ فتفرق الناس عنه ، ومضى المفضل إلى واسط .

وقيل : بل أتاه أخوه عَبْدُ الملك ، وكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَهُ بِقَتْلِ يَزِيدَ

(١) السَّمِيدُ الكندي : من بني مالك من ربيعة (الطبرى) . وفي القاموس بالذال المعجمة ، وقد ضبطه بالحروف .

(٢) بالغاء في القاموس وفتح البلدان . وفي الأصول ، والإكمال بالغاف :

فيستقتل ، فقال له : إِنَّ الْأَمِيرَ قَدْ انْحَدَرَ إِلَى وَاسِطَ ، فَانْحَدَرَ الْمُفَضَّلُ
بِمَنْ بَقِيَ مِنْ وَلَدِ الْمُهَلَّبِ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا عَلِمَ بِقَتْلِ يَزِيدَ حَلَفَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُ
عَبْدَ الْمَلِكِ أَبَدًا ، فَمَا كَلَّمَهُ حَتَّى قَتَلَ بِقَنْدَازِيبِل (١) .

قال : ولما أَنْتَ هَزِيمَةُ ابْنِ الْمُهَلَّبِ إِلَى وَاسِطَ أَخْرَجَ ابْنَهُ مَعَاوِيَةَ
اِثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ إِنْسَانًا (٢) كَانُوا عِنْدَهُ ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ مِنْهُمْ عَدَى
ابْنَ أَرْطَاةَ ، وَابْنَهُ مُحَمَّدَ ، وَمَالِكَ ، وَعَبْدَ الْمَلِكِ ابْنَا مُسَمِّعَ وَغَيْرَهُمْ ، ثُمَّ
أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى الْبَصْرَةَ بِالْمَالِ وَالْخَزَائِنِ ، وَجَاءَ الْمُفَضَّلُ بْنُ الْمُهَلَّبِ
وَاجْتَمَعَ إِلَى الْمُهَلَّبِ بِالْبَصْرَةِ ، وَأَعْلَتُوا السُّفْنَ وَتَجَهَّزُوا لِلرُّكُوبِ .
فِي الْبَحْرِ إِلَى جِبَالِ كَرْمَانَ ، وَحَمَلُوا عِيَالَهُمْ (٣) وَأَمْوَالَهُمْ فِي السُّفْنَ
الْبَحْرِيَّةِ ، وَلَجَّجُوا حَتَّى أَتَوْا جِبَالَ كَرْمَانَ ، فَخَرَجُوا مِنْ مَسْفُيهِمْ :
وَحَمَلُوا مَا مَعَهُمْ عَلَى الدُّوَابِّ .

وَكَانَ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمُ الْمُفَضَّلُ ، وَكَانَ بِكَرْمَانَ فُلُوكَ كَثِيرَةً ، فَاجْتَمَعُوا
إِلَى الْمُفَضَّلِ ، وَبَعَثَ مُسْلِمَةُ مُدْرِكُ بْنُ صَبِّ الْكَلْبِيِّ فِي طَلَبِهِمْ وَفِي أَثَرِ
الْقُلُ ، فَأَذْرَكَ الْمُفَضَّلُ وَمَنْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ ، فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقُتِلَ
مِنْ أَصْحَابِ الْمُفَضَّلِ جَمَاعَةٌ ، وَطَلَبَ بَعْضُ مَنْ مَعَهُ الْأَمَانَ ، وَمَضَى آلُ
الْمُهَلَّبِ إِلَى قَنْدَازِيبِلَ ، وَبَعَثَ مُسْلِمَةُ إِلَى مُدْرِكِ بْنِ صَبِّ ، فَرَدَّهُ ؛
وَسِيرَ فِي أَثَرِهِمْ هَلَالُ بْنُ أَخْوَزَ التَّمِيمِي فَلَحِقَهُمْ بِقَنْدَازِيبِلَ ، فَأَرَادَ آلُ الْمُهَلَّبِ
دُخُولَهَا فَمَنْعَهُمْ أَمِيرُهَا وَادْعُ بْنُ حُمَيْدَ ، وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ قَدْ
اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعُهُودَ وَالْمَوَاقِيقَ أَنَّهُ لَنْ يَقْتُلَ فِي حَرْبِهِ
يَلْجَأُ أَهْلَهُ إِلَيْهَا وَيَتَحَصَّنُوا بِهَا حَتَّى يَأْخُذُوا أَمَانَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

(١) بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ وَالْدَالُ مَهْمَلَةٌ وَبَعْدَ الْآلِفِ مَوْحَلَةٌ مَكْسُورَةٌ ثُمَّ
يَاءٌ بِفَتْحٍ مِنْ تَحْتِهَا وَلَا مَ : مَدِينَةٌ بِالسَّنَدِ (يَا قُوت) .

(٢) فِي الْكَامِلِ : أُسْرَاءُ (٣) فِي الْكَامِلِ : عِيَالَهُمْ .

وقال له : قد اخترتُك لهم من بين قومي فكن عند حسن ظني ،
وعاهده ليتأصحن أهل بيته إن هم لجئوا إليه .

فلما أتوه ^(١) منعهم من الدخول ، وكتب إلى هلال بن أخوز ،
فلما اتقوا نصب هلال راية أمان ، فنفرق الناس عن آل المهلب ،
وتقدمواهم بأسيا فهم ، فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم ، وهم المفضل ،
وعبد الملك ، وزباد ، ومروان بنو المهلب ، ومعاوية بن يزيد بن المهلب ،
والمنهال بن أبي عيينة بن المهلب ، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة
ابن المهلب ، وحملت رؤوسهم ، وفي أذن كل واحد رُقعة فيها اسمه ،
ولحق منهم برتبيل أبو عيينة بن المهلب ، وعمرو ^(٢) بن يزيد ،
وعثمان بن المفضل ، وبعث هلال بالرؤوس والنساء الأسرى من آل
المهلب إلى مسلمة بن عبد الملك وهو بالحيرة ، فبعثهم إلى يزيد
ابن عبد الملك ، فبعثهم ^(٣) يزيد إلى العباس بن الوليد وهو على
حلب ، فنصب الرؤوس ، وأراد مسلمة أن يبيع الذرية ، فاشترام
منه الجراح بن عبد الله الحكمي بمائة ألف ، وخطى سبيلهم ،
ولم يأخذ مسلمة بن الجراح شيئا ، وكانت الأسرى من آل المهلب
ثلاثة عشر رجلا ، فلما جرى بهم إلى يزيد بن عبد الملك كان ^(٤)
عنده كثير عزة فقال ^(٥) :

(١) في ك : أتوا .

(٢) في الكامل : وعمرو .

(٣) في الكامل ، بغيرهم .

(٤) في الكامل : وكان .

(٥) الكامل : ٤ - ١٧٥

حليم إذا ما نال عاقب مُجْمِلًا أَشَدَّ العقاب أو عَقًا لم يُثْرَب
فغفوا أَمِيرَ المؤمنين وحسبته فما ثأته من صالح لك يكتب
أساموا فإن تصفح فإنك قادر وأفضل حلم حِسْبَةً حِلْمٌ مُغْضَبٌ
فقال يزيد : هيهات يا أبا صخر ، أظت^(١) بك الرِّجَم ،
لا سَبِيلَ إلى ذلك ، إن الله أقاد منهم بأعمالهم الخبيثة ، ثم أمر بهم
فَقُتِلُوا ، وبقي غلام صغير . فقال : اقتلوني ، فما أنا بصغير . فقال :
انظروا ، أنبت ؟ فقال : أنا أعلمُ بنفسى ، قد احتلمت ووطئت النساء ،
فأمر به فقتل .

والذين قُتِلُوا من آلِ المهلب بين يدي يزيد بن عبد الملك المَعَارِكِ
وعبد الله ، والمغيرة ، والمفضل ، ومنجاب أولاد يزيد بن المهلب ودُوَّة^(٢)
والحجاج ، وعُتْسَان ، وشبيب ، والفَضْل أولاد المفضل بن المهلب ، والمفضل
ابن قبيصة بن المهلب .

قال : وأما أبو عُيَيْنَةَ بن المهلب فأرسلت هند بنت المهلب إلى يزيد
ابن عبد الملك في أمانيه فأمنته ، وبقي عمرو^(٣) وعثمان حتى ولى أسد
ابن عبد الله القسري خراسان ، فكتب إليهما بأمانهما ففقدما خراسان .

• • •

وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ،
وهو عامل المدينة ، وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد
ابن أسيد ، وعلى الكوفة عبد الحميد ، وعلى قضائها الشَّعْبِي ، وعلى
خراسان عبد الرحمن بن نعيم .

(١) في الكامل : طف . وأظت به رجمي : رقت .

(٢) هذا في ك . والفيط في د . وفي الكامل : ودريد .

(٣) في الكامل : عمر .

سنة الثنتين ومائة :

ذكر ولاية مسلمة بن عبد الملك العراق وخراسان

وعزله وولاية عمر بن هُبَيْرَة

قال : ولما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حَرْبِ ابن المهلب جمع له أخوه يزيد ولاية الكوفة والبصرة وخراسان ، فأقر محمد بن عمرو ابن الوليد على الكوفة ، وبعث إلى البصرة عبد الرحمن بن سليم^(١) الكلبي ، وعلى شرطتها عمرو بن يزيد التميمي ، فأراد عبد الرحمن أن يستعرض أهل البصرة ويقتلهم ، فنهاه عمرو واستعمله عشرة أيام ، وكتب إلى مسلمة بالخبر فعزله ، واستعمل على البصرة عبد الملك بن يشربن مروان ، واستعمل على خراسان سعيد بن عبد العزيز ابن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، وهو الذى يُقال له سعيد خُدَيْنَة^(٢) ، وإنما لُقِبَ بذلك لأنه كان رجلاً لِيناً مُنْعَمًا ، فدخل عليه بغض ملوك العجم وسعيد في ثياب مصبغة وحوله مرافق مصبغة ، فلما خرج من عنده قالوا له : كيف رأيت الأمير . قال : خُدَيْنَة^(٢) . فلقب خُدَيْنَة^(٢) ، وهى الدهقانة ربة البيت .

وكان سعيد زوج^(٣) ابنة مسلمة ، فلذلك استعمله ، ففزع سعيد الصغد كما تقدم .

قال : ولما ولى مسلمة العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيئا ، فأراد يزيد عزله فاستحى من ذلك ، فكتب إليه أن استخلف على عَمَلِك ، وأقبل . فلما قدم لقيه عمر بن هُبَيْرَة الفزائى بالطريق

(١) فى الكامل : سليمان . والمثبت فى الطبرى أيضا .

(٢) هذا فى د . د . وفى الطبرى والكامل : خُدَيْنَة - بالذال المعجمة .

(٣) فى الكامل : تزوج .

على قَوَابِ البزید ، فسأله عن مقدمه ، فقال : وَجَّهْنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 فِي حِيَاظَةِ أَمْوَالِ بَنِي الْمُهَلَّبِ . وَلَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَزِيدُ
 قَدْ اسْتَعْمَلَهُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ حَتَّى أَتَاهُ عَزْلُ ابْنِ هُبَيْرَةَ عُمَالَهُ وَالْفِلَظَةَ عَلَيْهِمْ ،
 وَكَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ قَبْلَ ذَلِكَ بِبَلَى الْجَزِيرَةِ .

ذِكْرُ الْبَيْعَةِ لِهَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

وَالْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بُولَابَةِ الْمَهْدِ

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَرَادَ يَزِيدُ أَنْ يَأْخُذَ الْبَيْعَةَ لِابْنِهِ الْوَلِيدِ ، فَقَالَ [لَهُ] ^(١)
 مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : إِنْ أَبَيْتَ لَمْ يَبْلُغِ الْحُكْمَ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالْبَيْعَةِ
 لِهَشَامِ ، فَفَعَلَ ، وَبَايَعَ لِهَشَامِ بُولَابَةَ الْمَهْدِ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِابْنِهِ
 الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، وَعُمُرُهُ يَوْمَئِذٍ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً . ثُمَّ عَاشَ يَزِيدُ
 حَتَّى بَلَغَ ابْنُهُ الْوَلِيدُ الْحُلُمَ ، فَكَانَ يَزِيدُ إِذَا رَأَاهُ يَقُولُ : اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ
 مَنْ جَعَلَ هَشَامًا بَيْنِي وَبَيْنَكَ .

ذِكْرُ مَقْتَلِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ

كَانَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ اسْتَعْمَلَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ
 فِي سَنَةِ [٥١٠] إِحْدَى وَمِائَةٍ ، فَفُتِلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسِيرَ فِي أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةٍ بِسِيرَةِ الْحِجَابِ
 فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ سَكَنُوا الْأَمْصَارَ مِنْ [كَانَ] ^(٢) أَصْلَهُ مِنْ
 السُّوَادِ مِنْ أَهْلِ الذَّمَّةِ ، فَإِنَّهُ رَدَّهُمْ إِلَى قُرَاهِمَ ، وَوَضَعَ عَلَيْهِمُ الْجَزِيَّةَ
 عَلَى مَا كَانُوا ^(٣) عَلَيْهِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ . فَلَمَّا عَزَمَ يَزِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى ذَلِكَ

(١) لَيْسَ فِيهِ . (٢) زِيَادَةُ مِنَ الطَّبَرِيِّ وَالْكَامِلِ .

(٣) فِي الطَّبَرِيِّ : وَوَضَعَ الْجَزِيَّةَ عَلَى وَقْفِهِمْ عَلَى نَحْوِ مَا كَانَتْ تَتَوَخَّذُ مِنْهُمْ
 وَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ .

اجتمع رأى أهل إفريقية على قتله ، فقتلوه وولّوا عليهم الوالى الذى كان قبله ، وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار ، وكتبوا إلى يزيد ابن عبد الملك : إنا لم نخلع أيلينا من طاعة ، ولكن يزيد بن أبى مسلم سامنا مالا يرضاه الله والمسلمون ، فقتلناه ، وأعدنا عاملك . فكتب إليهم : إنه لم يرض بما صنع . وأقر محمد بن يزيد على عمله . وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك ، وهو عامل المدينة .

سنة (١٠٣ هـ) ثلاث ومائة :

ذكر استعمال سعيد الحرشى على خراسان

وعزل سعيد خُذَيْنَةَ ^(١) عنها

فى هذه السنة عزل عمر بن هُبَيْرَةَ سَعِيدَ خُذَيْنَةَ ^(١) عن خراسان بشكوى المُجَشَّرِ بْنِ مُزَاحِمِ السُّلَمِى ، وعبد الله بن عُمَيْرِ اللَّيْثِ ، واستعمل سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو الْحَرَشِى ، من بَنى الْحَرِثِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ ابن عامر بن صعصعة ، وكان خُذَيْنَةَ ^(١) بباب سَمَرْقَنْدَ ، فبلغه عزله فرجع وقدم الْحَرَشِىَّ خُراسان فلم يعرض لعمال خُذَيْنَةَ ^(١) . وقرأ رجلٌ عنده فلحن فيه ، فقال : صه ، مهما سمعتم فهو من الكاتب ، والأَمِيرُ منه بَرىء .

وخطب الناس وحثهم على الجهاد ، وقال : إنكم لا تفانلون بكثرة [ولا بعدة] ^(٢) ، ولكن ينصر الله وعز الإسلام ، فقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) فى الكامل والطبرى : خذينة .

(٢) من الطبرى والكامل .

وقال^(١) :

فلست لعائير إن لم تَرَوْني أمام الخيل أظمن^(٢) بالعوالى
وأضرب^(٣) هامة الجبار منهم يعضب الحدَّ حودث بالصقال^(٤)
فما أنا في الحروب بمستكين ولا أخشى مُصاولَةَ الرِّجالِ
أبى لى والذى مِن كُلِّ دَمٍ وخالى في الحوادث غيرُ خالى
فهابه الصُّغد ، وكان من قتاله إياهم وقتلهم ما ذكرناه .

ولما ظفر بهم كتب إلى يزيد بن عبد الملك ولم يكتب إلى ابن هُبيرة
فوجد عليه .

وفيها جُمِعت مكة والمدينة لعبد الرحمن بن الضحاك ، وولى عبد الواحد
ابن عبد الله النَّضرى الطائف .
سنة (١٠٤ هـ) اربع ومائة :

ذكر عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن مكة والمدينة

وولاية عبد الواحد

وفى هذه السنة عزَّل يزيدُ بنُ عبد الملكَ عبدَ الرحمن بن الضحاك
عن مَكَّة والمدينة .

وسبب ذلك أن عبدَ الرحمن خطب فاطمة بنت الحسين بن علي
رضي الله عنهما ، فقالت : ما أريدُ النكاح ، ولقد قعدتُ على بنى
هؤلاء ، فألحَّ عليها ، وقال : لئن لم تَفْعَلِي لأَجْلِدَنَّ أَسْبَرَ بنيك في

(١) الكامل : ٤ - ١٨٣ ، والطبرى : ٦ - ٦٢١

(٢) فى ك : بطن . وفى الكامل : نطن . والمثبت فى الطبرى أيضاً .

(٣) فى الطبرى : فأضرب .

(٤) فى ك : بانصقال . والمثبت فى الكامل والطبرى .

الخير ، يعنى عَبْدُ اللَّهِ بن الحسن بن الحسن بن علي ، وكان علي
الديوان بالمدينة ابْنُ هرمز رجل من [أهل] (١) الشام ، وقد رفع
حسابه ، وهو يريد أن يسير إلى يزيد ، فدخل على فاطمة يودعها ،
فقالت : تُخَيِّرُ أميرَ المؤمنين بما ألقى من الضحك .

وبعثت رسولا بكتابٍ إلى يزيد يُخبره بذلك . فقدم ابنُ هرمز
[على يزيد] (١) ، فاستخبره عن المدينة ، وقال : هل من مُغَرَّبَةٍ خَبر؟
فلم يذكر شأنَ فاطمة ، فقال الحاجب ليزيد : بالباب رسول من فاطمة
بنت الحسين . فقال ابنُ هرمز : إنها حملتني رسالةً ، وأخبره الخبر ،
فنزل عن فراشه ، وقال : لا أمُّ لك ! عندك هذا وما تخبرني !
فاعتذر بالنسيان ، فأذن (٢) لرسولها ، فأدخل ، وقرأ كتابها ، وجعل
يضرب بخيزران في يده ، ويقول : لقد اجترأ ابْنُ الضحَّاك ، هل من
رجل يُسمِعني صَوْتَه في العذاب ؟ قيل له : عبد الواحد بن عبد الله
النضري . فكتب إليه بيده :

قد ولَّيتك المدينة ، فاهبط إليها ، واعزل عنها ابْنُ الضحَّاك ، وأغرمه
أربعين ألف دينار ، وعذِّبه حتى أسمع صَوْتَه ، وأنا على فراشي .
وسار البريدُ بالكتاب ، ولم يدخل على ابْنِ الضحَّاك ، فأحسَّ
وأحضر البريد ، وأعطاه ألف دينار ليُخبره الخبر ، فأخبره ، ففساد
ابْنُ الضحَّاك مُجِدًّا فنزل على مسلمة بن عبد الملك ، فاستجابه ،
فحضر مسلمة عند يزيد ، فطلب إليه حاجةً جاء لها ، فقال : كلُّ

(١) من الكامل والطبرى .

(٢) في د : وأذن .

حاجة هي لك إلا ابنُ الضحَّاك . فقال : هي والله ابنُ الضحَّاك . فقال :
والله لا أُعْفيهِ أبداً .

ورده إلى عبد الواحد بالمدينة فعذَّبَهُ ، ولبس جُبَّةً صوف ، فسأل
الناس :

وكان قدوم النضرى في شوال سنة [١٠٤هـ] أربع مائة ، فأحسن
السيرة في الناس ، وكان ابنُ الضحَّاك قد آذى ^(١) الأنصار طراً ،
فأعفاهم الله منه .

وفيهما عزل عمر بنُ هُبَيْرَة سعيِّدا الحرثي عن خراسان وولأها
مسلم بن سعيِّد بن أسلم بن زُرْعَة الكلَّابي ، وسببُ ذلك أن الحرثي
كان يستخفُّ بابنِ هُبَيْرَة فعزَّله وعذَّبَه حتى أدَّى الأموال .
وحج بالناس في هذه السنة عبدُ الواحد النضرى .

سنة (١٠٥ هـ) خمس مائة :

ذكر أخبار الخوارج في أيام يزيد بن عبد الملك

وهؤلاء الخوارج الذين نذكرهم ذكرهم ابنُ الأثير ^(٢) في حوادث
هذه السنة ، ولم يذكر أنهم خرجوا فيها ، فقال ^(٢) :

وفي أيام يزيد خرج حروري اسمه عَقْفَان في ثلاثين رجلاً ،
فأراد يزيد أن يرسل إليه جُنُوداً يقاتلونه ، فقبل له : إن قُتِلَ بهذه
البلاد اتخذها الخوارجُ دار هِجْرَةٍ ، والرأي أن تبعثَ إلى كلِّ رجل
من أصحابه رجلاً من قومه يكلمه ويردُّه . ففعل ذلك ، فرجعوا وبقي

(١) في الظهري : قد عادى الأنصار .

(٢) صفحة ١٨٩ جزء رابع .

عُقْفَان وخذهُ ، فبعث إليه يزيد أخاه فاستعطفه وردّه ^(١) .

فلما ولي هشام بن عَبْدِ الملك وَلَاه أمر العُصَاة ، فقدم ابْنُهُ من خراسان عاصياً ، فشده وثاقاً ، وبعث به إلى هشام ، فأطلقه لأبيه ، وقال : لو خائنًا عُقْفَان لَكُم أمر ابنه ، واستعمل عُقْفَان على الصدقة فبقى إلى أن توفى هشام .

وخرج مسعود بن أبى زينب ^(٢) العبدى بالبَحْرَيْن على الأشعث ابن عَبْدِ الله بن الجَارُود ، ففارق الأشعث البَحْرَيْن ، وسار مسعود إلى اليمامة وعليها سُفْيَان بن عمرو العُقَيْلى من قِبَل ابْنِ هُبَيْرَة ، فخرج إليه سُفْيَان فاقتتلوا بالخُضْرَمَة ^(٣) قِتَالاً شديداً ، فقتل مسعود ، وقام بأمر الخوارج بعده هلال بن مُذَلِّج ، فقاتلهم يومه كله ، فلما أمسى تفرق عنه أصحابه ، وبقي فى نَفَرٍ يسير ، فدخل قَصْراً فتحصن به ، فنصبوا عليه السلايل ، وصعدوا إليه فقتلوه .

وقيل : إن ^(٤) مسعوداً غلب على البَحْرَيْن واليمامة تسع عشرة سنة حتى قتله سُفْيَان بن عمرو . [والله أعلم] ^(٥) .

وخرج مصعب بن محمد الوالى ، وكان من رؤساء الخوارج ، فطلبه عُمر بن هُبَيْرَة ، وطلب معه مالك بن الصُّعْب وجابر بن سَعْد ، فخرجوا واجتمعوا بالخَوَزَنَق ، وأمرُوا عليهم مصعباً ، فاستمر

(١) فى الطبرى : فردّه .

(٢) فى ك : بن أبى زيد . والمتبى فى د ، والكامل .

(٣) الخُضْرَمَة — بكسر الخاء ، وسكون الضاد المجمة وكسر الراء (الكامل :

٤ — ٦٩٠) . وفى ك : بالخُضْرَمَة .

(٤) فى ك : إن ابن مسعود — تحريف .

(٥) زيادة فى د .

إلى أن ولى خالد القسرى العراق في أيام هشام ، قبعث إليهم جيشاً ، وكانوا قد صاروا بحزة^(١) من أعمال الموصل ، فالتقوا واقتتلوا ، فقتل الخوارج .

وقيل : كان قتلهم في أيام يزيد . والله أعلم .

ذكر وفاة يزيد بن عبد الملك

وشيء من أخباره

كانت وفاته بحوران^(٢) لخمس بقين من شعبان سنة [١٠٥] خمس ومائة ، وله أربعون سنة .

وقيل خمس وثلاثون . وقيل : غير ذلك .

وكانت خلافته أربع سنين وشهراً . وكان جميلاً أبيض جسيماً مدوراً الوجه شديد الكبير عاجز الرأى ، وكان صاحب لهر ، وهو أول من اتخذ القيان من بنى أمية ، وكان يهوى جاريتين ، وهما حبابة وسلامة ، وهى سلامة القس ، وقال يوماً - وقد طرب : دعوى أطير . فقالت حبابة : على^(٣) من تدع الأمة ؟ فقال : عليك . وغتت يوماً^(٤) :

بين التراقي واللهاة حرارة ماتطنن وما تسوغ فتبرد فاهوى ليطير ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن لنا فيك حاجة .

(١) حزة : موضع بين نصيبين ورأس عين على الخابور وبليدة قرب إربل من أرض الموصل (ياقوت) .

(٢) حوران - بالفتح : كورة واسعة من أعمال دمشق ، وفي الطبرى . كانت وفاته بيلقاء من أرض دمشق .

(٣) في الطبرى : إلى من تدع ... (٤) الطبرى : ٧ - ٢٣

فقال : والله لأطيرن . فقالت : فعلى من تخلف الأمة والمُلك ؟ فقال ^(١) :
عليك والله . وقبّل يدها .

وخرجت معه إلى ناحية الأزدن للتنزه فرماها بحبة عنب فدخلت
حلقها فشرقت ومرضت وماتت ، فتركها ثلاثة أيام لا يذفنّها حتى
أنتنت ، وهو يقبلها ويشمّها وينظر إليها ويبكى ، فكلم في أمرها
فدفنها .

وقيل : إنه نبشها بعد دفنّها ، وبقي سبعة أيام لا يظهر للناس ،
وأشار ^(٢) عليه مسلمة بذلك لثلا يظهر منه ما يسفّه عندهم .

قال : وكان يزيد قد حجّ أيام أخيه سليمان ، فاشتري حباية
بأربعة آلاف دينار ، وكان اسمها الغالية ^(٣) ، فقال سليمان : لقد
هممت أن أحجر على يزيد . فردّها يزيد فاشتراها رجل من أهل مصره
فلما أفضت الخلافة إلى يزيد قالت له امرأته سعدة يوما : هل بقى
من الدنيا شيء تتمناه ؟ قال : نعم ، حباية ، فأرسلت فاشتريتها ،
وأنت بها فأجلستها من وراء الستر ، وأعادت عليه القول الأول .
فقال : قد أعلمتك ، فرفعت الستر ، وقالت : هذه حباية ، وقامت
وتركتها ، فحظيت سعدة عنده ، وأكرمها .

وهي سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان .

قال : وإنما قيل لسلامة القس ، لأن عبد الرحمن بن عبد الله [ابن] ^(٤)

(١) في د : قال .

(٢) في د : أشار .

(٣) في الطبرى والكامل : الماية . وفي ك : الغالية . والمثبت في د أيضا .

(٤) ليس في ك .

أبي عمار أحد بنى جُثَمَ بن معاوية بن بكر كان فقيها عابداً مجتهداً في العبادة ، وكان يسمى القس لعبادته . مر يوماً بمنزل مولاه ، فسمع غناءها ، فوقف يسمعه فراه مولاه ، فقال له : هل لك أن تنظر وتسمع ! فإني ، فقال : أنا أفعلها بمكان لا تراها وتسمع غنامها . فدخل معه فغنت ^(١) ، فأعجبه غناها . ثم أخرجها مولاه إليه فشغف بها وأحبها وأحبته . فقالت له يوماً على خطوة : أنا والله أحبك . قال : وأنا والله . قالت : وأحب أن أقبلك . قال : وأنا والله . قالت : وأحب أن أصح بطنى على بطنك . قال : وأنا والله . قالت : فما يمنعك ؟ قال : قوله تعالى ^(٢) : « الإخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » . وأنا أكره أن تثول ^(٣) خلقتنا ^(٤) إلى عداوة ، ثم قام وانصرف عنها وعاد إلى عبادته . وله فيها أشعار كثيرة منها قوله :

ألم تره لا يبعد الله دارها إذا طربت في صوتها كيف تصنع
تمد نظام القول ثم تردده إلى صلصل من صوتها يترجع

وله فيها غير ذلك .

وأما يزيد فأخبره مع سلامة وحباثة كثيرة مشهورة أضربنا عن ذكر كثير منها .

معين التارح
لأهل التارح

(١) في د ، والكامل : فغنت .

(٢) سورة الزخرف ، آية ٦٧ .

(٣) في ك : أن تكون .

(٤) الخلة - بالضم : الصداقة المختصة لا خلل فيها .

فلنذكر خلاف ذلك من أخباره :

وكان له من الأولاد الذكور ثمانية ، [منهم ^(١) عبد الله ، والوليد .
كُتِبَ : عمر بن هُبَيْرَة ، ثم إبراهيم بن جبلة ، ثم أسامة بن زيد
السَّليحي .

قاضيته : عبد الرحمن بن الحُشْحاس وغيره .

حُجَّابُه : سعيد وخالد موليَّاه .

نقش خاتمه : قِنِي السَّبِيثَاتِ بِاعْزِيز .

الأمير بمصر : بشر بن صَفْوَان .

وأقرَّ أبا مسعود على القضاء ، ثم ولى إمارة مصر حَنْظَلَةَ بن صفوان
أخا بشر ، وسار بشر إلى إفريقية . وولى مصر أيضاً في خلافته أسامة
ابن زَيْد ، والله أعلم .

ذكر بيعة هشام بن عبد الملك

هو أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مَرْوَان بن الحَكَم ، وأمه
أم هشام فاطمة ، وقيل : عائشة بنت هشام المخزومي ، وهو العاشر
من ملوك بني أمية .

يبيع له لخمس بقين من شعبان سنة [١٠٥هـ] خمس ومائة
بعد وفاة أخيه . أُنْتُه الخِلافة وهو بالرَّصَافَة ^(٢) ، [فجاءه البريد بالخاتم

(١) ليس في ك .

(٢) في الطبري : ذكر محمد بن عمر عن حدثه أن الخِلافة أتت هشاماً وهو بالزيتونة
في منزله في دوبرة هناك .

والقَضِيبِ وسلم عليه بالخلافة [(١)] ، فركب منها ، حتى أتى دِمَشْقَ ،
وكان من أول ما ابتدأ به أَنْ عَزَلَ عُمَرَ بْنَ مُبَيَّرَةَ عن العِرَاقِ ، واستعمل
خالد بن عَبدِ اللَّهِ القَسْرِي ، وذلك في شَوالٍ من السَنة . ولتبدأ بِذِكْرِ
الغزواتِ والفتوحاتِ في أيامه :

ذكر الغزوات والفتوحات

في أيام هشام بن عبد الملك على حُكْمِ السنين
في سنة [٥١٠هـ] خمس ومائة غزا الجراح الحَكَمِيُّ اللان (٢)
حتى جازَ ذلك إلى مدائن وحصون وراء بَلَنْجَر ، ففتح بَغْضَ ذلك
وأصاب غنائم كثيرة .
وغزا سَعِيدُ بن عَبدِ الملك أَرْضَ الرُّومِ ، فبعث سَريَّةً في نحو ألف
مقاتل فأصيبوا جميعاً .
وغزاه مُسْلِمُ بن سَعِيدٍ الكِلَابِيُّ أميرُ خُرَاسانِ التُّركَ بما وراء النهر فلم
يفتح شيئاً ، وقفل فاتبعه التُّركُ فلحقوه ، والناس يَغِيرُونَ جِيحُونَ ،
وعلى الساقة عُبَيْدُ اللَّهِ بن زهير بن حِثَّانٍ على خيل (٣) تميم ، فحاموا حتى
عَبِرَ الناس .
وغزاه مُسْلِمُ أَفْشِينَ (٤) ، فصالح أهلها على ستة آلاف رأس ، ودفع
إليه القلعة .
وغزاه مَرْوَانُ بن محمد الصائفة اليُمُنِيُّ ، فافتتح قُوْنِيَّةً من أرض
الرُّومِ ، وكمخ (٥) . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) ليس في ك .

(٢) اللان: بلاد واسعة في طرف إفريقية بقرب باب الأبواب (فتوح البلدان) .

(٣) في ك : جبل .

(٤) هذا في الكامل . وفي الطبري: أفشينة ، وقال : هي مدينة من مدائن السفند .

(٥) في د ، ك : الروكخ . والمثبت في الكامل ، وياقوت .

ذكر غزوة مسلم الترك

وفي سنة [١٠٦هـ] ست ومائة غزا مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرْعَة الترك ، فقطع النهر ، فلما بلغ بُخَارَى أَنَاهُ كتاب خالد الْقَسْرَى بولايته العراق ، ويأمره بإتمام غزاته ، فسار إلى قَرْغَانَة ^(١) ، فلما وصلها بلغه أَنَّ خاقان قد أَقبل إليه ، فارتحل ، فسار ثلاثَ مراحل في يومٍ ، وأقبل إليهم خاقان ، فلقى طائفةً من المسلمين ، فقتل جماعةً منهم ، وأصاب دوابَّ لمسلم ، ورحل مُسلم بالناس ، فسار ثمانيةَ أَيامٍ والترك يُطِيفُونَ ^(٢) بهم ، وأحرقَ الناسُ ما نُقلَ عليهم من أثقالهم ، فحرقوا ما قيمته ألف ألف ، ونزل مسلم في الليلة التاسعة ، وأصبح فسار فوردَ النَّهْرَ وأقام ^(٣) يوماً ثم قطعه من الغد ، واتبعهم ابنُ لَخَاقَانَ ، فعطف حُمَيْدُ ابن عبد الله وهو على السَّاقَةِ على طائفةٍ من الترك نحو المائتين فقاتلهم ، فَأَسْرَ أَهْلَ الصُّغْدِ وقائدهم وقائد الترك في سبعة ، ومضى البقية . ورجع حُمَيْدُ فَرُمِيَّ بِنُشَابَةِ في ركبته فمات .

وعطش الناس في هذه الْغَزْوَةِ عطشاً شديداً وأتوا حُجْنَدَةَ وقد أصابتهم مَجَاعَةٌ وَجَهْدٌ ، فانتشر الناسُ . وجاء عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن نُعَيْمٍ عَهْدُهُ على خراسان من قبل أسد بن عبد الله أَخِي خالد الْقَسْرَى : فَأَقْرَأَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مسلماً ، فقال : سَمِعًا وطاعة .

قال بعض من شهد هذه الغزوة ، قاتلنا الترك فَأَحَاطُوا بنا حتى

(١) قرغانة : مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان (ياقوت) .

(٢) في د : مطيفون .

(٣) في د : فأقام .

أيقنَّا بالمهلاك ، فحمل حوْثرة بن يزيد بن الحرْبَن الحُثَيْف على الترك في أربعة آلاف ، فقاتلهم ساعة . ثم رجع ، وأقبل نصر بن سيار في ثلاثين فارسا فقاتلهم حتى أزالهم عن مواقيفهم ، وحمل عليهم الناس ، فانهزم الترك ، وقفل عَبْدُ الرحمن بالناس ومعه مُسلم .

وغزا سعيد بن عبد الملك الصائفةَ في هذه السنة .

وغزا الجراح بن عَبْدَ الله اللَّان (١) ، فصالح أهلها وأدوا الجزية .

ذكر غزاة عنبسة الفرنج بالاندلس

وفي سنة [١٠٧هـ] سيع ومائة غزا عُنْبَسَة بنُ مُسَحِّم الكَلْبِي عاملُ الأندلس بلدَ الفرنج في جنم كثير ، فنازل (٢) مدينةَ برشلونة ، وحصر أهلها ، فصالحوه على نصف أعمالها ، وعلى جميع مافي المدينة من أسرى المسلمين وأسلابهم ، وأن يعطوا الجزية ويلتزموا بأحكام الذمة .

وفيها غزا أسدُ بنُ عَبْدَ الله أمير خراسان القور ، وهي جبال هراة ، فعمد أهلها إلى أنفقالهم فصبروها في كهف ليس إليه طريق ، فأمر أسد باتخاذِ توابيت ، ووضع فيها الرجال ، ودلأها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه .

وفيها غزا الحارث بن عمرو الطائي التُّركَ من جهة أرمينية فافتتح دُستاقا من بَلَدِ التُّرك وقرى كثيرة وأثر أثرا حسنا .

وفي سنة [١٠٨ هـ] ثمان ومائة قطع أسدُ بن عَبْدَ الله الشَّهر ،

(١) اللَّان : بلاد واسعة في طرف أرمينية (باقوت ، والفنوح) .

(٢) في الكامل : ونازل .

وأناه خاقان ، فلم يكن بينهما قتال ، ثم مضى أسد إلى غوريان^(١) ،
فقاتلهم يوما ، ثم اقتتلوا من الغد فانهزم المشركون ، وحوى المسلمون
عسكرهم ، وظهروا على البلاد ، وأسرُوا وسبُوا وغَنِمُوا .
وفيها غزا مسلمة^(٢) بن عبد الملك الرومَ مما يلي الجزيرة ففتح
قيسارية ، وهى مدينة مشهورة .

وغزا إبراهيم بن هشام ففتح حصنًا من حصون الروم .
وفيها هار ابن خاقان ملك الترك إلى أذربيجان ، فحصر بعض
مدنها ، فנסار إليه الحارث بن عمرو الطائي ، فالتقوا واقتتلوا فانهزم
الترك وتبعهم الحارث حتى عبر نهر رُوس^(٣) ، فعاد إليه ابن خاقان
فجاودوا^(٤) الحرب أيضا ، فانهزم ابن خاقان ، وقتل من الترك خلق
كثير .

وغزا معاوية بن هشام بن عبد الملك ومعه ميمون بن مهران على
أهل الشام فقطعوا البحر إلى قبرس .

وغزا البر مسلمة بن عبد الملك بن مروان .
وفى سنة تسع ومائة غزا عبد الله بن عقبة الفهرى فى البحر ،
وغزا معاوية بن هشام أرض الروم ، ففتح حصنا يقال له^(٥) طيبة ،

(١) فى ك ، د ، غورين . وفى الكامل : الغوريين . وفى ياقوت : غوريان .
بالضم ثم السكون ، ثم راء مكسورة وباء مثناة من تحت وآخره نون : من قرى مرو .

(٢) فى ك : معاوية . والمثبت فى الكامل والطبرى .

(٣) هذا فى ك ، د .

(٤) فى الكامل : فجاود .

(٥) فى النجوم الزاهرة : الطيبة . والمثبت فى الكامل أيضا .

وغزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية أذربيجان فغنم وسبى وعاد.
وغزا بشر بن صفوان عامل إفريقية جزيرة صقلية ، فغنم شيئا
كثيرا ، ثم رجع إلى القيروان فتوفى من سنته . واستعمل هشام
عبيدة^(١) بن عبد الرحمن بن أبي الأغر التلمسى .

ذكر خبر أشرس بن عبد الله السلمى أمير خراسان

وأهل سمرقند وغيرها بما وراء النهر وما يتصل بذلك من الحروب
في سنة [١١٠] عشرة ومائة أرسل أشرس إلى أهل سمرقند
وغیرها بما وراء النهر يذعوهم إلى الإسلام ، على أن توضع عنهم
الجزية ، وأرسل في ذلك أبا الصيداء^(٢) صالح بن طريف^(٣)
مولى بى ضبة والربيع بن عمران التميمي ، فقال أبو الصيداء :
إنما أخرج على شريطة أنه^(٤) من أسلم لا يؤخذ منه الجزية ، وإنما
خراج خراسان على رؤوس الرجال . فقال أشرس : نعم ، فنشخص
إلى سمرقند وعليها الحسن بن أبي العمرة^(٥) الكندي ، فدعا
أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها إلى الإسلام ، على أن توضع
عنهم الجزية ، فسارع الناس إلى الإسلام ، فكتب إلى أشرس :
إن الخراج قد انكسر . فكتب أشرس إلى ابن أبي العمرة^(٥) :
إن في الخراج قوة للمسلمين : وقد بلغني أن أهل الصغد وأشباههم

(١) في ك : عبدة . والمثبت في الكامل أيضا .

(٢) في ك : أبا الصيداء وصالح . والمثبت في الكامل والطبرى .

(٣) في ك : طريف .

(٤) في د ، والطبرى : أن .

(٥) في ك : د : الحسن بن العمرة . والمثبت في الكامل والطبرى وفنوح البلدان .

إِنَّمَا أَسْلَمُوا تَعَوُّذًا مِنَ الْجَزْيَةِ ، فَانْظُرْ مِنْ اخْتِئَنَ وَأَقَامَ الْفَرَائِضَ ،
وَقَرَأَ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ فَارْتَفَعَ خَرَّاجُهُ ، ثُمَّ عَزَلَ أَشْرَسَ ابْنَ أَبِي
الْعَمْرُطَةَ عَنِ الْخُرَاجِ ، وَصَيَّرَهُ إِلَى هَانِيءَ بْنِ هَانِيءَ ، فَمَنْعَهُمْ أَبُو الصَّيْدَاءِ
مَنْ أَخَذَ الْجَزْيَةَ مِمَّنْ تَلَفَّظَ بِالْإِسْلَامِ ، وَكُتِبَ هَانِيءُ إِلَى أَشْرَسَ :
إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا وَبَنَوْا الْمَسَاجِدَ .

فَكُتِبَ أَشْرَسَ إِلَيْهِ وَإِلَى الْعَمَالِ : خُلُوا الْخُرَاجَ مِمَّنْ كُنْتُمْ
تَأْخُلُونَهُ عَنْهُ ، فَأَعَادُوا الْجَزْيَةَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ ، فَامْتَنَعُوا ، وَاعْتَزَلُوا
فِي سَبْعَةِ آلَافٍ عَلَى عِدَّةِ فَرَسٍ مِنْ سَمَرْقَنْدَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ
أَبُو الصَّيْدَاءِ وَرَبِيعُ بْنُ عِمْرَانَ ، وَالْهَيْثَمُ ^(١) الشَّيْبَانِيُّ ، وَأَبُو فَاطِمَةَ
الْأَزْدِيُّ ، وَعَامِرُ بْنُ قُشَيْرٍ ، وَبِشِيرُ الْخُجَنْدِيُّ ^(٢) ، وَبَيَانَ الْعَنْبَرِيُّ ،
وَأِسْمَاعِيلُ بْنُ عُقْبَةَ لِيَنْصُرُوهُمْ ، فَعَزَلَ أَشْرَسَ ابْنَ أَبِي الْعَمْرُطَةَ
عَنِ الْحَرْبِ ، وَاسْتَعْمَلَ مَكَانَهُ الْمُجَشَّرَ بْنَ مَزَاحِمَ السُّلَمِيِّ ،
فَكُتِبَ الْمُجَشَّرُ إِلَى أَبِي الصَّيْدَاءِ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ،
فَقَدَّمَ أَبُو الصَّيْدَاءِ وَثَابِتَ قُطْنَةَ فَحَبَسَهُمَا ، وَاجْتَمَعَ أَصْحَابُ
أَبِي الصَّيْدَاءِ وَوَلَّوْا أَمْرَهُمْ أَبَا فَاطِمَةَ لِيَقَانِلُوا هَانِيءَ ، فَقَالَ لَهُمْ :
كَفُّوا حَتَّى نَكْتُبَ إِلَى أَشْرَسَ .

فَكُتِبُوا إِلَيْهِ ، فَكُتِبَ أَشْرَسَ : ضَعُّوا عَنْهُمْ الْخُرَاجَ . فَرَجَعَ
أَصْحَابُ أَبِي الصَّيْدَاءِ وَضَعُفَ أَمْرُهُمْ ، فَتَتَبَعَ الرُّوسَاءُ فَأَخَذُوا وَحَلَّلُوا
إِلَى مَرْوَ . وَأَلْحَ هَانِيءُ فِي الْخُرَاجِ ، وَاسْتَخَفُّوا بِعِظَمَاءِ الْعَجَمِ وَالدَّهَاقِينِ ،
وَأَخَذُوا الْجَزْيَةَ مِمَّنْ أَسْلَمَ ، فَكَفَّرَتِ الصُّفْدُ وَيُخَارَى ، وَاسْتَجَاشُوا

(١) فِي الطَّبَرِيِّ : وَالْقَاسِمُ . وَالتَّبَيُّتُ فِي الْكَامِلِ أَيْضًا .

(٢) فِي كَ : الْحُجَنْدِيُّ ، وَالتَّبَيُّتُ فِي الْكَامِلِ وَالطَّبَرِيُّ .

الترك، وخرج أشرس غازياً ، فنزل آمل ، فأقام ثلاثة أشهر .
وقدِمَ قَطَنُ بْنُ قُتَيْبَةَ بْنِ مَسْلَمٍ ، فعبرَ النهرَ في عشرة آلاف ،
وأقبل أهل الصغد ويُخَارَى معهم خاقان والترك ، فحاصروا قُطْنَةَ
في خندقه ، وأرسل خاقان مَنْ أَغَارَ عَلَى سَرْحِ النَّاسِ ، فَأَخْرَجَ
أشرس ثابت قُطْنَةَ بكفالة عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَيْطَامَ بْنِ مَسْعُودٍ ، فوجهه
مع عبد الله بن بسطام في خَيْلٍ^(١) ، فقاتلوا الترك بِأَمَلٍ حَتَّى اسْتَنْقَلُوا
مَا كَانَ بِيَدِهِمْ ، وَرَجَعَ التُّرُكُ .

ثم عبر أشرس بالناس إلى قَطَنَ ، وبعث مَرِيَّةً مع مسعود أحد
بنى حَيَّانَ ، فلقيهم العدو فقاتلهم ، فقتل رجالاً من المسلمين ،
وهُزِمَ مَسْعُودٌ . فرجع إلى أشرس .
وأقبل العدو ، فلقيهم المسلمون ، فجالوا جَوْلَةً ، فقتل رجالاً من
المسلمين .

ثم رجع^(٢) المسلمون فصبروا ، فهزم الله المشركين ،
وسار أشرس بالناس حتى نزل بِيَكْنَدَ^(٣) ، فقطع عنهم العدو الماء ،
وأقام المسلمون يوماً وليلة ، وعطشوا ، فرحلوا إلى المدينة التي قطع
العدو بها الماء ، وعلى المقدمة قَطَنُ بْنُ قُتَيْبَةَ ، فلقيهم العدو ، فقاتلهم ،
فجهدوا من العطش ، فمات منهم سبعمائة ، وعجز الناس عن القتال ،
فقال الحارث بن سُرَيْجٍ^(٤) للناس : الْقَتْلُ بِالسَيْفِ أَكْرَمُ

(١) في الطبري : في الخيل . (٢) في الطبري : كر .

(٣) بيكند — بالكسر وفتح الكاف وسكون النون . بلدة بين بخارى وجيخون
على مرحلة من بخارى (ياقوت) .

(٤) في ك : شريح . والمثبت في الطبري والكامل . وضبطه ابن الأثير :
بالسين المهملة ، والجيم (٤ - ٢٠٣) .

فى الدنيا وأعظمُ أجرًا عند الله من الموت عطشا ، وتقدم هو وقطن
فى فوارس من تميم فقاتلوا حتى أزالوا الترك عن الماء ، فشرب الناس
واستقوا ، ثم قاتلوا الترك قتالا شديدا ، فقتل ثابت قُطنة فى جماعة
من المسلمين بعد أن أبَلَوْا أعظمَ بلاه وأحسنه .

ثم اجتمع رجالٌ من المسلمين تبايعوا على الموت مع قطن بن
قُتيبة ، وحملوا على العدو فقاتلوهم فكشفوهم ، وركبهم المسلمون
يقتلونهم حتى حجز بينهم الليل ، وتفرق العدو ، وألى أشرس
بُخارى ، فحصر أهلها فعزل وهو يحاصرها بالجُنَيْد بن عبد الرحمن
على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر وقعة كمرجة

قال : ثم إن خاقان حصر كمرجة ^(١) ، وهى من أعظم بلدان
خراسان ، وبها جمعٌ من المسلمين ، ومع خاقان أهل قرغانه
وأفشيينة ^(٢) ، ونسف ، وطوائف من أهل بخارى ، فأغلق المسلمون
الباب ، وقطعوا القنطرة التى على الخندق ، فأتاهم ابن خسرو بن
يزدجرد ، فقال : يا معشر العرب ، لم تقتلون أنفسكم ؟ أنا الذى
جئت بخاقان ليرد على ملكى ، وأنا آخذ لكم الأمان ، فستموه ،
وأتاهم بازغرى ، فقال : إن خاقان يقول لكم : إني أجعل من عطاؤه
منكم ستمائة ألفا ، ومن عطاؤه ثلاثمائة ستمائة ، ويحسن ^(٣)

(١) كمرجة — بفتح أوله وتانيه وسكون الراء والجيم : قرية من قرى الصفد .

(٢) باقوت . وفى ك ، د : شددت الراء المفتوحة .

(٣) والطبرى . وفى قروح البلدان : أفشين .

(٣) فى الكامل : وهو يحسن .

إليكهم وتكونون معه ، فأبوا ذلك ، فأمر خاقانُ بجمع الحطب^(١) الرطب ، وأن يُلْقَى في الخَنْدَقِ ليعبروا عليه . فجمع في سبعة أيام ، فكانوا يُلْقُونَ الحطبَ الرطبَ ، ويُلْقَى المسلمون الحطبَ اليابس حتى سَوَّى الخَنْدَقُ بالأرض ، فأشعل المسلمون فيه النيران ، وهاجت ريحٌ شديدةٌ ، فاحترق الحطبُ الذي جُمِعَ في سبعة أيام في ساعة واحدة ، ثم فرَّق خاقانُ على الترك أغناما ، وأمرهم أن يأكلوها ويَحْشُوا جلودها تَرَابًا ، ويُلْقَوْها في الخَنْدَقِ ، ففعلوا ذلك ، فأرسل الله تعالى مطرًا شديدًا ، فاحتل السيلُ ما في الخَنْدَقِ ، وألقاه في النَّهْرِ الأعظم .

ورمَاهُ المسلمون بالسهامِ فقتِلَ بازغرى وكان داهيةً ، وكان خاقان لا يخالفه ، ففرح المسلمون بقتله ، وكان عند المشركين مائة من أمري المسلمين فيهم أبو الحَوَاجَّاء^(٢) العَتَكِيّ والحجاجُ ابن حميد النضري ، وكان عند المسلمين مائتان من أولاد المشركين رهائن فقتلوه ، واستماتوا واشتدَّ القتالُ .

ثم وقع الاتفاقُ بينهم وبين الترك على أنْ خاقان يَرْحَلَ عن كَمْرَجَة ، ويرحلوا هم عنها أيضًا إلى سمرقند والدَّبُوسِيَّة^(٣) ، فأجاب أهلُ كَمْرَجَة إلى ذلك ، وأخذ كلُّ منهم من الطانفتين رهائن من الأخرى على الوفاء ، وارتحل خاقانُ ، ثم رحلوا بعده ، وسير معه كور صول التركي لينمنعهم ممن يتعرض إليهم من الترك ، فلما

(١) في الطبرى : بقطع الشجر : فجعلوا يلقون الحطب الرطب .

(٢) في ك : العرجاء . والمثبت في الكامل والطبرى .

(٣) الدبوسية : بلدة من أعمال الصغد ما وراء النهر (باقوت) .

انتهوا إلى الدبوسية ، وكان بها عشرة آلاف مقاتل من المسلمين ،
أمّنوا وأطلق كل من الطائفتين ما بيدهم من الرهائن ، وكانت مدة
حصار كمرجة ثمانية وخمسين يوماً ، فيقال : إنهم لم يسقوا إبلهم
خمسة وثلاثين يوماً .

وفى هذه السنة ارتد أهل كركر^(١) ، فأرسل إليهم أشرس
جنداً فظفروا بهم .

وغزا مسلمة الترك من نحو باب اللان ، فلقى خاقان فى جموعه ،
فاقتتلوا قريباً من شهر ، وأصابهم مطر شديد ، فانهزم خاقان ورجع
مسلمة .

وغزا معاوية الروم ففتح صل^(٢) .
وغزا الصائفة عبد الله بن عتبة الفهرى .

ذكر عزل اشرس عن خراسان

واستعمل الجئند بن عبد الرحمن ، وقتاله الترك

وفى سنة [١١١ هـ] إحدى عشرة ومائة عزل هشام بن عبد الملك
أشرس بن عبد الله عن خراسان ، واستعمل الجئند بن عبد الرحمن
ابن عمرو بن الحارث بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المرى ،
وحمله على ثمانية من البريد ، فقدم خراسان فى خمسمائة ، وسار

(١) بفتح أوله وسكون ثانيه ودال مفتوحة وآخره راء : ناحية من نواحي
خوارزم وما يتاخمها من نواحي الترك (ياقوت) .

(٢) هذا فى د . وفى الكامل : صلة . وفى الطبرى : صالة . ولم أقف على ضبطها .

إلى ما وراء النهر ، وسار معه الخطاب بن مُعْزَز السلمي خليفة
أشروس بخراسان ، فقطعاً النهر ، وأرسل الجُنَيْدُ إلى أشروس ،
وهو يقاتل أهل بُخَارَى والصُّغْد : أَنْ أَمِدَّتْني بِخَيْلٍ .

وخاف أَنْ يُقَطَّعَ ^(١) دونه ، فوجه إليه أشروس عامر بن مالك
الحماني ، فلما كان عامر ببغض الطريق عرض له الترك والصغد ،
فدخل حائطا حصينا ، وقاتلهم على الثلثة ، وكان معه وزد بن
زياد بن أذم بن كلثوم وواصل بن عمرو القبيسي ^(٢) ، فخرج
واصل وعاصم بن عُمَيْر السمرقندي وغيرهما ، فاستدأروا خلف
الترك فلم يشعروا خاقان إلا والتكبير مِنْ وراثته ، وحمل المسلمون
على الترك ، فقاتلهم ، وقتلوا عظيما مِنْ عظماء الترك ، فانهزم الترك ،
وسار عامر حتى لقي الجُنَيْدَ ، وأقبل معه وعلى مقدمة الجُنَيْدَ عمارة
ابن خُرَيْم ^(٣) ، فلما صار على فَرَسَخَيْنِ مِنْ بَيْكَنْدَ نَلَقَتْهُ خَيْلُ التُّرْكِ ،
فقاتلهم ، فكاد الجُنَيْدَ يَهْلِكُ هو ومن معه ، ثم أظهره الله ، وسار
حتى قدم العسكر ، وظفیر الجُنَيْدَ ، وقتل من الترك ، ثم زحف
إليه خاقان ، فالتقوا دُونَ زَرْمَانَ ^(٤) مِنْ بِلَادِ سَمَرْقَنْدَ ، وَقَطَّنَ بَن
قُتَيْبَةَ عَلَى سَاقَةِ الجُنَيْدِ ، فَأَسَرَ الجُنَيْدَ ابْنَ أَخِي خَاقَانَ ، فَبَعَثَ
بِهِ إِلَى هِشَامَ ، وَرَجَعَ الجُنَيْدَ بِالظَّفَرِ إِلَى مَرُو .

(١) في د : يقطع .

(٢) في د : اللي . والمثبت في الكامل والطبرى .

(٣) في د : خزيم . والمثبت في الكامل والطبرى .

(٤) زرمان - بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره تون : من قرى صغد سمرقند

(باقوت) . وفي ك : زرميان . وفي الكامل : زرماب .

وفيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى ، وغزاً سعيد بن هشام الصائفة اليمنى ، حتى أتى قيسارية .

وغزا عبد الله بن أبي مرزيم البحر .

وفيها سارت التُّركُ إلى أذربيجان ، فلقبهم الحارثُ بن عمرو ، فهزمهم .

وفيها استعمل هشام الجراح بن عبد الله الحَكَميَّ على أرمينية ، وعزل أخاه مسلمة ، فدخل بلاد الخَزَر من ناحية تَفْلِس^(١) ، ففتح مدينتهم البيضاء ، وانصرف سالماً .

ذكر مقتل الجراح بن عبد الله الحَكَمي

وولاية سعيد الحَرثي وحروبه مع الخَزَر والتُّرك ،

وما افتتحه من البلاد

وفي سنة [١١٢ هـ] ثنتي عشرة ومائة قُتِلَ الجراحُ بن عبد الله الحَكَمي . وسببُ ذلك أنه لما هزم الخَزَر اجتمعوا هم والتُّرك من ناحية اللَّان ، فلقبهم الجراحُ فيمنَّ معه من أهل الشام ، فاقتتلوا أشدَّ قتالٍ رآه الناس ، وتكاثر الخَزَر والتُّرك على المسلمين ، فاستشهد الجراحُ ومنَّ معه بمرج أَرْدَبِيل^(٢) ، فلما قتل طمع الخَزَر وأوغلوا في البلادِ حتى قاربوا الموصل ، وعظم الخطبُ على المسلمين .

فبلغ الخبرُ هشامَ بن عبد الملك ، فاستشار سعيداً الحَرثي ،

(١) تَفْلِس - بفتح أوله ويكسر : بلد بأرمينية الأولى (باقوت) .

(٢) أَرْدَبِيل - بالفتح ثم السكون ، وفتح الدال وكسر الباء وياء ساكنة ولام : من أشهر مدن أذربيجان (باقوت) .

فقال : أرى أن تبعثنى على أربعين دابةً من كَوَابِ البريد ، ثم تبعث إلى كل يوم بأربعين [رجلاً] ^(١) ، واكتب إلى أمراء الأجناد أن يُوافوني ^(٢) . ففعل ذلك بوسار الحرثي وهو لايمر بمدينة إلا استنهنض ^(٣) أهلها ، فيجيبه من يريد الجهاد .

ولم يزل كذلك حتى وصل إلى مدينة أرزن ^(٤) ، فلقية جماعة من أصحاب الجراح ، فردم معه ، وسار فبلغ خلّاط ^(٥) ، فحاصرها أياماً وفتحها ، وقسّم غنائمها في أصحابه ، ثم سار عنها وفتح الحصون والقلاع شيئاً بعد شيء حتى أتى برّدة ، وكان ابن خاقان يومئذ بأذربيجان يُغير وينهب ويسبي ويقتل ، وهو يحاصر مدينة ورّثان ^(٦) ، فأرسل الحرثي رجلاً من أصحابه إلى أهلها يُعرفهم وصوله ، ويأمرهم بالصبر ، فسار ولقيه بغض الخزر ، فأخلوه وسأله عن الخبر ، فأخبرهم وصدقهم ، فقالوا له : إن فعلتَ ما نأمرُك به أحسنًا إليك ، وأطلقناك ، وإلا قتلناك . قال : فما الذي تريدون ؟ قالوا ^(٧) : نقول لأهل ورّثان : إنكم ليس لكم مدد ، ولا من يكشف ما بكم ، وتأمرهم بتسليم البلد إلينا . فأجابهم إلى ذلك . فلما قارب المدينة وقف بحيث يسمع أهلها كلامه ، فقال لهم :

(١) من الكامل ، والطبري . (٢) في ك : بواسون .

(٣) في ك : أشخص . وفي الكامل : إلا ويستنهنض .

(٤) أرزن - بفتح الهمزة ثم السكون : وفتح الراء - والنون : مدينة مشهورة قبل خلّاط . وأرزن ازروم : بلدة أخرى من بلاد أرمينية أيضاً (ياقوت) .

(٥) خلّاط - بكسر أوله ، وآخره طاء مهملة : قصبة أرمينية الوسطى (المراصد) .

(٦) ورّثان - بالفتح ثم السكون ، وآخره نون ، والسفل يجرّك الراء : بلد

هو آخر حدود أذربيجان بينه وبين الرس فرسخان (ياقوت) .

(٧) في ك : قال - تحريف -

أتعرفونى؟ قالوا : نعم ، أنتَ فلانُ . قال : فإنَّ الحرثى قدَّ وصل إلى مكان كذا فى عساكر كثيرة ، وهو يأمركم بحفظ البلد ، والصبر ، ففى هذين اليومين يصل إليكم .

فرفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ، وقتلت الخزر ذلك الرجل ، ورحلوا عن مدينة ورتان ، ووصلها الحرثى ، وقد ارتحل الخزر إلى أردبيل ، فسبقهم ^(١) إليها ، فساروا عنها ، ونزل سعيد باجروان ^(٢) ، فأتاه فارس على فرس أبيض ، فقال له : أيها الأمير ، هل لك فى الجهاد والغنمة ؟ قال : وكيف لى بذلك ؟ قال : هذا عسكر الخزر فى عشرة آلاف ، ومعهم خمسة آلاف بنت من المسلمين أسارى وسبايا ، وهم على أربعة فراسخ .

فسار الحرثى إليهم ليلاً ، فوافاهم آخر الليل ، وهم نيام ، فكبسهم مع الفجر ، ووضع المسلمون فيهم السيف ، فما بزغت الشمس حتى قتلوا عن آخرهم غير ^(٣) رجل واحد .

ثم أتاه ذلك الفارس الذى أتاه أولاً وقال له : هذا جيش الخزر ومعهم أموال المسلمين وأولادهم ، وحرّم الجراح وأولاده ، وهم بمكان كذا ، فسار الحرثى إليهم ، فما شعروا إلا والمسلمون معهم ، فوضعوا فيهم السيف فقتلوه كيف شاءوا ، ولم يبق من الخزر إلا الشريد ، واستغنوا من معهم ، وغنموا أموال الخزر ، وحمل الأسارى إلى باجروان .

(١) فى د : قبهم .

(٢) فى ك : باجروان . والثبت فى الكامل أيضاً . وفى ياقوت : باجروان - آخره نون : قرية من ديار مصر بالجزيرة من أعمال البلخ . وباجروان أيضاً مدينة من نواحى باب الأبواب قرب شروان (ياقوت) .

(٣) فى ك : عن .

وبلغ الخبير ابن ملك الخزر ، فجمع أصحابه من نواحي
أذربيجان ، فاجتمع له عساكر كثيرة ، فحرضهم ، وسار نحو
الحرشي ، وسار الحرشي إليه ، فالتقيا بزرند^(١) ، واقتتلوا أشد
قتال ، فانهاز المسلمون يسيراً ثم عادوا إلى القتال ، فاشتدت
نكايتهم في العدو ، فهزموهم ، وتبعهم المسلمون حتى بلغوا بهم نهر
أوس^(٢) ، وعادوا عنهم وحووا ما في عسكرهم من الأموال والغنائم ،
وأطلقوا الأسارى والسبائيا ، وحملوا الجميع إلى باجروان ، ثم جمع
ابن ملك الخزر من لحق به من عساكره ، وعاد بهم نحو الحرشي ،
فنزل على نهر البيلقان^(٣) ، فسار الحرشي نحوه ، فوافاهم
هناك ، والتقوا ، فكانت الهزيمة على الخزر ، فكان من غرق منهم
أكثر ممن قتل ، وجمع الحرشي الغنائم ، وعاد إلى باجروان
وكتب إلى هشام بالفتح ، وأرسل إليه الخمس . فكتب إليه هشام
يشكره ، ويثني عليه ، ويأمره بالمسير إليه ، واستعمل هشام
أخاه مسلمة على أرمينية وأذربيجان ، فوصل إلى البلاد ، وسار
إلى الترك حتى جاز البلاد [في آثارهم]^(٤) .

ذكر وقعة الجنيذ بالشعب

- وفي سنة [١١٢ هـ] ثنتي عشرة ومائة أيضا خرج الجنيذ
أمير خراسان غازياً يريد طخارستان ، فوجه عمارة بن خريم
(١) زرند - بفتح أوله وثانيه ونون ساكنة ودال مهملة : ببلدة بين أصبهان
وساوة (ياقوت) .
(٢) في د : أرس . والنبت في ك أيضاً . وفي ياقوت : أوس : اسم موضع : أورجل .
(٣) يلقان - بالفتح ثم السكون وفتح القاف وألف ونون : مدينة قرب الدريند
الذي يقال له باب الأبواب تعد في أرمينية الكبرى قرية من شروان .
(٤) من الكامل .

إلى طخارستان فى ثمانية عشر ألفا ، ووجه إبراهيم بن بسام الليثى فى عشرة آلاف إلى وجه آخر ، وجاشت الترك فأتوا سمرقند ، وعليها سورة بن الحر ، فكتب إلى الجنيّد أن خاقان جاش بالترك ، فخرجت إليهم ، فلم أطق أن أمنع حائط سمرقند ، فالغوث الغوث .

فعبّر الجنيّد النهر ، وقد فرق عساكره ، فسار بمن معه حتى نزل كَشْ (١) ، وتأهب للمسير ، وبلغ ذلك الترك ، ففوّروا الآبار التى فى طريق كَشْ (١) ، وسار الجنيّد يريد سمرقند ، فأخذ طريق العقبة ، وارتقى فى الجبل ، ثم سار حتى صار بينه وبين سمرقند أربعة فراسخ ، ودخل الشعب فصبحه خاقان فى جمع عظيم ، فكانت بيثهم وقعة عظيمة صبر الناس فيها وقاتلوا حتى كانت السيوف لانتقطع شيشا ، فقطع عبيدُهم الخشب يقاتلون به ، ثم كانت المعانقة ، ثم تحاجزوا ، فاستشهد من المسلمين جماعة .

فبينما الناس كذلك إذ أقبل رَهَج (٢) ، وطلعت الفرسان (٣) ، فنادى مُنادى الجنيّد : الأرض الأرض ! وترجل ، وترجل الناس ، ثم أمر أن يخذق كل قائد على حياله ، فخذقوا وتحاجزوا وقد أصيب من الأزد يومئذ مائة وتسعون رجلا ، وكان قتالهم يوم الجمعة ، فلما كان يوم السبت قصدهم خاقان وقت الظهر ، فلم يَر موضعا للقتال أسهل من موضع بكر بن وائل ، وعليهم زياد

(١) سبق أنها بالسين والشين .

(٢) الرهج : الغبار .

(٣) فى د : فرسان .

ابن الحارث ، فقصدهم ، فلما قَرَّبُوا حملت بَكْرٌ عليهم فأفروا لهم ، واشتد القتالُ بينهم .

فلما رأى الجُنَيْدُ شِدَّةَ الأَمْرِ استشار أصحابه ، فقال له عُبَيْدُ اللَّهِ بن حبيب : اختر إما أَنْ تَهْلِكَ أَنْتَ أو سَوْرَةُ بن الحرِّ . فقال : هَلَاكَ سَوْرَةُ أَهْوَنُ عَلَيَّ . قال : فاكذب إليه فليأتك في أهل سمرقند ، فإنه إذا بلغ الترك إقباله توجهوا إليه فقاتلوه .

فكتب إليه الجُنَيْدُ يأمره بالقدوم ، فسار في اثني عشر ألفاً ، فأصبح على رأس جبلٍ ، فتلقاهُ خاقان ، وقد بقي بينه وبين الجُنَيْدِ نحو فرسخ فقاتلهم فاشتدَّ^(١) القتال ، وسقط سَوْرَةُ بن الحرِّ ، فاندقت فخذله ، وقُتِلَ وتفرَّقَ الناس ، وقتلهم الترك ، ولم ينج منهم غير ألفين . ويقال : ألف .

ولما استقلَّ خاقان بِقِتَالِ سَوْرَةَ خرج الجُنَيْدُ مبادراً يُريد سمرقند ، فلقبه الترك قَبْلَ وصوله إليها ، فقاتلهم قتالاً شديداً . وقال الجُنَيْدُ : أيُّ عبد قاتلَ فهو حرٌّ . فقاتل العبيدُ قتالاً عجيباً منه الناس ، وهزم الله الترك .

ومضى الجُنَيْدُ إلى سمرقند ، وكتب إلى هشام بن عبد الملك بالخبر . فكتب إليه هشام : قد وجهتُ إليك عشرة آلاف من أهل البصرة ، وعشرة آلاف من أهل الكوفة ، ومن السلاح ثلاثين ألف رُمح ، ومثلها ترسة^(٢) ، فافرض فلا غاية لك في الفريضة لخمسة^(٣) عشر ألفاً .

(١) في الكامل : واشتد . (٢) جمع ترس . وفي ك : أنرسة .

(٣) في الكامل : بخمسة عشر ألفاً .

قال (١) : وأقام الجُنَيْدُ بِسَمَرْقَنْدَ ، وتوجَّهَ خَاقَانُ إِلَى بُخَارَى ، وعليها قَطَنُ بْنُ قُتَيْبَةَ ، فسارَ الجُنَيْدُ إِلَيْهِ ، وخَلَفَ بِسَمَرْقَنْدَ عُمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الشُّخَيْرِ فِي أَرْبَعَمِائَةٍ [فَارِسَ وَأَرْبَعَمِائَةٍ] (٢) رَاجِلٌ .

ولما انتهى الجُنَيْدُ إِلَى كَرْمِينِيَّةِ (٣) أَتَاهُ خَاقَانُ وَذَلِكَ فِي مُسْتَهْلَ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ ، فَاقْتَتَلُوا يَوْمَهُمْ ؛ ثُمَّ ارْتَحَلَ الجُنَيْدُ وَقَدْ قَوَّى السَّاقَةَ بِالرِّجَالِ ، فَجَاءَتِ التُّرُكُ فَمَالُوا عَلَى السَّاقَةِ فَاقْتَتَلُوا فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، فَقَتَلَ مُسْلِمٌ بْنُ أَحْوَزَ عَظِيمًا مِنْ عِظَمَاءِ التُّرُكِ ، فَتَطَيَّرُوا مِنْ ذَلِكَ ، وَانْصَرَفُوا . وَسَارَ الْمُسْلِمُونَ فَدَخَلُوا بُخَارَى ، ثُمَّ قَدِمَتِ الْجُنُودُ مِنَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ فَبَسَرَجَ الجُنَيْدُ مَعَهُمْ حَوْثَرَةَ ابْنِ زَيْدِ الْعَبَّاسِيِّ فِيمَنْ انْتَدَبَ مَعَهُ .

وقيل : إِنَّ وَقْعَةَ الشُّعْبِ كَانَتْ فِي سَنَةِ [٨١١٣ هـ] ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ . [وَاللَّهُ أَعْلَمُ] (٤)

وفيهَا غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامِ الصَّائِفَةَ ، فَافْتَتَحَ خَرْشَنَةَ (٥) [وَاللَّهُ أَعْلَمُ] (٦) .

(١) فِي الطَّبَرِيِّ : ٨ - ٢١٢ .

(٢) لَيْسَ فِي ك .

(٣) كَرْمِينِيَّةُ : بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ وَكَسْرِ الْمِيمِ وَيَاءُ مِثْلَةِ مَنْ تَحْتَ سَاكِنَةٍ وَنُونٍ مَكْمُورَةٍ وَيَاءُ أُخْرَى مَفْتُوحَةٌ خَفِيفَةٌ : بَلَدٌ مِنْ نَوَاحِي الصَّفَدِ (الْمُرَاصِدِ) .

(٤) سَاقَطَ فِي د .

(٥) خَرْشَنَةُ - بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَتَسْكِينِ ثَانِيهِ وَشِينٍ مَعْجَمَةٍ وَنُونٍ : بَلَدٌ قَرِيبٌ مَلَطِيَّةِ

مِنْ بِلَادِ الرُّومِ .

ذكر غزو مسلمة وعوده

في هذه السنة قَرَق مسلمة الجيوش ببلاد خاقان ففتحت مدائن وحصون على يديه ، وقتل منهم وسبى وأسّر وأحرق ، ودان له مَنْ وراء جبال بلنّجر ، وأقبل ابنُ خاقان وقد اجتمعت عليه الخزَرُ وغيرهم من تلك الأمم ، وصار في جموع عظيمة . فلما بلغ مسلمة الخبر أمر أصحابه فأوقدوا النيران ، ثم ترك خيامهم وأثقالهم ، وعاد بعسكره جريدة ، وقدم الضعفة ^(١) وأخر الشجعان ، طَوَى المراحل كلَّ مرحلتين في مرحلة حتى وصل الباب والأبواب [في آخر رَمَق] ^(٢) .

وفيها غَزَا معاوية بن هشام أرضَ الروم فرابطَ من ناحية مرعش ^(٣) ثم رجع . والله أعلم .

ذكر غزو مروان بن محمد بلاد الترك

ودخله إلى بلاد ملك السّرير وغيرها من بلادهم

وما افتتحه وقرره وصالح عليه الملوك

وفي سنة [١١٤] أربع عشرة استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية . وسبب ذلك أنه كان في عسكر مسلمة بن عبد الملك حين غَزَا الخزَر ، فلما عاد مسلمة - كما تقدّم - سار مروان إلى هشام فلم يشعر به

(١) ك : الضعفاء .

(٢) ساقط في د ، وهو في ك أيضاً .

(٣) مرعش : من ثغور أرمينية (البكرى) .

حتى دخل عليه ، فسأله عن سبب قدومه ، فقال : ضيقتُ ذرعاً بما أذكره ، ولم أرَ مَنْ يحمله غيرى . قال : وما هو ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه كان من دخول الخزر إلى بلاد الإسلام وقتل الجراح وغيره ما دخل به الوهن على المسلمين . ثم رأى أمير المؤمنين أن يوجه أخاه مسلمة إليهم ، فوالله ما وطئ من بلادهم إلا أدناها ، ثم إنه لما رأى كثرة جنمه أعجبه ذلك ، فكتب إلى الخزر يؤذنههم بالحرب ، وأقام بعد ذلك ثلاثة أشهر ، فاستعد القوم وحشدوا ، فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكابة ، فكان قصاره السلامة ، وقد أردت أن تأذن لى فى غزوة أذهب بها عنا العار ، وأنتقم من العدو . قال : قد أذنت لك . قال : وثميدى بمائة ألف وعشرين ألف مقاتل ؟

قال : قد فعلت . قال : وتكتم هذا الأمر عن كل أحد ؟ قال : قد فعلت . وقد استعملتك على إزمينية .

فودعه وسار إلى إزمينية والياً عليها وسير إليه هشام الجنود [من الشام والعراق والجزيرة ، فاجتمع عنده من الجنود ^(١) والمتطوعة مائة ألف وعشرون ألفاً ، فأظهر أنه يريد غزو اللان ، وأرسل إلى ملك الخزر يطلب منه المهادنة ، فأجابه إلى ذلك ، وأرسل ^(٢) إليه من يقرر الصلح ، فأمسك الرسول عنده إلى أن فرغ من جهازه ، وأحضره ، ثم أغلظ لهم فى القول وآذنههم بالحرب ، وسير الرسول إلى صاحبه بذلك ، ووكل به من يسير به

(١) ساقط من ك .

(٢) ك : فأرسل .

على طريق فيه بُعْد ، وسار هو في أقرب الطُّرُق ، فما وصل الرسولُ إلى صاحبه إلا ومرَّوان قد وافاهم بالجنود ، فاستشار ملكُ الخَزَرِ أصحابه ، فقالوا : إنَّ هذا قد جمع ودخل بلادك ، فإنَّ أَقَمْتَ إلى أن تَجْمَعَ لم يجتمع جُنُودُكَ إلى مدَّةٍ ، فيبلغ منك ما يريد ، وإنَّ أنتَ لقيته على حالِكَ هذه هزمك وظفَّير بك ، والرأى أن تتأخَّرَ إلى أقصى بلادِكَ ، وتَدَعِه وما يُريد .

فقبل رأيهم وسار ودخل مرَّوان البلاد ، وأوغَلَ فيها ، وأخربها ، وَغَنِمَ وسبى ، وانتهى إلى آخرها ، وأقام فيها عدَّةَ أيام أَذْلَهُمْ ، ودخل بلادَ ملكِ السُّرِير ، فأوقع بأهلها ، وفتح قِلاعاً ، ودان لَهُ المَلِكُ ، وصالحه على ألفِ رأس : خمسمائة غلام ، وخمسمائة جارية سود الشعور ^(١) ، ومائة ألفِ مُدَى تُحْمَلُ إلى الباب ، وصالح أهلُ ثومان ^(٢) على مائة رأسِ نصفين وعشرين ألفِ مدى ^(٣) ، ثم دخل أرضَ زَديكران ^(٤) ، فصالحه ملكها ، ثم أتى أرضَ حمزين ، فأبى حمزين أن يصالحه ، فحصرهم ، وافتتح حصنهم ، ثم أتى سُغْدان ^(٥) ، فافتتحها صلحاً ، ووظف على طَبَرِ سرانشاه ^(٦) عشرة آلاف مُدَى كلُّ سنة تحمل إلى الباب ، ثم

(١) في ك : الشعر .

(٢) في ك : ثومان ، ومى بالتاء أيضاً في فتوح البلدان : ٣٤٥ .

(٣) في الكامل : مدبر .

(٤) في ك : زَنكران . وفي الكامل : زريكران . والمثبت في فتوح البلدان أيضاً .

(٥) سغدان - بضم أوله : قرية من نواحي بخارى (ياقوت) . وفي فتوح البلدان :

سندان : والمثبت في الكامل أيضاً .

(٦) في الكامل : طبرشانشاه . والمثبت في فتوح البلدان أيضاً .

نزل على قلعة صاحب اللكز^(١) وقد امتنع من أداء الوظيفة ، فخرج
ملك اللكز يريد ملك الخزر ، فقتله راع يسهم وهو لا يعرفه ،
فصالح أهل اللكز مروان ، واستعمل عليهم عيلاً وسار إلى قلعة
شروان^(٢) وهى على البحر ، فأذن له بالطاعة ، وسار إلى الدوادانية ،
فأوقع بهم ، ثم عاد .

وغزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى ، فأصاب ربض أقرن .
وفىها التقى عبد الله البطال هو وقسطنطين فى جموع ، فهزمهم
البطال وأسر قسطنطين .

وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى ، فبلغ قيسارية .
وفى سنة [١١٥ هـ] خمس عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام
أرض الروم .

وغزا أيضا الصائفة فى سنة [١١٦ هـ] ست عشرة . وفى سنة
[١١٧ هـ] سبع عشرة غزا معاوية^(٣) بن هشام الصائفة اليسرى ،
وسليمان بن هشام الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة ، وفرق سراياه
فى أرض الروم .

وبعث مروان بن محمد ، وهو على إزمينية بعثين ، فافتتح أحدهما

(١) اللكز - بالفتح ثم السكون وزاى : بليدة خلف الدربند تناخم خزران
(ياقوت) .

(٢) شروان : مدينة من نواحى باب الأبواب (ياقوت) . وفى الأصول :
سروان - بالسين المهملة . وفى ياقوت : سروان : مدينة صغيرة من أعمال سجستان .
(٣) فى د : سليمان . والمثبت فى الطبرى والكامل .

حصونا ثلاثة من اللان ، ونزل الآخر على ثومان شاه ، فنزل أهلها على الصلح .

وفي سنة [١١٨ هـ] ثمان عشرة [ومائة] ^(١) غزا معاوية وسليمان ابنا هشام بن عبد الملك أرض الروم .

وغزا مروان بن محمد من إرمينية ، ودخل أرض ورتيس ^(٢) من ثلاثة أبواب ، فهرب ورتيس ^(٢) إلى الخزر ، وترك حصنه ، فحصره مروان ، ونصب عليه المجانيق ، واتفق قتل ورتيس ^(٢) ، قتله بغض من اجتاز به ، وأرسل رأسه إلى مروان ، فنصبه لأهل حصنه ، فنزلوا على حكمه ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية ...

ذكر ظفر المسلمين بالترك

وقتل خاقان ملك الترك

وفي سنة [١١٩ هـ] تسع عشرة ومائة كانت الحرب بين أسد ابن عبد الله القسري أمير خراسان وبين خاقان ملك الترك .

وسبب ذلك أن الحارث بن مريج كان قد خلع بخراسان على ما نذكره إن شاء الله تعالى في حوادث السنين ، وولى أسد خراسان على ما نذكره إن شاء الله ، فكتب الحارث إلى خاقان يعلمه بضعف أسد وقلة أصحابه ، ويستدعيه لحربه .

فأقبل خاقان ، وقطع النهر إلى بلخ ، فلقية أسد ، فاقتتلا قتالا شديداً ، فظفر المسلمون بالترك ، وهزموهم أقبح هزيمة ، وغنموا

(١) زيادة في د بين السطور .

(٢) في الكامل : ورتيس : والمثبت في ك ، د .

أموالهم وخيولهم وأثقالهم ، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وأراد
خصي لخاقان حمل امرأة خاقان فأعجلوه فقتلها ، ومضى خاقان
إلى طخارستان ثم إلى بلادِهِ . وحمل الحارث وأصحابه على خمسة
آلاف بردون ، واستعدَّ لِيُغزو المسلمين ، فلاعَب خاقانُ يوما كور
صُولَ يالنَرْدِ على خَطَر ، فتنازعا ، فضرب كور صول يدَ خاقان
فكسرها وتنحَّى عنه ، وجمع جمعًا ، وبلغه أن خاقان قد حلف
ليكسرنُ يده ، فبيَّت خاقانُ فقتله ، وتفرقت الترك واشتغلوا
بأنفسهم ، وأرسل أسد إلى هشام بن عبد الملك يُخبرُهُ بالفتح
وبقتل خاقان ، فلم يصدق ذلك . وأرسل ^(١) مَبَشِّرًا آخر فوقف
على باب هشام وكَبَّر ، فأجابه هشام بالتكبير . فلما انتهى إليه
أخبره بالفتح ، فسجد شكرًا لله تعالى .

وفيها غزا أسد بن عبد الله أمير خراسان الخُتَل ^(٢) ، فقتل
بدرُ طرخان [ملك الخُتَل] ^(٣) ، وغلب على القلعة العظمى ،
وفرق عساكره في أودية الخُتَل ، فمَلِكُوا أيديهم من الغنائم والسبي .
وهرب أهلها إلى الصين .

وغزا الوليد بن القَعْقَاع أرضَ الروم .

وغَزَا مَرْوَان بن محمد من إرمينية فدخل بلادَ الأَلمان ، وسار فيها

(١) في د : ثم أرسل .

(٢) الختل — بضم أوله وتشديد ثانيه وفتح : كورة واسعة كثيرة المدن .
وهى على تخوم السند (ياقوت) .

(٣) من الطبرى .

حتى خرج منها إلى بلاد الخَزَر ، فمرَّ ببلَنْجَر وسمَنْدَر ^(١) ، وانتهى إلى البَيْضَاء التي يكون فيها خاقان ، فهرب خاقان منه .
وفي سنة [١٢٠ هـ] عشرين ومائة غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وافتتح سندرة .
وغزا إسحاق بن مسلم العقيلي تومان شاه وافتتح قِلَاعَه وخَرَّب أَرْضَه .

ذكر غزوات نصر بن سيار ما وراء النهر

وفي سنة [١٢١ هـ] إحدى وعشرين ومائة غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرتين : إحداهما من نحو الباب الجديد ، فسار ^(٢) من بَلْخ ، ثم رجع إلى مَرَو ، فخطب الناس ، وأخبرهم أنه قد أقام منصور بن عمر بن أبي الخرقاء على كشف المظالم ، وأنه قد وضع الجزية عن أسلم ، وجعلها على من كان يخفف عنه من المشركين ، فلم تمض جُمُعة ^(٣) حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم ، وثمانون ^(٤) ألفاً من المشركين كانت الجزية قد وضعت عنهم ، فحول ما كان على المسلمين عليهم ، ثم صنّف الخراج ووضعه مواضعه .

ثم غزا الثانية إلى وَرْغَسَر ^(٥) وسَمَرْقَنْد .

(١) في د : سمند . والمثبت في فتوح البلدان . وفي ياقوت : سمندر - بفتح أوله وثانيه ثم سكون ودال مفتوحة وآخره واء : مدينة خلف باب الأبواب من أرض الخزر .
(٢) في ك : سار .

(٣) في الطبري : فما كانت الجمعة الثانية .

(٤) في ك : وثلاثون . والمثبت في الطبري والكمال .

(٥) في د : ارزغسر ، والمثبت في الطبري والكمال . وهي من قرى سمرقند عندما مقام مياه الصغد وغيره (ياقوت) .

ثم غزا الثالثة إلى شاش من مرو ، فحال بينه وبين عبور نهر الشاش كورصول في خمسة عشر ألفا ، وكان معهم البحارث بن سُرِنَج^(١) ، وعبر كورصول في أربعين رجلا فبيت العسكر في ليلة مظلمة ، ومع نصر بخارى خذاه في أهل بخارى ، ومعه أهل سمرقند وكش ونسف ، وهم عشرون ألفا ، فنادى نصر : ألا لا يخرجن أحد ، وانبتوا على مواضعكم .

فخرج لعاصم بن عمير وهو على جند سميرقند - فمرت به خيل الترك ، فحمل على رجل في آخرهم فأسره ، فإذا هو ملك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبة ، فأتى به إلى نصر ، فقال له نصر : من أنت ؟ قال : كورصول . قال : الحمد لله الذى أمكن منك يا عدو الله . قال : ما نرجو من قتلى شنيخ ، وأنا أعطيك أربعة آلاف بغير من إبل الترك وألف برذون تقوى به جندك ، وتطلق سبيلى .

فاستشار نصر الناس ، فأشاروا بإطلاقه ، فسأله عن غزاه قال : لا أدرى . قال : كم غزوت ؟ قال : ثنتين وسبعين غزاة . قال : أشهدت يوم العطش ؟ قال : نعم . قال : لو أعطيتنى ما طلعت عليه الشمس ما أفلتت من يدي بعد ما ذكرت من مشاهدك .

وقال لعاصم بن عمير السغدلى^(٢) : قم إلى سلبه فخذ . فقال : من أسيرنى ؟ قال : نصر - وهو يضحك - أسرك يزيد بن قران^(٣) الحنظلى ، وأشار إليه . قال : هذا لا يستطيع أن يغسل استه ، أو لا يستطيع أن يتم بوله ، فكيف بأسيرنى ؟ أخبرنى من أسرنى ؟ قال :

(١) فى ك : شريح . والمثبت فى الطبرى والكامل .

(٢) فى الكامل : السعدى .

(٣) الضبط فى د . وفى الطبرى بضم القاف .

أسرك عاصم بن عمير. قال : لست أجِدُ أَلَمَ ^(١) القَتْلِ إِذَا أَسْرَنِي فَارَسٌ
من فُرْسَانِ العرب .

فقتله وصَلَبَه على شاطئِ النهر ، فلما قُتِلَ أحرقت التُّركُ أبْنِيَّتَه ،
وقطعوا آذَانَهُم وشعورَهُم وأَذْنَابَ خيولِهِم .

فلما أراد نَصْرُ الرجوعِ أحرقه لثلاً يحملوا عِظَامَه ، فكان ذلك
أشدَّ عليهم من قَتْلِهِ .

وارتفع إلى قَرْغَانَه فسبى منها أَلْفَ رَأْسٍ . وكتب يوسف
ابن عمر الثقفى عاهلُ العراقَيْنِ إلى نَصْرِ بن سِيَّار يأمره
بالمسير إلى الشاش ^(٢) لقتالِ الحارث بن سُريج ، فاستعمل
نَصْرُ يحيى بن حُصَيْنٍ على مقدمته ، فسار إلى الشاش ، فأتاهم
الحارث ، وأغار الأخرم ، وهو فارسُ التُّركِ ، على المسلمين فقتلوه ،
وَأَلْقَوْا رَأْسَه إلى التُّركِ ، فصاحُوا وانهزموا ، وسار نَصْرُ إلى الشاش
فتلقاه ملكها بالصلح والهدية والرهن ، فاشتراط عليه إخراج
الحارث بن سُريج من بلده ، فأخرجه إلى قَارَابِ ^(٣) ، واستعمل
على الشاش نَيْزَكُ بن صالح مَوَكِّي عمرو بن العاص ، ثم سار حتى
نزل قُبَاءَ من أرض قَرْغَانَه ، وكانوا قد علموا بمجيئِهِ ، فأحرقوا
الحشيش ، وقطعوا الميِّرة ، فوجه نَصْرُ إلى ولى عهد صاحب قَرْغَانَه
فحاصره في حِصْنٍ ، فخرج وقد غَفَلَ المسلمون فغنم دوابَّهُم ،
فوجه إليهم نَصْرُ رجلاً من قميم ، ومعهم محمد بن الثنى ، فكابدهم

(١) في الطبرى : لست أجِدُ مس القتل .

(٢) الشاش : من بلاد التُّرك (البكرى) .

(٣) قَارَابِ : ولاية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد التُّرك (ياقوت) .

المسلمون وأهملوا دوابهم وكنوا لهم ، فخرجوا فاستأقوا بعضَهَا ،
وخرج عليهم المسلمون فهزموهم ، وقتلوا الدُهَقَانَ وأسروا منهم ،
فكان فيمن أسر ابن الدُهَقَانَ ، فقتله نَصْرٌ .

وأرسل نَصْرٌ سليمان بن صول بكتاب الصلح إلى صاحب فرغانة ، فأمر به
فأدخل الخزائن ليراها ، ثم رجع إليه ، فقال : كيف رأيت الطريق
فيما بيننا وبينكم ؟ قال : سهلاً كثير الماء والمرعى ، فكره ذلك ،
وقال : ما أعلمك ؟ فقال سليمان : قد غزوت غَرِشْتَانَ ^(١) وغُور
والخُتْلَ وطَبْرِسْتَانَ ، فكيف لا أعلم ؟ قال : فكيف رأيت ما أعددنا ؟
قال : عُدَّةٌ حسنة ، ولكن أما علمت أن المحصور لا يسلم من
خِصَالٍ ؟ [قال : وما من ؟ قال :] ^(٢) لا يَأْمَنُ أقرب الناس إليه ،
وأوثقهم في نفسه ، أو يَفْنَى ما جمع ، فيسلم برمته ، أو يصيبه داء
فيموت .

فكره ما قاله له ، وأمره فأحضر كتاب الصلح ، فأجاب إليه ،
وسير أمه معه ، وكانت صاحبة أمره ، فقدمت على
نَصْرٍ فكلَّمها فكلَّمته ، وكان فيما قالت [له] ^(٣) : كلُّ مَلِكٍ
لا تكون عنده ستة أشياء فليس بملك : وزير يُبَيِّتُ إليه ما في نفسه ،
ويُشَاوِرُهُ ويُثَبِّتُ بنصيحته . وطَبَّاخٌ إذا لم يشتهِ الطعام اتَّخَذَ له
ما يشتهى ، وزوجة إذا دخل عليها مُعْتَمِئاً فنظر إلى وجهها زال غمّه ،

(١) غرشتان - بالفتح ثم السكون وشين معجمة مكسورة وسين مهملة وتاء
مثناة من فوق ، وآخره نون. ويقال غرستان : ناحية واسعة كثيرة القرى (ياقوت) .
وفى الطبرى : غرشتان .

(٢) زيادة فى الطبرى .

(٣) ليس في ك .

وحصن إذا فزع أناه فأنجاه - تعنى البردكون - وسيف إذا قاتل
لم يخش خيافته . وذخيرة إذا حملها عاش بها أين كان من
الأرض .

ودخل تميم بن نصر في جماعة ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قالوا :
هذا فتى خراسان تميم بن نصر . قالت : ماله نبل الكبير ، ولا حلاوة
الصغير .

ثم دخل الحجاج بن قتيبة ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قالوا :
الحجاج بن قتيبة ، فحيته ، وسألت عنه ، وقالت : يامعشر العرب ،
ما لكم وفاء ، ولا يصلح بعضكم لبعض ، قتيبة الذى ذلّ لكم
ما أرى ، وهذا ابنه تُقَعْدُه دونك ، فَحَقُّهُ ^(١) أن تُجلسه أنت هذا
المجلس وتجلس أنت مجلسه .

ذكر غزو مروان بن محمد بن مروان

وفي سنة [١٢١ هـ] إحدى وعشرين أيضا غزا مروان بن محمد
من إزمينية وهو واليها ، فأتى قلعة بيت السريبر فقتل ومسبى ، ثم أتى
قلعة ثانية ^(٢) فقتل ومسبى ، ودخل غر مسك ^(٣) ، وهو حصن فيه
بيت الملك وسريبره ، فهرب الملك منه إلى حصن خيزج ^(٤) ،
وهو الذى فيه السريبر الذهب ، فسار إليه مروان ونازله صيفة
وشتوة ^(٥) ، فصالحه الملك على ألف رأس في كل سنة ، ومائة ألف

(١) في ك : بحقه ..

(٢) في ك : بانيه . والثبت في الكامل أيضا .

(٣) في الطبرى : غوميك . وفي الفتح : غوميل . والثبت في الكامل : د

(٤) خيزج : من رساتيق الجبل (البكرى) .

(٥) في الكامل : صيفيه وشتويه .

مُدَى ، وسار مروان فدخل أرض أَرَزو بطران^(١) ، فصالحه ملكها . ثم سار فى أرض تُوْمان فصالحه وسار حتى أتى حمزين : فَأَخْرَبَ بِلَادَهُ ، وَحَصَرَ حِصْنَ لَهُ شَهْرًا فصالحه .

ثم أتى مروان أرض مسدار^(٢) ، فافتتحها على صلح ، ثم نزل كِيرَان^(٣) فصالحه طبرسران^(٤) وفيلان ، وكل هذه الولايات على شاطئ البحر من أرمينية إلى طبرستان .

وفيهما غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير .

وفى سنة [١٢٤ هـ] أربع وعشرين غزا سليمان بن هشام الصائفة فلقى أَلْيُون ملك الروم فغنى .

هذا ما أمكن لإيراده من الغزوات والفتوحات فى أيام هشام } فلنذكر حوادث السنين فى أيامه {

سنة (١٠٦ هـ) ست ومائة :

ذكر ولاية أسد خراسان

فى هذه السنة استعمل خالد بن عبد الله القسرى أخاه أسدًا على خراسان ، فقدمها ومسلم بن سعيد بقرغانة ، فلما أتى أسد النهر ليقطعه منعه الأشهب بن عبيد التميمى ؛ وكان على السفن

(١) أَرَز - بالفتح ثم السكون وراء : بليدة من أول طبرستان من ناحية الدينر وبها قلعة حصينة (ياقوت) .

(٢) فى الكامل : مسدرة . وفى النجوم الزاهرة : مسدار .

(٣) كيران : مدينة بأذربيجان ، بين تبريز وبلقان (المراصد) .

(٤) فى فتوح البلدان : طبر سراف . والمثبت فى ك ، د ، والكامل .

بأمل ، وقال : قد نُهييت عن ذلك ، فأعطاه ولاطفه ، فأبى . قال : فإني أمير ، فأذن له ، فقال أسد : اعرّفوا هذا حتى نشرّكه في كُمانتنا .
 وأتى الصُّغد فنزل بالمرّج ، وعلى سمرقند هانيء بن هانيء ،
 فخرج في الناس للقاء أسد ، فرآه على حجر ، فقال ^(١) الناس :
 ما عند هذا خير ، أمد على حجر ، ودخل سمرقند وعزل هانيئا عنها ،
 واستعمل عليها الحسن بن أبي العَمْرَطة ^(٢) الكندي ، ثم كان ين
 عزل أسد ما تذكره إن شاء الله .

وفيهما استعمل هشام الحر بن يوسف بن يحيى بن الحَكَم
 ابن أبي العاص بن أمية على الموصل ، وهو الذي عمل النهر الذي
 كان بالموصل .

وسبب ذلك أنه رأى امرأة تحمل جرّة فيها ماء ، وهي تحملها
 مباءة ثم تستريح قليلا لبُعد الماء ، فكتب بذلك إلى هشام ، فأمره
 أن يحضر نَهراً إلى البلد ، فحضره ، وبقي العمل فيه عِدّة ^(٣) سنين
 ومات الحرّ سنة (١١٣ هـ) ثلاث عشرة ومائة .

وفي سنة ست أيضا عزل هشام عبد الواحد النُضْرِي عن مَكّة
 والمدينة والطائف ، وولّى ذلك كله ^(٤) إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ،
 فقدم المدينة في جمادى الآخرة .

وكانت ولاية النُضْرِي سنة وثمانية أشهر .

(١) في الكامل : فتقابل الناس وقالوا ...

(٢) انظر هامش رقم ٥ صفحة ٤٠٧

(٣) في ك : مدة .

(٤) في الكامل ، والطبري : خاله .

[وفيها] ^(١) استقضى إبراهيم بن هشام على المدينة محمد بن صفوان الجمحي ^(٢) ، ثم عزله ، واستقضى الصلت الكندي ، وكان العامل على العراق وخراسان خالد بن عبد الله القسري البجلي ، وكان عامل خالد على البصرة عتبة بن عبد الأعلى على الصلاة . وعلى الشرطة مالك بن المنذر بن الجارود ، وعلى القضاء ثمامة بن عبد الله بن أنس .

وحج بالناس في هذه السنة هشام بن عبد الملك .

سنة (١٠٧ هـ) سبع ومائة :

في هذه السنة كان من خبر دُعاة بني العباس ما نذكره إن شاء الله في أخبار الدولة العباسية .

وفيها عزل هشام الجراح بن عبد الله الحكمي عن إرمينية وأذربيجان ، واستعمل عليها أخاه مسلمة بن عبد الملك ، فاستعمل عليها الحارث بن عمرو الطائي ، فافتتح من بلاد الترك رستاقاً وقرى كثيرة ، وأثر أثراً حسناً .

وفيها نقل أسد من كان بالبروقان ^(٣) إلى بلخ من الجند ، وأقطع من كان بالبروقان بقدر مسكنه ، ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكناً ، وأراد أن ينزلهم على الأحماس ، فقليل له :

(١) زيادة في الكامل .

(٢) في ك : الحمي . والمثبت في الكامل والطبرى أيضا .

(٣) بروقان - يقاف ونون : قرية من نواحي بلخ (ياقوت) .

لأنهم يتعصبون ، فخلّى بينهم ، وتولى بناء مدينة بَلخ برمك ، وهو أبو خالد بن برمك ، وبينها وبين البروقان فرسخان .
وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام .

سنة (١٠٨ هـ) ثمان ومائة :

في هذه السنة كان من خبر شيعة بنى العباس ما ذكره إن شاء الله تعالى .
وفيها وقع الحريق بدابق ، فاحترق المرقى والدواب والرجال .
وفيها خرج عباد الرعي^(١) باليمن مُحَكَّمًا فَقَتَلَهُ أميرها يوسف بن عمرو^(٢) ، وقتل أصحابه وكانوا ثلاثمائة .

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام .
وفيها مات محمد بن كعب القرظي ، وقيل سنة سبع عشرة .
وقيل : إنه وُلد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سنة (١٠٩ هـ) تسع ومائة :

في هذه السنة عُزِلَ أَسَدُ بن عبد الله القسري عن خراسان ،
وسبب ذلك أنه ضرب نَصْرَ بن سيار ونَفَرَ بالسياط . منهم
عبد الرحمن بن نعيم وسورة بن الحرّ والبخترى بن أبي ذُرِّهم ،
وعامر بن مالك الجعاني ، وحلقهم وسبّهم هو إلى أخيه ، وكتب إليه :
لأنهم أرادوا الوثوب بي .

فلما قدموا على خالد لَامَ أَسَدًا وَعَتَفَهُ ، وقال : أَلَا بَعَثَ إِلَيَّ
برؤسهم .

وخطب - أَسَدٌ - يوما ، فقال : قَبِّحَ اللهُ هذه الوجوه وجوه

(٢) في الكامل : عمر

(١) الضبط في اللباب .

أهل الشقاق والنِّفاق والشَّعب والفساد، اللهم فَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ،
وأَخْرِجْنِي إِلَى مُهَاجِرِي وَوَطَنِي .

فبلغ فَعْلُهُ هشام بن عبد الملك ، فكتب إلى خالد : اغزِلْ أخاك ،
فعرّله ، فرجع إلى العِراق في رمضان من السنة ، واستخلف على
على خراسان الحَكَم بن عَوانة الكلبي ، فأقام الحَكَمُ صيفيَّته فلم
دغز ، ثم استعمل هشام أَشْرَسَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الدَّسَمِي على خراسان ،
وأمره أَنْ يُكَاتِبَ خالدا ، وكان أَشْرَسُ فاضلا خَيِّرا ، وكانوا يسمونه
الكمال لِفَضْلِهِ .

فلما قدم خراسان فَرِحَ الناس به ، واستقضى أبا المنازل الكندي ،
ثم عزله واستقضى محمد بن يزيد .

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام ، فخطب الناس ،
فقال : سَلُونِي ، فَإِنكُمْ لَا تَسْأَلُون أَحَدًا غَلَمَ مِنِّي ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ
العِراق عن الأُضحية أَوْاجِبُهُ هِيَ ؟ فما دَرَى ما يقول : فنزل .

سنة (١١٠ هـ) عشرة ومائة :

فيها جمع خالد القَسْرِي الصلاة والأحداث والشرط. والقضاء
بالبصرة لِبِلَال بن أَبِي بُرْدَة : وعزل ثُمَامَة عن القضاء .

وحجَّ بالناس إبراهيم بن إسماعيل .

وفيهما مات الفرزدق الشاعر ، وله إحدى وتسعون سنة .

ومات جرير بن الخطَفَي الشاعر .

سنة (١١١ هـ) إحدى عشرة ومائة :

في هذه السنة كان عَزَلُ أَشْرَسَ عن خُرَّاسَانَ واستعمال الجُنَيْدِ ابن عبد الرحمن ؛ وقد تقدم ذكر ذلك في الغزوات .
وفيهما استعمل هشام الجُرَّاحُ بن عبد الله الحَكَمِيُّ على إرمينية ، وعزل أخاه مسلمة كما تقدم .

وحج بالناس إبراهيم بن هشام المخزومي .

سنة (١١٢ هـ) ثنتي عشرة ومائة :

حج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي . وقيل سليمان بن هشام بن عبد الملك . والله أعلم .
سنة (١١٣ هـ) ثلاث عشرة ومائة :

في هذه السنة قُتِلَ عَبْدُ الوَهَّابِ ابن بُحْت (١) ، وكان قد غزا مع البطال أرض الروم ، فانهمز الناس عن البطال ، فحمل عبد الوهاب ، وهو يقول : ما رأيت قَرَمًا أجبن منك ، وسفك الله دمي إن لم أسفك دمك ، ثم ألقى بينصته عن رأسه ، وصاح : أنا عبد الوهاب ! مِنَ الْجَنَّةِ تَفَرُّونَ !

ثم تقدم في نحو العدو ، فجاء برجل وهو يقول : واعطشهاه ! فقال : تقدم ، الرئي أمامك ، وخالط القوم فقتل وقُتِلَ فرسه .

وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقيل إبراهيم بن هشام المخزومي ، والله أعلم .
سنة (١١٤ هـ) أربع عشرة ومائة :

في هذه السنة كانت ولاية مَرْوَانَ بن مُحَمَّد بن مروان إرمينية وأذربيجان ، وقد تقدم ذكر ذلك في الغزوات .

(١) بضم أوله وسكون الخاء المعجمة بعدها مثناة (القاموس) .

وفيهما عزل هشامُ إبراهيمَ بنَ هشامِ المخزومى عن المدينة ،
 واستعمل عليها خالدُ بنُ عبد الملك بن الحارث بن الحكم فى ربيع الأول ،
 فكانت إمرة إبراهيم على المدينة ثمانى سنين ، وعزله أيضا عن مكة
 والطائف ، واستعمل على ذلك محمد بن هشام المخزومى .

وحجَّ بالناس خالدُ بنُ عبد الملك بن الحارث وقيل : محمد
 ابن هشام .

وفيهما توفى محمد بن على بن الحسين الباقر . وقيل سنة خمس عشرة .

سنة (١١٥ هـ) خمس عشرة ومائة :

حجَّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام المخزومى ، وكان
 الأمير بن خراسان الجُنَيْد . وقيل : بل كان قد مات ، واستخلف
 عمارة بن خريم المُرَى . [والله أعلم] (١)

سنة (١١٦ هـ) ست عشرة ومائة :

فى هذه السنة عزل الجُنَيْد عن خراسان .

وسببُ ذلك أنه تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب ، فغضب
 هشام ، واستعمل عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى على خراسان ،
 وكان الجُنَيْد قد سقى بطنه ، فقال هشام لعاصم : إن أدركته وبه
 رَمَقٌ فآزمتُ نفسه .

فقدم عاصم وقد مات الجُنَيْد ، واستخلف عمارة بن خريم
 وهو ابنُ عمه ، فعذبه عاصم ، وعذبَ عمال الجُنَيْدَ لعداوة كانت
 بينه وبين الجُنَيْد ...

ذكر خلع الحارث بن سريج^(١) بخراسان

وما كان من أمره

وفي هذه السنة خلع الحارث بن سريج وأقبل إلى الفارياب^(٢)
فأرسل إليه عاصم رُملاً . منهم مقاتل بن حيان النبطي ، والخطاب
ابن مُحَرَّر السلمي ، فقالا لمن معهما : لا نَلْقَى الحارث إلا بأمان ،
فأبى القومُ عليهما وأتوه ، فأخذهم الحارث وحبسهم ، ووكل بهم
رجلاً فأوثقوه ، وخرجوا من السجن ، فركبوا وعادوا إلى عاصم ،
فأمرهم فخطبوا وذهوا الحارث ، وذكروا خُبْرَ سِيرَتِهِ وَغَدْرَهُ ، وكان
الحارث قد لبس السواد ، ودعا إلى كتاب الله وسُنَّةِ نبيه والبيعة
للرضا ، فسار من الفارياب^(٣) ، وأتى بلخ ، وعليها^(٤) نصر بن سيار
والتجبي ، فلقياه في عشرة آلاف وهو في أربعة آلاف ، فقاتلها ،
فانهزم أهل بلخ .

وتبعهم الحارث ، فدخل مدينة بلخ ، وخرج نصر بن سيار منها ،
وأمر الحارث بالكف عنهم ، واستعمل عليها رجلاً من ولد عبد الله
ابن خازم ، وسار إلى الجوزجان فغلب عليها وعلى الطالِقَانِ ومرَّ
الرُّوذ . فلما كان بالجوزجان استشار أصحابه في أي بلد يقصِد .
فقبل له : مرَّو بِيضَة خراسان وقرسانهم كثير ، ولو لم يلقوك
إلا بعيدهم لانتصفوا منك ، فأقم ، فإن أتوك فقاتلهم ، وإن أقاموا
قطعت المأدَّة عنهم .

(١) في ك : سريج .

(٢) في د : الفاريات . والمثبت في الكامل ، والطبري .

(٣) في الطبري : وكان عندها التجبي من ضيعة المرى ونصر بن سيار

قال: لا أرى ذلك؛ وسار إلى مرو، فأقبل إليها يُقالُ في ستين ألفاً، ومعه قُرمسان الأزدِ وتميم، منهم محمد بن المنثى، وحماد ابن عامر الجُماني، وداود الأعسر، وبشر بن أنيف الرياحي، وعطاء الدبوسى.

ومن الدهاقين دِهَقَانُ الْجُوزْجَانِ، ودِهَقَانُ الْقَارِيَابِ^(١)، وملك الطالِقَانِ ودِهَقَانُ مَرُو الرُّوذِ في أشباههم، وخرج عاصمٌ في أهل مَرُو وغيرهم، فمسكر وقطع القناطر، وأقبل أصحابُ الحارث فأصلحوها، فمال محمد بن المنثى القُراهِيدى الأزدى إلى عاصم في ألفين، فأتى الأزد، ومال حماد بن عامر الجُماني إليه، فأتى بنى تميم، وأتى الحارثُ وعاصم فافتتلوا قتالا شديداً، فانهزم أصحابُ الحارث، ففرق منهم بشرٌ كثير، في أنهار مَرُو وفي النهر الأعظم؛ ومضت الدهاقينُ إلى بلادهم، وغرق خازم^(٢) بن عبد الله بن خازم، وكان مع الحارث. وقُتِل أصحابُ الحارث قَتْلًا ذَرِيعًا، وقطع الحارث وادى مَرُو، ففُضِرَب رواقاً عند منازل الدهاقين، وكَفَّ عنه عاصم^(٣)؛ واجتمع إلى الحارث زهاء ثلاثة آلاف، ثم كان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وفيهما عزل هشامُ عبد الله بن الحَبِيب عن ولاية مِصْر، واستعمله على إفريقية.

وقيل: كان ذلك في سنة [١١٧هـ] سبع عشرة ومائة.

وحجَّ بالناس في هذه السنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك. والله أعلم.

(١) في د: الفاريات، وهو تصحيف كما تقدم.

(٢) في الطبرى: وغرق خازم بن موسى بن عبد الله بن خازم.

(٣) في الطبرى: ولو أُلح عليه لأهلكه.

سنة (١١٧ هـ) سبع عشرة ومائة :

ذكر عزل عاصم عن خراسان

وولاية أسد وخير الحارث بن سُرَيْج

في هذه السنة عزل هشامُ بن عبد الملك عاصمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عن خُرَاسان ، وَضَمَّهَا إلى خالد بن عبد الله الْقَسْرِي أمير العراقين ، فامتعمل عليها خالد أخاه أَسَد بن عبد الله .

وكان سبب ذلك أَنَّ عاصمًا كتب إلى هشام : أما بعد فإن الزائد لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وإن خُرَاسان لاتصلحُ إِلَّا أَنْ تُضَمَّ إلى العراق ^(١) وتكون مَعُونَتِهَا وَمَوَادِّهَا ^(٢) من قريب ، لتباعد أمير المؤمنين [عنها] ^(٣) وتباطىء غِيَاثِهِ [عنها] ^(٤) ، فضمَّ هشام خراسان إلى خالد بن عبد الله ، وكتب إليه : ابْعَثْ أَخَاكَ يُصْلِحْ ما أَفْسَدَ ؛ فَإِنَّ كَانَتْ رَجِيَّةُ كَانَتْ بِهِ . فسِيرَ خَالِدُ [إليها] ^(٥) أَخَاهُ أَسَدًا ، فلما بلغ عاصمُ إقبالَ أَسَدٍ ، وأنه قد بعث على مقدمته محمد بن مالك الهمداني صالح الحارث ابن سُرَيْج ، وكتبًا بينهما كتابًا ، على أن ينزل الحارثُ أَيْ كُورَ خُرَاسان شاء ، وأن يكتبها جميعًا إلى هِشَامٍ يسألانه كتاب الله وسنة نبيه ، فَإِنَّ أُنَى اجتمعَا عليه .

فختم على الكتاب بغضُ الرؤساء ، وَأُنَى يَخْنِي بن حُصَيْن بن المنذر أن يختم ، وقال : هذا خَلْعٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فانفسخ ذلك .

(١) في الطبري : إلى صاحب العراق .

(٢) في د : فتكون مواردها ومعونتها .

(٣) من الطبري .

(٤) ساقط في ك .

وكان عاصم بقرّة بأعلى مرو ، فاتاه الحارث بن سريج فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم الحارث ، وأسر جماعة من أصحابه ، منهم : عبد الله بن عمرو المازنى رأس أهل مرو الروذ ، فقتل عاصم الأسرى ، وعظم أهل الشام يحيى بن حُصَيْن لما صنع في نقض الكتاب ، وكتبوا كتاباً بما كان وهزيمة الحارث ويعنوه إلى أسد ، فلقية بالرّى وقيل ببيهق^(١) .

فكتب أسد إلى أخيه خالد ينتحل أنه هزم الحارث ، ويخبره بأمر يحيى ، فأجاز خالد يحيى بعشرة آلاف دينار ومائة حلة ، وحبس أسد عاصم وحاسبه وطلب منه مائة ألف درهم ، وقال : إنك لم تغز ، وأطلق عمال الجنيد ، وقدم أسد ولم يكن لعاصم إلا مرو ونيسابور ، والحارث بمرو الروذ ، وخالد بن عبيد الله الهجرى بأمل موافق للحارث ، فخاف أسد إن قصد الحارث بمرو الروذ أن يأتى الهجرى مرو من قبل أمل ، وإن قصد الهجرى قصد الحارث مرو من قبل مرو الروذ ، فأجمع رأيه على توجيه عبد الرحمن بن نعيم في أهل الكوفة والشام إلى الحارث بمرو الروذ ، وسار أسد بالناس إلى أمل ، فلقية خيل أمل ، عليهم زياد القرشى مؤلى حيان النبطى وغيره ، فهزموا حتى رجعوا إلى المدينة ، فحصرهم أسد ، ونصب عليهم المجانيق ، فطلبوا الأمان ، وطلبوا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وألا يؤخذ أهل المدن بجذابتهم ، فأجابهم أسد إلى ذلك ، واستعمل عليهم يحيى ابن نعيم بن هبيرة الشيبانى ، وسار يريد بلخ ، فأخبر أن أهلها قد

(١) بيهق : ناحية كبيرة وكورة واسعة من نواحي نيسابور تشتمل على ثلاثمائة وإحدى وعشرين قرية (ياقوت) .

بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم ، فسار حتى قدمها ، واتَّخَذَ سَفُنًا ،
وسار منها إلى ترمذ ، فوجد الحارث مُحَاصِرًا لها ، وبها مِئَتَانِ الْأَعْرَابِي ،
فنزل أَمَدَ دُونَ النهر ، ولم يُطَقِ الْعُبُورَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا أَنْ يُعِدَّهُمْ ،
وخرج أهل تَرَمِذَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَقَاتَلُوا الْحَارِثَ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَاسْتَطَرَدَّ
الْحَارِثُ لَهُمْ ، وَكَانَ قَدْ وَضَعَ كَيْمِيًا ، فَلَمَّا جَاوَزُوهُ خَرَجَ عَلَيْهِمْ ،
فَانْهَزَمُوا .

ثم ارتحل أسدٌ إلى بَلَخَ ، ثم خرج أهلُ تَرَمِذَ إلى الْحَارِثِ ، فهِزَمُوهُ .
ثم سار أسدٌ إلى سَمَرْقَنْدَ فِي طَرِيقِ زَمَ (١) ، فَلَمَّا قَدِمَ زَمَ بَعَثَ
إِلَى الْهَيْثَمِ الشَّيْبَانِي وَهُوَ فِي حِصْنٍ مِنْ حَصُونِهَا - وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ
الْحَارِثِ - فَأَمَّنَهُ ، وَوَعَدَهُ الْمُوَاسَاةَ وَالْأَمَانَ لَمَنْ مَعَهُ ، وَأَقْسَمَ
إِنَّهُ إِنْ رَدَّ ذَلِكَ وَرَمَى بِهِمْ إِلَّا يَوْمُهُ (٢) أَبَدًا ، وَإِنَّهُ إِنْ جَعَلَ لَهُ
أَلْفَ أَلْفِ أَمَانٍ لَا يُفِي لَهُ .

فخرج إليه وسار معه إلى سَمَرْقَنْدَ ، ثُمَّ ارْتَفَعَ إِلَى وَرْعَسَرِ (٣)
- وَمَاءِ سَمَرْقَنْدَ مِنْهَا - فَسَكَّرَ (٤) الْوَادِي ، وَصَرَفَهُ غِنَى سَمَرْقَنْدَ .
ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَلَخَ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهَا مَرَّحَ جُلَيْعًا الْكُرْمَانِي
إِلَى الْقَلْعَةِ الَّتِي فِيهَا ثَقُلُ الْحَارِثِ وَأَصْحَابِهِ ، وَاسْمُهَا التَّبُوشْكَانُ مِنْ

(١) زَمَ - بضم أوله وتشديد الميم : قيل هي بئر لبني سعد بن مالك . وقيل :
ماء لبني عجل فيما بين آداني طريق الكوفة إلى مكة والبصرة (ياقوت) .

(٢) في ك : لا يأمنه .

(٣) في ك : وردغيس . والمثبت في الكامل والطبري . وفي ياقوت : ورغسر -

بفتح أوله وثانيه وغين ساكنه وسين مهملة مفتوحة وراء : من قرى سمرقند .

(٤) في ك : سكر . وسكر النهر : مده .

طَخَارِستان العليا وفيها بنو بَرَزَى^(١) التغلبيون أصهار الحارث ،
فحصروهم الكَرَمَانِي حَتَّى فَتَحَهَا ، وذلك فى سنة [٥١١٨هـ] ثمان عشرة ،
فقتل مقاتلتهم ، وسبى عَادَةً أَهْلَهَا من العرب والموالى واللِّرَارَى ،
وباعهم فيمن يزيد فى سوق بَلْخ .

قال : ونَقَمَ على الحارث أربعمائة وخمسون رجلا من أصحابه :
وكان رئيسهم جرير بن ميمون القاضى ، فقال لهم الحارث : إن كنتم
لا بدَّ مُفَارِقِي فاطبوا الأمان ، وأنا شاهدٌ ، فإنهم يجيبونكم . وإن
ارتحلْتُ قَبْلَ ذلك لم يعطوا الأمان . فقالوا : ارتحل أنت عنا :
وخلَّنا .

فأرسلوا يطلبون الأمان ، فأخبر أَسَدُ أَنَّ القوم ليس لهم طعام
ولا ماء ، فسرَّح إليهم أَسَدُ جُديعًا الكَرَمَانِي وستة آلاف ، فحصروهم
فى القلعة وقد عطش أهلها ، وجاعوا ، فسألوا أَنْ يَنْزِلُوا على الحكم ،
ويترك لهم نساءهم وأولادهم ، فأجابهم ، فنزلوا على حُكْمِ أَسَد .

فأرسل أَسَدُ إلى الكَرَمَانِي بِأَمْرِهِ أَنْ يُحْمَلَ إليه خمسون رجلا
من وجوههم ، فيهم المهاجر بن ميمون ، فحُمِلُوا إليه فقتلهم ، وكتب
إلى الكَرَمَانِي أَنْ يجعلَ الذين يَقُوا عنده أثلاثًا ، فثُلث يَقتُلهم ، وثُلث
يقطع أيديهم وأرجلهم ، وثُلث يقطع أيديهم . ففعل ذلك بهم ، وأخرج
أثقالهم فباعها ، واتخذ أَسَدُ مدينة بَلْخَ دَارًا ، ونقل إليها الدواوين ،
ثم غزا طخارستان .

وحجَّ بالناس فى سنة [٥١١٧هـ] سبع عشرة ومائة خالد بن عبد الملك .

(١) الضبط فى الطبرى .

سنة (١١٨ هـ) ثمان عشرة ومائة :

في هذه السنة عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم عن المدينة ، واستعمل عليها خالد بن محمد بن هشام بن إسماعيل ، وحج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل . وكان أمير المدينة .

سنة (١١٩ هـ) تسع عشرة ومائة :

ذكر قتل المغيرة وبيان

في هذه السنة خرج المغيرة بن سعيد وبيان في سبعة نفر ، وكانوا يسمون الوصفاء ، وكان المغيرة ساحراً ، وكان يقول : لو أردت أن أحجي عاداً وثمود وقرؤنا بين ذلك كثيراً لفعلت . وبلغ خالد بن عبد الله القسري خروجهم بظهر الكوفة ، وهو يخطب ، فقال : أطعموني ماء ، فقال يحيى بن نوفل في ذلك من أبيات ^(١) :

وقلتَ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعِمُونِي شَرَابًا ثُمَّ بُلْتُ عَلَى السَّرِيرِ
لَأَعْلَاجِ ثَمَانِيَةَ وَشَيْخِ كَبِيرِ السِّنِّ لَيْسَ بِلَذِي نَصِيرِ
فَأَرْسَلَ خَالِدٌ فَأَخَذَهُمْ وَأَمَرَ بِسَرِيرِهِ فَأَخْرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ،
وَأَحْرَقَهُمْ بِالْقَصَبِ وَالذَّقَطِ .

وكان مذهب المغيرة التجسيم ، يقول : إن ربه على صورة رجل على رأسه تاج ، وإن أعضاءه على عدد حُرُوفِ الهجاء . تعالى الله عن ذلك .

وكان يقول : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ تَكَلَّمَ بِاسْمِهِ

الأعظم ، فطار فوق على تاجه ، ثم كتب بإصبعه على كفه أعمال
عباده من المعاصى والطاعات ، فلما رأى المعاصى ارتفض عرقاً ، فاجتمع
من عرقه بخران : أحدهما ملح مظلم ، والآخر عذب نير ، ثم اطلع
فى البحر فرأى ظله فذهب ليأخذه ، فطار فأدركه فقلع عيني ذلك
! الظل ومحقه ، فخلق من عينيه الشمس وشمساً أخرى . وخلق من
البحر الملح الكفار ، وخلق من البحر العذب المؤمنين .

وكان [لعنه الله ^(١)] يقول بالهية على وتكفير أبى بكر وعمر
وسائر الصحابة رضى الله عنهم إلا من ثبت مع على رضى الله عنه .

وكان يقول : إن الأنبياء لم يختلفوا فى شيء من الشرائع .

وكان يقول بتحريم ماء الفرات وكل نهر أو عين أو بئر وقعت
فيه نجاسة .

وكان يخرج إلى المقبرة فيتكلم فيرى أمثال الجراد على القبور .

وأما مذهب بيان فإنه كان يقول بالهية على رضى الله عنه ،
وإن الحسن والحسين إلهان ، ومحمد ابن الحنفية بعده ، ثم بعد
ابنه أبو هاشم بن محمد بنوع من التناسخ .

وكان يقول : إن الله تعالى يغنى جميعه إلا وجهه ، ويحتج بقوله
تعالى ^(٢) : ﴿ وَيُنْفِىْ وَجْهَ رَبِّكَ ﴾ . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .
وادعى النبوة ، وزعم أنه المراد بقوله عز وجل : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٣) .

(١) ليس فى د .

(٢) سورة الرحمن ، آية ٢٧

(٣) سورة آل عمران ، آية ١٣٨

ذكر خبر الخوارج في هذه السنة

وفي هذه السنة خرج بُهْلُولُ بن بَشْر الملقَّبُ كُثَارَة ، وهو من الموصل من شيبان ، وكان سبب مخرجه أنه خرج يريد الحج ، فأمر غلامه أن يتنازع له خلاً بديرهم ، فأتاه بخمير فأمره ^(١) برده فلم يجبه صاحبه الخمر إلى ذلك ، فجاء بُهْلُولُ إلى صاحب القرية وهي من السواد ، فكلَّمه ، فقال العامل : الخمر خير منك ومن قومك . فمضى إلى الحج وقد عزم على الخروج ، فلقى بمكة من كان على مثل رأيه ، فاتعلوا قرية من قرى الموصل ، فاجتمعوا بها - وهم أربعون رجلاً - وأمرؤا عليهم البهلول ، وكتبوا أمرهم ، وجعلوا لا يمترون بعامل إلا أخبروه أنهم قدموا من عند هشام على بغض الأعمال ^(٢) ، وأخذوا دواب البريد .

فلما أتوا إلى القرية التي ابتاع الغلام منها الخمر قال بُهْلُولُ : نبتدأ بهذا العامل ، فقال أصحابه : نحن نريد قتل خالد ، وإن بدأنا بهذا شهر أمرنا ، وحذرنا خالد وغيره ، فنشدناك الله أن تقتل هذا فبقتل منا خالد الذي يهدم المساجد ، ويبني البيع والكنائس ، ويولى المجوس على المسلمين ، ويشكح أهل الذمة المسلمين ، لعلنا نقتله . قال : والله لا أدع ما يلزمني لما بعده ، وأرجو أن أقتل هذا وخالداً ، فاتاه فقتله .

فعلم الناس أنهم خوارج ، وهربوا ، وخرجت البرد إلى خالد فأعلموه بهم ، فخرج خالد من واسط ، فأتى الحيرة ، وبها جند قد قدموا

(١) في ك : فأمر .

(٢) ك : الحال .

من الشام مدداً لعمال الهند ، فأمرهم خالد بقتالهم ، وقال : من قتل منهم رجلاً أعطيتُه عطاء موسى ما أخذ في الشام ، وأعفيتُه من الدخول إلى الهند .

فسارعوا إلى ذلك ، فتوجه مقدمهم ، وهو من بني القَيْن ، ومعه مائة منهم ، وضم إليه خالد مائتين من الشرط ، فالتقوا على الفرات ، فقال القيني لمن معه من الشرط : لا تكونوا معنا ^(١) ليكون الظفر له ولا أصحابه .

وخرج إليهم بهلول ، فحمل على القيني فطعنه فأنفذه ، وانهمز أهل الشام والشرط ، وتبعهم بهلول وأصحابه يقتلونهم ، حتى بلغوا الكوفة ، ووجد بهلول مع القيني بذرة فأخذها .

وكان بالكوفة سنة يروند رأي ^(٢) بهلول ، فخرجوا فقتلوا بصرينيين ^(٣) ، فخرج بهلول فقال : من قتل هؤلاء ، حتى أعطيتُه هذه البذرة ؟ فجاء نفر فقالوا : نحن قتلناهم ، وهم يظنونهم من عند خالد ، وصدقهم أهل القرية ، فقتلهم ، وترك أهل القرية .

وبلغ خالد الخبر ، فوجه إليه قائداً من شيبان أحد بني حوثب ابن يزيد بن رؤيم ، فلقبه فيما بين الموصل والكوفة ، فانهمز أهل الكوفة ، فاتوا خالد ، وارتحل بهلول من يومه يريد الموصل ، فكتب عامل الموصل

(١) عبارة الطبري أوضح ، وهي : فعبا القيني أصحابه وعزل الشرط ، فقال : لا تكونوا معنا ، وإنما يريد في نفسه أن يخلو هو وأصحابه بالقوم ، فيكون الظفر دون غيرهم لما وعدم خالد .

(٢) في د. برأى .

(٣) صريفيون - بفتح أوله وكسر ثانيه وبعد الياء فاء مضمومة ثم واو ، وآخره : نون في سواد العراق (المراسد) .

إلى هشام يُخْبِرُهُ بهم ، ويسأله جُنْدًا ، فكتب إليه هشام : وجه إليهم
كثارة بن بشر .

فكتب إليه : إن الخارج هو كثارة .

ثم قال بُهلول لأصحابه : إنا والله ما نصنعُ بأبْنِ النصرانيةِ شيئًا -
يعنى خالدًا - فلم لا نطلبُ الرأسَ الذى سلطَ خالدًا .

فسار يريد هشاما بالشام ، فخاف عمالُ هشام من هشام إن تَرَكَوه
يجوزُ إلى بلادهم ، فسيرَ خالدُ جُنْدًا من العراق ، وسيرَ عاملُ الجزيرة
جُنْدًا من الجزيرة ، ووجهَ هشام جُنْدًا من الشام ، فاجتمعوا بدير
بين الجزيرة والموصل ، وأقبل بُهلول إليهم .

وقبل : التقوا بكحيل^(١) دون الموصل ، ونزل بُهلول على باب
الدَّيْر ، وهو في سبعين ، فحمل عليهم فقتل منهم نَفَرًا ستة ، وقتلهم
عامةً نهاره ، وكانوا عشرين ألفا ، فأكثرَ فيهم القتل والجراح .

ثم إن بُهلولًا وأصحابه عَقَرُوا دَوَابَّهُمْ وترَجَّلُوا ، فقاتلوا قتالا
شديدًا ، فقتل كثير من أصحاب بُهلول وطعن فُصْرَع ، فقال أصحابه :
ولَّ أمرنا ، فقال : إن هَلَكْتُ فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ دِعامَةُ الشَّيبَانِي ، فإن هلك
فعمرُو البشكرى ، ومات بُهلول من ليلته ، فلما أصبحوا هرب دِعامَةُ
وتركهم ، وخرج عمرو البشكرى فلم يلبث أن قتل .

وخرج العنزى صاحب الأشهب^(٢) على خالد في ستين فوجه
إليه خالد السَّمُط بن مُسلم البجلي في أربعة آلاف ، فالتقوا بتاحية

(١) كحيل : موضع بالجزيرة . قال السرخسى : الكحيل : مدينة عظيمة على دجلة
بين الزابين فوق تكريت من الجانب الغربى . والكحيل : فى بلاد هذيل (ياقوت) .

(٢) فى الطبرى : وهذا كان يعرف .

الفرات ، فانهزم الخوارج ، فتلقاهم عبيد أهل الكوفة وسفلتهم^٣ فرمواهم بالحجارة حتى قتلوهم .

ثم خرج وزير السخثيانى على خالد بالحيرة فى نفر ، فجعل لا يمر بقرية إلا أحرقها ، ولا يلقى أحداً إلا قتله ، وغلب على ما هنالك وعلى بيت المال ، فوجه إليه خالد جنوداً ، فقتلوا عامة أصحابه ، وأنخن بالجراح وأتى به خالد ، فأقبل على خالد فوعظه ، فأعجب خالد ما سمع منه ، فلم يقتله وجسه عنده . وكان يؤتى به فى الليل فيجأده ، فسعى بخالد إلى هشام .

وقيل : أخذ حرورياً قد قتل وحرق وأباح الأموال فجعله سبيراً ، فغضب هشام ، وكتب إليه يأمره بقتله ، فأخر قتله ، فكتب إليه ثانياً يأمره بقتله وإحراقه ، فقتله وأحرقه ونفراً معه ، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات وهو يقرأ^(١) : « قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لو كانوا يفقهون » .

وخرج الصحارى بن^(٢) شبيب بن يزيد بناحية جبل^(٣) ، وكان قد أتى خالداً يسأله^(٤) الفريضة ، فقال له : وما يصنع ابن شبيب بالفريضة ؟ فمضى وتقدم خالد ، وخاف أن يفتق عليه فتناً ، فطلبه فلم يرجع إليه ، وسار حتى أتى جبل ، وبها نفر من بنى تميم اللات ابن ثعلبة ، فأخبرهم خبره ، فقالوا : وما كنت ترجو من ابن التصراية ؟ كنت أؤلى أن تسير إليه بالسيف فتضربه به . فقال : والله ما أردت

(١) سورة التوبة ، آية ٨١ . (٢) الضبط فى د .

(٣) جبل - بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها ولام : بليدة بين النعمانية وواسط

فى الجانب الشرقى (ياقوت) .

(٤) فى ك : فسأله .

الْقَرِيضَةَ ، وما أَرَدْتُ إِلَّا التَّوَصُّلَ إِلَيْهِ لئَلَا يُنْكِرَنِي ، ثم أَقْتَلَهُ بِقُلَانٍ -
يعنى رجلاً من الصُّفَرِيَّةِ ، كان خالده قَتَلَهُ صَبْرًا .

ثم دعاهم إلى الخروج معه فَتَبِعَهُ مِنْهُمْ ثَلَاثُونَ رَجُلًا ، فخرج بهم ،
فبلغ خَبِيرُهُ خَالِدًا ، فقال : قد كُنْتُ خِفْتُهَا مِنْهُ ، ثم وَجَّهَ إِلَيْهِ جُنْدًا
فلقوه بِنَاحِيَةِ الْمَنَازِرِ ^(١) ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فقتلوه وجميع
أصحابه .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أَبُو شَاكِرٍ مُسْلِمَةٌ بَنُ هِشَامٍ .

سنة (١٢٠ هـ) عشرين ومائة :

في هذه السنة توفى أسد بن عبد الله الْقَسْرِيُّ أمير خراسان في شهر
ربيع الأول بمدينة بلخ ، واستخلف جعفر بن حَنْظَلَةَ الْبَهْرَائِيَّ فعمل
أربعة أشهر ، ثم جاء عهد نَصْرٍ بَنِ سِيَّارٍ في شهر رجب من السنة .

ذكر عزل خالد بن عبد الله القسري

وولاية يوسف بن عمر الثقفي

وفي هذه السنة عزل هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ خَالِدًا عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ .
وقد اِخْتَلَفَ فِي سَبَبِ ذَلِكَ ، فَقِيلَ : إِنَّ أَبَا الْمُنَى قُرُوشَ كَانَ عَلَى ضِيَاعِ
هِشَامِ بِنَهْرِ الرُّمَّانِ ^(٢) بِالْعِرَاقِ فَثَقُلَ عَلَى خَالِدٍ أَمْرُهُ ، فَقَالَ خَالِدٌ
لِحَسَّانِ النَّبْطِيِّ : اِخْرُجْ إِلَى هِشَامٍ وَزِدْ عَلَى قُرُوشَ . ففعل حَسَّانُ
ذَلِكَ وَتَوَلَّاهَا ، فَصَارَ حَسَّانُ أَنْقَلَ عَلَى خَالِدٍ مِنْ قُرُوشَ ، فَجَعَلَ يُؤْذِيهِ ،
فَيَقُولُ لَهُ حَسَّانُ : لَا تُفْسِدَنِي ، وَأَنَا صَنِيعْتُكَ ، فَأَبَى إِلَّا أَذَاهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ

(١) منازر - بالفتح والذال معجمة مكسورة : وهما بلدتان بنواحي خوزستان :

منازر الصغرى ، ومنازر الكبرى . (ياقوت) .

(٢) في الطبري : بموضع يقال له رستاق الرمان ، أو نهر الرمان .

عليه بَثَقُ البُثُوقِ على الضياع ، ثم خرج حسان إلى هشام ، فقال له :
 [لأنَّ خالدا بَثَقَ البُثُوقِ على ضياعك ، فوجه هشام من يَنْظُرَ إليها . وقال
 حسان^(١) لخدام من خَدم هشام : إنَّ تكلَّمت بكلمة أقولُها لك حيث
 يسمع هشام فلك عندى ألفُ دينارٍ . قال : فعملها فأعطاه ، وقال له :
 نُبَكِّى صبيا من صبيان هشام ، فإذا بكى فقلْ له : اسكُنْ ، فكأنك
 ابنُ خالد الذى غلَّته عشرة آلاف^(٢) ألف .

ف فعل الخادم ، فسمعها هشام ، فسأل حسان^(٣) عن غلَّةِ خالد
 فقال : ثلاثة عشر ألف ألف ، فوقرت في نفس هشام .

وقيل : بل كانت غلَّته عشرين ألف ألف ، وإنه حفر بالعراق
 الأنهار ، ومنها نهر^(٤) خالد وناجوى^(٥) وبارمانا ، والمبارك^(٥)
 والجامع ، وكورة سابور ، والصلح ، وكان كثيراً ما يقول : إني مظلوم
 مانحت قدمى شيء إلا وهوى سيعنى أن عمر جعل لبجيلة ربع [خمس]^(٦)
 السواد ، وأشار عليه العريان بن الهيثم وبلال بن أبى بريدة يعرض
 أملاكه على هشام ليأخذ منها ما أراد ، ويضمنان له الرضا ، فإيهما
 بلغهما تغير هشام عليه ، فلم يفعل ولم يُجيبهما إلى شيء .

وقيل لهشام : إنَّ خالدا قال لولده : ما أنتَ بدون مسلمة بن هشام ،
 وقد كان يذكر هشاما ، فيقول : ابن الحمقاء .

(١) فى الكامل : حيان .

(٢) فى الطبرى والكامل : ثلاثة عشر ألف ألف .

(٣) نهر لآل خالد بن أسيد وآل أبى بكرة بالبصرة (فتوح البلدان) .

(٤) فى د : باجوى . والمثبت فى ك أيضاً .

(٥) المبارك : نهر حفره خالد بن عبد الله القسرى (فتوح البلدان) .

(٦) ابس فى الكامل .

وكان خالد يخطب فيقول : زعمتم أني أغلي أسعاركم فلي من يغليها لعنة الله .

وكان هشام كتب إليه لا تتبعن من الغلات شيئاً حتى تباع غلات أمير المؤمنين .

وكان يقول لابنائه : كيف أنت إذا احتاج إليك ابن أمير المؤمنين ؟ فبلغ ذلك كله هشاماً ، فتكرّر له ، وبلغه أنه يستقل ولاية العراق ، فكتب إليه هشام : يا ابن أم خالد ، بلغني أنك تقول : ما ولاية العراق في بشرف . يا ابن^(١) اللخاء ، كيف لا تكون ولاية العراق لك شرفاً ، وأنت من بجيلة القليلة الذليلة ! أما والله إنى لأظن أن أول من يأتيتك صغير^(٢) من قریش يشد يدك إلى عنقك .

ولم يزل يبلغه عنه ما يكره ، فعزم على عزله وكنه ذلك ، وكتب إلى يوسف بن عمر - وهو باليمن بأمره أن يقدم في ثلاثين من أصحابه إلى العراق ، فقد ولّاه ذلك .

فسار يوسف إلى الكوفة فعرّس^(٣) قريباً منها ، وقد ختن طارق خليفة خالد بالكوفة ولده ، فأهدى إليه ألف ووصيفة ووصيفة يسوى الأموال والثياب ، فمر بيوسف بغض أهل العراق فسألوه ما أنتم ؟ وأين تريدون ؟ قالوا : بغض المواضع ؛ فأتوا طارقاً فأخبروه خبرهم ، وأمره بقتلهم ، وقالوا : إنهم خوارج .

وسار يوسف إلى دور ثقيف . فقيل لهم : ما أنتم ؟ فكنتموا

(١) في الطبري : يا ابن اللخاء .

(٢) في د : صقر : والمثبت في الطبري والكامل .

(٣) عرس : أقام .

حَالَهُمْ . وأمر يوسف فَجَمَعَ إِلَيْهِ مَنْ هُنَاكَ مِنْ مُضَر ، فلما اجتمعوا دخل المسجد مع الفَجَر ، وأمر المؤذِّنَ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ . فصَلَّى ، وأرسل إلى خَالِدٍ وطَارِقٍ فَأَخَذَهُمَا وَإِنَّ الْقُلُودَ لَتَتَغَلَّى .

وقيل : لما أراد هشام أن يُورِثَ يوسفَ العراقَ كَتَمَ ذَلِكَ ، فقدم جُنْدَبَ مولى يوسفَ بكتابِ يوسفَ إلى هشام ، فقراه ثم قال لسالم مولى عَنبِيسَةَ - وهو على الدِّيوان : أجيئه عن لِسَانِكَ ، وأتني بالكتاب .

وكتب هشام بخطه كتابا صغيرا إلى يوسفَ يَأْمُرُهُ بالمسيرِ إلى العراقِ .

فكتب سالم الكتابَ وأتاه^(١) به ، فجعل كتابه في وسطه وختمه ، ثم دعا رسولَ يوسفَ فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ وَمُزَقَّتْ ثِيَابُهُ ، ودفع إليه الكتابَ ، فسار وارتاب بشير بن أبي ثَلَجَةَ^(٢) وكان خليفةَ سالم ، وقال : هذه حيلةٌ ، وقد ولي يوسفَ العراقَ . فكتب إلى عِيَاضَ - وهو نائبُ سالمَ بالعراقِ : إِنَّ أَهْلَكَ قَدِ بَعَثُوا إِلَيْكَ بِالثُّوبِ الْيَابِى : فإذا أتاك فآلبسْهُ ، واحمد الله تعالى . وأَعْلِمَ ذَلِكَ طَارِقًا . فَأَعْلَمَ عِيَاضُ طَارِقًا بَنَ أَبِى زِيَادٍ بِالْكِتَابِ ، ثم ندم بشير على كتابِهِ ، فكتب إلى عِيَاضَ : إِنَّ أَهْلَكَ قَدْ بَدَأَ لَهُمْ فِي إِسْكَائِكَ الثُّوبِ .

فَأَتَى عِيَاضُ بِالْكِتَابِ الثَّانِىَ إِلَى طَارِقٍ ، فقال طَارِقُ : الْخَبِيرُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، وَلَكِنْ بِشِيرًا نَدَمَ وَخَافَ أَنْ يَظْهَرَ الْخَبِيرُ .

وركب طَارِقٌ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى خَالِدٍ وَهُوَ بِوِاسِطَ ، فَرَأَاهُ دَاوُدَ ،

(١) في الكامل : وَاتَى بِهِ هِشَامًا . (٢) في الكامل : طَلَجَةُ . والمثبت في د ، ك .

وكان على حجابة خالد وديوانه ، فأعلم خالدًا فأذن له ، فلما رآه قال : ما أقدمك بغير إذن ؟ قال : أمرٌ كنتُ أخطأت فيه ، كنتُ قد كتبْتُ إلى الأميرِ أعزُّيه بأخيه أسد ، ولما كان يجب أن آتيه ماشيًا ، فرق خالد ودمعت عيناه ، فقال : ارجع إلى عملك . فأخبره الخبر لما غاب داود^(١) ، قال : فما الرأي ؟ قال : تركبُ إلى أمير المؤمنين فتعتذرُ إليه مما بلغه عنك . قال : لا أفعلُ ذلك بغير إذن . قال : فترسلني إليه حتى آتيك بإذنيه . قال : ولا هذا . قال : فاضمن لأمر المؤمنين جَمْع ما انكسر في هذه السنين وآتيك بعهدِهِ . قال : وكَم مبلغُهُ ؟ قال : مائة ألف ألف . قال : ومن أين أجدها ؟ والله ما أجدهُ عشرة آلاف ألف درهم . قال : أتحمِلُ أنا وفلان وفلان . قال : إلى إذا للئيم ، أن كنتُ أعطيتكم شيئًا وأعوذُ فيه . قال طارق : إنما نقيك ونقي أنفسنا بأموالنا ، ونستأنف الدنيا وتبقى النعمة عليك وعلينا خبرٌ من أن يجيء من يطالبنا بالأموال . وهي عند أهل الكوفة فيتربصون فنقتل ويأكلون تلك الأموال . فأبى خالد ، فودَّعه طارق وبكى ، وقال : هذا آخر ما نلتقي في الدنيا ، ومضى إلى الكوفة ، وخرج خالد إلى الحمة^(٢) ، وقدم رسول يوسف عليه اليمن ، فقال : أمير المؤمنين : ساخط عليك ، وقد ضربني ، ولم يكتب جواب كتابك ، وهذا كتاب سالم صاحب الديوان ، فقرأه ، فلما انتهى إلى آخره قرأ كتاب هشام بخطه بولاية العراق ، وبأمره أن يأخذ ابن النصرانية-

(١) في الطبرى : قال : أردت أن أذكر للأمير أمراً أسره . قال : مادون داود سر . قال : أمر من أمرى . فغضب داود وخرج . والمثبت في الكامل .

(٢) في بلاد العرب حمات كثيرة (ياقوت) .

يعنى خالدا وعُملاله - فبعثهم ، فأخذه ليلا ، وسار من يومه ، واستخلف على اليمن ابنه الصلت ، فقدم الكوفة فى جنادى الاخرة سنة [٥١٢٠] عشرين ومائة ، فنزل التجف ، وأرسل مولاة كيسان ، وقال : انطلق فأتنى بطارق ، فإن قبل فاحمله على إكاف^(١) ، وإن لم يقبل فأت به سحبا ، فأتى كيسان الحيرة فأخذ معه عبد المسيح سيد أهلها إلى طارق ، فقال له : إن يوسف قد قدم على العراق وهو يستدعيك . فقال له طارق : إن أراد الأمير المال أعطيته ما شاء .

وأقبلوا به إلى يوسف بالحيرة ، فضربه ضربا مبرحا يقال خمسمائة سوط. ودخل الكوفة ، وأرسل إلى خالد بالحنة . فأخذه وحبسه وصالحه عنه أبان بن الوليد على سبعة آلاف ألف ، فقبل ليوسف : لو لم تفعل لأخذت منه مائة ألف ألف ، فندم ، وقال : قد رهننت لسائى فمه ، ولا أرجع .

وأخبر أصحاب خالد خالدا ، فقال : قد أخطأتم ولا آمن أن يأخذها ثم يعود . ارجعوا ، فرجعوا ، فأخبروه أن خالدا لم يرض . فقال : قد رجعت ؟ قالوا : نعم . قال : والله لا أرضى بمثلها ولا مثليها ، فأخذ أكثر من ذلك .

وقيل : أخذ مائة ألف ألف ، وحبس خالد بن عبد الله بالحيرة ثمانية عشر شهرا مع أخيه إسماعيل وابنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر بن أسد .

(١) إكاف الحمار - ككتاب وغراب ، وكافه : برذعه (القاموس) .

وكتب يوسف إلى هشام يستأذنه في تغيبه ، فأذن له مرة واحدة ، فعذبه ثم رده إلى حبسه .

وقيل : بل عذبه عذاباً كثيراً ، وأمر هشام بإطلاقه في شوال سنة [١٢١ هـ] إحدى وعشرين ومائة ، فأطلقه فأتى القرية التي بإزاء الرصافة ، فأقام بها إلى صفر سنة اثنتين وعشرين .
وخرج زيد بن علي بن الحسين [رضى الله عنهم] ^(١) على ما ذكره إن شاء الله .

فكتب يوسف إلى هشام : إن بني هاشم كانوا قد هلكوا جوعاً ، فكانت همة أحدهم قوت عياله ، فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال ، فطمحت أنفسهم إلى الخلافة ، وما خرج زيد إلا عن رأي خالد .

فقال هشام : كذب يوسف ، وضرب رسوله ، وقال : لسنّا نثيهم خالداً في طاعة . وسمع خالد ، فسار حتى نزل دمشق ، ثم كان من أمره ومقتله ما ذكره إن شاء الله في سنة [١٢٦ هـ] ست وعشرين ومائة في أيام الوليد ، وكانت ولاية خالد العراق في شوال سنة [١٠٥ هـ] خمس ومائة ، وعُزل في جمادى الآخرة سنة عشرين .

قال : ولما ولي يوسف العراق كان الإسلام ذليلاً والحكم إلى أهل الذمة ، فقال يحيى بن زوغل فيه ^(٢) :

أنا وأهل الشرك أهل زكائنا وحكائنا فيما نيسر ونَجْهر
فلما أتانا يوسف الخير أشرقَتْ له الأرض حتى كل وادٍ مُنور
وحى رأينا العدل في الناس ظاهراً وما كان من قبل العُقَيْلى يظهر

(١) ساقط في د .

(٢) الشعر والشعراء : ٧١٧

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي .
وقيل : حج بهم مُلَيْمَان بن هشام بن عبد الملك ، وقيل : أخوه
يزيد بن هشام ، والله أعلم .

سنة (١٢١ هـ) إحدى وعشرين ومائة :

في هذه السنة كان ظهور زَيْد بن علي بن الحسين بن علي [رضى الله
عنهم ^(١)] على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار مَنْ نهض في طلبِ
الخلافة من آل أبي طالب ، فقتل دُونَهَا وهو في السَّفر الثالث والعشرين
من كتابنا هذا .

وفيها فرغ الوليد بن بكير عامل الموصل مِنْ حفر النهر
الذى أدخله البلد ، وكان مبلغ النفقة عليه ثمانية آلاف ألف درهم ،
وجعل عليه ثمانين حجراً تطحن . ووقف هشام هذه الأرحاء على عمل
النهر .

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي
سنة (١٢٢ هـ) اثنتين وعشرين ومائة :

في هذه السنة كان مقتل زَيْد بن علي [رضى الله عنه ^(١)] على
ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر قتل البطال

في هذه السنة قُتِلَ البطال ، وهو أبو الحسين عبد الله الأنطاكي ،
في جماعة من المسلمين . وقيل : كان مقتله في سنة [١٢٣ هـ] ثلاث

(١) ساقط في د .

وعشرين ومائة ، وكان كثير الغزاة إلى الروم والإغارة على بلادهم ، وله عندهم ذكرٌ عظيم ، وله حكايات في غزواته يطول الشرح بسرّها .
حكى أنه دخل بلاد الروم في بعض غاراته هو وأصحابه ، فدخل قرية لهم ليلاً وامرأة تقول لصغير يتي : تَمَنُّكَ وإلا سلمتك للبطال ، ثم رفعته بيدها ، وقالت : يا بطالُ خذْه ، فتناوله من يدها . وقد وضع الناس له سيرة .

وحجّ بالناس محمد بن هشام المخزومي .

سنة (١٢٣ هـ) ثلاث وعشرين ومائة :

ذكر صلح نصر بن سيار مع الصغد

في هذه السنة صالح نصر بن سيار الصغد ، وكان خاقان لما قُتِل تفرقت التُّرك في غارةٍ بغضها على بعض ، فقطع أهل الصغد في الرجعة إليها ، وانحاز قومٌ منهم إلى الشاش ، فراسلهم نصر بن سيار ، ودعاهم إلى الرجوع إلى بلادهم ، وأعطاهم ما أرادوا ، فاشترطوا شروطاً منها ألا يعاقب من كان مسلماً وارثاً عن الإسلام ، ولا يعدى عليهم في دين لأحد من الناس ، ولا يؤخذ أسرى المسلمين من أيديهم إلا بقضيه قاض وشهادة عدول .

فعاب الناس ذلك على نصر ، فقال : لو عاينتم قُومَكُم في المسلمين مثل ما عاينتُ ما أنكرتم ذلك .

وأرسل رسولاً إلى هشام في ذلك ، فأجابه إليه .

وحجّ بالناس في هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك .

سنة (١٢٤ هـ) أربع وعشرين ومائة :

فى هذه السنة وما قبلها كان من خَبرِ شِيعَةِ بنى العباس ما نذكرُه
إن شاء الله فى أخبارهم .

وحجَّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل .

سنة (١٢٥ هـ) خمس وعشرين ومائة :

ذكر وفاة هشام بن عبد الملك

ونبذة من أخباره

كانت وفاته بالرصافة لستُ خلونَ من شهر ربيع الآخر منها ،
وصلَّ عليه ابنُه مسلم وكان عُمرُه ستاً وخمسين سنة . وقيل أقل من
ذلك إلى اثنتين وخمسين . ومدةُ خلافته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر
وأحد عشر يوماً ، وكان أخول أبيض سميناً مُنقلب العينين ربعة
يخضب بالسواد ، وكان حسن السياسة يَقْظاً يَبْأَثِرُ الأمور بنفسه ،
وكان له من الستور والكسوة ما لم يكن لمن قبله .

وذكر صاحب العقد ^(١) : أنه لما حجَّ حُمِلت ثياب لباسه ^(٢)
على سمانة جمل ، وكان جماعاً للأموال شديد البخل كَأبيهِ .

قال عقّال بن شُبَّة ^(٣) : دخلتُ على هشام وعليه قباء أخضر ،
فجعلتُ أنظرُ إليه ، فقال : مالك ؟ فقلت : رأيتُ عليك قبل أنْ
تلى الخلافة قباء مثل هذا . فتأملتُه هل هو هو أم غيره ؟
فقال : هو والله هو . وأما ما ترون من جمع المال فهو لكم .

(١) صفحة ٤٤٦ جزء رابع . (٢) فى العقد : خرج فحل ثياب طهره .

(٣) والطبرى . وفى ك : عفان بن شيبه . وتراه تحويفاً .

قيل : وكتب له بعضُ عمّاله : قد بعثتُ إلى أمير المؤمنين بسلة
دُرّاقين ^(١) . فكتب إليه : قد وصل وأعجب أمير المؤمنين فزّد منه
واستوثق من الوعاء .

وكتب إليه عامل : قد بعثت بكُمّة . فأجابه : قد وصلت الكُمّة
وهي أربعون ، وقد تغيّر بعضُها من حشوها ، فإذا بعثت شيئاً
فأجد الحشو في الظرف [التي تجعلها فيه] ^(٢) بالرمل حتى لا يضطرب
ولا يصيب بعضُه بعضاً .

وقيل [له] ^(٣) : أنطعُ في الخلافة وأنتَ بخيل جَبّان ؟ قال :
ولم لا أطمعُ ، وأنا عفيفٌ حلِيمٌ ؟

قالوا : وخلف من العين أربعةً وأربعين ألف ألف دينار ، وما
لأَيُّمُحْصَى من الورق .

ولما مات طلبوا له قُمُتْماً من بعض الخُزّان يسخُنُ له الماء فيه ، فمَنَعَه
عياض كاتب الوليد ، فاستعاروا له قُمُتْماً من بعض الخزان يسخُنُ له
فيه .

وفي أيامه بنى سعيدُ أخوه قُبّةً بيت المقدس .

أولاده : كان له عشرة أولاد من الذكور والإناث ، منهم : معاوية ،
وسليمان .

نقش خاتمه : الحكم للحكم للحكم .

(١) الدراقين : وقد تشدد الراء : المشمش والخوخ (القاموس) .

(٢) من الظبرى .

كتابه : سعيد بن الوليد ، والأبرش الكلبي ، ومحمد بن عبد الله
ابن حارثة .

قاضيه : محمد بن صفوان الجمحي .

حاجبه : غالب مولاة

الأمرء بمصر : محمد بن عبد الملك أخوه ، ثم استغفاه فولأها
[بعده أنس بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن العاص ، ثم استغفى
فولأها] ^(١) حفص بن الوليد الحضرمي ، ثم صرفه وولأها عبد الملك
ابن رفاعه ، ثم مات فولأها أخاه الوليد بن رفاعه ، ثم مات فولأها
عبد الرحمن بن خالد التميمي ^(٢) ، ثم صرفه وولأها حنظلة بن صفوان ،
ثم سيره إلى إفريقية ، وولى حفصا .

وكان على قضائهما من قبل هشام يحيى بن ميمون الحضرمي
إلى أن وليها الوليد بن رفاعه فصرفه ، وولأها أبا نضلة الخيار
ابن خالد ، ثم مات فولى سعيد بن ربيعة الصدفى ، واستغفى ، فولى
توبة بن يمين ^(٣) الحضرمي ، ثم مات فولأها جبر ^(٤) بن نعيم الحضرمي .

ذكر بيعة الوليد بن يزيد

هو أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وأمه
أم الحجاج بنت محمد بن يوسف [أخى الحجاج بن يوسف] ^(١)
الثقفى ، وهو الحادى عشر من ملوك بني أمية .

(١) ساقط في ك . (٢) في د : الفهمي .

(٣) في حسن المحاضرة (١ - ٢٩٧) : بن نمر .

(٤) في حسن المحاضرة : خبر .

ببيع له لست مضيز من شهر ربيع الآخر سنة [١٢٥هـ] خمس وعشرين ومائة .

قال : وكان يزيد قد جعل ولاية العهد لأخيه هشام من بعده ، ثم من بعده للوليد ، وكان عمر الوليد إحدى عشرة سنة ، ثم عاش يزيد حتى بلغ الوليد خمس عشرة سنة ، فكان [يزيد] ^(١) يقول :
الله بيني وبين من جعل هشاما بيتي وبينك ^(٢) .

فلما ولي هشام أكرم الوليد بن يزيد حتى ظهر من الوليد مجون واشتهر بشرب الشراب ، وكان يؤدبه عبد الصمد بن عبد الأعلى يخيله على ذلك ، واتخذ له ندماء ، فأراد هشام أن يقطعهم عنه ، فولاه الحج سنة [١١٦هـ] ست عشرة ومائة ، فحمل معه كلاباً في صناديق ، وعمل قبة على قنر الكعبة ليضعها على الكعبة ، وحمل معه الخمر ، وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويشرب فيها الخمر ، فخوفه أصحابه ، وقالوا : لا نأمن الناس عليك وعلينا معك ، فلم يفعل . وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف ، فقطع هشام في البيعة لابنه مسلمة ^(٣) ، وخلع الوليد ، وأراد الوليد على ذلك فأبى ، فقال له : اجعله بعدك ، فأبى ، فتنكر له هشام ، وعمل سراً في البيعة لابن مسleme ، فأجابه قوم ، فكان ممن أجابه خاله محمد ، وإبراهيم ابنا هشام ابن إسماعيل ، وبنو القعقاع بن خليل العبسي وغيرهم من خاصته . وأفرط الوليد في الشراب ، وطلب اللذات ، فقال له هشام : يا وليد ،

(١) ساقط في ك .

(٢) في هامش ك : يعنى به الدعاء على أخيه مسلمة بن عبد الملك .

(٣) في ك : مسلم . والمثبت في الطبري والكامل أيضاً .

والله ما أذرى أعلى الإسلام أنتَ أم لا ؟ ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيتَه غير متحاشٍ ، فكتب إليه الوليد ^(١) :

يأيُّها السائلُ عن ديننا نحن على دين أبي شاعر
نُشربُها صِرْفاً وممزوجةً بالسُّخْنِ أحياناً وبالفاتِر
فغضب هشامُ على ابنه مسلمة ، وكان يُكنى أبا شاعر ، وقال له :
يُعيرُني الوليد بك ، وأنا أُرْسُحك للخلافة . فألزمه الأدب ، وأحضره
الجماعة ، وولاه الموسم منة تسع عشرة ومائة ، فأظهر النُسك واللين ،
وقدم بمكة والمدينة أموالاً ، فقال مولى لأهل المدينة :

يأيُّها السائلُ عن ديننا نحن على دين أبي شاعر
الواهب الجُرْد ^(٢) بأُزسانِها ليس يزنيديني ولا كافر
يُعرض بالوليد .

وكان هشام ينتقص الوليد ويغيبه ، فخرج الوليد ومعه
ناسٌ من خاصته ومواليه ، فنزل بالأزرق على ماء يقال له الأغدف ،
وخلف كاتبه عياض بن مسلم عند هشام ليُكاتِبَه بما عندهم .
وقطع هشام عن الوليد ما كان يجزى عليه ، وكتبه فيه الوليدُ
فلم يُجِبْه إلى ردِّه ، وأمره بإخراج عبد الصمد من عنده ، فأخرجه
وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليه ، فضرب هشام ابن سهيل
وسيره إليه ، وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد فضربه وجبسه .
فقال الوليد : من يثق بالناس ، ومن يصنع المعروف ؟ هذا الأحول

(١) والطبرى : ٧ - ٢١٠ ، والكامل : ٤ : ٢٥٧

(٢) في الأغاني (٧ - ٣) : الواهب اليزل .

المشثوم أبى ، قدّمه على أهل بيته قصيره ولى عهدته ، ثم يصنع [بى] (١)
ما ترون ، لا يعلم أن لى فى أحد هوى إلا عبث به .

وكتب إلى هشام فى ذلك بعاتبه ، ورساله أن يردّ عليه كتابه . فلم
يرده ، فكتب إليه الوليد (٢) :

رَأَيْتُكَ تَبْنِي دَائِمًا (٣) فِى قَطِيعِي وَلَوْ كُنْتَ ذَا حِزْمٍ (٤) لَهْدَمْتَ مَائَتِي
تُثِيرُ عَلَى الْبَاقِينَ مَجْنَى ضَعِيفَةٍ قَوْلُ لَهْمٍ إِنْ مَتَ مِنْ شَرِّ مَائَتِي
كَأَنِّي بِهِمُ وَاللَّيْتُ أَفْضَلُ قَوْلِهِمْ أَلَا لَيْتَنَا وَاللَّيْتُ إِذْ ذَاكَ لَا يُغْنِي
كَفَرْتُ بِدَا مِنْ مُنْعِمٍ لَوْ شَكَرْتَهَا جَزَاكَ بِهَا الرَّحْمَنُ ذُو الْفَضْلِ وَالْحَمْدِ

قال ، ولم يزل الوليد مقبلاً بملك البرية حتى مات هشام ، فلما كان
صبيحة اليوم الذى جاءته فيه الخلافة قال لأبى الزبير المنذر بن أبى عمرو :
ما أتت على ليلة منذ عقلت عقلى أطول من هذه الليلة ، عرضت لى أمور ،
وحدثت نفسى فيها بأمر من أمر هذا الرجل - يعنى هشاماً - قد (٥) أولع
بى ، فاركب بنا نتنفس ، فركبا فسارا ميّلتين ، ووقف على كتيب ،
فنظر إلى رَهْج (٦) ، فقال : هؤلاء رُسل هشام ، نَسألُ الله من
خيرهم ، إذ بدا رجلان على البريد : أحدهما مولى لأبى محمد السفينانى ،
فلما قُربا نَزَلَا يَعْدُوَانِ حَتَّى دَنَوْا مِنْهُ ، فَسَلَّمَا عَلَيْهِ بِالْخِلاَفَةِ ،

(١) ساقط فى ك .

(٢) الشعر فى الطبرى : ٧ - ٢١٥ . والكامل : ٤ - ٢٥٧ .

(٣) فى الطبرى : جاهدًا .

(٤) فى الطبرى : ذا إرب .

(٥) فى الطبرى : الذى قد أولع بى .

(٦) الرهج - ويحرك : الغبار .

جزوب
معين التارح
لاهل التارح

فوجم ، ثم قال : أمات هشام ؟ قالوا : نعم والكتاب معنا من سالم
ابن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل . فقرأه ، وسأل مولى أبي
محمد السُفْيَانِي عن كاتبه عِيَاض ، فقال ^(١) : لم يزل محبوسا حتى
نزل بهشام الموت ، فأرسل إلى الخزان فقال : احتفظوا بما في أيديكم ،
فأفاق هشام فطلب شيئا فمتعوه ، فقال : إنا لله ، كنا خزاناً للوليد ،
ومات من ساعته .

وخرج عِيَاض من السجن ، ففتح أبواب الخزانين ، وأنزل هشاماً
عن قُرْشِهِ وما وجدوا له قُمْقُمًا يسخنُ فيه الماء حتى استعاروه ، ولا وجدوا
له كَفَنًا من الخزانين ، فكفنته غالب مولاه ، فقال الوليد ^(٢) :

هَلَكَ الْأَخُولُ الْمُشْوَمُ م فَقَدْ أَرْسَلَ الْمَطَرُ
وَمَلَكْنَا مِنْ بَعْدِ ذَاكَ فَقَدْ أَوْرَقَ الشَّجَرُ
فَأَشْكُرُ اللَّهَ إِنَّهُ زَائِدٌ كُلُّ مَنْ شَكَرَ
وقيل : إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ لَغَيْرِ الْوَلِيدِ .

قال : ولما سمع الوليد بموتِهِ كتب إلى العباس بن عبد الملك
ابن مروان أَنْ يَأْتِيَ الرُّصَافَةَ فَيُخَصِّيَ مَا فِيهَا مِنْ أَمْوَالِ هِشَامِ وَوَلَدِهِ
وَعَمَالِهِ وَحَشَمِهِ إِلَّا مُسَلِّمَةً بِنَ هِشَامٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْلِمُ أَبَاهُ فِي الرِّفْقِ
بِالْوَلِيدِ ، فَقَدَّمَ الْعَبَّاسُ الرُّصَافَةَ ففعل ذلك وكتب به إلى الوليد ، فقال
الوليد ^(٣) :

لَيْتَ هِشَامًا كَانَ حَيًّا يَرَى مِخْلَبَهُ الْأَوْفَرَ قَدْ أَتْرَعَا

(١) في ك : قال . (٢) الشعر في الكامل : ٤ - ٢٥٨ .

(٣) والطبرى : ٧ - ٢١٦ ، والكامل : ٤ - ٢٥٨ ، والأغاني : ٧ - ١٨ .

لَيْتَ (١) هِشَامًا عَاشَ حَتَّى يَرَى مِكْيَالَه الْأَوْفَرَ قَدْ طُبِعَا (٢)
 كُلَّنَاهُ بِالصَّاعِ الَّذِي كَالَهُ (٣) وَمَا ظَلَمْنَاهُ بِهِ إِضْبَاعًا (٤)
 وَمَا أَتَيْنَا ذَاكَ عَنْ بِدْعَةٍ أَحْلَاهُ الْفُرْقَانُ لِي أَجْمَعَا
 وَضَيَّقَ الْوَلِيدُ عَلَى أَهْلِ هِشَامٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ الْعُمَّالَ ،
 وَكَتَبَ إِلَى الْأَفَاقِ بِأَخْذِ الْبَيْعَةِ ، فَجَاءَتْهُ بَيْعَتُهُمْ .

قال : ولما ولي الوليد أجرى على زَمَنِي أَهْلَ الشَّامِ وَعُمَيَّانِهِمْ وَكُتُبَاهُمْ ،
 وَأَمَرَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِخَادِمٍ ، وَأَخْرَجَ لِعِيَالِ النَّاسِ الْكُشُوءَ
 وَالطُّيُبَ ، وَزَادَهُمْ ؛ وَزَادَ النَّاسَ فِي الْعَطَاءِ عَشْرَاتٍ ؛ ثُمَّ زَادَ أَهْلَ
 الشَّامِ بَعْدَ الْعَشْرَاتِ عَشْرَةً عَشْرَةً ، وَزَادَ الْوَفُودَ ، وَلَمْ يَقُلْ فِي شَيْءٍ
 يُسْأَلُهُ : لَا .

وفي هذه السنة ، عقد الوليد البيعة لابنيه : الحَكَمَ ، وَعُثْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ ،
 وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَمْصَارِ ، وَجَعَلَ الْحَكَمَ مُقَدِّمًا وَالْآخَرَ مِنْ بَعْدِهِ .

وفيها استعمل الوليدُ خَالِدَ بْنَ يَوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ يَوْسُفَ
 الثَّقَفِيَّ عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفَ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ مُحَمَّدًا وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَيْ هِشَامِ
 ابْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيَّ مُوثِقَيْنِ فِي عِبَاعَتَيْنِ ، فَقَدِمَ بِهِمَا الْمَدِينَةَ فِي شَعْبَانَ ،
 فَأَقَامَهُمَا لِلنَّاسِ ، ثُمَّ حَمَلَا إِلَى الشَّامِ ، فَأَحْضَرَا عِنْدَ الْوَلِيدِ ، فَأَمَرَ ،
 بِجُلْدِهِمَا ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ : نَسْأَلُكَ الْقَرَابَةَ . قَالَ : وَأَيُّ قَرَابَةٍ بَيْنَنَا !

(١) قبل هذا البيت في الطبري : ويروي ، فكان هذا البيت رواية أخرى للبيت السابق .

(٢) في ك ، د : ضيعا . وطبع الإناء تطبيعا : ملأه (السان) .

(٣) في الأغاني : كلنا له الصاغ التي كالها .

(٤) في الأغاني : أضوعا .

قال : فقد نبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُضْرَب بسوط
إِلَّا فى حد . قال : ففى حد أضربك وقود ، أنت أول من فعل بالعرجى
وهو ابنُ عمى ، وابن أمير المؤمنين عثمان - وكان محمد قد أخذه وقيده
وأقامه للناس وجلده ، وسجنه إلى أن مات بعد تسع سنين لهجاء
العرجى ^(١) إياه ، ثم أمر به الوليد فجُلد هو وأخوه إبراهيم ثم أوثقهما ،
وبعث بهما إلى يوسف بن عمر ، وهو على العراق فعذب بهما حتى ماتا .
وفيهما عزل الوليد سعد بن إبراهيم عن قضاء المدينة ، وولى
القضاء يحيى بن سعيد الأنصارى .

وفيهما خرجت الرومُ إلى زَبَطْرَة ^(٢) وهو حصنٌ قديمٌ كان افتتحه
حبیب بن مسلمة الفهري ، فأخربه الروم الآن فبنى بناءً غير محكم ،
فعاد الروم وأخربوه أيام مروان بن محمد ثم بناه الرشيد وشحنه
بالرجال .

فلما كانت خلافةُ المأمون طرّقه الروم فشعّثوه ، فأمر المأمون
بمرمته وتحصينه ، ثم قصد الروم بعد ذلك أيام المعتصم .

وفيهما أغزى الوليد أخاه العَمَر بن يزيد ، وأمر على جيش البحر
الأسود بن بلال المحاربى ، وسيره إلى قبرس ليخبر أهلها بين المسير
إلى الشام أو إلى الروم ، فاخترت طائفة جوار المسلمين ، فسيرهم
إلى الشام ، واختار آخرون الروم فسيرهم إليهم .

(١) هو عبد الله بن عمر ، شاعر غزل ، كان مشغوقاً باللهو والصيد ، صاحب

مسلمة بن عبد الملك فى وقائعه بأرض الروم .

(٢) مدينة بين ملطية وسميساط والحدث فى طرف بلاد الروم (ياقوت) .

وحجَّ بالناس في هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف . وغزاه
النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة .

سنة (١٢٦ هـ) ست وعشرين ومائة :

ذكر مقتل خالد بن عبد الله القسري

وشيء من أخباره

قد ذكرنا من أخباره في سنة [١٢٠ هـ] عشرين ومائة ما تقدم ،
وذكرنا أنه لما أفرج عنه سار من الحيرة إلى دمشق .

قال : ولما قدمها كان العامل عليها يومئذ كلثوم بن عياض القشيري ،
وكان يُبغضُ خالدًا ، واتفق أنه ظهر في دُور [دمشق ^(١)] حريق
في كل ليلة ، يُلقيه ^(٢) رجلٌ من أهل العراق يُقال له : أبو العمرس ^(٣)
فإذا وقع الحريق يسرقون .

وكان أولاد خالد وإخوته بالساحل لحدث كان من الروم ، فكتب
كلثوم إلى هشام : إن موالى خالد يريدون الوثوب على بيت المال ،
ولأنهم يحرقون البلد كل ليلة .

فكتب هشام إليه يأمره بحبس آل خالد : الصغير منهم والكبير
ومواليهم ، فأنفذ من أحضر أولاده وإخوته من الساحل في الجوامع ^(٤) ،
ومعهم مواليهم ، وحبس بنات خالد والنساء والصبيان ، ثم ظهر
على أبي العمرس ^(٣) ومن كان معه .

(١) من الكامل .

(٢) في الكامل : يقعله رجل .

(٣) في الكامل : ابن العمرس . والمنبت في الطبري أيضاً .

(٤) الجوامع : الأغلال ، مفردة : جامعة .

فكتب الوليدُ بن عبد الرحمن عاملُ الخراج إلى هشام بأخذِ
أبي العمرس وأصحابه بأسمائهم وقبائلهم ، ولم يذكر فيهم أحدًا من
موالى خالد .

فكتب هشام إلى كلثوم يسبه ويأمره بإطلاق آل خالد ، فأطلقهم
وترك الموالى رجاء أن يشقع فيهم خالد إذا قدم من الصائفة .

ثم قدم خالد فنزل منزله بدمشق ، وجاءه الناس للسلام عليه ،
فقال : خرجت مغازيا سميعا مطيعا ، فخلفت في عقيبي ، وأخذ
حُرْمى وأهل بيتي فحبسوا مع أهل الجرائم كما يفعل بالمشركين ،
فما منع عصابة منكم أن تقول : علام حبس حرم هذا السامع المطيع ؟
أخفتم أن تقتلوا جميعا ؟ أخافكم الله .

ثم قال : مالى ولهشام ليكفن عني أو لأدعون إلى عراقى الهوى ،
شامى الدار ، حتجازى الأصل - يعنى محمد بن على بن عبد الله بن عباس .
ولقد أذنت لكم أن تبذلوا هشامًا .

فلما بلغه قال : قد خرف أبو الهيثم ، واستمر خالد مدة أيام
وهو بدمشق ويوسف بن عمر يطلب ابنته يزيد بن خالد ، فلم يظفر
به ، وبذل فيه لهشام خمسين ألف ألف .

فلما هلك هشام وقام الوليد بعده كتب إلى خالد : ما حال الخمسين
ألف ألف التى تعلم ؟ واستقدمه ، فقدم عليه حتى وقف بباب سُرَاق
الوليد ، فأرسل إليه الوليد يقول : أين ابنك يزيد ؟ فقال : كان
[قد] ^(١) هرب من هشام ، وكنا نراه عند أمير المؤمنين ، فلما لم نره

(١) ليس فى ك .

ظنناه ببلاد قومه من الشَّراة . فرجع الرسولُ ، فقال : لا ، ولكنك خلقتَه طلباً للفتنة . فقال : قد علم أميرُ المؤمنين أننا أهل بيت طاعة . فرجع الرسولُ فقال : يقول أميرُ المؤمنين : لتأتين به أو لأزهقن نفسك . فرفع خالدُ صوته ، وقال : قل له : هذا والله أردت ، لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه .

فأمر الوليد بضربه فضرب ، فلم يتكلم ، فحبسه حتى قدم يوسف ابن عمر من العراق بالأموال ، فاشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف ، فأرسل إليه الوليد : إن يوسف قد اشتراك بخمسين ألف ألف ، فإن كنت تضمُّها وإلا دَفَعْتُكَ إليه .

فقال خالد : ما عهدتُ العربُ ثَباع ، والله لو سألتني أن أضمن حوداً ما ضمنتُه ، فدفعه إلى يوسف ، فنزع ثيابه ، وجعله على بعير بغير وطاء ، وعذبه عذاباً شديداً ، وهو لا يكلمه كلمة واحدة ، ثم حمله إلى الكوفة فعذبه ، ووضع المَصْرَسَةَ على صدره فقتله ، ودفنه من الليل [بالحيرة ^(١)] في العباءة التي كان فيها ، وذلك في المحرم سنة [٨١٢٦] ست وعشرين ومائة .

وقيل : بل أمر يوسف فوضع على رجليه عُود ، وقام عليه الرِّجَانُ حتى تكسرت قدماه ، وما تكلم ولا عبس ، ثم على ساقيه وفخذيه . ثم على صدره حتى مات .

وكانت أم خالد نصرانية رومية امتلأ بها أبوه ، فأولدها خالداً

وأَسَدًا ، ولم تُسَلِّم ، وَبَنَى لَهَا خَالِدُ بَيْعَةَ فَذَمَّهُ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ
الْفَرَزْدَقُ (١) :

أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ أَتَتْنَا تَهَادَى مِنْ دِمَشْقَ بِخَالِدٍ
فَكَيْفَ يَوْمُ النَّاسِ مِنْ كَانَتْ أُمُّهُ تَدِينُ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِوَاحِدٍ
بَنَى بَيْعَةً فِيهَا النَّصَارَى لِأُمِّهِ وَيَهْدِمُ مِنْ كُفْرٍ مَنَارَ الْمَسَاجِدِ
وَكَانَ خَالِدٌ قَدْ أَمْرَهُمْ مَنَارَ الْمَسَاجِدِ ؛ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ شَاعِرًا قَالَ (١) :
لَيْتَنِي فِي الْمُؤَذِّنِينَ حَيَاتَانِ لِيَهْمَ يُبْصِرُونَ مِنْ فِي السُّطُوحِ
وَيُشِيرُونَ أَوْ تُشِيرَ إِلَيْهِمْ بِالْهَوَى كُلُّ ذَاتٍ دَلٌّ مَلِيحٌ
فَلَمَّا بَلَغَ خَالِدًا هَذَا الشَّمْعَ أَمَرَ يَهْدِمُهَا .

وَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ النَّاسَ يَذْمُونَهُ لِبَنَائِهِ الْبَيْعَةَ لِأُمِّهِ قَامَ يَغْتَلِيزُ إِلَيْهِمْ ،
فَقَالَ : لَعَنَ اللَّهُ دِينَهُمْ إِنْ كَانَ شَرًّا مِنْ دِينِكُمْ .

وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : إِنْ خَلِيفَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ أَفْضَلُ مِنْ
رَسُولِهِ إِلَيْهِمْ - يَعْنِي أَنَّ هِشَامًا أَفْضَلُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، نَبْرًا إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ .

وَكَانَ خَالِدٌ يَصِلُ الْهَاشِمِيِّينَ فِي أَيَّامِ إِمَارَتِهِ ، وَيَبْرِئُهُمْ ، إِلَّا أَنَّهُ
كَانَ يَبَالِغُ فِي سَبِّ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ ، وَيَلْعَنُهُ ، فَقِيلَ : إِنَّهُ
كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ نَفْيًا لِلتَّهْمَةِ ، وَتَقَرُّبًا إِلَى بَنِي أُمِيَّةٍ ، فَأَتَاهُ مَرَّةً مُحَمَّدُ
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ يَسْتَمِيعُهِ (٢) ، فَلَمْ يَرِ مِنْهُ

(١) وَالْكَامِلُ : ٤ - ٢٦٣

(٢) فِي د : يَسْتَمِيعُهُ .

ما يُحِبُّ ، فقال : أُمَّا الصَّلَـةُ فَلِلَّهِا شَمِيعِينَ ، وليس لنا منه إِلَّا أَنْ يَلْعَنَ ^(١) عليًا ، فبلغ خالدا كلامه ، فقال : إِنْ أَحَبَّ نِلْنَا عُثْمَانَ بِشَيْءٍ ؛ [يريد بشيء ^(٢)] من اللَّعْنِ أَوْ السَّبِّ ، والله تعالى أعلم .

ذكر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

وشىء من أخباره

كان مقتله يوم الخميس الثامن والعشرين من جُمادى الآخرة سنة [١٢٦هـ] ست وعشرين ومائة .

وكان سبب ذلك ما قدَّمناه من اشتهاه باللَّهْوِ واللَّعِبِ والخَلَاعة ، فلما ولى الخلافة ما زاد إِلَّا تَمَادِيًا وإصرارًا ، واشتهر بِمُنَادِمَةِ الْقِيَّانِ وتُشْرِبِ النَّبِيذِ ، فثَقُلَ ذلك على رعيَّتِهِ وجُنْدِهِ ، وكرهوه ؛ فكان من أعظم ما جَنَى على نفسه إفسادُ بَنِي عَمِيهِ : هشام ، والوليد ؛ فإنه أخذ سُلَيْمَانَ بنَ هشام فضربه مائة سوط ، وحلق رأسه ولحيته وغرَّبه إلى عَمَّانَ من أرض الشام ، فحبسه بها ، فلم يَزَلْ محبوسًا حتَّى قُتِلَ الوليد .

وأخذَ جاريةً كانت لآلِ الوليد ، فكلَّمه عُثْمَانُ بنَ الوليد في رَدِّهَا ، فقال : لا أَرُدُّهَا . فقال : إِذَنْ تَكْثُرُ الصَّوَاهِلُ حَوْلَ عَسْكَرِكَ ، وحبس الأَفْقَمَ يزيد بنَ هشام ، وفَرَّقَ بين روح بن الوليد وبين امرأته ، وحبس عِدَّةً من ولد الوليد ، فرماه بنوها شَمَ وبنو الوليد بالكفر وغشيان أمهات أولادِ أبيه ، وقالوا : قد اتخذَ مائة جَامِعَةٍ لِبْنِي أُمِيَّةَ ؛ وكان أشدَّ الناس عليه يَزِيدُ بن الوليد ، وكان الناس إلى قوله أُمَيْلُ ؛ لَأَنَّهُ كان يُظْهِرُ التَّنَمُّكَ ويتواضع .

(١) في ك : تلعن . وفي د : أنه يلعن . (٢) ساقط في ك .

وكان سعيد بن بيهر بن صهيب قد ناه عن البيعة لابنائه الحكم
وعثمان لصغرهما ، فحبسه حتى مات ، وفعل بخالد القسري ما ذكرناه
ففسدت عليه اليمانية وقضاعة ، وهم أكثر جند الشام ؛ وكان حريث
وشبيب بن أبي مالك الغساني ، ومنصور بن جمهور الكلبي ، وابن عمه جبال
ابن عمرو ، ويعقوب بن عبد الرحمن ، وحُميد بن نصر اللخمي ، والأصبغ
ابن ذؤالة والطُّفَيْل^(١) بن حارثة ، والسري بن زياد ، أتوا خالد بن
ابن عبد الله القسري ، فدعوه إلى أمرهم ، فلم يُجِبههم ، وأراد الوليدُ
الحج ، فخاف خالد أن يقتلوه ، فنهاه عن الحج ، فقال : ولم ؟
فلم يخبره ، فحبسه ، وطالبه بأموال العراق ثم سلّمه إلى يوسف
ابن عمر كما تقدم ، فقال بعض أهل اليمن شِعْراً على لسان الوليد
يحرّض عليه اليمانية .

وقيل : بل قاله الوليد بوبخ اليمن على ترك نصر خالد^(٢) :
ألم تهتج فتذكر^(٣) الإصالة وجبلاً كان متصلاً قرألاً
بلى فالدمع^(٤) منك إلى انسجام كماء المزن ينسجل أنسجالاً
فدغ عنك أدكارك آل مُعدي فنحن الأكثرون حصى^(٥) ومالاً
ونحن المالكون الناس قسراً نسوهم المدة والنكالا

(١) في الطبري : وطفيل .

(٢) الشعر في الطبري : ٧ - ٢٣٤ ، وفي الكامل : ٤ - ٢٦٤ .

(٣) في الطبري : فتذكر .

(٤) في ك : ما الدمع . وفي الطبري : فالدمع منك له سجام .

(٥) حاشية : قوله : حصى : يريد المناقب ، لأن العرب كانت تجتمع في
نواديها ، فتعد مفاخرها . ومناقبها ، فكلماً ذكر الرجل منقبة طرح حصاة ، فمن كان
كان أكثر حصى علم أنه أكثر مناقب . وفي معنى ذلك يقول الشاعر :

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكائر (هامش د .)

وطينًا الأشعرى^(١) بعز قيس
وهذا خالد فينا أسيرًا^(٢)
عظيمهم وسيدهم قديما
فلو كانت قبائل ذات عز
ولا تركوه مسلوبا أسيرًا
وكندة والسكون فما استقاموا
بها سمنًا^(٤) البرية كل خسف
ولكن الوقائع ضغضعتهم
فما زالوا لنا أبدا عيدا
فأصبحت الغداة على تاج
فعظم ذلك عليهم ، وسعوا في قتله ، وازدادوا حنقا ، وقال حمزة
ابن يبيض^(٧) في الوليد :

وصلت سماء الضر بالضر بعدما
فليت هشاما كان حيا يسيرنا
زعمت سماء الذل^(٨) عنا ستقلع
وكنا كما كنا نرجى ونطمع

(١) في الطبرى : الأشعرين . والمثبت في الكامل أيضا .

(٢) في الكامل : أسير .

(٣) في الطبرى : يامر . والمثبت في الكامل أيضا .

(٤) في د : سمت .

(٥) في ك : وأجدهم . وفي الكامل : وجدتهم .

(٦) في الكامل والطبرى : ما يفي .

(٧) في تاج العروس : هو بكسر الباء لا غير . قاله ابن برى . و ضبطه اخفاظ

بالفتح . والأشعر في الطبرى : ٧ - ٢٣٦ . والكامل : ٤ - ٢٦٥

(٨) في الطبرى ، والكامل : سماء الضر .

وقال أيضًا^(١) :

يا وليد الخنا^(٢) تركت الطريقًا واضحا واركتبت فجأ عيقا
وتماذيت واعتديت وأسرفت ت وأغويت وانبعثت فسوقا
أبدا هات ثم هات وهاتى ثم هاتى حتى نخر صيقا
أنت سكران لا تفيق فماتر تنق فتقا إلا فتقت^(٣) فتوقا

فأنت اليمانية يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأرادوه على البيعة ،
فاستشار عمر بن زيد الحكيم ، فقال له : لا يبايعك الناس على هذا ،
وشاور أخاك العباس ؛ فإن بايعك لم يخالفك أحد ، وإن أبى كان
الناس له أطوع ؛ فإن أبيت إلا المضي على رأيك فأظهر أن أخاك
العباس قد بايعك .

وكان الشام وبيشًا فخرجوا إلى البوادي ، وكان العباس بالقسطل^(٤)
ويزيد بالبادية أيضًا ، فأتى يزيد العباس فاستشاره فنهاه عن ذلك ،
فرجع وبايع الناس سرًا ، وبث دعاته ، فدعوا الناس ، ثم عاود أخاه
العباس أيضًا فاستشاره ودعاه إلى نفسه ، فزبره^(٥) ، وقال : إن
عدت لمثل هذا لأشدنك وثاقًا ، ولأحملنك إلى أمير المؤمنين .

فخرج من عنده ، فقال العباس : إننى لأظنه أشأم مولود فى بنى
مروان .

(١) الشعر فى الكامل : ٤ - ٢٦٥

(٢) فى ك : الحيا .

(٣) فى الكامل : وقد فتقت .

(٤) القسطل بالفتح ثم السكون وطاه مهملة مفتوحة ولا م : موضع بين
حمص ودمشق (ياقوت) .

(٥) زبره : نهزه ونهاه (القاموس) .

وبلغ الخبرُ مروان بن محمد بإرمينية . فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره أن ينهى الناس ويكفهم ويحذرهم الفتنة ويخوفهم خروج الأمر عنهم . فأعظم سعيد ذلك ، وبعث الكتاب إلى العباس بن الوليد ، فاستدعى العباس يزيد وتهذده ، فكتبه يزيد أمره فصده ، وقال العباس لأخيه بشر بن الوليد : إني أظن الله قد أذن في هلاككم يا بني أمية ، ثم تمثل (١) :

إني أعيدكم بالله من فتنة مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إن البرية قد ملئت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحمن ذناب الناس أنفسكم إن الذناب إذا ما ألحمت رتعوا (٢)
لا تبقرن بأيديكم بطونكمو فثم لاحسرة تغني ولا جزع

قال : فلما اجتمع ليزيد أمره وهو بالبادية أقبل إلى دمشق ، وكان بينه وبينها أربع ليال ، وجاء مشكراً في سبعة نفر على حجير ، فنزلوا بجرود - وهي على مرحلة من دمشق ، ثم سار فدخل دمشق ليلاً ، وقد بايع له أكثر أهلها سراً ، وبايع أهل الحيرة (٣) ، وكان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، فخرج منها للوباء : فنزل قطناً (٤) . واستخلف على دمشق ابنه ، وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي ، فأجمع يزيد على الظهور : فقليل للعامل : إن يزيد (٥) خارج فلم يصدق : وراسل يزيد أصحابه بعد المغرب

(١) الشعر في الظهري : ٧ - ٢٣٩ ، والكامل : ٤ - ٢٦٦

(٢) ألحمت النجوم : أطعمتهم اللحم .

(٣) الحيرة - بالكسر ثم التشديد : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق (ياقوت) .

(٤) قطان : من قرى دمشق (ياقوت) . (٥) قى ك : يزيدا - تحريف .

ليلة الجمعة ، فكمنوا عند باب الفرايدس حتى أُذِّنَ بالعشاء ، فدخلوا المسجد فصلُّوا ، وللمسجد حرسٌ قد وكلوا بإخراج الناس منه بالليل ، فلما صلَّى الناس أخرجهم الحرس وتباطأ أصحابُ يزيد حتى لم يبقَ في المسجد غيرهم ، فأخلُّوا الحرس ، ومضى يزيد ابن عَنبِسة إلى يزيد بن الوليد ، فأعلمه ، وأخذ بيده ، فقال : قُمْ يا أمير المؤمنين ، وأبشِرْ بنصر الله وعونه . فقام ، وأقبل في اثني عشر رجلاً .

فلما كان عند سوق الحُمُر لقوا أربعين رجلاً من أصحابهم ، ولقيهم زهاء مائتي رجل ، فمضوا إلى المسجد فدخلوه وأتوا باب المقصورة فضربوه ، وقالوا : رُمِلَ الوليد ، ففتح لهم الباب خادم فدخلوا فأخلُّوا أبا العاج وهو سكران ، وأخذوا خزان بيت المال ، وأرسل إلى كل من كان يحذره فأخذ وقُبض محمد ^(١) بن عُبَيْدة وهو على بعلبك ، وأرسل إلى محمد بن عبد الملك بن الحجاج فأخذه ، وكان بالمسجد سلاحٌ كثير ، فأخلَّوه .

فلما أصبحوا جاء أهلُ اليمزة وتبايع الناس ، وجاءت السكاسك ، وأقبل أهلُ داريا ويعقوب بن عمير بن هانيء العبسي ^(٢) .

وأقبل غيسى بن شبيب التغلبي وأهل دومة وحرستا ، وأقبل

(١) في الطبرى : وأرسل يزيد من ليلته إلى محمد بن عبدة مولى سعيد بن العاص : وهو على بعلبك فأخذه .

(٢) في ك : العبسي . وفي الكامل : يعقوب بن محمد ... والمثبت في الطبرى أيضاً .

حُميد بن حبيب اللخمي ^(١) في أهل دِير مُرَّان ^(٢) والأرزة وسطرا ^(٣)
وأقبل أهل جَرَش ^(٤) وأهل الحديثة ^(٥) ودِيرَزَكِي ^(٦) .

وأقبل ربِيعي بن هاشم ^(٧) الحارثي في الجماعة من بني عُذرة
وسلَّامان ، وأقبلت جُهينة ومَنْ والاهم .

ثم وجه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مُصاد في مائتي
فارس ليأخذوا عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف من
قصره ، فأخذوه بأمان ، وأصاب عبد الرحمن خُرَجِين في كل واحد
منهما ثلاثون ألف دينار ، فقبل له : خُذْ أحد هذين الخُرَجِين ،
فقال : لانتحدث العربُ عني أُنَى أول من خان في هذا الأمر .

ثم جهَّز يزيد جيشاً عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ،
وسيرهم إلى الوليد . وكان يزيد لما ظهر بدمشق سار موئى للوليد
إليه ، وأعلمه الخبر وهو بالأغدف من عمان ، فصرَّبه الوليد
وحبسه ، وسير أباً محمد عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى دمشق ،
فسار بغض الطريق ، وأقام فأرسل إليه يزيد بن الوليد
عبد الرحمن بن مُصاد ، فبايع يزيد .

(١) في الكامل : النخعي .

(٢) في ك : مروان — تحريف .

(٣) سطرا : من قرى دمشق (ياقوت) .

(٤) جرش : شرقي جبل السواد من أرض البلقاء (ياقوت) .

(٥) الحديثة : من قرى غوطة دمشق .

(٦) دِيرَزَكِي — بفتح أوله وتشديد الكاف — مقصور : هو دبر بالرها بلزك

تل . وقال الخالدي : هو بارقة قريب من القرات (ياقوت) .

(٧) في ك : هشام . والمثبت في الطبري والكامل أيضاً .

ولما أتى الخبرُ الوليدُ قال له يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية :
سِرْ حتى تنزلَ جِمَص ، فإنها حصينة ، ووجهُ الخيولِ إلى يزيد
فيقتل أو يؤسر .

فقال عبد الله بن عَنبَسَة بن سعيد بن العاص : ما ينبغي
لللخليفة أن يدع عسكره ونساءه قَبْلَ أن يقاتل ، والله ^(١) يُؤيدُ
أمير المؤمنين بنَصْرِهِ ^(٢) .

فأخذ يَقُول ابن عنبسة ، وسار حتى أتى البِخْرَاء ^(٣) - قَصْر
النعمان بن بشير ، وسار معه من وَلَد الضحاك بن قيس أريعون
رجلا ، فقالوا له : ليس لنا سِلَاح ، فلو أمرتَ لنا بسلاح ! فلم
يُعْطهم شيئا ، ونازله عبد العزيز .

وكتب العباس بن الوليد بن عبد الملك إلى الوليد : إلى آتيك ،
فأخرج الوليدُ سريرا وجلس عليه ينتظر العباس ، فقاتلهم
عبدُ العزيز ، ومعه منصور بن جُمهور ، فبعث إليهم عبد العزيز
زياد بن حُصَيْن الكَلْبِي ، يدْعُوهم إلى كتابِ الله ومُسنَدِ نبيه ، فقتل
أصحابُ الوليد واقتتلوا قتالا شديدا .

وكان الوليدُ قد أخرج لواء مروان بن الحكم الذى كان قد
عقده بالجابية .

وبلغ عبد العزيز مسيرُ العباس إلى الوليد ، فأرسل منصور بن

(١) في ك : فإله .

(٢) في د : وينصره .

(٣) في ك : الفجر . وثبت في الكامل ، والطبرى .

جُمهور إلى طريقه ، فأخذه قَهْرًا ، وأتى به عبد العزيز ، فقال له :
 بايع لأخيك يزيد ، فبايع ، ووقف وتَصَبَّيُوا رايةً ، فقالوا : هذه رايةُ
 العباس [قد بايع لأمير المؤمنين يزيد ، فقال العباس] ^(١) :
 إنا لله ! خدعة من خدع الشيطان ، هلك والله بنومروان .

فتفرَّقَ الناس عن الوليد ، وأتوا العباس وعبد العزيز ، وأرسل
 الوليدُ إلى عبد العزيز يَبْذُلُ لَهُ خمسين ألف دينار وولاية حمص
 ما بقي ، ويؤمِّنه مِنْ كلِّ حدث ، على أَنْ ينصرف عن قتاله ، فبَاقِيَ
 ولم يُجِبْهُ ، فظاهر الوليد من دُرْعَيْن ، وأتوه بِفَرَسِيهِ ^(٢) : السندى ،
 والزائد ^(٣) ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فناداهم رجلٌ : اقتلوا عدوَّ
 الله قَتَلَهُ قوم لوط . أَرْجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ ، فلما سمع ذلك دخل القصر
 وأغلق عليه الباب ، وقال ^(٤) :

دَعُوا لِي سُلَيْمِي ^(٥) وَالطَّلَاءَ وَقَيْنَةَ وَكَأْسًا ، أَلَا حَسْبِي بِذَلِكَ مَا لَا
 إِذَا مَا صَفَا عَيْشِي ^(٦) بِرَمْلَةٍ عَالِجٍ وَعَانَقْتُ سُلْمَى لَا أُرِيدُ بَدَالَا
 خَلَوُا مُلْكَكُمْ لَا ثَبَّتَ اللَّهُ مُلْكَكُمْ ثَبَاتًا يَسَاوِي ^(٧) مَا حَبِيبَتِ عَقْلًا
 وَخَلُّوا عَنِّي قَبْلَ غَيْرِ ^(٨) وَمَا جَرَى وَلَا تَحْسُدُونِي أَنْ أَمُوتَ خُرَالَا

(١) ليس فيك .

(٢) في ك : بفرسه .

(٣) في ك : والراية . والمثبت في الطبري أيضاً .

(٤) الشعر في العقد الفريد : ٤٦٠-٤٦١ ، والأغاني : ٧-٢٧٩ ، والكامل : ٤-٢٦٧ .

(٥) في الكامل : سلمى . وفي العقد الفريد : مع طلاء ... وكأس . والطلاء : الخمر .

(٦) في الأغاني : عيش .

(٧) في ك : لا يساوي .

(٨) في ك ، د : غير . والمثبت في الأغاني والكامل أيضا .

قال : وأحاط. عبدُ العزيز بالقَصر ، فدنا الوليدُ من الباب ، فقال : أما فيكم رجلٌ شريفٌ له حسبٌ وحياةُ أكلتهُ ! قال يزيد ابن عنبسة السكسكى : كلَّمْنِي . قال : يا أبا السكاسك ، أَلَمْ أَرِذْ في أعطياتكم ! أَلَمْ أَرْفَعْ المَوْنَ عنكم ! أَلَمْ أُعْطِ فقراءكم ، أَلَمْ أَخْدَمْ زَمَنًاكم ؟ فقال : إنا ما نَنقِمُ عليك في أنفسنا ، إنما نَنقِمُ عليك فيما حَرَّمَ الله ، وشرب الخمر ، ونِكَاح أمهات أولادِ أبيك ، واستخفافك بأمرِ الله .

قال : حُشِبَكَ يا أبا السكاسك ، فلمعِزِي لقد أَكْثَرْتَ ، وإن فيما أَحَلَّ الله سعةً عما ذَكَرْتَ .

ورجع وجلس ، وأخذ مُصْحَفًا ، ونشره يقرأ فيه ، وقال : يومَ كيومِ عثمان . فصعدوا على الحائط . وكان أول من علاه يزيد ابن عنبسة فنزل إليه ، وأخذ بيده ، وهو يُريد أن يحبسَه ، ويؤامر فيه ، فنزل من الحائط عشرة ؛ فيهم : منصور بن جُمهور ، وعبد السلام اللخمي ، فضربه عبدُ السلام على رأسه ، وضربه السري^(١) بن زياد بن أبي كَبْشَةَ على وجهه ، واحتزوا رأسه ، وبعثوا به إلى يزيد ، فأَتاه الرأس وهو يتغدى ، فسجد وأمر بِنَصْب الرأس . فقال له يزيد بن قُرَّة مولى بني مُرة : إنما تنصب رموس الخوارج ، وهذا رأس ابن عمك وخليفة ، ولا آمن إن نصبته أن ترقى له قلوبُ الناس ، وبِقَضَب له أهل بيته .

فلم يسمع منه ، ونصبه على رُمح ، وطاف به دِمَشق ، ثم أمر به أن يُذَفَعَ إلى أخيه سليمان بن يزيد ، فلما نظر إليه سليمان قال :

(١) في الكامل : السندى . والمثبت في الطبري أيضًا .

بُعْدًا لَهُ ! أَشْهَدُ أَنَّهُ كَانَ شَرُوبًا لِلخمر مَاجِنًا فَاسِقًا ، وَلَقَدْ أَرَادَنِي عَلَى نَفْسِي الْفَاسِقِ - وَكَانَ سَلِيْمَانٌ مَعْنَى سَعَى فِي أَمْرِهِ .

وَحَكَى يَزِيدُ بْنُ عُنْبَسَةَ لِيَزِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَنَّ الْوَلِيدَ قَالَ فِي آخِرِ كَلَامِهِ : وَاللَّهِ لَا يَرْتَقِ فَتَقْكُمْ ، وَلَا يَلْمُ شَعْكُمْ ، وَلَا تَجْتَمِعُ كَلِمَتُكُمْ . وَكَانَتْ مَدَّةُ خِلَافَةِ الْوَلِيدِ سَنَةً وَشَهْرَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا . وَكَانَ عَمْرُهُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً . وَقِيلَ : قَتَلَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً .

وَقِيلَ : لِإِحْدَى وَأَرْبَعِينَ .

وَقِيلَ : سِتٌّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَكَانَ الْوَلِيدُ مِنْ فِتْيَانِ بَنِي أُمَيَّةَ وَظُرْفَاتِهِمْ وَشُجْعَانِهِمْ ، وَأَجْوَادِهِمْ ، جَيِّدُ الشُّعْرِ ، لَهُ أَشْعَارٌ حَسَنَةٌ فِي الْغَزْلِ وَالْعَتَابِ . وَوَصَفَ الْخَمْرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْإِنْهَاكِ فِي اللَّهْوِ وَالشُّرْبِ وَمَسَاعِ الْغِنَاءِ .

وَمِنْ كَلَامِهِ : الْمَحَبَّةُ لِلْغِنَاءِ تَزِيدُ الشَّهْوَةَ ، وَتَهْلِمُ الْمَرْوَةَ ، وَتَنْوِبُ عَنِ الْخَمْرِ ، وَتَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ الْسَّكْرُ ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا بَدَأَ فاعْلَبُوا فَجَنَّبُوا النِّسَاءَ ، فَإِنَّ الْغِنَاءَ رُقِيَّةُ الزُّنَى ، وَإِنِّي لَأَقُولُ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ ، وَأَشْهَى إِلَى نَفْسِي مِنَ الْمَاءِ إِلَى ذِي الْغَلَّةِ ، وَلَكِنَّ الْحَقَّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ .

وَمَا اشتهر عنه أَنَّهُ اسْتَفْتَحَ الْمَصْحَفَ الْكَرِيمَ ، فَخَرَجَ لَهُ قَوْلُهُ

تعالى^(١) : «وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ» . فَأَلْبَقَاهُ وَنَصَبَهُ
غَرَضًا ، ورماه بالسهام ، وقال^(٢) :

تهدّدنى بجبارٍ عَنِيدٍ فهأنَا ذاك جبارٍ عَنِيدٍ
إذا ما جئت ربك يومَ حشرٍ فقلْ ياربِّ مزقْنى الوليد

فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا حتى قُتل . هذا هو المشهور عنه .

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى العلاء البندار ، قال :

كان الوليد زنديقا ، وكان رجلٌ من كلب من أهل الشام يقول
مقالةً الشنوية ، فدخلتُ على الوليد يوما وذلك الكلبى عنده ، وإذا

بينهما سقَط . قد رفع رأسه عنه ، وإذا ما يبدؤلى منه حرير أخضر ؛

فقال : اذْنِ يا علاء ، فدنوتُ ، فرفع الحريرة فإذا فى السقَط .

صورة إنسان ، وإذا الزئبق والنوشادر^(٣) قد جُعلا فى جفنيه .

فجفنه يطرف كأنه يتحركُ ، فقال : يا علاء ، هذا مائى ، لم يبعث

الله نبيا قبْلَه ، ولا يبعثُ نبيا بعده ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ،

اتق الله ولا يغرنك هذا الذى ترى من دينك . فقال الكلبى :

يا أمير المؤمنين ، قد قلت لك : إن العلاء لا يحتملُ هذا الحديث .

قال العلاء : ومكثتُ^(٤) أياما ، ثم جلستُ مع الوليد على بناء كان

(١) سورة إبراهيم ، آية ١٥

(٢) الشمر فى الكامل : ٤ - ٢٦٩

(٣) فى د : النوشادر .

(٤) فى ك : ومكث .

[قد^(١)] بناه في عسكره يُشْرِفُ منه والكَلْبِيُّ عنده إذ نَزَلَ من عنده ، وقد كان الوليد حملَه على بِرْدُونٍ هِمْلَاجٍ^(٢) أَشَقَرٍ من أَفْخَرٍ ما سُخِّرَ ، فخرج على بِرْدُونِهِ ، فمضى في الصحراء حتى غاب عن العسْكَرِ ، فما شعر إلا وأعراب قد جاءوا به يحملونه منفسحة عُتْقَهُ ، وبِرْدُونُهُ يُقَادُ ، حتى أسلموه .

فبلغني ذلك ، فخرجتُ حتى أَتَيْتُ أولئك الأعراب ، وكانت لهم أبياتٌ بِالْقُرْبِ من أرض البحر لا حجر فيها ولا مدر ، فقلت لهم : كيف كانت قِصَّةُ هذا الرجل ؟ فقالوا : أَقْبَلَ علينا على بِرْدُونٍ ، فوالله لكانه دُفِنُ يَسِيلٍ على صَفَاةٍ من قَرَاهِيَّتِهِ ، فمَجِينَا لذلك إذ انقَضَ رَجُلٌ من السماء عليه ثيابُ بَيْضٍ ، فأَخَذَ بَصْبُعِيهِ ، فاحتلمه ، ثم نكسه . وضرب برأسه الأَرْضَ ، فدقَّ عُتْقَهُ ، ثم غاب عن عِيُونِنَا فاحتملناه فمَجِينَا به .

وقد نَزَّهُ قوم الوليد عما قيل ، وأنكروه ونَفَوْهُ عنه ، وقالوا : إنه اختلق عليه وألصق به ، وليس بصحيح .

حكى عن شبيب بن شيبَةَ أنه قال : كُنَّا جُلُوسًا عند المهدي ، فذكروا الوليد ، فقال المهدي : كان زَنْدِيْقًا ، فقام ابن عُلَاثَةَ الفقيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْدَلَ من أَنْ يُؤَلَّى خِلَافَةَ النُّبُوَّةِ وأَمْرَ الأُمَّةِ زَنْدِيْقًا ، لقد أَخْبَرَنِي مَنْ كَانَ يَشْهَدُهُ في مَلَأَبِهِ وشربه عنه بِمِرْوَةٍ في طَهَارَتِهِ وِصَلَاتِهِ ؛ فكان إذا حضرت الصلاة

(١) ليس في د.

(٢) هَمْلَجة : حسن سير الدابة في سرعة (الاسان) .

يَطْرَحُ الثِيَابَ الَّتِي عَلَيْهِ الْمِطْبِئَةُ الْمَصْبُغَةُ ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ
الْوُضُوءَ ، وَيُؤْتِي بِثِيَابٍ نِظَافٍ بَيَضَ فَيَلْبِسُهَا ، وَيَصَلِّي فِيهَا ، فَإِذَا
فَرَغَ عَادَ إِلَى تِلْكَ الثِّيَابِ فَلْيَبْسُهَا ، وَاشْتَغَلَ بِشُرْبِهِ وَلَهْوِهِ ، فَهَذَا
فِعَالٌ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ !

فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا بَنَى عِلَالَةٍ .

وَالْوَلِيدُ كَلَامٌ حَسَنٌ ، فَمَنْ أَحْسَنَ كَلَامَهُ مَا قَالَه
لِهَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا مَاتَ مُسْلِمَةً بِنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَعَدَ هَشَامٌ
لِلْعَزَاءِ ، فَاتَاهُ الْوَلِيدُ وَهُوَ نَشْوَانٌ يَجْرُ مُطَرَفُ خَزٍّ عَلَيْهِ ، فَوَقَفَ عَلَى
هَشَامٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ عَقِبِي مِنْ بَقِي لُحُوقٍ مِنْ مَضَى ،
وَقَدْ أَقْفَرَ بَعْدَ مُسْلِمَةَ الصَّيْدُ لِمَنْ رَمَى ، وَاخْتَلَّ الشَّعْرُ فَهَوَى ، وَعَلَى
أَثَرٍ مِنْ سَلَفٍ يَمْضَى مِنْ خَلْفٍ ، فَتَزَوَّدُوا فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .
فَأَعْرَضَ هَشَامٌ وَلَمْ يُجِرْ جَوَابًا ، وَسَكَتَ الْقَوْمُ فَلَمْ يَنْتَقِطُوا .
وَالْوَلِيدُ أَوَّلُ خَلِيفَةِ عَدِّ الشُّعْرِ وَأَجَازَ عَنْ كُلِّ بَيْتٍ أَلْفَ دَرَاهِمَ ،
فَإِنْ يَزِيدُ بْنُ ضُبَّةٍ مَوْلَى ثَقِيفٍ مَدَحَهُ وَهَنَاهُ ^(١) بِالْخِلَافَةِ فَأَمَرَ
أَنْ تُعَدَّ الْأَبْيَاتُ وَيُعْطَى لِكُلِّ بَيْتٍ أَلْفَ دَرَاهِمَ ، فَعُدَّتْ فَكَانَتْ خَمْسِينَ
بَيْتًا فَأُعْطِيَ خَمْسِينَ أَلْفَ دَرَاهِمَ .

قَالَ : وَدُفِنَ الْوَلِيدُ بِبَابِ الْفَرَادِيسِ بِدِمَشْقَ . وَقِيلَ : إِنَّهُ قُتِلَ
بِأَرْضِ حِمَصَ .

وَحَكَى الدُّوَلَابِيُّ أَنَّ رَأْسَ الْوَلِيدِ نُصِبَ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ وَلَمْ يَزَلْ

(١) نى د : وهشام :

أَثَرُ دِمِهِ عَلَى الْجِدَارِ إِلَى أَنْ قَدِمَ الْمَأْمُونُ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ [٨٢١٥]
خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، فَأَمَرَ بِحُكِّهِ .

وَكَانَ الْوَلِيدُ أَبْيَضَ رُبْعَةً قَدْ وَخَطَهُ الشَّيْبُ .

وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ : يَا وَلِيدُ ، اخْطَرِ الْمَوْتَ .

وَكَانَ لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ الذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ .

كَاتِبُهُ : الْعَبَّاسُ بْنُ مُسْلِمٍ .

قَاضِيهِ : مُحَمَّدُ بْنُ صَفْوَانَ الْجُمَحِيِّ .

حَاجِبُهُ : قَطْرَى مَوْلَاهُ .

الْأَمِيرُ بِمَصْرَ : حَفْصُ بْنُ الْوَلِيدِ الْحَضْرَمِيُّ ، ثُمَّ صَرَفَهُ عَنِ الْخِرَاجِ .

قَاضِيهَا : حُسَيْنُ بْنُ نُعَيْمٍ [وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(١)] .

ذِكْرُ بَيْعَةِ يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ النَّاكِصِ

هُوَ أَبُو خَالِدٍ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ ^(٢) بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ،
وَلَقَّبَ بِالنَّاكِصِ ؛ لِأَنَّهُ نَقَصَ الزِّيَادَاتِ الَّتِي كَانَ الْوَلِيدُ زَادَهَا
فِي أُعْطِيَّاتِ النَّاسِ ، وَهِيَ عَشْرَةُ عَشْرَةٍ ، وَرَدَّ الْعَطَاءَ إِلَى أَيَّامِ هِشَامٍ .
وَقِيلَ : أَوَّلُ مَنْ لَقَّبَهُ بِهَذَا اللَّقْبِ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ .

وَأُمُّ يَزِيدَ شَاهُ أَفْرِيدَ ^(٣) بِنْتُ فَيْرُوزَ بْنِ يَزْدَجَرَ بْنِ شَهْرِيَارٍ .

بُؤِيعَ لَهُ لِلْيَلَنَيْنِ بِقَيْتًا مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ [١٢٦ هـ]

سِتٍّ وَعَشْرِينَ وَمِائَةً .

(١) لَيْسَ قَدْ .

(٢) قَدْ : يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

(٣) قَدْ : الْعَقْدُ الْفَرِيدُ : وَأُمُّ ابْنَةِ يَزْدَجَرَ بْنِ كَسْرَى . وَفِي الطَّبَرِيِّ : وَأُمُّ
شَاهُ أَفْرِيدَ بِنْتُ فَيْرُوزَ بْنِ يَزْدَجَرَ بْنِ شَهْرِيَارَ بْنِ كَسْرَى . وَفِي مَرْجِ الْذَّهَبِ :
أُمُّ سَارِيَةِ بِنْتُ فَيْرُوزَ . وَفِي : شَاهُ فَهْنَدَ . وَنَرَاهُ مُحَرِّفًا .

قال : ولما قُتِل الوليدُ خطبَ يزيدُ الناسَ فذَمَّ الوليدَ ، وذكر
 الحادة ، وأنه قتله لِفِعْلِهِ الخبيث ، وقال : أيها الناس : إنَّ لكم
 على أَلَّا أَضْعَ حجرًا على حجر ، ولا لِبِنَّةً على لبنة ، ولا أَكْرُو^(١)
 نَهْرًا ، ولا أَكْنِزَ مالاً ، ولا أعطيه زوجةً وولداً ، ولا أَثْقُلَ مالا من
 بلد حتى أسدُ ثغره وخصاصةً أهلِهِ بما يُغْنِيهِمْ ، فما فضلَ نَقَلْتَهُ
 إلى البلد الذي بليهِ ، ولا أجْمُرُكُمْ في ثغوركم فأفْتَنُكُمْ . ولا أغلُزْ
 بابي دونكم ، ولا أحمل على أهل جزيبتكم ، ولكم أعطيتكم كل
 سنةٍ وأرزاقكم في كل شهر ، حتى يكون أقصاكم كأدناكم ، فإن
 وقَّيت بما قُلْتُ فعليكم السمع والطاعة وحسن المِلازَمة ، وإن لم
 أوف^(٢) فلکم أن تخلصوني ، إلَّا أن أتوب ، وإن علمتُم أحداً من
 يُعرفُ بالصلاح يعطيكم مثلاً ما أعطيتكم وأردتُم أن تبایعوه فأنا
 أوَّلُ من يبایعُهُ .

أيها الناس ، إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . [والله
 الموفق بمنه وكرمه^(٣)] .

ذكر اضطراب امر بني أمية

وفي سنة ست وعشرين ومائة في أيام يزيد هذا اضطرب أمرُ
 بني أمية ، وهاجت الفتنة ، فكان من ذلك وثوبُ سليمان بن هشام
 ابن عبد الملك بعمان ، وكان الوليدُ قد حبسه بها ، فلما قتل خرج

(١) في ك: أكرى . وفي الكامل .: أكرى . وفي القاموس : كرا الأرض
 يكروها : حضرها . والبئر طواها بالشجر .

(٢) في الكامل : أف . (٣) ليس في د .

من الحبس ، وأخذ ما كان بها من الأموال ، وأقبل إلى دمشق ،
وجعل يلعنُ الوليد ويعيبه بالكفر .

ومن ذلك خلاف أهل حمص وفلسطين :

ذكر خلاف أهل حمص

قال : ولما قُتِلَ الوليد أغلَقَ أهلُ حمص أبوابها ، وأقاموا التوائج
والبواكي عليه . وقيل لهم : إنَّ العباس بن الوليد بن عبد الملك
أعانَ عبد العزيز على قتلِهِ ، فهدموا داره ، وانتهبوا ، وسلبوا
حريمه ، وطلبوه ، فسار إلى أخيه يزيد ، وكاتب أهل حمص
الأجناد ، ودعَوْهم إلى الطَّلَبِ بدمِ الوليد ، فأجابوهم واتفقوا على
ألا يُطَيِّموا يزيد ، وأمرُوا عليهم معاويةَ بن يزيد بن حصين بن
غمر ، ووافقَهُمْ مروان بن عبد الله بن عبد الملك على ذلك ، فراسلهم
يزيد ، فأخرجوا رُسُلَهُ : فسِيرَ إليهم أَخَاهُ مسرورا في جمع
كثير ، فذلُّوا حواريين^(١) ، ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام ،
فردَّ عليه ما كان الوليدُ أخذه من أموالهم ، وسَيَّرَهُ إلى أخيه مسرور ،
وأمرهم بالسَّمْعِ والطاعة له ؛ وكان أهلُ حمص يُريدونَ السيرَ إلى
دمشق ، فقال لهم مروان بن عبد الله : أرى أَن تَسِيرُوا إلى هذا
الجيش فتقاتلوه ، فإن ظَفِرْتُمْ بهم كان ما بعدهم أهونَ عليكم ،
ولستُ أرى المسيرَ إلى دمشق وتركَ هؤلاء خلفكم .

فقال السُّمَطُ بن ابيت : إنما يريد خلافتكم ، وهو مائل^(٢)

(١) حواريين - بالضم وتشديد الواو ، ويختلف في الراء ، فمنهم من يفتحها
ومنهم من يكسرهما ، وياء ساكنة وتون : وهى من قرى حلب (ياقوت) .

(٢) في ك : نائل .

ليزید ، فقتلوه وقتلوا ابنه ، وولّوا عليهم أبا محمد السفينى ،
وتركوا عسكر سليمان ذات اليسار ، وساروا إلى دمشق ، فخرج
سليمان مُجِدًّا فى طلبهم ، فلحقهم بالسليمانية - مزرعة كانت لسليمان
ابن عبد الملك خلّف عذراء^(١) .

وأرسل يزيد عبد العزيز بن الحجاج فى ثلاثة آلاف إلى ثنية
العُقَاب ، وأرسل هشام بن مُصاد فى ألف وخمسمائة إلى عقبة
السلامية . وأمرهم أن يُمَدُّ بعضهم بعضا ، ولحقهم سليمان
على تعب مقاتلتهم^(٢) ، فانهزمت ميمنته وميسرته ، وثبت هو
فى القلب ، ثم حمل أصحابه على أهل حِمْص حتى ردوهم إلى موضعهم ،
وحمل بعضهم على بعض مرارا .

فبينما هم كذلك إذ أقبل عبد العزيز من ثنية العقاب ، فحمل
على أهل حِمْص حتى دخل عسكرهم ، وقتل فيه من عرض له ،
فانهزموا ونادوا : يا يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى ! الله الله
فى قومك ! فكفّ الناس ، وأخذ أبو محمد السفينى أسيرا ،
وزيد بن خالد بن معاوية ، فأتى بهما سليمان فسيرهما إلى يزيد
فحبسهما .

واجتمع أمر أهل دمشق ليزيد ، وبإيعه أهل حمص ، فأعطاهم
العطاء ، وأجاز الأشراف ، واستعمل عليهم يزيد بن الوليد
ابن معاوية بن يزيد بن الحُصين .

(١) عذراء - بالنون ثم السكون والماء : قرية بنو طة دمشق (المراصد) . وفى الطبرى
خلف عذراء من دمشق على أربعة عشر ميلا .
(٢) فى الكامل : فاقتلوا قتالا شديدا .

ذكر خلاف أهل فلسطين

وفي هذه السنة وثب أهل فلسطين على عاملهم سعيد بن عبد الملك فطرذوه ، وكان الوليد قد استعمله عليهم ، فأحضرُوا يزيد بن سليمان بن عبد الملك فجعلوه عليهم ، فدعا الناس إلى قتال يزيد ، فأجابوه إلى ذلك ؛ وبلغ أهل الأردن أمر أهل فلسطين ، فولوا عليهم محمد بن عبد الملك ، واجتمعوا^(١) معهم على قتال يزيد ابن الوليد ، فبعث يزيد إليهم سليمان بن هشام بن عبد الملك في أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفلياني ، وعدتهم أربعة آلاف وثييف ، فباع الناس ليزيد ، واستعمل ضبعان^(٢) بن روح على فلسطين وإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك على الأردن .

ذكر عزل يوسف بن عمر عن العراق

وما كان من أمره ، واستعمل منصور بن جُمهور

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن العراق ، واستعمل منصور بن جُمهور ، وقال له لَمَّا ولَّاهُ العراق : اتَّقِ اللَّهَ واغْلَمْ أُنَى إِنَّمَا قَتَلْتُ الْوَلِيدَ لِفِسْقِهِ ، وَلَمَّا أَظْهَرَ مِنَ الْجَوْرِ ، فَلَا تَرْكَبْ مِثْلَ مَا قَتَلْتَاهُ عَلَيْهِ . فسار حتى إذا بلغ عين^(٣) الشمر كتب إلى من بالحيرة من قواد أهل الشام يُخبرهم بقتل الوليد وتأييده على العراق ويأمرهم بأخذ يوسف وعمله ، وبعث بالكتب

(١) في ك : وأجمعوا . والمثبت في الكامل أيضاً .

(٢) في ك ، د : صتان . والمثبت في الطبري أيضاً .

(٣) عين التمر : بادية في طرف بادية الشام (المراسد) .

كلها إلى سليمان بن سليم بن كيسان ليُفرقها على القواد، فحبس
الكتب، وحمل كتابه فأقرأه يوسف بن عمر، فتحير في أمره :
وقال : ما الرأي يا سليمان ؟ قال : ليس لك إمام تُقاتل معه ،
ولا يقاتل أهل الشام معك ، ولا آمن عليك منصوراً . وما الرأي
إلا أن تلحق بشامك .

قال : فكيف الحيلة ؟ قال : تُظهرُ الطاعة ليزيد وتُدعو له
في خطبتك ، فإذا قُرب منصور تستخفى عندي وتدعه والعمل .

ثم مضى سليمان إلى عمرو بن محمد بن سعيد بن العاص :
فأخبره بالأمر ، وسأله أن يؤوى^(١) يوسف بن عمر عنده : ففعل :
فانتقل يوسف إليه ، فلم^(٢) يُر رجلٌ كان مثل عتوه خاف مثل خوفه .
وقدم منصور الكوفة فحضرهم وذم الوليد ويوسف ، وقامت
الخطباء فذموهما معه ، فأق عمرو بن محمد إلى يوسف ، فأخبره :
فجعل لا يذكر له رجلاً من ذكره بسوء إلا قال : لله على أن أضربه
كذا وكذا سوطاً ، فجعل عمرو يتعجب من طمعه في الولاية .
وهذه الناس .

وسار يوسف من الكوفة يسراً إلى الشام ، فنزل البلقاء^(٣) :
فلما بلغ خبره يزيد بن الوليد وجه إليه خمسين فارساً ، فعرض
رجلٌ من بني غنيم ليوسف ، وقال : يا بن عمر ، أنت والله مقتول ،
فأطعني وامتنع .

(١) في الكامل : يوارى . والمثبت في الطبرى أيضاً .

(٢) في الطبرى : قال عمرو : فلم أر رجلاً مثل عتوه وعب رعبه ...

(٣) البلقاء : أرض بالشام (البكرى) .

قال : لا ، فدعني أقتلك^(١) أذا ولا تقتلك هذه اليمانية فتغيظنا بقتلك .

قال : مالي فيما عرضت خيار ، فطلبه المسيرون إليه ، فلم يروه ، فتهددوا ابنًا له ، فقال لهم : انطلق إلى مزرعة له ، فساروا في طلبه ، فلما أحس بهم هرب وترك نعليه ، ففتشوا عليه فوجدوه بين نسوة قد ألقين عليه قطيفة خز وجلسن على حواشيها حاسرات فجروا برجليه ، وأخذوه ، وأقبلوا به إلى يزيد ، فوثب عليه بغض الحرس ، فأخذ بلحيته وندف بغضها ، وكان من أعظم الناس لحيه ، وأصغرم قامه .

فلما أدخل على يزيد قبض على لحيه نفسه ، وهى إلى سرتيه ، وجعل يقول : يا أمير المؤمنين ، نتفت والله لحيتي ، حتى لم يبق فيها شعرة ، فأمر به فحبس في الخضراء فأتاه إنسان فقال له : أما تخاف أن يطلع عليك بغض من وترت فيلقى عليك حجرًا فيقتلك ؟

قال ^(١) : ما فطنت لهذا ، فأرسل إلى يزيد يطلب منه أن يحول إلى حبس ^(٢) غير الخضراء ، وإن كان أضيق منه ، فعجبوا من حقيقه ، فنقله وحبسه مع ابني الوليد ، فبقى في الحبس ولاية يزيد وشهرين وعشرة أيام من ولاية إبراهيم .

فلما قرب مروان من دمشق ولي يزيد بن خالد [القسرى] ^(٣)

(١) في د : فقال .

(٢) في الطبري : مجلس .

(٣) ليس في د .

مولى لأبيه يقال له أبو الأسد^(١) قَتَلَهُمْ^(٢) ، فقتل الحكم وعثمان
ويوسف على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى .

وكان يوسف بن عمر يَحْمَقُ ، وفيه أشياء متباينة متناقضة ؛
كان طويل الصلاة ، مُلَازِمًا للمسجد ، ضابطًا لحشمه وأهله عن الناس ،
لَيِّنَ الكلام ، متواضعًا ، حسن المُلَكة كثير التضرُّع والدعاء ، فكان
يصلُّ الصُّبح ، ولا يكلم أحدًا حتى يصلِّي الضُّحى ، وهو فيما بين ذلك
يقرأ القرآن ويتضرَّع ، وكان بصيرًا بالشعر والأدب ، وكان شديد
العقوبة ، مُسْرِفًا في ضَرْبِ الأَبْشار ، وكان يأخذ الثوب الجيد فيُورِ
ظفره عليه فإن تعلَّقَ به طاقه ضرب صاحبه ، وربما قطع يده .

حكى أنه أتى يوما بثوبٍ فقال لكتابه : ما تقولُ في هذا الثوب ؟
قال : كان ينبغي أن تكونَ بيوتُه أصغر مما هي . فقال للحائك :
صدق يابنُ اللخناء . فقال الحائك : نحن أعلم بهذا . فقال لكتابه :
صدق يابنُ اللخناء . فقال الكاتب : هذا يعملُ في السنة ثوبًا أو ثوبين
وأنا يمرُّ على يدى في السنة مائة ثوبٍ مثل هذا . فقال للحائك : صدق
يابنُ اللخناء ، فلم يزل يكذبُ هذا مرةً ، وهذا مرةً حتى عدَّ أبيات
الثوب ، فوجدها تنقص بيتًا من أحدِ جانبي الثوب ، فضرب الحائكُ
مائة سوط .

وقيل : إنه أراد السفر فدعا جواريه ، فقال لإخذهائهن : تَخْرُجِينَ
مَعِيَ ؟ قالت : نعم . قال : يا خبيثة . كلُّ هذا من حبِّ النكاح ،

(١) في ك : يقال له الأسد . والمثبت في الطبرى ، والكامل .

(٢) في الكامل (٢٧٢-٤) : فلما قرب مروان من دمشق ولى قتلهم يزيد بن خالد
القمسى مولى لأبيه خالد ، يقال له أبو الأسد . وهى أوضح .

ياخادم ، اضرب رأسها . وقال لأخرى : ما تقولين ؟ فقالت : أقيم على ولدي . فقال : ياخيثة ، كل هذا زهادة في ، اضرب رأسها . وقال لثالثة : ما تقولين ؟ قالت : لا أذري ما أقول ، إن قلت ما قالت إحداهما لم آمن عقوبتك . فقال : ياالخناء وتناقضين وتحتجين ، اضرب رأسها .

وكان قصيراً ، فكان يحضر الثوب الطويل ليفصله ليلبسه ، فإن قال له الخياط : إنه يفضل منه ضرب رأسه ، وإن قال : لا يكفي إلا بعد التصرف في التفصيل سره ذلك ، فكانوا يفصلون له ويأخذون ما بقي . وكان له في ذلك أشياء كثيرة .

فلنرجع إلى أخبار منصور بن جمهور .

قال : وكان دخول منصور الكوفة لأيام خلّت من شهر رجب سنة [١٢٦هـ] ست وعشرين [ومائة ^(١)] ، فأخذ بيوت الأنوال ، وأخرج العطاء والأرزاق ، وأطلق من كان في السجون من العمال وأهل الخراج ، وبائع يزيد بالعراق ، وأقام بقية رجب وشعبان ورمضان ، وانصرف لأيام بقين منه .

وامتنع نصر بن سيار بخراسان من تسليم عمله لعامل منصور ، فإن يزيد كان قد ضم خراسان لمنصور مع العراق .

ذكر عزل منصور بن جمهور عن العراق

وولاية عبدالله بن عمر بن عبد العزيز

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد منصور بن جمهور عن العراق ،

(١) زيادة مما بين السطور في د .

واستعمل عبد الله بن عمر بن عبد العزيز : وقال له : سر إلى العراق ، فإن أهلَه يميلون إلى أبيك . وخاف ألا يسلم إليه المنصورُ العمل ، فانقاد له أهل الشام ، وسلم إليه منصورُ الولاية ، وانصرف إلى الشام ، ففرق عبد الله العمال ، وأعطى الناس أرزاقهم وأعطياتهم ، فنازعه قواد أهل الشام ، وقالوا : تقسيم على هؤلاء فيئتنا ، وهم عدونا ! فقال لأهل العراق : إني أريد أن أرد عليكم فيئكم ، وعلمت أنكم أحق به ، فنازعني هؤلاء .

فاجتمع أهل الكوفة بالجيئة ، فأرسل إليهم أهل الشام يعتذرون ، وثار غوغاء الناس في الفريقين ، فأصيب منهم رهط لم يعرفوا ، واستعمل عبد الله بن عمر على شرطية عمر بن الغضبان ابن القبمري ، وعلى خراج السواد والمحاسبات أيضا .

ذكر الاختلاف بين أهل خراسان

وفي سنة [١٢٦هـ] ست وعشرين ومائة وقع الاختلافُ بخراسان بين التُّزاريَّة واليمانية ، وأظهر الكرماني الخلاف لنضر بن سيار . وكان سبب ذلك أن نضراً رأى الفتنة قد ثارت ، فرفع حاصِل بيت المال ، وأعطى الناس بعض أعطياتهم ورقاً وذهباً ، من أوان^(١) كان اتخذها للوليد بن يزيد ، فطلب الناس منه العطاء ، وهو يخطب ، فقال نصر : إياي والمعصية ، عليكم بالطاعة والجماعة . فوثب أهل السوق إلى أسواقهم ، فغضب نصر ، وقال : مالكم عندي عطاء^(٢)

(١) في الطبرى والكامل : من الآنية التي كان ...

(٢) في الطبرى : عطاء بعد يومكم هذا .

ثم قال : كَأَنِّي بِكُمْ وَقَدْ نَبَعَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ شَرٌّ لَا يُطَاقُ ، وَكَأَنِّي بِكُمْ مُطَرَّحِينَ فِي الْأَسْوَاقِ كَالْجُزْرِ الْمَنَحُورَةِ ، لِأَنَّهُ لَمْ تَطُلْ وَلَايَةُ رَجُلٍ إِلَّا مَلَّوْهَا ، وَأَنْتُمْ يَأْهَلُ خُرَاسَانَ مُسَلَّحَةٌ فِي نَحُورِ الْعَدُوِّ ، فَيَايَاكُمْ أَنْ يَخْتَلِفَ فِيكُمْ سَيْفَانُ ، إِنْكُمْ تَرِيدُونَ أَمْرًا وَتَرِيدُونَ ^(١) بِهِ الْفِتْنَةَ ، وَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، لَقَدْ نَشَرْتَكُمْ وَطَوَيْتَكُمْ ، فَمَا عِنْدِي مِنْكُمْ عَشْرَةٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ اخْتَلَفَ فِيكُمْ سَيْفَانُ لَيَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ أَنَّهُ يَنْخَلَعُ مِنْ مَالِهِ وَوَلَدِهِ . يَأْهَلُ خُرَاسَانَ ، إِنْكُمْ قَدْ غَمَطْتُمُ الْجَمَاعَةَ ، وَرَكَنْتُمْ إِلَى الْفِرْقَةِ .

ثم تمثل بقول النابغة ^(٢) :

فَإِنْ يَغْلِبَ شَقَاؤُكُمْ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي فِي صَلَاحِكُمْ سَعِيْتُ
وَقَدِمَ عَلَى نَصْرِ عَهْدِهِ ^(٣) عَلَى خُرَاسَانَ مِنْ قِبَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ
ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ فَقَالَ الْكَرْمَانِيُّ لِأَصْحَابِهِ : النَّاسُ فِي فِتْنَةٍ فَانْظُرُوا
لِأُمُورِكُمْ رَجُلًا .

وَالْكَرْمَانِيُّ اسْمُهُ جُدَيْعُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَرْدَنِيُّ ، وَإِنَّمَا سَمِيَ الْكَرْمَانِيُّ لِأَنَّهُ
وُلِدَ بِكَرْمَانَ ، فَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ لَنَا . وَقَالَتِ الْمُضَرِّيَّةُ لِنَصْرٍ : إِنْ
الْكَرْمَانِيُّ يُفْسِدُ عَلَيْكَ الْأُمُورَ ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِ فَاقْتُلْهُ أَوْ أَحْبِسْهُ .
قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ لِي أَوْلَادُ ذُكُورٍ وَإِنَاثُ ، فَأَزْوَاجُ بَنِي مِنْ بَنَاتِهِ ،
وَبَنَاتِي مِنْ بَنِيهِ .

قَالُوا : لَا . قَالَ : فَأَبْعَثْ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَهُوَ بِخَيْلٍ ،

(١) فِي الطَّبَرِيِّ : تَرِيدُونَ .

(٢) فِي دِيوَانِهِ : ٢٢ .

(٣) كَ : عَهْد .

فلا يُعْطَى أصحابه شيئاً منها ، فيتفرقون عنه . قالوا : لا ، هذه قوة له ، ولم يزلوا به حتى قالوا له : إن الكرمانى لو لم يقدر على السلطنة والملك إلا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهود .

وكان نصر الكرمانى متصافيين ، وكان الكرمانى قد أحسن إلى نصر فى ولاية أسد [بن عبد الله ^(١)] القسرى . فلما ولى نصر عزل الكرمانى عن الرياسة ولأها غيره ، فتباعد ما بينهما ، فلما أكثروا على نصر فى أمره عزم على حبسه ، فأرسل صاحب حرسه ليأتيه ^(٢) ، فأرادت الأزد أن تخلصه من يده ، فمنعهم من ذلك ، وسار مع صاحب الحرس وهو يضحك :

فلما دخل على نصر قال له : يا كرمانى ، ألم يأتنى كتاب يوسف ابن عمر بقتلك فراجعت ^(٣) وقلت : شيخ خراسان وفارسها ، فحقنت دمك ؟ قال : بلى . قال : ألم أغرم عنك ما كان ليزمك من الغرم ، وقسمته فى أعطيات الناس ؟ قال : بلى . قال : ألم أرتس ابنك علياً على كره من قومك ؟ قال : بلى . قال : فبدلت ذلك لإجماعاً على الفتنة .

قال الكرمانى : لم يقل الأمير شيئاً إلا وقد كان أكثر منه ، وأنا لذلك شاكراً ، وقد كان منى أيام أسد ما قد علمت ، ولست أحب الفتنة .

جزوب
معين التارخ
لأهل التارخ

(١) من الكامل .

(٢) ليس فى ك .

(٣) فى د : فراجعت .

قال سلم^(١) بن أخوز : اضرب عُنقه أيها الأمير ، وأشار
غيره بذلك ، فقال المقدم وقد أمة ابنا عبد الرحمن بن نعيم العامري^(٢) :
لجُلساء فرعون خيرٌ منكم ؛ إذ قالوا^(٣) : « أرجه وأخاه » والله لا يقتل الكرمانى
بقولكم ، فأمر نصر بجسسه فى القهَندز^(٤) . فحبس وذلك لثلاث بقين من
شهر رمضان ، فتكلمت الأزد فقال نصر : إنى حلفت أن أحبسهُ ، ولا يناله
منى سوءٌ ، فإن خشيتُ عليه فاختاروا رجلاً يكون معه ، فاختاروا يزيد
النحوى ، فكان معه ؛ فجاء رجل من أهل نسف ، فقال لآل الكرمانى :
ما تجعلون لى إن أخرجته ؟ قالوا : كل ما سألتَ ، فأتى مجرى الماء فى القهَندز
فوسعه ، وقال لولد الكرمانى : اكتبوا لأبيكم^(٥) يستعد الليلة للخروج .

فكتبوا إليه ، وأدخلوا الكتاب فى الطعام ، فتعشى الكرمانى ، ويزيد
النحوى ، وحُصين بن حكيم ؛ وخرجا من عنده .

ودخل الكرمانى السَّرب ، فانطوت على بطنه حية فلم تضره ؛
وخرج من السَّرب ، وركب فرسه البشير ، والقَيْدُ فى رِجله ،
فأتوا به عبد الملك بن حرْملة فأطلق عنه القَيْد .

وقيل : إن الذى خلَّص الكرمانى مولى له رأى خرقاً فوسَّه وأخرجه

(١) فى ك : مسلم . وفى د : سلم . والمثبت فى الطبرى ، والمشتبه .

(٢) فى الطبرى : الغامدى . والمثبت فى الكامل أيضاً .

(٣) سورة الأعراف ، آية ١١١

(٤) فى باقوت : القهَندز - بفتح أوله وثانيه وسكون النون وفتح الدال

وزاى : فى الأصل اسم الحصن أو القلعة فى وسط المدينة ، وأكثر الرواة يسمونه
قَهَندز - بضم الفاء والدال ، وهو تعريب كَهَندز - ومعناه القلعة الحصينة .

(٥) فى د : إلى أبيكم .

منه ، فلم يُصلِّ الصُّبحُ حتى اجتمع معه زهاء ألف ، ولم يرتفع النهار حتى بلغوا ثلاثة آلاف .

وكانت الأزد قد بايعوا عبد الملك بن حرملة . فلما خرج الكرمانى قدمه عبد الملك .

قال : ولما خرج الكرمانى عسكر نَصْرُ بباب مرو الرُّوذ ، وخطب الناس ، فنال من الكرمانى ، ثم ذكر الأزد ، فقال : إِنْ يَسْتَوْسِقُوا^(١) فهم أَذَلُّ قَوْمٍ ، وَإِنْ يَأْبُوا فهم كما قال الأخطل^(٢) :

ضفادع فى ظُلُماءٍ لَيْلٍ تجاوبستُ فذلَّ عليها صوتُها حَيَّةُ البحرِ
ثم ندم على ما فرط منه ، فقال : اذكروا الله ؛ فإنه خَيْرٌ لَّاشِرٍ فيه .

واجتمع إلى نَصْرٍ بشُرٌ كثير ، فسفر الناس بينه وبين الكرمانى ؛ وسألوا نَصْرًا أَنْ يُوَظَّعَ ؛ ولا يحبسهُ ؛ وجاء الكرمانى ، فوضع يدهُ فى يَدِ نَصْرٍ ، فأمره بلزوم بيتهِ ، ثم بلغ الكرمانى عن نَصْرٍ شىء ، فخرج إلى قريةٍ له : وخرج نَصْرٌ فعسكر بباب مرو ، فكلَّموه فيه ، فأمنه .

فلما عُزل ابن جُهمُور عن العراق ووُلِّىَ عبدُ الله بن عمر فى شِوَالٍ من السنة خطب نَصْرٌ ، وذكره ، وقال : قد علمتُ أَنَّهُ لم يكن من عَمَالِ العراق ، وقد عزله الله ؛ واستعمل الطَّيِّبُ ابْنَ الطَّيِّبِ .

فغضب الكرمانى لابن جُهمُور ، وعاد فى جمع^(٣) الرجال واتخاذِ السلاح ؛ فكان يحضر الجمعة فى ألف وخمسمائة فيصلى خارج

(١) فى د : يستواسقوا .

(٢) البيت فى الطبرى ، وانكامل .

(٣) فى ك : جميع .

المقصورة ، ثم يدخل فيسلم على نضر ، ولا يجلس ، ثم ترك إتيان نضر وأظهر الخلاف ، فأرسل إليه مع سلم^(١) بن أحوز ، يقول : إني والله ما أردتُ بحبسك سوءاً ، ولكن خفتُ فساد أمر الناس فأتيتي . فقال : لولا أنك في منزلي لقتلتك ، ارجع إلى ابنِ الأقطع ، فأبلغه ما شئت من خيرٍ أو شر .

فرجع إلى نضر فأخبره ، فلم يزكن يُرسل إليه مرة بعد أخرى ، فكان آخر ما قال له الكرمانى : إني لا آمنُ أن يحملك قوم على^(٢) غير ما تريد ، فتركب منا مالا بقية بعده ، فإن شئت خرجتُ عنك لا من هيبة لك ، ولكن أكره سفك الدماء ، فتهيباً للخروج إلى جرجان ، ثم كان من أمر الكرمانى ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر الحرب بين أهل اليمامة وعاملهم

قال : لما قتل الوليد بن يزيد كان على اليمامة على بن المهاجر ، استعمله عليها يوسف بن عمر ، فقال له المهير بن سلمى بن هلال أحد بني الدول بن حنيفة : اترك لنا بلادنا ، فأبى ، فجمع له المهير ، وسار إليه ، وهو يقصره في قاع^(٣) هجر ، فالتقوا بالقاع ، فانهزم على حتى دخل قصره ، ثم هرب إلى المدينة ، وقتل المهير ناساً من أصحابه ، وتآمر المهير على اليمامة ، ثم إنه مات ، واستخلف على اليمامة عبد الله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة بن الدول ، فاستعمل

(١) في ك : مسلم . وفي الكامل : سالم . وقد سبق .

(٢) في ك : إلى .

(٣) في د : بقاع .

عبد الله بن النعمان المُنْدَلِث ^(١) بن إدريس الحنفى على الفلج -
وهى قرية من قرى بنى عامر بن صعصعة ، فجمع له بنو كعب
ابن ربيعة بن عامر ومعهم بنو عقيل ، فأتوا ^(٢) الفلج ،
فلقبهم المُنْدَلِث ، وقتلهم ، فقتل المُنْدَلِث وأكثر أصحابه ، ولم يقتل
من بنى عامر كثير ، وقتل يومئذ يزيد ابن الطَّوَيْرِ ^(٣) وهى أمه ،
تُنسب إلى طَهر بن عَنَز ^(٤) بن وائل ، وهو يزيد بن المنتشر ^(٥) .

فلما بلغ عبد الله بن النعمان قتل المُنْدَلِث جمع ألفاً من حنيفة
وغيرها ، وغزا الفلج .

فلما تصافَّ الناس انهزم أبو لطيفة بن مسلم العقيلي ، وطارق
ابن عبد الله القُشَيْرِى ، والجَعُونِيَان ^(٦) ، وتجلَّت بنو جَعْدَةَ البرافِع ،
وولَّوْا ، فقتل أكثرهم ، وقُطعت يدُ زِيَادِ بن حِيان الجَعْدِى ، ثم
قُتِل ^(٧) .

ثم إن بنى عقيل وقُشَيْرَا وجَعْدَةَ ونَمِيرَا تجمعوا وعليهم أبو سَهْلَةَ
النَّمِيرِى ، فقتلوا مَنْ لقوا من بنى حنيفة بمعين الصحراء ، وسبوا
نساءهم ، وكفَّت بنو نَمِير عن النساء .

(١) هذا فى ك : د . (٢) فى د : وأتوا .

(٣) الطَّوَيْرِى - بالنحرىك : أم يزيد بن الطَّوَيْرِى الشاعر القُشَيْرِى . وفى الشعر
والشعراء (١ - ٣٩٢) : هو يزيد بن الطَّوَيْرِى - بسكون التاء ، وهى من طَهر
ابن عَنَز بن وائل .

(٤) فى ك : بن عمير . والصواب فى د ، والشعر والشعراء .

(٥) وهذا يوم الفلج الأول (الكامل : ٤ - ٢٧٣) .

(٦) الضبط فى د .

(٧) وهذا يوم الفلج الثانى (الكامل : ٤ - ٢٧٣) .

ثم إنَّ عمر بن الوازع الحنفى لَمَّا رأى ما فعل عبدُ الله بن النعمان قال : لَسْتُ بدون عبد الله وغيره ممن يغير ، وهذه فُترةٌ يؤمن فيها عقوبة السلطان ، فجمع خَيْلَهُ وبِئْهَا فَأَغَارَتْ وَأَغَارَ فَمَلَأَ يَدَهُ مِنَ الْغَنَائِمِ ، وَأَقْبَلَ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى أَتَى النَّشَّاشَ ^(١) ، وَأَقْبَلَتْ بَنُو عَامِرٍ ، وَقَدْ حَشَدَتْ ، فَلَمْ يَشْعُرْ عُمَرُ بْنُ الْوَازِعِ إِلَّا بِرُغَاءِ الْإِبِلِ ، فَجَمَعَ النِّسَاءَ فِي قُسْطَاطٍ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِنَّ حُرْسًا ، وَلَقِيَ الْقَوْمَ فَقَاتَلَهُمْ ، فَانْهَزَمَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَهَرَبَ ابْنُ الْوَازِعِ ، فَلَحِقَ بِالْيَمَامَةِ ، وَكُنْتُ قَيْسَ يَوْمِ النَّشَّاشِ عَنِ السَّلْبِ ، فَجَاءَتْ عُكْلٌ فَسَلَبَتْهُمْ ^(٢) .

وجمع عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ الْحَنْفَى جَمْعًا ، وَأَغَارَ عَلَى مَاءِ لُقْشِيرٍ يُقَالُ لَهُ حَلْبَانٌ ^(٣) ، وَأَغَارَ عَلَى عُكْلٍ فَقَتَلَ مِنْهُمْ عَشْرِينَ^٤ رَجُلًا .
ثم قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ الْقَزَارِيَّ وَالْيَا عَلَى الْيَمَامَةِ مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ يَزِيدَ بْنِ عُمَرَ حِينَ وَلِيَ الْعِرَاقَ لِمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَوَرَدَهَا وَهُمْ سَلَمٌ .

وَسَكَنْتِ الْبِلَادُ ؛ وَلَمْ يَزَلْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ الْحَنْفَى مُسْتَخْفِيًا حَتَّى قَدِمَ السَّرِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَاشِمِيُّ وَالْيَا عَلَى الْيَمَامَةِ لِبَنِي الْعَبَّاسِ ، فَدَلَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ .

وفى هذه السنة أمر يزيد بن الوليد بالبيعة [بولاية^(٤)] العهد لأخيه إبراهيم ، ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان .

(١) النشاش - ككتان : واد لبني نعيم كانت به وقعة بين بني عامر وأهل اليمامة

(القاموس) . وفى د : النشاش .

(٢) وهو يوم النشاش (الكامل : ٤ - ٢٧٤) ..

(٤) ليس في ك .

(٣) الضبط في ياقوت .

وفيهما خالف مروان بن محمد يزيد بن الوليد وأظهر الخلاف ،
وتجهز للمسير إلى الشام ، وعرض جُند الجزيرة في نَيْفٍ وعشرين
ألفاً ، فكانت يزيْدُ لِيُبايع له ويؤليه ما كان عبد الملك ولَّى أباه محمداً
من الجزيرة وإرمينية والموصل وأذربيجان ، فبايع له مروان ، وأعطاه
يزيد ولاية ما شرطه ^(١) له .

ذكر وفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك

كانت وفاته بدمشق لعشر بقين من ذى الحجة سنة [١٢٦هـ]
ستَّ وعشرين ومائة ، فكانت مدة ولايته خمسة أشهر واثنين ^(٢)
وعشرين يوماً ، وقيل ستة أشهر وثلثين ، وقيل سنة أشهر ، وكان
عمره ستاً وأربعين سنة .

واختلف فيه إلى ثلاثين سنة .

وكان أسمر نحيف البدن ، رُبَّع القامة ، خفيف العارضين ،
فصيحاً شديداً العُجب .

وقيل في صفته : أسمر طويلاً صغير الرأس جميلاً .

وكان نقش خاتمه : يا يزيد ، قم بالحق . وقيل : كان نقش خاتمه :
العظمةُ لله .

وكان آخر ما تكلم به : واحسرتاه ! واأسفاه ! وكان له عقب كثير .
كاتبه : ثابت بن سليمان .

قاضيه : عثمان بن عُمر بن موسى بن معمر التميمي .

(١) في د : ما شرط له :

(٢) في الكامل : واثنى عشر يوماً .

حاجبه : قطريّ مولاة - وقيل سلام .
 الأمير بمصر : حفص بن الوليد ، ولم يزل عليها إلى أن ولي مروان
 فاستعفى .

قاضيتها : حسين بن نعيم .
 ويزيد أول من خرج بالسلاح يوم العيد ، خرج بين صفّين
 عليهم السلاح . وقيل : إنه كان قدريّا . والله أعلم .

ذكر بيعة إبراهيم بن الوليد

هو أبو إسحاق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وأمه
 أم^(١) ولد اسمها نعمة ، وقيل خشف ، وهو الثالث عشر من ملوك
 بني أمية ، قام بالأمر بعد وفاة أخيه يزيد في ذى الحجة سنة [١٢٦هـ]
 ست وعشرين ومائة ، وكان يسلم عليه تارة بالخلافة ، وتارة
 بالإمارة ، وتارة لا يسلم عليه بواحدة منهما ؛ فمكث أربعة أشهر ،
 وقيل سبعين يوما ، ثم سار إليه مروان بن محمد ، فخلعه على
 ما نذكر ذلك إن شاء الله ، ثم لم يزل حيّا حتى أصيب في سنة
 [١٣٢ هـ] اثنتين وثلاثين ومائة .

تتمة حوادث سنة (١٢٦ هـ) ست وعشرين ومائة :

فيها عزّل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن
 المدينة ، واستعمل عبد العزيز بن عمرو بن عثمان ، فقدمها في ذى القعدة
 من السنة .

وحجّ بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وقيل عمر
 ابن عبد الله بن عبد الملك .

(١) في المقدّم القريد : وأمه بربرية .

(١٢٧ هـ) سبع وعشرين ومائة :

ذكر مسير مروان بن محمد الى الشام

وخلع لإبراهيم بن الوليد

فى هذه السنة سار مروان بن محمد بن مروان إلى الشام لمحاربة إبراهيم بن الوليد ، فانتهى إلى قنشرين ، وبها بشر^(١) ومسرور ، ابننا الوليد [أرسلهما^(٢)] أخوه إبراهيم ، فتصافوا ، ودعاهم مروان إلى بيعته فمال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة فى القيسية ، وأسلموا بشرًا وأخاه مسرورًا ، فحبسهما مروان ، وسار معه أهل قنشرين إلى حنص ، وكان أهل حنص قد امتنعوا من بيعته إبراهيم وعبد العزيز ، فوجه إليهم إبراهيم عبد العزيز فى جند أهل دمشق ، فحاصروهم فى مدينتهم ، وأسرع مروان السير ، فلما دنا من حنص رحل عبد العزيز عنها ، وخرج أهلها إلى مروان فبايعوه ، وساروا معه ، ووجه إبراهيم الجنود من دمشق مع سليمان بن هشام فى مائة وعشرين ألفا ومروان فى ثمانين ألفا ، فدعاهم مروان إلى الكف عن قتاله وإطلاق الحكم وعثمان ابني الوليد من السجن ، وضمن لهم أنه لا يطلب أحدًا من قتلة الوليد ، فلم يجيبوه وجثوا فى قتاله فاقتتلوا^(٣) ما بين ارتفاع النهار إلى الغضر ، وكثر القتل بينهم ، وكان مروان ذا رأى ومكيده ، فأرسل ثلاثة آلاف فارس ، وأمرهم أن يأتوا عسكر سليمان من خلفه ، ففعلوا ذلك ، فلم يشعر سليمان إلا والقتل فى أصحابه من ورائهم ،

(١) فى ك : بشر .

(٢) من العقد الفريد : ٤ - ٤٤٦

(٣) فى د : واقتلوا .

فانهزموا ، ووضع أهل حِمْنَص السلاح فيهم لِحَنْقِهِمْ عليهم ، فقتلوا منهم سبعة عشر ألفا ، وقيل ثمانية عشر ألفا ، وكفَّ أهل الجزيرة وقَسْرِين عن قتالهم ، وأتوا مروان من أسراهم بمثل القَتْلِ ، فأخذ مروانُ عليهم البيعة لولدى الوليد ، وخَلَّى عنهم ، وهرب يزيد ابن عبد الله بن خالد القَسْرِي فيمن هرب إلى دمشق ، فاجتمعوا مع إبراهيم وعبد العزيز ، وانفقوا على قتل الحَكَم وعثمان ولدى الوليد ، فقتلوا ، وقتل معهم يوسف بن عمر ، وأرادوا قتل محمد السفيناني ، فدخل بيتا من بيوت السجن وأغلقه ، فلم يقدرُوا على فتحه ، [وأرادوا^(١)] إحراقه ، فقبل لهم : قد دخلتُ خَيْلُ مروان المدينة ، فهربوا ، وهرب إبراهيم ، واختفى ، وانتهب سليمانُ بن هشام ما في بيتِ المال ، فقسَّمه في أصحابه ، وخرج من المدينة ، وعاش إلى سنة [١٣٢ هـ] اثنتين وثلاثين ومائة ، ثم قتله ابن عوف يوم الزَّاب .

وقيل : إنه غرق في ذلك اليوم .

وقيل : قتله مروان بن محمد وصلَّبه . وكان إبراهيم عاجزا ضعيف الرأى ، وكان خفيف العارِضَيْن له صَفِيرَتَان .
وكان نقش خاتمه : توكَّلتُ على الحيِّ القيوم .

كاتبه : بكير بن السراج اللخمي .

قاضيهِ : عثمان بن عُمر التميمي .

حاجبه : فطريّ مولى الوليد ، ثم وُرْدان موله . [والله أعلم^(٢)] .

(١) ساقط في ك

(٢) ليس في د .

ذكر بيعة مروان بن محمد

هو أبو عبد الله مروان بن محمد بن الحكم بن أبى العاص، وأمه لبابة جارية لإبراهيم بن الأئشتر، وكانت كُرْدِيَّة ، أخذها محمد من عسكر إبراهيم، فولدت له مروان وعبد العزيز، ولقب بالجعدى لأن خاله الجعد بن درهم، فنُسب إليه. ولقب أيضا حمار الجزيرة.

بُيع له في صفر في سنة [١٢٧ هـ] سبع وعشرين ومائة، وكان سبب بيعته أنه لما دخل دمشق وهرب إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام ثار من بدمشق من موالى الوليد بن يزيد بن عبد الملك إلى دار عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، فقتلوه ونَبَشُوا قَبْرَ يزيد بن الوليد، وأخرجوه فصلبوه على باب الجابية، وأتى مروان بالغلّامين، الحكم وعثمان مَقْتُولَيْنِ، وبيوسف بن عمر، فدَفَنَهُمْ، وأتى بأبى محمد السفينائى فى قُبُوده، فسلم على مروان بالخلافة، ومروان يومئذ يسلم عليه بالإمرة، فقال له مروان: مه. فقال: إنهما جعلاهما لك بغدما، وأنشد شِعْرًا قاله الحكم فى السجن، وكانا قد بلغا وولِد لأحدهما، وهو الحكم، فقال (١):

ألا من مُبْلِغُ مروان عَنّى وعَمّى القَمَرُ (٢) طال به حِينُنَا

(١) الشعر فى الطبرى : ٧ - ٣١١ . والكامل : ٤ - ٢٨٣

(٢) القمر : الذى ذكر : هو عمه القمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان أخو الوايد بن يزيد (هامش د) .

(٣) فى الطبرى : طال بهذا حِينُنَا .

بَأَنِّي قَدْ ظَلِمْتُ وَصَارَ قَوْمِي عَلَى قَتْلِ الْوَلِيدِ مُشَاهِدِينَ^(١)
 أَيَذْهَبُ كُلُّهُمْ^(٢) بِدَمِي وَمَالِي فَلَا غَنًا أَصَبْتُ وَلَا سَمِينًا
 وَمَرْوَانَ بِأَرْضِ بَنِي نِزَارٍ كَلَيْثِ الْعُغَابِ مُفْتَرِشٍ عَرِينًا^(٣)
 أَتَنَكُّتُ بَيْنَعَى مِنْ أَجْلِ أُمِّي فَقَدْ بَايَعْتُمُو قَبْلِي هَجِينًا
 فَإِنْ أَهْلَكَ أَنَا وَوَلِيَّ عَهْدِي فَمَرْوَانُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 ثُمَّ قَالَ : ابْسُطْ يَدَكَ أَبَايَعُكَ ، وَسَمِعَهُ مِنْ مَعِ مَرْوَانَ^(٤) .

وكان أول من بايعه معاوية بن يزيد بن حصين بن غمير وموسى
 أهل حمص ، والناس بعد . فلما استقر له الأمر رجع إلى منزله
 بخران ، وطلب منه الأمان لإبراهيم^(٥) بن الوليد وسليمان بن هشام
 فأمنهما فقدموا عليه ، وبايعاه .

وفي هذه السنة ظهر عبد الله بن معاوية بن عهد الله بن جعفر بن
 أبي طالب بالكوفة ودعا إلى نفسه ، وكان من أمره ما نذكره
 إن شاء الله في أخبارهم .

ذكر رجوع الحارث بن سريج

وفي هذه السنة كان رجوع الحارث بن سريج إلى مرو ، وكان
 قدومه في جمادى الآخرة سنة [١٢٧ هـ] سبع وعشرين ومائة ،
 وكان ببلاد الترك ، وكان مقامه عندهم اثنتي عشرة سنة ،

(١) في الطبري : متابعينا . (٢) في الطبري : كلهم .

(٣) في الطبري والكامل : مفترس عرينا .

(٤) في الطبري . وسمعه من مع مروان من أهل الشام ، فكان أول من نهض

معاوية بن يزيد ...

(٥) في الطبري : طلب الأمان منه إبراهيم بن الوليد .

وقد قدمنا من أخباره طرْقاً .

وكان سبب عودِه أن الفِتْنَةَ لما وقعت بخراسان بين نَصْرِ بن سيار والكُرماني في سنة [١٢٦هـ] ست وعشرين في خلافة يزيد ابن الوليد كما ذكرنا - خاف نَصْرُ قدومَ الحارث عليه في أصحابه ، فأرسل مقاتل بن حَيَّان النبطي وغيره ليردّوه من بلادِ التُّركِ ، وسار خالد بن زياد البدئى الترميذى وخالد بن عمرو مولى بنى عامر إلى يزيد ، فأخذوا للحارث منه أماناً قائمته ، وأمر نَصْر بن سيار أن يرُدَّ عليه ما أخذ له ، وأمر عبد الله بن عُمر بن عبد العزيز بذلك ، فلما قدم تلقاهُ الناس بِكُشَيْبِيَهَن^(١) ، ولقيَه نَصْرُ وأنزله ، وأجرى عليه كلَّ يوم خمسين درهما ، فكان يقتصرُ على كَوْن واحد ، وأطلق نَصْرَ أهلَه وأولاده ، وعرض عليه نَصْرُ أن يوليه ويُعطيه مائة ألف دينار ، فلم يقبل .

وأرسل إلى نَصْر : إني لستُ من الدنيا واللذاتِ في شيء ، إنما أسألُ كتاب الله والعملَ بالسنة واستعمالَ أهلِ الخير ، فإن فعلتُ ساعدتُك على عدوك .

وأرسل الحارثُ إلى الكُرماني إذا أعطاني نَصْرُ العملَ بالكتاب وما سألتُه عضدته وقمتُ بأمرِ الله ، وإن لم يفعل أعنتُك إن صميتُ لي القيام بالعدل والسنة .

ودعا [بنى^(٢)] نعيم إلى نفسه ، فأجابه منهم ومن غيرهم

(١) بالضم ثم السكون وفتح الميم وياء ساكنة ، وهاء مفتوحة ونون : قرية كانت عظيمة من قرى مرو على طرف البرية (باقوت) . وفي الطبرى : بكشاهن والمثبت في الكامل أيضاً .

(٢) من الكامل ، والطبرى .

جُئْتُ كثير ، واجتمع إليه ثلاثة آلاف ، وقال لنصر : إنما خرجتُ من هذه البلدة منذ ثلاث عشرة سنة إنكاراً للجور وأنت تُريدني عليه .

ذكر انتقاض أهل حمص

وفي هذه السنة انتقض أهل حمص بعد عود مروان إلى حران بثلاثة أشهر ، وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم ، ورأسل أهل حمص من بئدر من كلب ، فأتاهم الأصمغ بن ذؤالة الكلبي وأولاده ، ومعاوية السكسكي ، وكان فارس أهل الشام وغيرهما في نحو ألف من فرسانهم ، فدخلوا حمص ليلة الفطر ، فجد مروان في السير إليهم ومعه إبراهيم [بن الوليد] ^(١) المخلون ، وسليمان ابن هشام ، فبلغها بعد الفطر بيومين ، وقد سد أهلها أبوابها ، فأحْدق بالمدينة ووقف بإزاء باب من أبوابها ، فنادى مُناديه : ما دعاكم إلى النكث ؟ قالوا : إنا على طاعتك لم ننكث . قال : فافتحوا . ففتحوا الباب ، فدخله عمرو بن الوضاح في الوضاحية في نحو ثلاثة آلاف ، فقاتلهم من بالبلد فكسرتهم خيل مروان ، فخرج من بها من باب تدثر ، فقاتلهم من عليه من أصحاب مروان فقتل عامة من خرج منه ، وأفلت الأصمغ وابنه ، وقتل مروان جماعة من أشrafهم ، وصلب خمسمائة من القتلى حول المدينة ، وهدم من سورها نحو غلوة . وقيل : كان ذلك سنة [١٢٨هـ] ثمان وعشرين ومائة . [والله أعلم] ^(٢) .

(١) من الطبري .

(٢) ساقط في د .

ذكر خلاف أهل القوطة

وفى هذه السنة خالف أهل القوطة وولّوا عليهم يزيد بن خالد القسرى وحصروا دمشق وأميرها زامل بن عمرو ، فوجه إليهم مروان من حمص أبا الورد بن الكوثر بن زفر بن الحارث ، وعمرو بن الوضاح فى عشرة آلاف ، فلما دنوا من المدينة حملوا عليهم ، وخرج عليهم من بالمدينة ، فانهزموا ، واستباح أصحاب مروان عسكرهم ، وأحرقوا الحيزة^(١) وقرى من قرى اليمانية ، وأخذ يزيد بن خالد فقتل ، وبعث زامل برأسه إلى مروان بحمص .

ذكر خلاف أهل فلسطين

وفىها خرج ثابت بن نعيم بعد هؤلاء فى أهل فلسطين ، وأتى طبرية فحاصرها ، وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم . فقاتله أهلها أياما ، فكتب مروان بن محمد إلى أبي الورد يأمره بالمسير إليهم ، فصار فلما قرب منهم خرج أهل طبرية على ثابت فهزموه واستباحوا عسكره ، فانصرف إلى فلسطين منهزما ، فتيه^(٢) أبو الورد والتقوا واقتتلوا ، فانهزم ثانية وتفرق عنه أصحابه وأسر^(٣) ثلاثة من أولاده . وبعث بهم إلى مروان ، وتغيّب ثابت وولده رفاعه .

(١) المزقة - بالكسر ثم التشديد: قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق (ياقوت).

(٢) فى د : وتيه .

(٣) فى ك : فأسر .

واستعمل مرّوان على فلسطين الرّماحس بن عبد العزيز^(١) الكتاني ، فظفر بثابت ، فبعثه إلى مرّوان مؤثّقاً بعد شهرين ، فأمر به وبأولاده الثلاثة ، فقُطعت أيديهم وأرجلُهم ، وحُمِلوا إلى دمشق ، فألقوا على باب المسجد ثم صُلبوا على أبواب دمشق ، واستقام أمرُ الشام لمرّوان إلا تَدُمُرُ ؛ فسار مرّوان إليها ، فنزل القسطل^(٢) ، وبعث إليهم فأجابوه إلى الطاعة فبايعهم : وهدم سور البلد .

وفيها بايع مرّوان لابنيه عبيد الله وعبد الله وزوجهما ابنتي هشام ابن عبد الملك ، وجمع لذلك بني أمية .

وسار مرّوان إلى الرّصافة ، ونَدب يزيد بن عُمر بن هُبيرة إلى العراق لقتال الضحّاك الخارجي ، وأمر أهل الشام باللّحاق به .

ولما سار مرّوان استأذنه سليمان بن هشام ليُقيم أياً ما لبقوى من معه وتستريح دوابهم ، فأذن له .

وتقدّم مرّوان إلى قرقيسياء^(٣) وبها ابنُ هُبيرة ليُقدّمه إلى الضحّاك ، فرجع عشرة آلاف من كان مرّوان أخذ من أهل الشام لقتال الضحّاك ، فأقاموا بالرّصافة ، ودعوا سليمان إلى خلع مرّوان فأجابهم .

(١) هذا في ك. والكامل ، والطبري ، وفي القاموس : وتاج العروس : الرماحس ابن عبد العزيز .

(٢) القسطل — بالفتح ثم السكون وطاء مهملة مفتوحة ولام : موضع بين حمص ودمشق ، وموضع قرب البلقاء من أوص دمشق في طريق المدينة (ياقوت) .

(٣) قرقيسياء — بالفتح ، والسكون ، وقاف أخرى ، وياه ساكنة وسين مكسورة ، وياه أخرى وأنف ممدودة . ويقال بياه واحدة : بلد على نهر الخابور قرب رجة مالك بن طوق ، وعندها مصب الخابور في الفرات (ياقوت) .

ذكر خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك

مرؤان بن محمد

وفى هذه السنة خلع سليمان بن هشام مرؤان ، وذلك أنه لما استأذنه فى المقام بعده ، وأقام ، وقدم عليه الجنود الذين ذكرناهم حسنوا له خلع مرؤان وقالوا : أنت أَرْضَى عند الناس ، وأولى من مرؤان بالخلافة ؛ فأجابهم إلى ذلك ، وسار بإخوته ومواليه ، فعسكر بقنسرين ، وأناه أهل الشام من كل مكان .

وبلغ الخبر مرؤان ، فرجع إليه من قرقيسياء ، وكسب إلى ابن هبيرة يأمره بالمقام ؛ وكان أولاد هشام وجماعة من موالى سليمان بحضن الكامل ، فمر عليهم مرؤان فتحصنوا منه ، فأرسل إليهم يحذرهم أن يتعرضوا لأحد ممن يتبعه من جنده ، فإن تعرضوا لأحد فلا أمان لهم ، فأرسلوا إليه إنهم يكفون عنهم .

ومضى مرؤان فجعلوا يغيرون على من يتبعه ، فاشتد غيظه عليهم . قال : واجتمع إلى سليمان نحو من سبعين ألفا من أهل الشام والدكوانية وغيرهم ، وعسكر بقرية خساف ^(١) من أرض قنسرين . وأناه مرؤان والتقوا ، واشتد القتال بينهم ، فانهزم سليمان ومن معه ، واتبعهم مرؤان ، فاستباح عسكره ، وأمر مرؤان بقتل من يؤتى به من الأسرى إلا عبدا مملوكا ، فأحصى من قتلهم يومئذ [ما ^(٢)] نيف

(١) خساف - بضم أوله وتخفيف ثائه وآخره فاه : مفازة بين الحجاز والشام . قال ياقوت : والصواب أنها برية بين بالس وحلب ، وكان بها قرى وأثر عمارة . وفى الطبرى : وعسكر فى قرية لبني زفر يقال لها خساف من قنسرين من أرضها .

(٢) من الكامل .

على ثلاثين ألف قتيل . وقتل إبراهيم بن سليمان أكبر ولده ، وخالد ابن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك ، وادعى كثير من الجند الأسرى أنهم عبيد ، فكف عن قتلهم ، وأمر ببيعهم فيمن يزيد .

ومضى سليمان إلى حِمْص ، وانضم إليه من أقبلت ممن كان معه ، فعسكر بها ، وبني ما كان مروان هدمه من سورها ، وسار مروان إلى حِمْص الكامل ، فحصر من فيه ، وأنزلهم على حُكْمِهِ ، فمَثَل بهم ، وأخذهم أهل الرقة فداؤوا جراحاتهم ، فهلك بعضهم وكانت عدتهم نحو ثلاثمائة^(١) .

ثم سار إلى سليمان ، فقال بعضهم لبعض : حتى متى ننهزم من مروان ، فتبايع تسعمائة من فرسانهم على الموت ، وساروا بأجمعهم مُجْمَعِينَ على أن يبيتوه إن أصابوا منه غرة ، وبلغه خبرهم فتحرك منهم ، فلم يمكنهم أن يبيتوه ، وزحف على احتراز وتعبته ، فكمنوا في زيتون في طريقه ، فخرجوا عليه وهو يسير على تعبته ، فوضعوا السلاح فيمن معه ، فنادى مروان خيولَه ، فرجعت إليه ، فقاتلوا من لدن ارتفاع النهار إلى بغد العصر ، فانهزم أصحاب سليمان وقتل منهم نحو ستة آلاف .

فلما بلغ سليمان هزيمتهم خلف أخاه سعيدها بحمص ، ومضى هو إلى تدمر ، فأقام بها ، ونزل مروان على حِمْص ، فحاصر أهلها عشرة أشهر ، ونصب عليهم نيقاً وثمانين منجنيقاً يرمى بها الليل والنهار ، وهم يخرجون إليه في كل يوم فيقاتلون .

(١) في الكامل : سبعمائة . والمثبت في الطبري أيضاً .

فلما نتابع عليهم البلاء طلبوا الأمان على أن يُمكنوه من سعيد
ابن هشام وابنيه : عثمان ومروان : ومن رجل كان يسمى السكسكى ،
كان يُغير على عسكره ، ومن رجل حبشى كان يشتم مروان ، فأجابهم
إلى ذلك ، واستوثق من سعيد وابنيه ، وقتل السكسكى ، وسلم
الحبشى إلى بنى سليم ، لأنه كان يخصهم بالسب ، فقطعوا ذكره
وأنفه ومثلوا به .

ولما فرغ مروان من جنص سار نحو الضحاك الخارجى .
وقيل : إن سليمان لما انهزم بخُصاف أقبل هاربا حتى التحق بعبد الله
ابن عمر بن عبد العزيز بالعراق ، فخرج معه [إلى (١)] الضحاك ،
فقال بعض شعرائهم (٢) :

ألم تر أن الله أظهر دينه وصلّت (٣) فريش خلف بكر بن وائل

ذكر خروج الضحاك محكما

وما كان من أمره إلى أن قُتل

وفى سنة [١٢٧هـ] سبع وعشرين ومائة خرج الضحاك بن قيس
الشيبانى مُحكما ودخل الكوفة .

وكان سبب ذلك أن الوليد لما قُتل خرج بالجزيرة حرورى يقال
له سعيد بن بهدل الشيبانى فى مائتين من أهل الجزيرة ، فاغتنم سعيد
قُتل الوليد واشتغال مروان بالشام فخرج بأرض كفر توثا (٤) ،

(١) ليس فى ك . وفى الكامل : إلى الضحاك وبابه .

(٢) البيت فى الطبرى : ٧ - ٣٢٧ . والكامل : ٤ - ٢٨٨ .

(٣) فى الطبرى : فصلت .

(٤) بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو ، وطاء مثناة : قرية كبيرة من
أعمال الجزيرة . . وكفر توثا : من قرى فلسطين (باقوت) .

وخرج بسطام البيهقي ، وهو مخالف لرأيه في مثل عدتهم من ربيعة ، فصار كل واحد منهما إلى صاحبه .

فلما تقاربا أرسل سعيد أحد قواده في مائة وخمسين ، فقتلوا بسطاما ومن معه إلا أربعة عشر رجلا . ثم مضى سعيد نحو العراق فمات في الطريق ، واستخلف الضحاک بن قيس : فأقْبَضَ الموصل ثم شَهْرُزُور ، فاجتمعت عليه الصُفَرِيَّةُ حتى صار في أربعة آلاف ، وهلك يزيدُ بنُ الوليد وعامله على العراق عبد الله بن عُمر بن عبد العزيز ومروان بالجزيرة . فكتب مروان إلى النُضْر بن سعيد الحرثي ^(١) - وهو أحد قواد ابن عمر بولاية العراق - فلم يسلم ابنُ عمر إليه العمل ، فشخص النُضْر إلى الكوفة و [بقى] ^(٢) عبدُ الله بالحيرة ، وتحاربا أربعة أشهر .

فلما سمع الضحاک باختلافهم أقبل نحوهم ، وقصد العراق سنة [٨١٢٧هـ] سبع وعشرين ، فأرسل ابنُ عمر إلى النُضْر في الاجتماع عليه ، فتعاقدا واجتمعا بالكوفة ، وكان كل منهما يُصلِّي بأصحابه .

وأقبل الضحاک فنزل بالنُخَيْلَة ^(٣) في شهر رجب سنة [٨١٢٧هـ] سبع وعشرين ومائة ، والتقوا ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فكشفوا ابنُ عمر ، وقتلوا أخاه عاصما وجعفر بن العباس الكندي ، ودخل ابنُ عمر خندقه ، وبقي الخوارج عليهم إلى الليل ثم انصرفوا ، وذلك

(١) في ك : الجرمي . والمثبت في د ، والكامل . والطبري .

(٢) من الكامل .

(٣) تصغير نخلة : موضع قرب الكوفة .

فى يوم الخميس ثم اقتتلوا يوم الجمعة ، فانهزم أصحابُ ابنِ عمر .
فلما كان يوم السبت تسلَّلُوا^(١) إلى واسط ، فلحق بها وجوهُ
الناس ، فرحل عند ذلك ابنُ عمر إليها ، فلم يأمنه عبيدُ الله بن العباس
الكندى على نفسه ، فسار مع الضحاك وبإيعاه .

ولما نزل ابنُ عمر إلى واسط نزل بدارِ الحجاج بن يوسف ،
وعادت الحربُ بينه وبين النضر إلى ما كانت عليه ، وسار الضحاكُ
من الكوفةِ إلى واسط ، ونزل باب المضمار ، فترك ابنُ عمر والنضرُ
الحربَ بينهما ، واتَّفَقَا على قتالِ الضحاك ، فلم يزلوا على ذلك
شعبانَ ورمضانَ وشوالَ ، والقتالُ بينهم متواصلٌ . ثم صالحه
عبدُ الله بنُ عمر بن عبد العزيز وسليمان بن هشام ، وبإيعاه ، ودفعاهُ
إلى مروان .

قال : وكاتب أهلُ الموصلِ الضحاكَ فى القدومِ ليمكَّنوه من البلد ،
فسار إلى الموصلِ ففتح أهلُها له أبوابها ، فدخلها ، واستوًى عليها
وعلى كورها ، وذلك فى سنة [٥١٢٨] ثمان وعشرين ، فبلغ مروان
خبره وهو يُحاصرُ حِمْصَ ، فكتب إلى أبيه عبدُ الله - وهو خليفتهُ
بالجزيرة - أن يسيّر إلى نصيبين ، ويمنع الضحاك من توسُّطِ
الجزيرة ؛ فسار إليها فى سبعةِ آلاف أو ثمانيةِ آلاف ، وسار إليه
الضحاكُ ، فحصر عبدُ الله بن مروان بنِ نصيبين ، وكان مع الضحاكُ
ما يزيد على مائة ألف .

ثم سار مروان إليه ، والتَقُوا بنواحى كَفَرَتْ تَوْثًا من أعمالِ

(١) فى الكامل : تسلَّل أصحابه .

ماردين ، فقاتله يومه أجمع ، فقتل الضحاك ولم يعلم به مروان ولا أصحابه ، ثم بلغ مروان قتله ، فاستخرجه من بين القتلى وفي وجهه ورأسه أكثر من عشرين ضربة .

وبعث مروان رأسه إلى مدائن الجزيرة .

وقيل : إن قتلَه كان في سنة [١٢٩هـ] تسع وعشرين ومائة [والله أعلم ^(١)] .

وحيث ذكرنا أخبار الضحاك فلنذكر أخبار من خرج بعده في أيام مروان :

ذكر خبر الخبيري (الخارجى) ^(١)

وقتلَه وقيام شيبان

قال : ولما قُتل الضحاك أصبح أهلُ عسكره فبايعوا الخبيري ، وكان سليمان بن هشام معه ، وأصبحوا واقتتلوا : فحمل الخبيري على مروان في نحو أربع مائة فارس من [أهل ^(١)] الشراف ، فهزم مروان وهو في القلب ، وخرج من العسكر مُنهزماً ، ودخل الخبيري ومن معه عسكر مروان يُنادون بشعارهم ويقتلون من أذركوه ، حتى انتهوا إلى خيم مروان ، فدخلها الخبيري وجلس على فرش مروان ، هذا وميمنة مروان ثابتة ، وعليها ابنه عبد الله ، وميسرته [ثابتة ^(٢)] وعليها إسحاق بن مسلم العقيلي .

فلما رأى أهل العسكر قلة من مع الخبيري ثار إليه ^(٣) عبيدُهم بعمد الخيم ، فقتلوا الخبيري وأصحابه جميعاً في خيم مروان

(٢) من الكامل .

(١) ساقط من ك .

(٣) في ك : إليهم .

وحوّلها ، وبلغ مروان الخَبَرُ ، وقد صار بينه وبين العسكر خَمْسَةُ
أُمَيَّالٍ أو سِتَّةٍ مِنْهُمَا ، فانصرف إلى عَسْكَرِهِ ، وبات ليلته تلك ،
وانصرف الخوارج فولّوا عليهم شِيْبَان .

ذِكْرُ أَخْبَارِ شَيْبَانَ الْخُرُورِيِّ

وما كان من أمرِهِ إلى أَنْ قُتِلَ

هو شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَبُو الدَّلْفَاءِ ^(١) الْبِشْكُرِيُّ .

قال : ولما بايعوه بعد قَتْلِ الْخَيْبَرِيِّ أَقام يُقَاتِلُ مَرْوَانَ ، وَتَفَرَّقَ
عنه كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَبَقِيَ فِي نَحْوِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، فَأُشَارَ عَلَيْهِمْ
سَلْيَانُ بْنُ هِشَامٍ أَنْ يَنْصَرِفُوا إِلَى الْمَوْصِلِ فَيَجْعَلُوهَا ظَهْرَهُمْ .
فَارْتَحَلُوا وَتَبِعَهُمْ مَرْوَانُ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْمَوْصِلِ فَعَسَكَرُوا شَرْقَ
دِجْلَةَ ، وَعَقَدُوا عَلَيْهَا جَسْرًا ، وَخَنَدَقَ مَرْوَانُ بِأَزَائِهِمْ ، وَأَهْلُ الْمَوْصِلِ
يَقَاتِلُونَ مَعَ الْخَوَارِجِ ، فَأَقَامَ مَرْوَانُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ بِقَاتِلِهِمْ ، وَقِيلَ
تِسْعَةَ أَشْهُرٍ .

وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ بِأَمْرِهِ بِالْمِيسِيرِ مِنْ
قَرْقِيسِيَا ، بِجَمِيعٍ مِنْ مَعِهِ إِلَى الْعِرَاقِ وَعَلَى الْكُوفَةِ الْمُشَنَّى
ابن عمران العائِذِي ، وَهُوَ خَلِيفَةُ الْخَوَارِجِ بِالْعِرَاقِ ، فَلَقِيَ ابْنَ
هُبَيْرَةَ بِعَيْنِ الثَّمَرِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ ،
ثُمَّ تَجَمَّعُوا بِالْكُوفَةِ بِالنُّخَيْلَةِ فَهَزَمَهُمْ ابْنُ هُبَيْرَةَ ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا
بِالصُّرَّةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ شَيْبَانُ عُبَيْدُ بْنُ سَوَّارٍ خَبِيلٍ عَظِيمَةٍ ،
فَالْتَقُوا بِالصُّرَّةِ ^(٢) ، فَانْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ ، وَقُتِلَ عُبَيْدَةُ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ

(١) في الكامل : أبو الدلف . والمثبت في الطبري أيضاً .

(٢) في الكامل : بالصرة . والمثبت في الطبري أيضاً .

بقية بالعراق ، واستولى ابنُ هُبيرة على العراق ، وسار إلى واسط .
وأخذ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وحبيه ، ووجهُ نُبانة بن
حنظلة إلى سليمان بن حبيب وهو على كُور الأهواز ، فأرسل سليمان
إلى نُبانة داود بن حاتم ، فالتقوا على شاطئ دُجيل ؛ فانهمز الناس ،
وقُتِل داودُ بن حاتم .

وكتب مروان إلى ابنِ هُبيرة لما استولى على العراق بِأمره بِإرسال
عامر بن ضُبارة المُرِّي إليه ، فسيَّره في سبعة آلاف أو ثمانية ؛
فبلغ شَيْبان خبره ، فأرسل الجونَ بن كِلاب الخارجي في جمع ؛
فالتقوا فهُزمَ عامرٌ ؛ فأمدّه مروان بالجنود ، فقاتل الخوارجَ فهزمهم ؛
وقتل الجونَ . وسار إلى الموصل ، فلما بلغ [شَيْبان قَتْلُ] ^(١) الجونِ
ومسيرَ عامر نحوه كره أن يُقيم بين العسكرين . فارتحل بمن
معه ، وقدم عامر على مروان بالموصل فسيَّره في جمعٍ كثير في أثر
شَيْبان ، وأمره ألاَّ يبدأه بِقِتالٍ . فَإِنْ قَاتَلَهُ شَيْبانُ قَاتَلَهُ ، وَإِنْ
أَمْسَكَ عَنْهُ أَمْسَكَ . فكان كذلك : حتى مرَّ على الجبل ؛
وخرج على بيضاء فارس ^(٢) . وبها عبدُ الله بن معاوية بن جعفر .
وسار إلى نَحْو كَرْمَان ، فأدركه عامرٌ ، فالتقوا واقتتلوا ، وانهمز
شَيْبان إلى سجستان فهلك بها ؛ وذلك في سنة [١٣٠ هـ] ثلاثين
ومائة .

وقيل : بل كان قِتال شَيْبان ومروان على الموصل نحو شهر ؛
ثم انهزم شَيْبان حتى لحق بفارس ، وعامرُ يتبعه ، وسار إلى جزيرة

(١) من د .

(٢) في الطبري : بيضاء اصطخر . والمثبت في الكامل أيضا .

ابن كالأون ، ثم إلى عمان فقتله جُلندى بن مسعود بن جَيْفَر
ابن جُلندى^(١) الأزدى سنة [١٣٤هـ] أربع وثلاثين ومائة ، وسنذكره
إن شاء الله في أخبار الدولة العباسية .

فلنرجع إلى تنمة حوادث سنة [١٢٧ هـ] سبع وعشرين مائة
وما بعدها .

فيها كان من أخبار الأندلس وشيعة بنى العباس ما نذكره
إن شاء الله في مواضعه .

وحجَّ بالناس عبد العزيز بن عُمر بن عبد العزيز وهو عاملُ
مرَّوان على مكة والمدينة والطائف ، وكان العاملُ على العراق النُضْر
ابن سعيد الحرَّشى ، وكان من أمره وأمر ابن عمر والضحاك ما قدّمنا
ذكره . وكان بخراسان نُضْر بن سِيَّار [و] ^(٢) الكرماني ، والحرث
ابن مُسَرِيح يُنَازِعانه .

وفيها مات سُويد بن غَفَلَة . وقيل سنة إحدى وثلاثين .
وقيل سنة اثنتين وثلاثين ، وعُمره مائة وعشرون سنة . والله تعالى أعلم .

(١) الضبط في القاموس . وفي ك . جعفر - تحريف .

(٢) ليس في ك .

سنة (١٢٨ هـ) ثمان وعشرين ومائة :

ذكر مقتل الحارث بن سريج

وغلّبة الكرماني على مرو

وفي هذه السنة كان مقتل الحارث بن سريج وغلّبة الكرماني على مرو .

وكان سبب ذلك أن ابن هُبيرة لما ولي العراق كتب إلى نصر ابن سيّار بعهد خراسان ، فبايع لمروان بن محمد ، فقال الحارث : إنما أُمِنِي يزيد ولم يؤمّنِي مروان ، ولا يُجيز مروانُ أمان يزيد ، فلا آمنه . فخالف نصرًا فأرسل إليه [نصر^(١)] يدعوه إلى الجماعة وينهاه عن الفرقة ، فلم يُجِبْهُ إلى ذلك ، وخرج فعسكر وأرسل إلى نصر : أن اجعل الأمر سُوري ، فأبى نصر ، وأمر الحارث جهنم ابن صفوان رأس الجهينة ، وهو مولى راسب ، أن يقرأ سيرته وما يدعُو إليه على الناس ، [ففعل^(٢)] ، فلما سمعوا ذلك [كثروا^(٣)] كثيرٌ جمعه .

وكان الحارث يُظهرُ أنه صاحبُ الرايات السود : فأرسل إليه نصر إن كنت كما تزعم وإنكم تهدمون سور دمشق ، وتزيلون مُلك بني أمية فخذ مني خمسمائة رأس^(٣) ومائتي بَعِير ، واحتمل من الأموال ما شئت وآلة الحرب : وسير ، فلعمري إن كنت

(١) من الكامل .

(٢) لبس في ك .

(٣) في د : فرس . والمثبت في الكامل أيضاً .

صاحب ما ذكرت إني لفي يدك ، وإن كنت لستَ ذاك فقد أهلكك
عشيرتك ؛ ثم عرض عليه نصر أن يولييه ما وراء النهر ويعطيه
ثلاثمائة ألف ، فلم يقبل . فقال له نصر : فابدأ بالكرماني فإن
قتلته فأنا في طاعتك ، فلم يقبل .

وأمر الحارث أن تقرأ سيرته في الأسواق والمسجد وعلى باب
نصر ، فقرئت ، فأثاه خلق كثير ، وقرأها رجل على باب نصر .
فصره غلمان نصر ، فأنابهم الحارث وتجهز للحرب : ودله
رجل من أهل مرو على نقب في سورها ، فمضى إليه الحارث فنقبه .
ودخل المدينة من ناحية باب بالين . فقاتله جهنم بن مسعود الناجي .
فقتل جهنم ، وانتهبوا منزل سلم بن أخوز ، وقتل من كان به حرر .
باب بالين وذلك لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة يوم الاثنين .
وركب الحارث في سكة السغد ^(١) ، فرأى أغين مولى خيآن
فقاتله ، فقتل أغين ، وركب سلم جين أصبح ، وأمر مناديا فنادى :
من جاء برأس فله ثلاثمائة . فلم تطلع الشمس حتى انهزم الحارث
بعد أن قاتلهم الليل كله .

وأتى سلم عسكر الحارث فقتل كاتبه يزيد بن داود ، وقتل
الرجل الذى دل الحارث على النقب ، وأرسل نصر إلى الكرماني فأثاه
على عهد ، وعنده جماعة : فوقع بين سلم بن أخوز والمقدام بن نعيم
كلام ، فأغلظ كل واحد منهما لصاحبه ، وأعان كل واحد منهما نفر
من الحاضرين ؛ فخاف الكرماني أن يكون مكرًا من نصر ، ففداه

(١) في الطبرى : انصغد .

وتعلّقوا به ، فلم يجلس ، وركب فرسه ، ورجع ، وقال : أراد نصرُ
الغدر بي .

وأسر يومئذ جهنم بن صفوان وكان مع الكرّماني فقتل ، وأرسل
الحارث ابنه خاتماً إلى الكرّماني ، فقال له محمد بن المثنى : هما
عدوّاك ، دعهما يضطربان .

فلما كان الغد ركب الكرّماني فقاتل أصحاب نصر : ووجه
أصحابه يوم الأربعاء إلى نصر ، فتراموا ثم تحاجزوا ولم يكن بينهم
يوم الخميس قتال . والتقوا يوم الجمعة فانهزم الأزد حتى وصلوا
إلى الكرّماني ، فأخذ اللواء بيده ، فقاتل به فانهزم أصحاب نصر ،
وأخذوا لهم ثمانين فرسا ، وصرع نعيم بن نصر : وسقط سلم
ابن أحوز فحُمِل إلى عسكر نصر .

فلما كان الليل خرج نصر من مرو ، وقتل عصمة بن عبد الله
الأسدي ، وكان يحمي أصحاب نصر ، واقتتلوا ثلاثة أيام : فانهزم
أصحاب الكرّماني في آخر يوم ، وهم الأزد وربيعه : فنادى الخليل بن غزوان :
يا معشر ربيعة واليمن ! فدخل الحارث السوق ففت في أعضاد
المُضَرِّيَّة ، وهم أصحاب نصر ، فانهزموا وترجّل نعيم بن نصر فقاتل .
فلما هزمت البانبة مُنصر أرسل الحارث إلى نصر : إن البانبة يُعبروني
بانهزامكم : وأنا كاف . فاجعل حُماة أصحابك بإزاء الكرّماني .
فأخذ عليه نصرُ اليهود بذلك ، وقدم على نصر عبد الحكم^(١)

(١) في الكامل : عبد الملك بن سعيد . وفي تطبري : عبد الحكيم بن سعيد .

ابن سعيد العوذى ^(١) وأبو جعفر عيسى بن جرز من مكة : والعوذ ^(١) :
 بطن من الأزد ، فقال أبو جعفر لنصر : أيها الأمير ، حسبك
 من الولاية وهذه الأمور ^(٢) ، فقد أظلك أمر عظيم ، سيقوم رجل مجهول
 النسب يُظهر السواد ، ويدعو إلى دولة تكون فيغلب ^(٣) على الأمر :
 وأنتم تنظرون .

فقال نصر : بما أشبه أن يكون كما تقول لقلّة الوفاء وسوء ذات
 البين ^(٤) .

فقال : إن الحارث مقتول مصلوب ، وما الكرمانى من ذلك
 بعيد .

قال : ولما خرج نصر من مرو وغلب عليها الكرمانى خطب الناس
 فأمنهم ثم هدم الدور ونهب الأموال ، فأنكر الحارث عليه ذلك :
 فهم الكرمانى به ، ثم تركه ، واعتزل بشر بن جرموز الضبى في
 خمسة آلاف ، وقال الحارث : إنما قاتلت معك طلباً للمذل :
 فأما إذ تتبع ^(٥) الكرمانى فما تقايل إلا ليُقَالَ غلب الحارث :
 وهؤلاء يقاتلون عصبية ، فلمست مقاتلاً معك ، فنحن الفئة العادلة :
 لا نقاتل إلا من قاتلنا ، وأتى الحارث مسجد عياض ، وأرسل إلى

(١) في د : العوذى — بضم العين . والمثبت في المتن .

(٢) في الطبرى : حسبك من هذه الأمور والولاية ، فإنه قد أظّل أمر عظيم .

(٣) في ك : ويغلب .

(٤) في الطبرى : سوء ذات البين ، وجهت إلى الحارث وه بارض الترك

فعرضت عليه الولاية والأموال ، فأبى وظاهر على . فقال أبو جعفر عيسى :
 إن الحارث ...

(٥) في الكامل : إذا أنت مع الكرمانى .

الكرماني يذعوه إلى أن يكون الأمر شورى ، فأبى الكرماني : فانتقل الحارث عنه ، وأقاموا أياما .

ثم إن الحارث أتى السور فثلم فيه ثلثة ، ودخل البلد ، وأتى الكرماني ، فاقتتلوا ، فانهزم أصحاب الحارث وقتلوا ما بين الثلثة وعسكرهم ، والحارث على بغل ، فنزل عنه وركب فرسا ، وبقي في مائة ، فقتل عند شجرة زيتون أو غبيراء^(١) : وقتل أخوه سودة وغيرهما .

وقيل : كان سبب قتله أن الكرماني خرج إلى بشر بن جرموز عند اعتزاله ، ومعه الحارث ، فأقام أياما بينه وبين عسكر بشر فرسخان ، ثم قرب منه ليقتله ، فندم الحارث على اتباع الكرماني وقال : لا تعجل إلي قتالهم فأننا أردتهم عليك .

فخرج في عشرة فوارس فأتى عسكر بشر ، فأقام معهم . وخرج المضريّة أصحاب الحارث إليه ، فلم يبق مع الكرماني مضري غير سلمة بن أبي عبد الله ، فإنه قال : لم أر الحارث إلا غادرا ، و[غيرا]^(٢) المهلب بن إياس ، فقاتلهم الكرماني مرارا يقتتلون ثم يرجعون إلى خنادقهم مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء .

ثم ارتحل الحارث بعد أيام ، فنقب ممره ودخلها ، وتبعه الكرماني ، فدخلها أيضا ، فقالت المضريّة للحارث : قد قررت غير مرة ، فترجل ، فقال : أنا لكم فارسا خيرا مني لكم راجلا . فقالوا :

(١) الغبيراء : نبات كالغبراء . أو الغبراء ثمرته . والغبيراء شجرته ، أو بالعكس

(القاموس) .

(٢) من الكامل .

لا نَرَضَى إِلَّا أَنْ تَتَرَجَّلَ ، فترجَّل ، فافتتلوا هم والكِرْمَانِي ، فقتل الحارث وأخواه وبشر بن جُرْمُوز ، وعدَّة من فُرْسَانِ نِمْ ، وانهمم الباقون ، وصفت مرؤ للكرمانى واليمن ، فهدموا دُور المضريَّة ، فقال نصر ابن سيار للحارث حين قُتِلَ ^(١) :

يَا مُذْنِجِلَ الدُّلِّ عَلَى قَوْمِهِ بُعْدًا وَسُخْفًا لَكَ مِنْ هَالِكِ
شُؤْمُكَ أَرَدَى مُضْرًا كُلَّهَا وَعَضَّ ^(٢) مِنْ قَوْمِكَ بِالْحَارِكِ
مَا كَانَتْ الْأَزْدُ وَأَشْيَاعُهَا تَطْمَعُ فِي عَمْرِو وَلَا مَالِكَ ^(٣)
وَلَا بَنِي سَعْدٍ إِذَا أَلْجَسُوا كُلُّ طَيْرٍ لَوْ نُهَ حَالِكِ

وفى هذه السنة كان اجتماع أبى حمزة الخارجى وعبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق ، وانفقاً على الخروج على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وحج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامل مَكَّة والمدينة ، وكان بالعراق عمال الضحاك الخارجى وعبد الله بن عمر ابن عبد العزيز ، وبخراسان نصر بن سيار والفتننة قائمة .

(١) الشعر فى الطبرى : ٧ - ٣٤٢ : والكامل : ٤ - ٢٩٤

(٢) فى الكامل : وحز . والمثبت فى الطبرى أيضاً .

(٣) عمرو ومالك وسعد : من نعيم (هامش د) .

سنة (١٢٩ هـ) تسع وعشرين ومائة :

ذكر مقتل الكرمانى

وهو جديع بن على الأزدي

قال : ولما خلصت مرو للكرمانى وتنحى نصر عنها أرسل نصر أصحابه لقتاله مراراً ، كل ذلك والظفر لأصحاب الكرمانى ، ثم خرجوا جميعاً واقتتلوا قتالاً شديداً ، وذلك بعد ظهور أمر أبى مسلم الخراسانى ردعوته لبني العباس ، فكتب أبو مسلم إلى نصر والكرمانى : إن الإمام أوصانى بكما . ثم أقبل بمن معه حتى نزل خندقيهما ، فهابه الفريقان . وبعث إلى الكرمانى : إني معك . فقيل ذلك ، وانضم أبو مسلم إليه ، فاشتد ذلك على نصر ، وأرسل إلى الكرمانى يخوفه من أبى مسلم ، ويقول له : ادخل إلى مرو ، واكتب بيننا كتاباً بالصُلح ، وهو يريد أن يفرق بينهما ، فدخل الكرمانى منزله ، وأقام أبو مسلم في العسكر ، وخرج الكرمانى حتى وقف في الرُحبة في مائة فارس ، وأرسل إلى نصر أن اخرج لنكتب الكتاب .

فلما نظر نصر إلى غيرة الكرمانى أرسل إليه ثلاثمائة فارس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فطعن الكرمانى في خصره ، فخر عن دابته ، وحماه أصحابه حتى جاءهم مالا قبل لهم به . فقتل نصر الكرمانى وصلبه ، وصلب معه سمكة .

فأقبل ابنه على وقد جمع جمعاً كثيراً ، وانضم إلى أبى مسلم ، وقتلوا نصر بن سيار حتى أخرجوه من دار الإمارة . ودخل أبو مسلم مرو على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار الدولة العباسية .

قال : ولما رأى نصر قوة أبى مسلم كتب إلى مروان بن محمد

يُعْلِمُهُ حال أبى مسلم وخُروجه وكثرة من معه ، وأنه يدعو إلى إبراهيم
ابن محمد ، وكتب إليه بأبياتٍ شعريّة ، وهى (١) :
أرى بينَ الرمادِ وميضَ نارٍ (٢) فأوشك أن يكونَ له (٣) ضرامُ
فإنَّ النارَ بالعودينِ تُذَكَّى وإنَّ الحربَ مبدؤها كلامُ (٤)
فقدتُ من التّعجبِ لَيْتَ شعْرِى أبقاظُ أميةٍ أم نبيّـام
فكتب إليه مروان : إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فاحصم
الثؤلؤل (٥) قبلك .

فقال نصر : أما صاحبيكم فقد أعلمكم أنه لا تنصر عنده .
وكتب نصر إلى يزيد بن هبيرة بالعراق يستمده . فلما قرأ كتابه
قال : لا تكثّر ، فليس له عندى رجل . ثم قبض مروان على إبراهيم
الإمام وحبسّه ، وكان من أمره ما ذكره إن شاء الله فى أخبارهم .

ذكر خبر أبى حمزة المختار

ابن عوف الأزدى البصرى مع طالب الحق عبد الله بن محمد
ابن يحيى الحضرمى

كان المختار من الخوارج الأباضية ، وكان يوافى مكة فى كل
سنة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد ، فلم يزل كذلك حتى
وافى عبد الله بن محمد بن يحيى الحضرمى المعروف بطالب الحق
فى آخر سنة [١٢٨هـ] ثمان وعشرين ومائة ، فقال له : يا رجل ،

(١) الشعر فى الطبرى : ٧ - ٣٦٩ ، والكامل : ٤ - ٣٠٣ .

(٢) فى الطبرى : وميض جمر .

(٣) فى ذلك : لها . وفى الطبرى : فأحج أن يكون وفى الكامل :
وأخشى أن يكون

(٤) فى الطبرى : الكلام .

(٥) أصل الثؤلؤل : البئر الصغير (القاموس) .

أُتِمَّ كَلَامًا حَسَنًا ، وَأَرَاكَ تَدْعُو إِلَى حَقٍّ ، فَانْطَلَقْتُ مَعِيَ ، فَإِنِّي رَجُلٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي ، فَخَرَجَ حَتَّى وَرَدَ حَضْرَمَوْتَ ، فَبَايَعَهُ أَبُو حَمْزَةَ عَلَى الْخِلَافَةِ ، وَدَعَا إِلَى خِلَافٍ ^(١) مَرْوَانَ ، وَقَدْ كَانَ أَبُو حَمْزَةَ اجْتِازَ مَرَّةً بِنَعْدَيْنِ بَنِي سُلَيْمٍ ^(٢) ، وَالْعَامِلُ عَلَيْهِ كَثِيرٌ بِنَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَسَمِعَ كَلَامَ أَبِي حَمْزَةَ فَجَلَدَهُ أَرْبَعِينَ سَوْطًا ، فَلَمَّا مَلَكَ أَبُو حَمْزَةَ الْمَدِينَةَ عَلَى مَا نَذَرَهُ تَغَيَّبَ كَثِيرٌ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ أَبُو حَمْزَةَ إِلَى الْحَجِّ مِنْ قِبَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ طَالِبِ الْحَقِّ ، فَبَيْنَمَا النَّاسُ يَعْرِفُونَ مَا شَعَرُوا إِلَّا وَقَدْ طَلَعَتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ وَعِبَائِهِمْ مُسَوِّدَةً عَلَى رُءُوسِ الرُّمَاحِ ، وَهُمْ سَبْعُمِائَةٍ ، فَفَزِعَ النَّاسُ ، وَسَأَلُوهُمْ عَنْ حَالِهِمْ ، فَأَخْبَرُوهُمْ بِخِلَافِهِمْ مَرْوَانَ وَآلَهُ ، فَرَأَسَلَهُمْ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ عَلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ الْهَدَنَةَ أَيَّامَ الْحَجِّ ، فَقَالُوا : نَحْنُ بِحِجَّتِنَا أَكْثَرُ وَعَلَيْهِ أَشْحَ ، فَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ جَمِيعًا آمِنُونَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ حَتَّى تَنْفِرَ النَّاسُ النَّفَرَ الْأَخِيرَ ، فَوَقَفُوا بِعَرَفَةَ عَلَى حِدَةٍ ، وَدَفَعَ [بِالنَّاسِ] ^(٣) عَبْدُ الْوَاحِدِ ، وَنَزَلَ بِمَنْزِلِ السُّلْطَانِ بِمَنَى ، وَنَزَلَ أَبُو حَمْزَةَ بِقُرَيْنِ الدُّعَالِبِ . فَلَمَّا كَانَ النَّفَرُ الْأَوَّلُ نَفَرَ عَبْدُ الْوَاحِدِ وَأَخْلَى مَكَّةَ فَدَخَلَهَا أَبُو حَمْزَةَ بِغَيْرِ قِتَالٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي عَبْدِ الْوَاحِدِ ^(٤) :

(١) ك : خلافة .

(٢) في ك : معدن ابن سليم . والصواب في ياقوت : قال : معدن بن سليم من أهال المدينة على طريق نجد .

(٣) من الطبري .

(٤) الشعر في الطبري : ٧ - ٣٧٦ ، والكمال : ٤ - ٣٠٨ ، قال الطبري :

وهي لبعض الشعراء لم أحفظ اسمه .

زار الحبيج عصابة قد خالفوا دينَ الإله ففرَّ عبدُ الواحد

تركَ الحلائلَ والإمارةَ هاربًا ومضى يُخَبِّطُ كالبعيرِ الشاردِ

ومضى عبدُ الواحدِ حتى دخلَ المدينةَ ، وزادَ أهلُها في العطاء عشرة

عشرة ، واستعملَ عبدُ العزيزِ بنَ عبدِ الله بنَ عمرو بنَ عثمانَ ، فخرجوا

حتى وصلُوا العقيقَ ، وأتَتْهم رسلُ أبي حمزة يقولون : إنا والله

مالنا بقتالِكُم من حاجة ، دَعُونَا نَمْضِ إلى عدُونَا .

فأتَى أهلُ المدينةِ وساروا حتى نزلوا قُديداً^(١) ، وكانوا مُترفينَ^(٢)

ليسوا بأصحابِ حربٍ ، فلم يشعروا إلا وقد خرج عليهم أصحاب

أبي حمزة من الغياض فقتلهم . وكانت المقتلةُ في قرينش ، فأصيب

منهم عددٌ كثيرٌ ، وقدم المنهزمون^(٣) المدينةَ ، فكانت المرأةُ تُقيم النوائح

على خميمها ، ومعها النساءُ فتأْتِيهم الأخبارُ عن رجالهم ، فيخرجن

امرأةَ امرأةٍ كلُّ واحدةٍ تذهب لقتل^(٤) رجلِها فلا يبقى عندها امرأةٌ ،

[وذلك]^(٥) لكثرةٍ من قتل .

قيل : كان عددُ القتلى سبعمائةً ، وكانت هذه الواقعة لسبع

مُضَيِّن من صفر سنة ثلاثين ومائة . [والله أعلم]^(٦) .

(١) قديد : موضع قرب مكة (ياقوت) .

(٢) في الطبرى : مغترين . والمثبت في الكامل أيضاً .

(٣) في ك : المنهزمون من المدينة .

(٤) في الطبرى : كل امرأة تذهب لخميمها حتى ما تبني عنها امرأة .

(٥) ساقط من ك .

(٦) ساقط من د .

ذكر دخول أبي حمزة المدينة

على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

قال : ودخل أبو حمزة المدينة في ثالث [عشر] ^(١) صفر ، ومضى عبد الواحد إلى الشام .

ولما دخل أبو حمزة رقى المنبر فخطب ، وقال : يا أهل المدينة ، مررت زمان الأحول - يعنى هشام بن عبد الملك - وقد أصاب إماركم عاهة ، فكنتم إليه تسألونه أن يضع عنكم خروضكم ^(٢) . ففعل فزاد الغنى غنى والفقير فقراً ، فقلتم له : جزاك الله خيراً ، فلا جزاكم الله خيراً ، ولا جزاه . واعلموا يا أهل المدينة أننا نخرج من ديارنا أشراً ولا بطراً ، ولا عبثاً ولا لدولة [ملك] ^(٣) نريد أن نخوض فيه ^(٤) ولا لثأر قديم نيل منا ، ولكننا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت ، وعُتِفَ القاتل بالحق ، وقُتِلَ القائم بالقسط - ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسمعنا داعياً يدعُو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، فأجبنا داعي الله ، ومن لا يجب داعي الله فليس بمنجز في الأرض ، فأقبلنا من قبائل شتى ، ونحن قليلون مستضعفون في الأرض - فأوتانا وأيدنا بنصره ، فأصبحنا بنعمته إخوانا .

ثم لقينا رجالكم فدعوناهم إلى طاعة الرحمن ، وحكم القرآن ، فدعونا إلى طاعة الشيطان وحكم بني مروان ، فشتان لعمر الله - ما بين الغي والرشد . ثم أقبلوا يهرعون قد ضرب الشيطان فيهم بجرائه ،

(١) من الكامل .

(٢) في الكامل : خراجكم . وفي الطبري : أخراصكم . والحرص : الخزد والتقدير .

(٣) من الكامل .

(٤) الأولى أن يقول : فيها لإبتاويل الأمر (من ذيل ك) . وفي د : فيها .

وغلَّتْ بدمائهم مراحِلُهُ ، وصدق عليهم ظَنُّهُ ، وأقبل أنصار الله تعالى [كُتَّاب] ^(١) بكلِّ مُهَنْدٍ ذى رُوْنَقٍ ، فدارت رحانا ، واستدارت رحاهم بِضَرْبٍ يَرْتَابُ مِنْهُ الْمُبْطِلُونَ .

وأنتم يا أهل المدينة إِنْ تَنْصُرُوا مَرْوَانَ وَآلَ مَرْوَانَ يُسْحِكَنَّكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَدِينَا ، وَيَشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ .

يا أهل المدينة ، أولُكُمْ خَيْرٌ أَوَّلُ ، وآخرُكُمْ شَرُّ آخِرُ ، يا أهل المدينة ، أخبروني عن ثمانية أسهم فَرَضَها اللَّهُ تعالى فى كتابه على القَوَى والضعيف : فجاءت اسعُ ليس له فيها سهمٌ ، فأخذها لنفسه مُكَايَرًا مُحَارِبًا رَبَّهُ .

يا أهل المدينة ، بلغنى أنكم تَنْتَقِصُونَ أَصْحَابِي ، قَلِمَ : شَبَابُ أَحْدَاثٍ ، وَأَعْرَابُ جُفَاءٍ ، وَيُنْحَكُمُ وَهْلُ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلا شَبَابًا أَحْدَاثًا ، شَبَابُ وَاللَّهِ ^(٢) لَانْهَم مُكْتَهِلُونَ فى شَبَابِهِمْ ، غَضَّةٌ عَنِ الشَّرِّ أَعْيُنُهُمْ ، ثَقِيلَةٌ عَنِ الْحَقِّ أَقْدَامُهُمْ .

قال : وَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ مَعَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَاسْتَمَالَ النَّاسَ حَتَّى سَمِعُوهُ يَقُولُ : مَنْ زَنَى فَهُوَ كَافِرٌ ، مَنْ سَرَقَ فَهُوَ كَافِرٌ ، وَمَنْ شَكَّ فى كُفْرِهِمَا فَهُوَ كَافِرٌ .

وَأَقَامَ أَبُو حَنْزَلَةَ بِالْمَدِينَةِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ ودَّعَهُمْ ، وقال : يا أهل المدينة ، إِنَّا خَارِجُونَ إِلَى مَرْوَانَ ، فَإِنْ نَظَفَرْنَا نَعْدِلُ فى أَحْكَامِكُمْ وَنَحْمَلُكُمْ عَلَى سَنَةِ نَبِيِّكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ مَا نَتَمَنُّونَ فَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .

(١) من د .

(٢) فى الكامل : هم والله مكتهلون .

ذكر مقتل أبي حمزة

قال : ثم سار أبو حمزة نحو الشام ، وكان مروان قد انتخب من عسكره أربعة آلاف فارس ، واستعمل عليهم عبد الملك بن محمد ابن عطية السعدي - سعد هوازن - وأمره أن يجد السير ويقاتل الخوارج ، فإن ظفر فيسير حتى يبلغ اليمن ويقاتل عبد الله بن (١) يحيى طالب الحق ، فسار ابن عطية ، فلقى أبا حمزة بوادي القرى ، فقال أبو حمزة لأصحابه : لا تقاتلوهم حتى تختبروهم . فصاحوا بهم : ما تقولون في القرآن والعمل به ؟ فقال ابن عطية : نضعه في جوف الجواتي . قال : فما تقولون في مال اليتيم ؟ قال ابن عطية : نأكل ماله ونفجر بأمه - في أشياء سأله عنها .

فلما سمعوا كلامه قاتلوه حتى أمسوا فصاحوا : ونحك يابن عطية ! إن الله قد جعل الليل سكنا ، فاسكن .

فأبى وقاتلهم ، فانهزم الخوارج ، وأتوا المدينة فقتلهم أهلها ، وسار ابن عطية إلى المدينة ، فأقام بها شهرا وسار إلى اليمن ، واستخلف على المدينة الوليد بن عروة بن محمد بن عطية ، وعلى مكة رجل من أهل الشام .

ذكر مقتل عبد الله بن يحيى

المنعوت بطالب الحق وقتل ابن عطية

قال : وأقبل ابن عطية إلى اليمن ، فبلغ عبد الله خبره وهو بصنعاء ، فأقبل إليه بمن معه ، والتفوا واقتتلوا ، فقتل طالب الحق ، وحمل

(١) في ك : عبد الله بن محمد يحيى . والمثبت في الطبري ، والكمال . وقد تقدم ، وسيأتي كذلك في الصفحة التالية .

رأسه إلى مروان بالشام ، ومضى ابنُ عطية إلى صنعاء . فدخلها وأقام بها ، فكتب إليه مروانُ يأمره أن يُسرع السيرَ ليحجَّ بالناس ؛ فسار في اثني عشر رجلا ومعه أربعون ألف دينار ، وخلف عسكره وخيله بصنعاء ؛ فبينما هو يسير أتاهُ ابنُا جُمَانة^(١) المراديان في جمع كثير ، فقالوا له ولأصحابه : أنتم لصوص ، فأخرج ابنُ عطية عهده على الحج ، وقال : هذا عهدُ أمير المؤمنين ، وأنا ابنُ عطية . فقالوا : هذا باطل ، وأنتم لصوص ، فقاتلهم ابنُ عطية حتى قُتل في سنة [١٣٠هـ] ثلاثين ومائة .

نعود إلى تمة حوادث سنة (١٢٩ هـ) تسع وعشرين ومائة :

في هذه السنة كان ظهورُ الدولة العباسية بخُرَاسان على ما تذكره في أخبار الدولة العباسية .

وفيهما غلب عبد الله بن معاوية على فارس على ما نذكر ذلك في في أخبار آل أبي طالب .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبد الواحد ، وكان هو العامل على مكة والمدينة والطائف وعلى العراق ابن هُبيرة ، وعلى خراسان نصر بن سيار ، والفتنة قاعة .

سنة (١٣٠ هـ) ثلاثين ومائة :

في هذه السنة دخل أبو مسلم الخراساني مرو ، وبايع الناس لبني العباس على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى .

وفيهما هرب نصر بن سيار عن خراسان .

(١) في الكامل : ابن جُهانة . والمثبت في الطبري أيضا .

وفيهما كان من أخبار الدولة العباسية ما ذكره إن شاء الله تعالى .
وفيهما غزا الوليد بن هشام الصائغة : فنزل العمق ^(١) وبني
حصن مرعش .

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الملك بن مروان ، وهو
أمير مكة والمدينة والطائف .

سنة (١٣١ هـ) احدى وثلاثين ومائة :

في هذه السنة مات نصر بن سيار ، ودخل قحطبة الرمي من قبل
أبي مسلم الخراساني ، ثم دخل أصفهان : وفتحت شهرزور لبني العباس ،
وسار قحطبة إلى العراق لقتال ابن هبيرة .

: وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عروة بن محمد بن عطية
السعدي ، وهو ابن أخي عبد الملك بن محمد ، وكان على الحجاز ،
ولما بلغه قتل عمه عبد الملك توجه إلى الذين قتلوه ، فقتل منهم
مقتلة عظيمة ، وبقر بطون نسايم ، وقتل الصبيان ، وحرق بالنار
من قدر عليه منهم ، وكان على العراق يزيد بن هبيرة .

سنة (١٣٢ هـ) اثنتين وثلاثين ومائة :

في هذه السنة كانت هزيمة يزيد بن هبيرة عامل العراق .
وفيهما خرج محمد بن خالد بن عبد الله القسري مسوداً بالكوفة ،
وأخرج عامل ابن هبيرة منها على ما ذكر ذلك [إن شاء الله تعالى] ^(٢) .

(١) العمق : بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره قاف : واد من أودية الطائف .
والعمق أيضاً : موضع قرب المدينة . ووادي سيل في وادي الفرع لقوم من ولد الحسين
(ياقوت) .

(٢) من د .

وفيهما كان انقضاء اللؤلؤة الأموية ، وابتداء الدولة العباسية ، وبيعتهُ
أبى العباس السفاح بالخلافة .

وسار عبْدُ الله بن على بن عبْد الله بن عباس إلى مروان بن محمد
بأمر السفاح ، فلقبه بِزَابِ المُوَصِّل ، واقتتلوا ، فانهزم مروانُ إلى
مِصر ، فلحقه صالحُ بن على أخو عبْد الله بِبُوصَيْر^(١) ، فقتله ليلةَ
الأحد لثلاث بقين من ذى الحجة على ما نذكر ذلك إن شاء الله
مبينًا فى أخبار الدولة العباسية : جريًا فى ذلك على القاعدة التى قدّمناها .
ولما قُتل مروانُ بن محمد كان له من العُمُر تسعٌ وخمسون سنة .
وقيل : أقلُّ من ذلك .

وكانت ولايته إلى أن بُوع للسفاح خمس سنين وشهرًا ، وإلى أن
قُتل خمس سنين وعشرة أشهر .
وكان نقش خاتمه : اذكر الموتَ يا غافلُ .

وكان له من الأولاد : عبْدُ الله ، وعبيد الله ، هربا بعد قتله .
فأما عبْد الله فقتله الحبشةُ ، وعبيد الله أعقب .
وقيل : إنه أخذ وحُبِسَ إلى أيام الرشيد ، فمات ببغداد ،
بعد أن أضر .

كاتبه : عبد الحميد بن يحيى مؤلفُ موكبى بنى عامر .

قاضيه : عثمان التيمى .

حاجبه : مقلار^(٢) مولاه .

(١) بوصير: قرية بمصر من كورة الأشمونين قتل بها مروان بن محمد
(ياقوت) .

(٢) هذا بالأصول .

الأمرأ بمصر : منهم حسان بن عثاهية ، أقام ستة عشر يوما ثم وليها حفص بن الوليد ، ثم عزله مروان وولى جوهر^(١) بن سهل العجلاني ، ثم بعثه مدداً إلى ابن هُبيرة ، وولّاه المغيرة بن عبيد الله ، ثم توفي فولّاه عبدُ الملك بن مروان ابن موسى بن نصير .

القاضي بها : عبدُ الرحمن بن سالم بعد أن صرف حسين بن نعيم ، ولم يزل بها قاضياً إلى إمارة عبد الملك بن يزيد . (١) (٢)

٥٠٨

جامع أخبار بني أمية

كانت مدة ولايتهم منذ خلص الأمر لمعاوية بن أبي سفيان وإلى أن قُتل مروان بن محمد إحدى وتسعين سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام ، منها مدة عبد الله بن الزبير تسع سنين واثنان وعشرون يوماً .

وعدة من ولى منهم أربعة عشر رجلاً ، وهم : معاوية بن أبي سفيان ، يزيد بن معاوية ، الوليد بن يزيد بن عبد الملك . معاوية ابن يزيد بن معاوية . مروان بن الحكم . عبد الملك بن مروان . هشام ابن عبد الملك . سليمان بن عبد الملك . عمر بن عبد العزيز . رحمه الله تعالى . يزيد بن عبد الملك . مروان بن محمد بن مروان . الوليد بن يزيد . يزيد ابن الوليد بن عبد الملك . إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك . يزيد ابن^(٢) معاوية بن عبد الملك ، هذا وعليه انقرضت دولتهم بالمشرق ،

(١) في د : جوهرة .

(٢) فوقها في د : مقدم . وهو زائد عن العدد . وفي د اختلاف في ترتيب هؤلاء إذ عدهم : معاوية بن أبي سفيان . يزيد بن معاوية . معاوية بن يزيد بن معاوية . مروان بن الحكم . عبد الملك بن مروان . الوليد بن عبد الملك . سليمان بن عبد الملك . عمر بن عبد العزيز . يزيد بن عبد الملك . هشام بن عبد الملك . الوليد بن يزيد ابن عبد الملك . يزيد بن الوليد بن عبد الملك . إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك : مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

ثم قامت لهم دولة بالأندلس ، ستذكرها إن شاء الله تعالى بعد ذكرنا
الدولة العباسية . وإنما فصلنا ما بين دولتهم بالشرق ودولتهم بالمغرب
وجعلنا للدولة العباسية بينهما لتكون أخبار الدولتين سياقة ، ولأن
بعض أخبار الدولة العباسية متعلق بأخبار الدولة الأموية ، فإذا
ذكرناها بعد لا ينقطع سياق الأخبار ، لأن دولتهم بالأندلس لم تكن
تلو دولتهم هذه ، بل كانت بعد سنين من قيام الدولة العباسية .
فصاروا إذا كالخوارج عليهم ، والله تعالى الموفق للصواب والهادى
له بمنه وكرمه . يتلوه إن شاء الله بعد فى أول الجزء الموقى عشرين
من الكتاب : الباب الرابع من القسم الخامس من الفن الخامس فى
أخبار الدولة العباسية وغيرها .

وكتبه الحقيقير محمد ابن أبى النصر المتوفى الحنفى غفر الله له آمين . (١)
والله تعالى الموفق للصواب والهادى له

(١) هذا ما جاء فى آخر نسخة ك . وفى آخر نسخة (د) ما يأتى :
كمل الجزء التاسع عشر من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب ، وهو الجزء
التاسع من التاريخ على يد كاتبه وجامعه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب
ابن محمد بن عبد الدايم البكرى النجى ، عرف بالنويرى ، عفا الله عنه وسامحه .
ووافق الفراغ من تأليفه وكتابته فى يوم الاثنين المبارك لتسع خلون من
جمادى الآخرة عام (٧١٨ هـ) ثمان عشرة وسبعمائة أحسن الله تعالى
تفضيها .

ويظهر إن شاء الله تعالى فى أول الجزء الموقى عشرين من الكتاب :
الباب الرابع من القسم الخامس من الفن الخامس فى أخبار الدولة العباسية ،
بالمعراق ، وما معه ، والديار المصرية وابتداء أمر الشيعة .
والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه ، وسلم تسليما
كثيرا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(٧٥) (٧٠) (٧٠) (٧٠) (٧٠) (٧٠) (٧٠) (٧٠) (٧٠) (٧٠)

تم الجزء الحادى والعشرون
ويليه الجزء الثانى والعشرون
وأوله : أخبار الدولة العباسية

فهرس

الجزء الحسادى والعشرين
من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنوبرى

أرلا - الموضوعات

- مقدمة ... ٥
أخبار المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى ... ٧
وثوب المختار بالكوفة ... ١٢
عمال المختار بن أبى عبيد ... ٢٢
قتل المختار قتلة الحسين ... ٢٣
بيعة المثنى العبدى للمختار بالبصرة ... ٣٤
مخادعة المختار ومكره بعبد الله بن الزبير وظهور ذلك له ... ٣٥
امتناع محمد ابن الحنفية من مبايعة عبد الله بن الزبير وما كان من أمره
وإرسال المختار الجيش إلى مكة وخبر ابن الحنفية ... ٣٨
مسير إبراهيم بن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد وقتل ابن زياد ... ٤١
ولاية مصعب بن الزبير بالبصرة ومسيره إلى الكوفة وقتاله المختار
وقتل المختار بن أبى عبيد ... ٤٤
خبر كرسى المختار الذى كان يستنصر به ، ويزعم أنه فى كتاب
بنى إسرائيل ... ٥٢
أخبار نجله بن عامر الحنفى حين وثب بالبيعة وما كان من أمره ... ٥٤

- الخلاف على نجدة وقله وتولية أبي فديك ٥٨
- الحوادث التي وقعت في أيام عبد الله بن الزبير خلاف ماذكر في الأعمال
الداخلية في ولايته على حكم الستين ٥٩
- سنة أربع وستين ٥٩
- سنة خمس وستين ٥٩
- بناء ابن الزبير الكعبة ٦٠
- ذكر الحرب بين عبد الله بن خازم وبين بني تميم بخراسان ٦١
- سنة ست وستين ٦٤
- ذكر الفتنة بخراسان ٦٤
- سنة سبع وستين ٦٧
- سنة ثمان وستين ٦٨
- ذكر حصار الري وفتحها ٦٨
- أخبار عبيد الله بن الحر ومقتاه ٦٨
- سنة تسع وستين ٧٧
- سنة سبعين ٧٧
- يوم الحفرة ٧٧
- سنة إحدى وسبعين ٨٠
- سنة اثنتين وسبعين ٨٠
- سنة ثلاث وسبعين ٨٠
- بيعة مروان بن الحكم ٨١
- السبب في بيعة مروان ٨٣
- موقعة مرج راهط ٨٨
- مسير مروان إلى مصر واستيلائه عليها ٩٤
- ذكر البيعة لعبد الملك وعبد العزيز أبي مروان بن الحكم بولاية العهد ٩٤

- ٩٦ وفاة مروان بن الحكم
- ٩٨ بيعة عبد الملك بن مروان
- ١٠٠ مقتل عمرو بن سعيد الأشدق ، وشيء من أخباره ونسبه
- ١٠٦ نبذة من أخبار عمرو بن سعيد الأشدق في الإسلام والجاهلية
- ١٠٨ عصيان الجراحمة بالشام وما كان من أمرهم
- خبر عمير بن الحباب بن جعنة السلمى وما كان بين قيس وتغلب
- ١١٠ من الحروب
- ١١١ يوم ماكسين
- ١١٢ يوم الثرثار الأول
- ١١٢ يوم الثرثار الثانى
- ١١٢ يوم الفدين
- ١١٣ يوم السكير
- ١١٣ يوم المعارك
- ١١٣ يوم الشرعية
- ١١٤ يوم البليخ
- ١١٤ يوم الحشاك ومقتل عمير بن الحباب السلمى وابن هوبر التغلبى
- ١١٦ الحرب بعد مقتل عمير بن الحباب السلمى
- ١١٧ خبر يوم البشر
- مسير عبد الملك بن مروان إلى العراق وقتل مصعب بن الزبير واستيلاء
- ١٢٠ عبد الملك على العراق
- خبر عبد الملك بن مروان وزفر بن الحارث وما كان بينهما من القتال
- ١٢٨ وانتظام الصلح بينهما
- ١٣٢ مقتل عبد الله بن خازم واستيلاء عبد الملك على خراسان
- ١٣٣ مقتل عبد الله بن الزبير وشيء من أخباره
- ١٤٣ نبذة من سيرته وأخباره

مبايعة أهل مكة عبد الملك بن مروان ومافعله الحجاج من هدم
الكعبة وبنائها ومسيره إلى المدينة وما فعله فيها بالصحابة رضى

الله عنهم ١٤٥

أخبار الخوارج في أيام عبد الملك بن مروان منذ استقل بالأمر ... ١٤٧

مقتل أبي فديك الخارجي ١٥٠

ولاية المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة ١٥١

إجلاء الخوارج عن راهرز وقتل عبد الرحمن بن مخنف ١٥٢

الاختلاف بين الأزارقة ومفارقة قطري بن الفجاءة إليهم ومبايعتهم عبد

رب الكبير والحرب بينه وبين المهلب ومقتله ١٥٥

مقتل قطري بن الفجاءة وعبيدة بن هلال ومن معهم من الأزارقة ١٥٩

خروج صالح بن مسرح التميمي وشبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني ... ١٦١

بيعة شبيب بن يزيد الشيباني ومحاربته الحارث بن عتبة وهزيمة الحارث ١٦٤

الحروب بين أصحاب شبيب وعقرة ١٦٥

مسيرة شبيب إلى بني شيان وإيقاعه بهم ودخولهم معه ١٦٦

الوقعة بين شبيب وسفيان الخثعمي ١٦٧

الوقعة بين شبيب وسورة ١٦٨

الحرب بين شبيب والحزول بن سميد وقتل سعيد بن مجالد ١٦٩

مسير شبيب إلى الكوفة ١٧٢

محاربة شبيب أهل البادية ١٧٣

دخول شبيب الكوفة ١٧٤

محاربة شبيب زحر بن قيس وهزيمة جيش زحر ١٧٥

محاربة الأمراء الذين نذبتهم الحجاج لقتاله وقتال محمد بن موسى بن طاحنة

وزائدة بن قدامة ١٧٦

محاربته عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وعثمان بن قطن وقتل

ابن قطن ١٧٩

- محاربة عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلها ١٨٣
- قدريم شبيب الكوفة وانتهزاه عنها ١٨٨
- منهلك شبيب ١٩٠
- خروج مطرف بن النخيلة ومقتله ١٩٣
- الغزوات والفتوحات في أيام عبد الملك بن مروان على حكم السنين ١٩٦
- غزو عبدة الله بن أبي بكر رقبيل ١٩٧
- مسير عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى رقبيل ومملكته من بلاده ١٩٩
- غزو المهلب بن أبي صفرة ما وراء النهر ٢٠١
- دخول الديلم قروين وقتلهم ٢٠٢
- فتح قلعة نيزك بباذغيس ٢٠٣
- فتح المصبصة ٢٠٤
- الحوادث الكثيرة في أيام عبد الملك بن مروان ٢٠٤
- ولاية محمد بن مروان الجزيرة وأرمينية ٢٠٥
- ولاية الحجاج بن يوسف العراق ، وما فعله عند مقدمه ٢٠٧
- وثوب أهل البصرة بالحجاج ٢١٤
- ما كالم به الحجاج أنس بن مالك وشكواه إياه ٢١٩
- ولاية سعيد بن أسلم السند وقتله ٢٢٢
- ولاية جماعة بن سمر التميمي على السند ووفاته ٢٢٢
- خبر الزنج بالبصرة ٢٢٢
- ضرب الدنانير والدرهم الإسلامية ٢٢٣
- مقتل بكير بن وصال ٢٢٤
- حوادث سنة ٧٨ هـ ٢٢٧
- حوادث سنة ٧٩ هـ ٢٢٨
- حوادث سنة ٨٠ هـ ٢٢٨
- حوادث سنة ٨١ هـ ٢٢٩

- مقتل بجير بن ورقاء ٢٢٩
- خلاف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج ، وما كان بينهما
من الحروب ٢٣٣
- الحرب بين الحجاج وأبن الأشعث وانهمزام ابن الأشعث ٢٣٧
- وقعة دير الحجاجم ٢٣٩
- الوقعة بمسكن ٢٤٧
- مسير عبد الرحمن بن الأشعث إلى رتبيل ، وما كان من أمره وأمر
أصحابه ٢٤٩
- بقية حوادث سنة ٨١ هـ ٢٥٩
- حوادث سنة ٨٢ هـ ٢٥٩
- وفاة المهلب بن أبي صفرة ووصيته لابنيه وولاية ابنه يزيد خراسان... ٢٥٩
- خبر عمر بن أبي الصلت وخلعه الحجاج بالرى وما كان من أمره ٢٦١
- بناء واسط ٢٦٢
- حوادث سنة ٨٤ هـ ٢٦٣
- حوادث سنة ٨٥ هـ ٢٦٣
- عزل يزيد بن المهلب عن خراسان وولاية أخيه المفضل ٢٦٣
- أخبار موسى بن عبد الله بن خازم واستيلائه على ترمذ ٢٦٥
- وفاة عبد العزيز بن مروان ، وولاية عبد الملك بن عبد الله مصر ٢٦٥
- والبيعة ناولد وسليمان ابني عبد الملك بولاية العهد ٢٧٥
- وفاة عبد الملك بن مروان ٢٧٧
- وصيه بنه عند موته ٢٧٨
- أولاده وأزواجه ٢٧٨
- شيء من أخباره وعماله ٢٧٩
- الأمراء بمصر وقضاها ٢٨٠
- بيعة الوليد بن عبد الملك ٢٨١
- الغزوات والفتوح التي اتفقت في خلافة الوليد بن عبد الملك ٢٨٢

- ولاية قتيبة بن مسلم خراسان ، وغزواته وفتوحه ... ٢٨٢
- قتيبة ونيزك ... ٢٨٤
- غزوة بيكند وفتحها ... ٢٨٤
- غزو نومشكت ، وراميشة ، واصلح أهلها ، وقتال الترك والصغد وأهل فرغانة ... ٢٨٥
- غزو بخارى وفتحها ... ٢٨٦
- غدر نيزك وفتح الطالقان وما كان من خبر نيزك إلى أن قتل ... ٢٨٩
- غزوة شومان وكش ونسف وفتح ذلك ... ٢٩٤
- ذكر صلح خوارزم شاه وفتح خام جرد ... ٢٩٥
- فتح سمرقند ... ٢٩٦
- غزو الشاش وفرغانة ... ٢٩٩
- فتح مدينة كاشغر ... ٣٠١
- غزوات قتيبة وفتوحاته ... ٣٠٣
- فتح السند وقتل ملكها ، وما يتصل بذلك من أخبار الأعمال عليها ... ٣٠٤
- ذكر الغزوات إلى بلاد الروم وما فتح منها . وغزوات الصوائف على حكم السنين ... ٣١١
- فتح طوانة وغيرها من بلاد الروم ... ٣١١
- الحوادث الكائنة في أيام الوليد بن عبد الملك خلاف ما تقدم ... ٣١٣
- في سنة ٨٦ هـ ... ٣١٣
- في سنة ٨٧ هـ ... ٣١٤
- في سنة ٨٨ هـ ... ٣١٤
- عمارة مسجد النبي والزيادة فيه ... ٣١٤
- في سنة ٨٩ هـ ... ٣١٦
- ولاية خالد بن عبد الله القسري مكة : وما خطب الناس به وقاله ... ٣١٦
- في سنة ٩٠ هـ ... ٣١٦
- هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج ... ٣١٦
- في سنة ٩١ هـ ... ٣١٩

- نبذة من سيرته ... ٣٦٦
- بيعة يزيد بن عبد الملك ... ٣٧٢
- مقتل شوذب الخارجي وهزيمته بجيوش يزيد قبل ذلك ... ٣٧٤
- الغزوات والفتوح في خلافة يزيد بن عبد الملك : ... ٣٧٥
- غزوة الترك ... ٣٧٥
- غزوة الصفد ... ٣٧٧
- الوقعة بين سعيد الحرشي أمير خراسان وبين الصفد ... ٣٧٨
- ظفر الخزر بالمسلمين ... ٣٨١
- فتح بلنجر وغيرها ... ٣٨٢
- استيلاء يزيد بن المهلب على البصرة وخلعه يزيد بن عبد الملك ... ٣٨٤
- بقية أخبار سنة (١٠١ هـ) إحدى ومائة ... ٣٩١
- حوادث سنة اثنين ومائة (١٠٢ هـ) ... ٣٩٢
- ولاية مسلمة بن عبد الملك العراق وخراسان وعزله ، وولاية
عمر بن هبيرة ... ٣٩٢
- البيعة لهشام بن عبد الملك ، والوليد بن يزيد ، بولاية العهد ... ٣٩٢
- مقتل يزيد بن أبي مسلم ... ٣٩٢
- حوادث سنة ثلاث ومائة (١٠٣ هـ) ... ٣٩٤
- ذكر استيلاء سعيد الحرشي على خراسان ، وعزل سعيد خديبة عنها ... ٣٩٤
- حوادث سنة أربع ومائة (١٠٤ هـ) : ... ٣٩٥
- عزل عبد الرحمن بن افضحاك عن مكة والمدينة وولاية عبد الواحد ... ٣٩٥
- حوادث سنة خمس ومائة (١٠٥ هـ) ٣٩٧
- ذكر أخبار الخوارج في أيام يزيد بن عبد الملك ... ٣٩٧
- وفاة يزيد بن عبد الملك وشيء من أخباره ... ٣٩٩
- بيعة هشام بن عبد الملك ... ٤٠٢

- الغزوات والفتوح في أيام هشام بن عبد الملك على حكم السنين ٤٠٣
- غزوة مسلم الترك ٤٠٤
- غزاة عنبسة الفرنج بالأندلس ٤٠٥
- خبر أشرس بن عبد الله السلمي أمير خراسان ٤٠٧
- ذكر وقعة كمرجة ٤١٠
- عزل أشرس عن خراسان ، واستعمال الجنييد بن هبذ الرحمن وقتاله
- الترك ٤١٢
- مقتل الجراح بن عبد الله الحكمي وولاية سعيد الحرشي ٤١٤
- وقعة الجنييد بالشعب ٤١٧
- غزو مسلمة وعوده ٤٢١
- غزو مروان بن محمد بلاد الترك ، ودخوله إلى بلاد ملك السمرير
- وغيرهما ٤٢١
- ظفر المسلمين بالترك وقتل خاقان ملك الترك ٤٢٥
- غزوات نصر بن سيار ما وراء النهر ٤٢٧
- غزو مروان بن محمد بن مروان ٤٣١
- حوادث سنة ست ومائة (١٠٦ هـ) : ٤٣٢
- ذكر ولاية أسد خراسان ٤٣٢
- حوادث سنة سبع ومائة (١٠٧ هـ) : ٤٣٤
- « سنة ثمان ومائة (١٠٨ هـ) : ٤٣٥
- « سنة تسع ومائة (١٠٩ هـ) : ٤٣٥
- « سنة عشرة ومائة (١١٠ هـ) ٤٣٦
- « سنة إحدى عشرة ومائة (١١١ هـ) ٤٣٧
- « سنة اثنتي عشرة ومائة (١١٢ هـ) ٤٣٧
- « سنة ثلاث عشرة ومائة (١١٣ هـ) ٤٣٧

- ٤٣٧ حوادث سنة أربع عشرة ومائة (١١٤ هـ)
 ٤٣٨ سنة خمس عشرة ومائة (١١٥ هـ)
 ٤٣٨ سنة ست عشرة ومائة (١١٦ هـ)
 ٤٣٩ خلع الحارث بن سريج بخراسان ، وماكان من أمره
 ٤٤١ سنة سبع عشرة ومائة (١١٧ هـ)
 ٤٤١ عزل عاصم عن خراسان ، وولاية أسد وخبر الحارث بن سريج
 ٤٤٥ سنة تسع عشرة ومائة (١١٩ هـ) :
 ٤٤٥ قتل المغيرة وبيان
 ٤٤٧ خبر الخوارج في هذه السنة
 ٤٥١ سنة عشرين ومائة :
 ٤٥١ عزل خالد بن عبد الله القسري ، وولاية يوسف بن عمر الثقفي
 ٤٥٨ حوادث سنة إحدى وعشرين ومائة (١٢١ هـ) :
 ٤٥٨ حوادث سنة اثنين وعشرين ومائة (١٢٢ هـ) :
 ٤٥٨ ذكر مقتل البطال
 ٤٥٩ حوادث سنة ثلاث وعشرين ومائة
 ٤٥٩ صالح نصر بن سيار مع الصفد
 ٤٦٠ حوادث سنة خمس وعشرين ومائة (١٢٥ هـ) :
 ٤٦٠ ذكر وفاة هشام بن عبد الملك ، ونبذة من أخباره
 ٤٦٢ ذكربيعة الوليد بن يزيد
 ٤٦٩ حوادث سنة ست وعشرين ومائة :
 ٤٦٩ مقتل خالد بن عبد الله القسري ، وشيء من أخباره
 ٤٦٩ ذكر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وشيء
 ٤٧٣ من أخباره
 ٤٨٧ ذكربيعة يزيد بن الوليد الناقص
 ٤٨٨ ذكر اضطراب أمر بني أمية

- ٤٨٩ ... : خلاف أهل حمص وفلسطين
- ٤٨٩ ... خلاف أهل حمص
- ٤٩١ ... خلاف أهل فلسطين
- ٤٩١ عزل يوسف بن عمر عن العراق ، واستعمال منصور بن جمهور
- عزل منصور بن جمهور عن العراق ، وولاية عبد الله بن عمر
- ٤٩٥ ابن عبد العزيز
- ٤٩٦ ذكر الاختلاف بين أهل خراسان
- ٥٠١ ذكر الحرب بين اليمامة وعاملهم
- ٥٠٤ وفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك
- ٥٠٥بيعة إبراهيم بن الوليد
- ٥٠٥ تمت حوادث سنة ست وعشرين ومائة (١٢٦ هـ)
- ٥٠٦ سنة سبع وعشرين ومائة (١٢٧ هـ)
- ٥٠٦ ذكر مسيرة مروان بن محمد إلى الشام ، وطلع إبراهيم بن الوليد
- ٥٠٨ ذكربيعة مروان بن محمد
- ٥٠٩ رجوع الحارث بن مريج
- ٥١١ انتفاض أهل حمص
- ٥١٢ ذكر خلاف أهل القوطة
- ٥١٢ خلاف أهل فلسطين
- ٥١٤ خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك مروان بن محمد
- ٥١٦ ذكر خروج الضحاك محكما ، وما كان من أمره إلى أن قتل
- ٥١٩ ذكر خبر الخبيري الخارجي وقتله وقيام شيان
- ٥٢٠ أخبار شبيب الحروري وما كان من أمره إلى أن قتل
- ٥٢٣ سنة ثمان وعشرين ومائة (١٢٨ هـ)
- ٥٢٣ مقتل الحارث بن سريج وعتبة الكرمانى على مرو
- ٥٢٩ سنة تسع وعشرين ومائة (١٢٩ هـ)
- ٥٢٩ مقتل الكرمانى

٥٣٠	خبر أبي حمزة الخنّار بن عوف الأزدي البصري مع طالب
٥٣٣	الحق عبد الله بن محمد بن يحيى الخضرمي
٥٣٥	دخول أبي حمزة المدينة
٥٣٥	مقتل أبي حمزة
٥٣٥	مقتل عبد الله بن يحيى المنعوت بصاحب الحق ، وقتل ابن عطية
٥٣٦	تتمة حوادث سنة (١٢٩ هـ)
٥٣٦	حوادث سنة الثلاثين ومائة (١٣٠ هـ)
٥٣٧	و سنة إحدى وثلاثين ومائة (١٣١ هـ)
٥٣٧	حوادث سنة الثنتين وثلاثين ومائة (١٣٢ هـ) :
٥٣٩	جامع أخبار بني أمية

جزوب معين التاريخ لأهل التاريخ

ثانياً - مراجع التحقيق

الاستيعاب لابن عبد البر	مطبوعة نهضة مصر
الاشتقاق لابن دريد	مطبوعة السنة المحمدية
الأصمعيات	طبعة دار المعارف
الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني	دار الكتب
الإكمال لابن مأكولا	نسخة المخطوطة المحققة
تاج الأروس للزبيدي	دار ليبيا للنشر والتوزيع
تاريخ الطبري	طبعة دار المعارف
ديوان الفرزدق	المكتبة الأهلية
ديوان النابغة الذبياني	دار الفكر
شرح ديوان الحماسة للبربري	طبعة التجارية
شرح ديوان الحماسة للمرزوقي	لجنة التأليف
الشعر والشعراء لابن قتيبة	طبعة عيسى الحلبي
العقد الفريد لابن عبد ربه	لجنة التأليف
فتوح البلدان للبلاذري	شركة طبع الكتب العربية ١٩٠١م
القاموس المحيط	المطبعة المصرية
قصص العرب	طبعة عيسى الحلبي
الكامل لابن الأثير	إدارة الطباعة المنبرية
لب اللباب لابن الأثير	مكتبة القمصين
لسان العرب لابن منظور	الطبعة الأميرية
مختارات ابن الشجري	طبعة نهضة مصر
مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع	مكتبة عيسى الحلبي

طبعة التجارية	مروج الذهب للمسعودي
طبعة مكتبة عيسى الحلبي	المشتبه للذهبي
مطبعة السعادة	معجم البلدان لياقوت
طبعة مكتبة عيسى الحلبي	معجم الشعراء للمرزباني
مطبعة التأليف	معجم ما استعجم للبكري
طبعة دار الكتب	النجوم الزاهرة

مطبخ السيد: الضريرة العنانية مطكاف

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٧/١٨١١
ISBN ١٧٧ ٢٠١ ٢٣١ ٦